الإِتْحَافَاتُ المِقْدَادِيَّةُ

فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

الإِتْحَافَاتُ المِقْدَادِيَّة فِي نُصْرَةِالسَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الطَّبعة : الأولى/ ٢٠٢١م /

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيْم

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٩/١٠/٥٦٠١) ، علي عايد إبراهيم

الإتحافات المقداديَّة في نصرة السَّادة الصُّوفيَّة / علي عايد إبراهيم / إربد ، المؤلف ، ٢٠١٩/ () ص .

ر.إ. : ٢٠١٩/١٠/٥٦٠١

الواصفات : الصُّوفيَّة/ الطُّرق الصُّوفيَّة / التَّصوُّف

الرقم المعياري الدولي للكتاب (ردمك) (٦-٠٣-٧٤٩-٩٩٢٣-٩٧٨) ISBN

الإِتْحَافَاتُ المِقْدَادِيَّة

فِي نُصْرَةِالسَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

(مُقَدِّمَةُ مَوْسُوْعَةِ تَرَاجِمِ الصُّوْفِيَّة)

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر
عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِي الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الإِهْدَاء

إلى سيِّدي العالم الربَّاني ، والمجتهد المتفاني ، العالم الجليل ، والحبر المعظَّم النَّبيل ، محيي السنَّة وقامع البدعة ، قدوة الأمَّة ، وإمام الأئمَّة ، صاحب المكارم الفاضلة والملكات المرضيَّة العادلة ، الزَّكي النَّقي التَّقي ، الرَّضي الوفي ، الزَّاهد العابد ، الذي قعد من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها ، مربِّي المريدين الطَّالبين ، شيخنا وأستاذنا ووالدنا ومولانا العالم العلَّامة والبحر الفهَّامة ، شيخ المربِّين الشَّيخ محمَّد سعيد بن عجاج بن علي بن أحمد آغا الإيزولي ، المنتهي نسبه بالولي الشَّهير السُّلطان موسى بن ماهين الإيزولي الكردي (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ... الذي أدخل التَّصوُّف إلى الأردن ... وقام في سبيل ذلك بخدمات جليلة للإسلام ، فجدَّد رسوم الأخلاق وتربية النُّفوس ، وأمات البدع والعادات التي شوّهت جمال الإسلام في القلوب ، فحاز قصب السَّبق في هذا المجال ...

اللّٰهُمَّ لا تحرمنا من بركة أوليائك الصَّالحين ، وثبِّت قلوبنا على محبَّتهم ، واجزهم عنَّا خير الجزاء ...اللّٰهُمَّ آمين

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، قال تعالى : **ﭐﱡﭐ هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﱠ** [آل عمران:١٠٢] ، وقال تعالى : **ﭐﱡﭐ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﱠ** [النساء: ١] ، وقال تعالى : **ﭐﱡﭐ يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج * بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم ﱠ** [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] ، أمَّا بعد :

فإنَّها للحظة مباركة ، تلك التي تسبَّبت بصناعة هذا السِّفر المبارك بإذن الله تعالى ، تلك اللحظة التي جلست فيها مع شيخي العالم الربَّاني ، والمربِّي الفاضل شيخ الطَّريقة الشَّاذليَّة المومنيَّة الأُستاذ المُربِّي أحمد العلي الحسيني ، حفظه الله ومتَّعنا ببقائه ، حيث أشار من خلالها إلى ضرورة تصنيف كتاب يجمع في طيَّاته ما تناثر من تراجم السَّادة الصُّوفيَّة الأعلام – القدامى والمحدثين – في بطون كتب أهل العلم المُختلفة ، فشددت حيازيمي من وقتها ، وعقدت العزم من ساعتها على تحقيق هذه الأُمنية التي تفتقد لها المكتبة الإسلاميَّة ، فرتَّبت أوراقي ، وشحذت همَّتي ... وساعتها شعرت بأنَّني أُدْفع لذلك دفعاً لم أشعر بمثله حين كتبت غيره من الكتب ، فأحسست ببركة هؤلاء الصِّيد الميامين من العلماء الربَّانيين الذين سأترجم لهم ، أولئك النَّفر الأعلام الذين لم يسلموا من تكفير الوهَّابية وتبديعهم وتضليلهم ، كما لم يسلم من فتنتهم أحد من المسلمين ... وما هذا الكتاب إلَّا مقدِّمة لموسوعة ضخمة تضمَّنت ترجمة لساداتنا الصُّوفية زادت مجلَّداتها عن سبعين مجلَّداً ... مع العلم أنَّ الموسوعة كُتبت في أوقات وأماكن مختلفة ... ولذلك ستجد أنَّ

المصادر والمراجع تعدَّت الألف ... بما في ذلك المصدر أو المرجع الواحد ستجد يا قارئي أنَّ طبعاته مختلفه ... والسَّبب أنَّني كنت أكتب حيث تيسَّر لي وجود المصدر ...

وعلىٰ كلِّ حال ... فإنَّه من المعلوم أنَّ التَّصوُّف سبيل أمثل للتَّهذيب الرُّوحي والخُلُقي ، لأنَّ الوجدان هو هدفه الرَّئيس ... فمن شأنه أن يزكِّي النَّفس من الدَّنس ، ويصل بالإنسان إلىٰ مرضاة الرَّحمن ، بعد أن سلَّم المرءُ الأمرَ كلَّه لله ، والتجأ إليــه تعالىٰ في شؤونه كلِّها ، فحقَّق في نفسه معنىٰ العبوديَّة الحقَّة لله تعــــالىٰ ، تِلْكُم العبوديَّة التي لأجلها خلق الله تعــــالىٰ الخلق ، قال سبحانه : **ٱ ئر ئز ئم ئن ئى** [الذاريات: ٥٦] .

والعبوديَّة لله وسام رفيعٌ يُعطاه الإنسان من المولىٰ جلَّ جلاله ... لأنَّه إن لم يكن عبداً لله كان عبداً لمن دونه ... وقد وصف الله تعالىٰ بها أفضل خلقه سيِّدنا محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : **ٱ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح** [الإسراء: ١] ، في رحلة ربَّانيَّة أوصلته لمكان عال سامق لم يحض به أحد من العالمين ، حيث رأىٰ من آيات ربِّه الكبرىٰ ما رأىٰ ...

ثمَّ إنَّ الإنســـــــان مأمور في نهاية كلِّ صلاة أن يقول : أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ...

فالإنسان إذا حقَّق في نفسه رُتبة العبوديَّة الحقَّة لله تعالىٰ ، كان ذا مقام رفيع ، ورتبة عالية لا تُدانيها رُتب الدُّنيا ، حيث حصَّل بذلك من الله تعالىٰ التَّكريم الذي هو سبيل المفاضلة بين البشر عند الله تعالىٰ ، قال سبحانه : **ٱ تز تم تن تى تي ثر** [الحجرات: ١٣] .

وتحقيق رُتبة العبوديَّة الحقَّة لله تعالىٰ هي مقصود التَّصوُّف ، ومن أجل ذلك يحرص الصُّوفي علىٰ تحقيق التّوحيدُ الخالص لله تعالىٰ ، وأداء العبادات التي فرضها الله تعالىٰ علىٰ عباده ، مع الحرص علىٰ النَّوافل ، والخضوع والانقياد له سبحـــــانه في السِّرِّ والعلانية ، وترك التّعلُّق بما سواه ، وتسخير جوارحه في سبيله ...

وقد عرَّف الإمام عبد القادر الجيلاني الصُّوفي بتعريف جامع مانع ...

فقد جاء في كتاب " قلائد الجوهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء القطب الربَّاني الشَّيخ محيي الدِّين عبد القادر الجيلاني " : " وسئل رضي الله عنه عن معنىٰ اسم الفقير ، فقال : (ف ق ي ر) ثُمَّ أنشد :

فاء الفقير فاؤه في ذاته وفراغه من نعته وصفاته
والقاف قوَّة قلبه بحبيبه وقيامه لله في مرضاته
والياء يرجو ربَّه ويخافه ويقوم بالتَّقوىٰ بحقّ تقاته
والرَّاء رقة قلبه وصفاؤه ورجوعه لله عن شهواته

ثُمَّ قال رضي الله عنه : ينبغي للفقير أن يكون : جوَّال الفكر ، جوهري الذِّكر ، جميل المنازعة ، قريب المراجعة ، لا يطلب من الحقِّ إلَّا الحقَّ ، ولا يتمذهب إلَّا الصِّدق ، أوسع النَّاس صدراً ، وأذلّ النَّاس نفساً ، ضحكه تبسُّماً ، واستفهامه تعلُّماً ، مذكِّراً للغافل ، معلِّماً للجاهل ، لا يؤذي من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، كثير العطا ، قليل الآذىٰ ، ورعاً عن المحرَّمات ، متوقِّفاً عن الشُّبهات ، غوثاً للغريب ، أباً لليتيم ، بشرُهُ في وجهه ، حزنُهُ في قلبه ، مشغولاً بفكره ، مسروراً بفقره ، لا يكشف سرَّاً ، ولا يهتك ستراً ، لطيف الحركة ، نامي البركة ، حلو المشاهدة ، سخيَّاً بالفائدة ، طيِّب المذاق ، حسن الأخلاق ، ليِّن الجانب ، جوهراً سيَّالاً ذائب ، طويل الصَّمت ، جميل النَّعت ، حليماً إذا جُهل عليه ، صبوراً علىٰ من أساء إليه ، ولا يكن عنده جمود ، ولا لنار الحقِّ خمود ، لا بنموم ولا حسود ، ولا عجول ولا حقود ، يبجِّل الكبير ، ويرحم الصَّغير ، أميناً علىٰ الأمانة ، بعيداً عن الخيانة ، ألفه التُّقىٰ ، خلقه الحيا ، كثير الحذر ، مداوم السَّهر ، قليل التَّدلُّل ، كثير التَّحمُّل ، قليلاً بنفسه ، كثيراً بإخوانه ، حركاته أدب ، وكلامه عجب ، لا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحداً بغِيْبة ، وقوراً صبوراً ، راضياً شكوراً ، قليل الكلام ، كثير الصَّلاة والصِّيام ، صدوق اللسان ، ثابت الجَنان ، يحتفل بالضِّيفان ، ويطعم ما كان لمن كان ، وتأمن بوائقه الجيران ، لا سبَّاباً ولا مغتاباً ، ولا عيَّاباً ، ولا نمَّاماً ولا ذمَّاماً ، ولا عجولاً ولا غفولاً ، ولا حسوداً ولا ملولاً ، ولا حقوداً ولا كنوداً ، له لسان مخزون وقول موزون ، وفكر يجول فيما كان وما يكون " . انظر : قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء القطب الربَّاني الشَّيخ محيي الدِّين عبد القادر الجيلاني ، محمَّد بن يحيىٰ التادفي الحنبلي (ص٧٣-٧٤) .

وقال الإمام أبو الفتح علي بن محمَّد بن الحسين بن يوسف بن محمَّد بن عَبْد العَزِيز البستي (٤٠٠هـ) :

تنازَعَ النَّاس في الصُّوفي واختلَفوا وظَنَّهُ البعضُ مُشتقّاً مِنَ الصُّوفِ

ولسْــتُ أمنــحُ هــذا الاسمَ غيرَ فتىً   صــافىٰ فصُــوفِيَ حــتَّىٰ سُمِّيَ الصُّوفي

فالتَّصوُّف علمٌ موضوعه ركنٌ من أهمِّ أركان الدِّين ألا وهو الإحسان ، الذي جاء الكلام عنه في حديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " . أخرجه البخاري (١/ ١٩ برقم ٥٠) .

ومقام الإحسان هو مقام الخُصوص ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني في الكلام عن مقام الإحسان : " ... وَأَشَارَ فِي الْجَوَابِ إِلَىٰ حَالَتَيْنِ ، أَرْفَعُهُمَا : أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ مُشَاهَدَةُ الْحَقِّ بِقَلْبِهِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : " كَأَنَّكَ تَرَاهُ " ، أَيْ : وَهُوَ يَرَاكَ ، وَالثَّانِيَةُ : أَنْ يَسْتَحْضِرَ أَنَّ الْحَقَّ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ يَرَىٰ كُلَّ مَا يَعْمَلُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : " فَإِنَّهُ يَرَاكَ " ، وَهَاتَانِ الْحَالَتَانِ يُثَمِّرُهُمَا مَعْرِفَةُ اللهِ وَخَشْيَتُهُ ... " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٢٠) .

فالتَّصوُّف هو محراب العلماء الصَّادقين ، ومنهج العلماء الرَّبانيِّين ، وهو لا يعني إلَّا اتِّباع الشَّريعة ، والعمل بمقتضىٰ الكتاب والسُّنَّة ، ومخالفة الهوىٰ ، والاتِّباع ، والبعد عن الابتداع ، ومجاهدة النَّفس حتىٰ تستقيم علىٰ منهج الله ، قال الإمام الشِّبلي : " الصُّوفي من لبس الصُّوف علىٰ الصَّفا ، وسلك طريق المصطفىٰ ، وكانت الدُّنيا عنده خلف القفا " . انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، عبد الرَّحمن الصفوري (٢/ ٥٦) .

ومعلوم لكلِّ باحث منصف في هذا الباب أنَّ أُصول التَّصوُّف في الكتاب والسُّنَّة ظاهرة ، قال الإمام الشَّاطبي (٧٩٠هـ) : " وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصَوُّفِ فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ بِإِطْلَاقٍ ، وَلَا هُوَ مِمَّا صَحَّ بِالدَّلِيلِ بِإِطْلَاقٍ ، بَلِ الْأَمْرُ يَنْقَسِمُ ، وَلَفْظُ التَّصَوُّفِ لَا بُدَّ مِنْ شَرْحِهِ أَوَّلاً حَتَّىٰ يَقَعَ الْحُكْمُ عَلَىٰ أَمْرٍ مَفْهُومٍ ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مُجْمَلٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، فَلْنَرْجِعْ إِلَىٰ مَا قَالَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ .

وَحَاصِلُ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ لَفْظُ التَّصوُّف عندهم معنيان :

أحدهما : أَنَّه التَّخَلُّقُ بِكُلِّ خُلُقٍ سَنِيّ ، وَالتَّجَرُّدُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيّ .

وَالْآخَرُ : أَنَّه الْفَنَاءُ عَنْ نَفْسِهِ ، والبقاء بربِّه .

وهما في التَّحقيق يرجعان إِلَىٰ مَعْنًىٰ وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا يَصْلُحُ التَّعْبِيرُ بِهِ عَنِ الْبِدَايَةِ ، وَالْآخر يَصْلُحُ التَّعْبِيرُ بِهِ عَن النِّهَايَةِ ، وَكِلَاهُمَا اتِّصَافٌ ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ لَا يُلْزِمُهُ الْحَالُ ، وَالثَّانِي يُلْزِمُهُ الْحَالُ ، وقد يعتبر فيهما بلحظ آخَرَ ، فَيَكُونُ الْأَوَّلُ عَمَلاً تَكْلِيفِيّاً ، وَالثَّانِي نَتِيجَتَهُ ، وَيَكُونُ الْأَوَّلُ اتِّصَافَ الظَّاهِرِ ، وَالثَّانِي اتِّصَافَ الْبَاطِنِ ، وَمَجْمُوعُهُمَا هُوَ التَّصَوُّفُ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَالتَّصَوُّفُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ لَا بِدْعَةَ فِي الْكَلَامِ فِيهِ ، لأنَّه إنَّما يرجع إلىٰ التَّفقُّه الذي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، وَتَفْصِيلُ آفَاتِهِ وَعَوَارِضِهِ ، وَأَوْجُهِ تَلَافِي الْفَسَادِ الْوَاقِعِ فِيهِ بِالْإِصْلَاحِ ، وَهُوَ فِقْهٌ صَحِيحٌ ، وَأُصُولُهُ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ظَاهِرَةٌ ، فَلَا يُقَالُ فِي مَثَلِهِ بِدْعَةٌ " . انظر : الاعْتِصَام ، الشاطبي(١/ ٣٥٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " الفصل السَّابع عشر في علم التَّصوُّف : هذا العلم من العلوم الشَّرعيَّة الحادثة في الملّة ، وأصله أنَّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمَّة وكبارها من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية ، وأصلها العكوف علىٰ العبادة ، والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ ، والإعراض عن زُخرف الدُّنيا وزينتها ، والزُّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذَّة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عامَّاً في الصَّحابة والسَّلف .

فلمَّا فشا الإقبال علىٰ الدُّنيا في القرن الثَّاني وما بعده ، وجنح النَّاس إلىٰ مخالطة الدُّنيا ، اختصّ المقبِلون علىٰ العبادة باسم الصُّوفيَّة والمتصوِّفة " . انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (١/ ٦١١) .

فالتَّصوُّف طريق الحقّ والهداية ، سار عليه سلفُ الأمَّة وكبارُها من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم ... وأصله العكوف علىٰ العبادة ، والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ ، والإعراض عن زخرف الدُّنيا وزينتها ، والتخلِّي عن الأخلاق الدَّنيَّة ، والتَّحلِّي بالأخلاق السَّنيَّة ، فالمتصوِّفة يهتمُّون ويدأبون لتحقيق مقام الإحسان الذي عبَّر عنه الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " أن تعبد الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك " . أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنف (١١/ ٥ برقم ٣٠٩٤٥) ، إسحاق بن راهويه في المسند (١/ ٢٠٩ برقم ١٦٥) ، أحمد بن حنبل في المسند (١/ ٥١ برقم ٣٦٧) ، البخاري (١/ ١٩ برقم ٥٠) ، مسلم (١/ ٣٦ برقم ١) ، ابن ماجه (١/ ٢٤ برقم ٣٦) ، أبو داود (٤/ ٢٢٣ برقم ٤٦٩٥) ، الترمذي (٤/ ٣٠٣ برقم ٢٦١٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، البزار (٩/ ٤١٩ برقم ٤٠٢٥) ، محمَّد بن نصر المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصَّلاة (١/ ٣٦٧ برقم ٣٦٣) ، النسائي في الصغرىٰ (٨/ ٩٧ برقم ٤٩٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٤/ ٥ برقم ٢٢٤٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٣٧٥ برقم ١٥٩) ، الآجري في الشريعة (٢/ ٥٦٨ برقم ٢٠٥) ، ابن منده في الإيمان (١/ ١١٦ برقم ١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٤/ ٦٤٧ برقم ١٠٣٧) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٨٣) ، البيهقي في الآداب (ص٣٣٣ برقم ٨٢٥) ، الأسماء والصفات (١/ ٤٦٦ برقم ٣٩٥) ، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٨٥) ، القضاء والقدر (ص١٨٨ برقم ١٨١) .

إنَّ التَّصوُّف طريق إلىٰ معرفة الله والعلم به ، من خلال الاجتهاد في تربية النَّفس وتدريبها علىٰ الزُّهد والتَّقشُّف ، والقيام بالعبادات واجتناب المنهيَّات ، وتحلية النَّفس بالأخلاق الحسنة ، وتجنيبها الأخلاق

السيِّئة للوصول إلىٰ الكمال الإيماني ، وقد شهد بذلك الإمام ابن تيمية ، فقال : " ... الصُّوفي " مَنْ صَفَا مِنْ الْكَدَرِ ، وَامْتَلأَ مِنْ الْفِكْرِ ، وَاسْتَوَىٰ عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْحَجَرُ .

التَّصَوُّفُ كِتْمَانُ الْمَعَانِي ، وَتَرْكُ الدَّعَاوَىٰ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ : وَهُمْ يَسِيرُونَ بِالصُّوفِيِّ إلَىٰ مَعْنَىٰ الصِّدِّيقِ ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ الصِّدِّيقُونَ ، كَمَا قَالَ اللهُّ تَعَالَىٰ : **ٱلَّئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثيّ**[النساء: ٦٩] ، وَلِهَذَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ الصُّوفي ؛ لَكِنْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنْ الصِّدِّيقِينَ فَهُوَ الصِّدِّيقُ الَّذِي اخْتَصَّ بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي اجْتَهَدُوا فِيهِ ، فَكَانَ الصِّدِّيقُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، كَمَا يُقَالُ : صِدِّيقُو الْعُلَمَاءِ وَصِدِّيقُو الْأُمَرَاءِ ، فَهُوَ أَخَصُّ مِنْ الصِّدِّيقِ الْمُطْلَقِ وَدُونَ الصِّدِّيقِ الْكَامِلِ الصديقية مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ . فَإِذَا قِيلَ عَنْ أُولَئِكَ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ الْبَصْرِيِّينَ : إنَّهُمْ صِدِّيقُونَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ عَنْ أَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ : إنَّهُمْ صِدِّيقُونَ أَيْضاً كُلٌّ بِحَسَبِ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَجَلِ الصِّدِّيقِينَ بِحَسَبِ زَمَانِهِمْ ، فَهُمْ مِنْ أَكْمَلِ صِدِّيقِي زَمَانِهِمْ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ أَكْمَلُ مِنْهُمْ ، وَالصِّدِّيقُونَ دَرَجَاتٌ وَأَنْوَاعٌ ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ لِكُلِّ مِنْهُمْ صِنْفٌ مِنْ الْأَحْوَالِ وَالْعِبَادَاتِ حَقَّقَهُ وَأَحْكَمَهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الصِّنْفِ أَكْمَلَ مِنْهُ ، وَأَفْضَلَ مِنْهُ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ ، ابن تيمية الحراني (١١/ ١٦-١٧) .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة : " ... وَهَذِهِ الشَّطَحَاتُ أَوْجَبَتْ فِتْنَة عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنَ النَّاس ، إِحْدَاهُمَا حُجِبَتْ بِهَا عَنْ مَحَاسِنِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَلُطْفِ نُفُوسِهِمْ ، وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِمْ ، فَأَهْدَرُوهَا لِأَجْلِ هَذِهِ الشَّطَحَاتِ ، وَأَنْكَرُوهَا غَايَةَ الْإِنْكَارِ . وَأَسَاءُوا الظَّنَّ بِهِمْ مُطْلَقاً ، وَهَذَا عُدْوَانٌ وَإِسْرَافٌ . فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ أَخْطَأَ أَوْ غَلِطَ تُرِكَ جُمْلَةً ، وَأُهْدِرَتْ مَحَاسِنُهُ ، لَفَسَدَتِ الْعُلُومُ وَالصِّنَاعَاتُ ، وَالْحِكَمُ ، وَتَعَطَّلَتْ مَعَالِمُهَا .

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ : حُجِبُوا بِمَا رَأَوْهُ مِنْ مَحَاسِنِ الْقَوْمِ ، وَصَفَاءِ قُلُوبِهِمْ ، وَصِحَّةِ عَزَائِمِهِمْ ، وَحُسْنِ مُعَامَلَاتِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ عُيُوبِ شَطَحَاتِهِمْ ، وَنُقْصَانِهَا . فَسَحَبُوا عَلَيْهَا ذَيْلَ الْمَحَاسِنِ . وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا حُكْمَ الْقَبُولِ وَالِانْتِصَارِ لَهَا ، وَاسْتَظْهَرُوا بِهَا فِي سُلُوكِهِمْ .

وَهَؤُلَاءِ أَيْضاً مُعْتَدُونَ مُفْرِطُونَ .

وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ : – وَهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ – الَّذِينَ أَعْطَوْا كُلَّ ذِي حقّ حَقَّهُ ، وَأَنْزَلُوا كُلَّ ذِي مَنْزِلَةٍ مَنْزِلَتَهُ ، فَلَمْ يَحْكُمُوا لِلصَّحِيحِ بِحُكْمِ السَّقِيمِ الْمَعْلُولِ ، وَلَا لِلْمَعْلُولِ السَّقِيمِ بِحُكْمِ الصَّحِيحِ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠) .

وقال في ثنائه على الإمام الجنيد : " فَرَحْمَةُ اللهِّ عَلَىٰ أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ وَرَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، مَا أَتْبَعُهُ لِسُنَّةِ الرَّسُولِ – صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَمَا أَقْفَاهُ لِطَرِيقَةِ أَصْحَابِهِ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١١٨) .

ومن المعلوم أنَّ فتاوىٰ الإمام ابن تيمية قد اشتملت علىٰ مجلَّدين اثنين للتَّصوُّف ، وقد أخبرني بعض الإخوة أنَّ الطَّبعة الأخيرة لفتاوىٰ ابن تيمية قد خلت منهما ، بمعنىٰ : أنَّ العابثون المتسلِّفون قاموا بحذفهما من مجموع الفتاوىٰ ، وهذا هو ديدنهم ودأبهم مع كلّ ما يخالف مذهبهم ومنهجهم ، يُغيرون عليه بالشَّطب والتَّشويه والتَّحريف ...

وعلىٰ كلِّ حال ، فقد كان في طليعة من أرسىٰ قواعد التَّصوُّف ، وأقام أركانه : الإمام الحسن البصري ... قال الإمام محمَّد بن علي بن عطيَّة الحارثي المشهور بأبي طالب المكِّي (٣٨٦هـ) : " وكان الحسن رضي اللهّ عنه أوَّل من أنهج سبيل هذا العلم ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر أنواره ، وكشف به قناعه " . انظر : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، محمَّد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي (١/ ٢٥٨) .

فالصُّوفيَّة مُتَّبعين للكتاب والسُّنَّة لا مُبتدعين ، ومن مبادئهم : أنَّ التَّصوُّف قائم علىٰ : الاجتماع ، فالاستماع ، فالاتِّباع ، فالاقتناع ، فالاندفاع ... وأُصولهم قائمة علىٰ سبعة أُمور ... قال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) : " قَالَ سهل : أصولنا سَبْعَة أَشْيَاء : التَّمَسُّك بِكِتَاب الله تَعَالَىٰ ، والاقتداء بِسنة رَسُوله صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأكل الْحَلَال ، وكفّ الْأَذَىٰ ، وَاجْتنَاب الآثام ، والتَّوبة ، وَأَدَاء الْحُقُوق " . انظر : طبقات الصوفية ، السلمي (ص١٧٠) .

وقَالَ أَبُو الْحُسَيْن الورَّاق : " لَا يصل العَبْد إِلَىٰ الله إِلَّا بِاللهَّ وبموافقة حَبِيبه صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شرائعه ، وَمن جعل الطَّرِيق إِلَىٰ الْوُصُول فِي غير الِاقْتِدَاء يضلُّ من حَيْثُ يظنّ أَنَّه مهتد ... الصِّدْق : استقامة الطَّرِيقَة فِي الدِّين ، وَاتِّبَاع السّنَّة فِي الشَّرْع " . انظر : طبقات الصوفية ، السلمي(ص٢٣٠) .

فالتَّصوُّف قائم علىٰ التَّمَسُّك بِكِتَاب الله تَعَالَىٰ ، والاقتداء بِسنة رَسُوله صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكلُّ ما خالفهما أو أحدهما ليس بشيء ، قال الإمام ابن عجيبة : " كان الشَّيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول : إذا عارض كشفك الصَّحيح الكتاب والسُّنَّة فاعمل بالكتاب والسُّنَّة ودع الكشف ، وقل لنفسك : أنَّ الله تعالىٰ ضمن لي العصمة في الكتاب والسُّنَّة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ، ومثل هذا أيضاً

قول الجُنيد : أنَّ النُّكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف ، فلا أقبلها إلَّا بشاهدي عدل : الكتاب والسُّنَّة ، ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها ، فإنَّ العلم واسع " . انظر : إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ابن عجيبة (ص٢١٩) .

فالصُّوفيُّ هو الذي يلتزم بأهداب الكتاب والسُّنَّة ، فيقوم بالواجبات ويجتنب المحرَّمات ، ويترك التنعُّم في المأكل والملبس ، ونحو ذلك ...

وقد خرج من رحم التَّصوُّف عشرات الآلاف من العلماء والأولياء الرَّبانيِّين العاملين النُّجباء الأنقياء الأتقياء العظماء ...

وها هي بعض أقوال العلماء في التَّصوُّف ...

قال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ مَعَ صَلَابَتِهِ فِي مَذْهَبِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : سَمِعْت الْأُسْتَاذَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ (٤٠٥هـ) يَقُولُ : أَنَا أَخَذْت هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ النَّصْرَابَاذِيِّ (٣٦٧هـ) ، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : أَنَا أَخَذْتهَا مِنْ الشِّبْلِيِّ (٣٣٤هـ) ، وَهُوَ أَخَذَهَا مِنْ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ (٢٥١هـ) ، وَهُوَ مِنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ (٢٠٠هـ) ، وَهُوَ مِنْ دَاوُد الطَّائِيِّ (١٦٢هـ) ، وَهُوَ أَخَذَ الْعِلْمَ وَالطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ (١٥٠هـ) ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ أَثْنَى عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِفَضْلِهِ ، فَعَجَباً لَك يَا أَخِي : أَلَمْ يَكُنْ لَك أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي هَؤُلَاءِ السَّادَاتِ الْكِبَارِ ؟ أَكَانُوا مُتَّهَمِينَ فِي هَذَا الْإِقْرَارِ وَالِافْتِخَارِ ، وَهُمْ أَئِمَّةُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَرْبَابُ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَهُمْ تَبَعٌ ، وَكُلُّ مَا خَالَفَ مَا اعْتَمَدُوهُ مَرْدُودٌ وَمُبْتَدَعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَعِبَادَتِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ بِمُشَارَكٍ ، وَمِمَّا قَالَ فِيهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –:

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا	إمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَهْ
بِأَحْكَامٍ وَآثَارٍ وَفِقْهٍ	كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى صَحِيفَهْ
فَمَا فِي الْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ	وَلَا فِي الْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَهْ
يَبِيتُ مُشَمِّراً سَهرَ اللَّيَالِيَ	وَصَامَ نَهَارَهُ لله خِيفَهْ
فَمَنْ كَأَبِي حَنِيفَةَ فِي عُلَاهُ	إمَامٌ لِلْخَلِيقَةِ وَالْخَلِيفهْ
رَأَيت الْعَائِبِينَ لَهُ سَفَاهاً	خِلَافَ الْحَقِّ مَعَ حِجَجٍ ضَعِيفَهْ
وَكَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُؤْذَى فَقِيهٌ	لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ شَرِيفَهْ

وَقَدْ قَــــالَ ابْنُ إِدْرِيسِ مَقَالاً ... صَحِيحَ النَّقْلِ فِي حِكَمٍ لَطِيفَـهْ

أَنَّ النَّاس فِي فِقْهٍ عِيَالٌ ... عَلَىٰ فِقْهِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَــــهْ

فَلَعْنَةُ رَبِّنَـــــــــا أَعْدَادَ رَمْلٍ ... عَلَىٰ مَنْ رَدَّ قَوْلَ أَبِي حَنِيفَــــهْ

انظر : رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (١/ ٦١-٦٣) .

وقال الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) : " حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث : ترك التَّكلُّف ، وعشرة الخلق بالتَّلطُّف ، والاقتداء بطريق أهل التَّصوُّف " . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ٣٩٤ برقم ١٠٨٩) .

وقال الإمام الشَّافعي أيضاً : " صحبت الصُّوفيَّة ، فلم أستفد منهم سوىٰ حرفين ، أحدهما قولهم : الوقت سيف ، فإن لم تقطعه قطعك ، وذكر الكلمة الأخرىٰ ، و : نفسك إن شغلتها بالحقِّ وإلَّا شغلتك بالباطل " . انظر : قيمة الزمن عند العلماء ، عبد الفتاح أبو غدة (ص٢٥) ، وانظر : تلبيس إبليس (ص٣٠١) ، الداء والدواء (ص٣٥٨) ، مناقب الشَّافعي ، للبيهقي (٢/ ٢٠٨) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " وَنَقَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَلَانِسِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ (٢٤١هـ) قَالَ عَنْ الصُّوفِيَّةِ : لَا أَعْلَمُ أَقْوَاماً أَفْضَلُ مِنْهُمْ ، قِيلَ : إنَّهُمْ يَسْتَمِعُونَ وَيَتَوَاجَدُونَ ، قَالَ : دَعُوهُمْ يَفْرَحُونَ مَعَ اللَّهِ سَاعَةً ، قِيلَ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُغْشَىٰ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : ﭐﱡﭐ قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ ﱠ [الزمر: ٤٧] ، وَلَعَلَّ مُرَادَهُ سَمَاعُ الْقُرْآنِ وَعُذْرهُمْ لِقُوَّةِ الْوَارِدِ ، قَالَهُ فِي الْفُرُوعِ " . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٥/ ١٨٤) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " قَوْلهم فِي الْمذاهب الشَّرْعِيَّة : إِنَّهُم يَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ بالأحوط والأوثق فِيمَا اخْتلف فِيهِ الْفُقَهَاء ، وهم مَعَ إِجْمَاع الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا أمكن ، ويرون اخْتِلَاف الْفُقَهَاء صَوَاباً ، وَلَا يعْتَرض الْوَاحِد مِنْهُم علىٰ الآخر ، وكلُّ مُجْتَهد عِنْدهم مُصِيب ، وكلُّ من اعْتقد مذهباً فِي الشَّرْع وَصَحَّ ذَلِك عِنْده بِمَا يَصح مثله مِمَّا يدل عَلَيْهِ الْكتاب والسُّنَّة وَكَانَ من أهل الاستنباط فَهُوَ مُصِيب باعتقاده ذَلِك ، وَمن لم يكن من أهل الاِجْتِهَاد أخذ بقول من أفتاه مِمَّن سبق الىٰ قلبه من الْفُقَهَاء أَنَّه اعْلَم وَقَوله حجَّة لَهُ " . انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي (ص٨٤) .

وفي كلامه علىٰ فِرق أهل السُّنَّة والجماعة ، قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) : " اعلموا أسعدكم الله أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثمانية أصناف من النَّاس : ... والصِّنف السَّادس منهم : الزهَّاد الصُّوفيَّة الذين

أبصروا فأقصروا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور ، وعلموا أنَّ السَّمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك مسئول عن الخير والشَّر ، ومحاسب علىٰ مثاقيل الذرّ ، فأعدَّوا خير الإعداد ليوم المعاد ، وجرىٰ كلامهم في طريقي العبارة والإشارة علىٰ سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياء ، ولا يتركونه حياء ، دينهم التَّوحيد ونفي التَّشبيه ، ومذهبهم التَّفويض إلىٰ الله تعالىٰ ، والتوكُّل عليه والتَّسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ﱡﭐ ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بحﱠ [الحديد: ٢١] . انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣١٣-٣١٧ باختصار)

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " إنِّي علمت يقيناً أنَّ الصُّوفيَّة هم السَّالكون لطريق الله تعالىٰ خاصَّة ، وأنَّ سيرتهم أحسن السِّير ، وطريقهم أصوب الطُّرق ، وأخلاقهم أزكىٰ الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين علىٰ أسرار الشَّرع من العلماء ، ليغيِّروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدِّلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً . فإنَّ جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النُّبوَّة !!! وليس وراء نور النُّبوَّة علىٰ وجه الأرض نور يُستضاء به .

وبالجملة ، فماذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أوَّل شروطها - : تطهير القلب بالكليَّة عمَّا سوىٰ الله تعالىٰ ، ومفتاحها الجاري منها مجرىٰ التَّحريم من الصَّلاة : استغراق القلب بالكليَّة بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكليَّة في الله ؟! . انظر : المنقذ من الضَّلال (ص١٧٧-١٧٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الري (٦٠٦هـ) : " اعْلَم أَنَّ أَكثر من قصّ فرق الْأمَّة لم يذكر الصُّوفِيَّة ، وَذَلِكَ خطأ ، لِأَنَّ حَاصِل قَول الصُّوفِيَّة أنَّ الطَّرِيق الىٰ معرفَة الله تَعَالَىٰ هُوَ التَّصفية والتَّجرُّد من العلائق الْبَدَنِيَّة ، وَهَذَا طَرِيق حسن ، وهم فرق ... وهم قوم إِذا فرغوا من أَدَاء الْفَرَائِض لم يشتغلوا بنوافل الْعِبَادَات ، بل بالفكر وَتَجرِيد النَّفس عَن العلائق الجسمانيَّة ، وهم يجتهدون أَن لَا يخلو سرَّهم وبالهم عَن ذكر الله تَعَالَىٰ ، وَهَؤُلَاء خير فِرق الْآدَمِيّين " !!! . انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الرَّازي (١١٥-١١٦) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " فَأَمَر الشَّيخ عَبْدُ الْقَادِرِ وَشَيْخُهُ حَمَّادُ الدبَّاس وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمَشَايِخِ أَهْلَ الِاسْتِقَامَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - : بِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ السَّالِكُ مُرَاداً قَطُّ ، وأَنَّه لَا يُرِيدُ مَعَ إرَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سِوَاهَا ، بَلْ يَجْرِي فِعْلُهُ فِيهِ فَيَكُونُ هُوَ مُرَادُ الْحَقِّ . إنَّما قَصَدُوا بِهِ فِيمَا لَمْ يَعْلَمْ الْعَبْدُ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ ، فَأَمَّا مَا عَلِمَ

أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُرِيدَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ ، وَقَدْ صَرَّحُوا بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ مِنَ الغالطين يَرَىٰ الْقِيَامَ بِالْإِرَادَةِ الْخَلْقِيَّةِ هُوَ الْكَمَالُ ، وَهُوَ " الْفَنَاءُ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ " ، وَأَنَّ السُّلُوكَ إِذَا انْتَهَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ فَصَاحِبُهُ إِذَا قَامَ بِالْأَمْرِ فَلِأَجْلِ غَيْرِهِ أَوْ أَنَّه لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ ، فَتِلْكَ أَقْوَالٌ وَطَرَائِقُ فَاسِدَةٌ قَدْ تُكُلِّمَ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِيمُونَ مِنَ السَّالِكِينَ كَجُمْهُورِ مَشَايِخِ السَّلَفِ : مِثْلِ : الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني ، وَمَعْرُوفٍ الْكَرْخِي ، وَالسَّرِيِّ السقطي ، والْجُنَيْد بْنِ محمَّد ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَمِثْلِ الشَّيخ عَبْدِ الْقَادِرِ ، والشَّيخ حَمَّادٍ ، والشَّيخ أَبِي الْبَيَانِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ . فَهُمْ لَا يُسَوِّغُونَ لِلسَّالِكِ وَلَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَىٰ عَلَىٰ الْمَاءِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الْمَأْمُورَ ، وَيَدَعَ الْمَحْظُورَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ .

وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ والسُّنَّة وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥١٦-٥١٧) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب السُّبكي (٧٧١هـ) : في كتابه " مُعيد النِّعم ومبيد النِّقم " تحت عنوان : الصُّوفيَّة : " حيَّاهم الله وبيَّاهم ، وجمعنا في الجنَّة نحن وإيَّاهم . وقد تشعَّبت الأقوال فيهم تشعُّباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبِّسين بها ، بحيث قال الشَّيخ أبو محمَّد الجُويني : لا يصحُّ الوقف عليهم لأنَّه لا حدَّ لهم ، والصَّحيح صحَّته ، وأنَّهم المعرضون عن الدُّنيا !!! المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة !!! ومن ثُمَّ قال الْجُنَيْدُ : التَّصَوُّفِ اسْتِعْمَالُ كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، وَتَرْكُ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ ... وكان الشَّيخ الإمام يقول : الصُّوفي من لزم الصِّدق مع الحقِّ ، والخُلُقَ مع الخَلقِ ، ويُنشد :

تنازع النَّاس في الصُّوفي واختلفـــــوا وظنـــــَّه البعض مشتقّاً من الصُّوفِ
ولست أمنـــــــح هذا الاسم غير فتىً صفا فصُوفيَ حتـىٰ سُمّي الصَّـــــوفي

... والحاصل أنَّهم أهل الله وخاصَّته ، الذين تُرتجىٰ الرَّحمة بذكرهم ، ويُستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي الله عنهم وعنَّا بهم " . انظر : مُعيد النعم ومبيد النقم (ص١١٩-١٢٠) .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) : " قال الحافظ الضِّياء المقدسي : أَخْبَرَنَا أَبُو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد ، أخبرنا محمَّد المقرئ ، أجاز لهم ، وأنشدنا لنفسه :

ترك التَّكلُّف في التَّصوُّف واجب ومن المحال تكلُّف الفقـــــراء
قومٌ إذا امتدَّ الظَّلام رأيتـــــــهم يتركَّعـــــــــون تركُّع القــــرَّاء

والوجْدُ منهم في الوجوه محلّه ... ثمَّ السَّماع يحلّ في الأعضاء

لا يرفعون بذاك صوتاً مجهراً ... يتجنَّبون مواقع الأهواء

يواصلون الدَّهر صوماً دائماً ... في البأس إن يأتي وفي السَّراء

وتراهم بين الأنام إذا أتوا ... مثل النُّجوم الغرِّ في الظَّلماء

صدقت عزائمهم وعزَّ مرامهم ... وعلت منازلهم على الجوزاء

صدقوا الإله حقيقة وعزيمة ... ورمحوا حقوق الله في الآناء

والرَّقص نقص عندهم في عقدهم ... ثمَّ القضيب بغير ما إخفاء

هذا شعار الصَّالحين ومن مضى ... من سادة الزهَّاد والعلماء

فإذا رأيت مخالفاً لفعالهم ... فاحكم عليه بمعظم الإغواء

انظر : ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٧-١٨) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن علي الزين الشَّريف الجرجاني (٨١٦هـ) : " التَّصوُّف : مذهب كلُّه جدٌّ ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل .

وقيل : تصفية القلب عن موافقة البريَّة ، ومفارقة الأخلاق الطبيعيَّة ، وإخماد صفات البشريَّة ، ومجانبة الدَّعاوى النَّفسانيَّة ، ومنازلة الصِّفات الرُّوحانيَّة ، والتعلُّق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السَّرمديَّة ، والنُّصح لجميع الأمَّة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشَّريعة " . انظر : كتاب التعريفات (ص٥٩) .

فالتَّصوُّف منهج شرعيٌّ تربوي قائم على تطبيق الأخلاق الشَّرعيَّة السَّنيَّة ، بالتَّخلِّي عن الرَّذائل والتَّحلِّي بالفضائل ، وسبيله الاجتماع فالاستماع فالاقتناع فالاندفاع فالاتِّباع ... وهو سبيل سلوكي لتزكية النَّفس من أدناسها وتطهيرها من أرجاسها ، والوصول بها إلى طاعة الرَّحمن من خلال تسليم الأمر له سبحانه ، والالتجاء إليه في الشُّؤون كلِّها ...

وهو مبنيٌّ على الكتاب والسُّنَّة ، ولذلك تخرَّج في مدرسته جهابيذ العلم وأساطينه وفحوله ، كما سنرى يقيناً في الموسوعة المباركة ، بإذن الله تعالى ...

ومن المعلوم أنَّ العديد من المصنِّفين صنَّفوا مصنَّفات خاصَّة بتراجم الصُّوفيَّة الذين عاشوا في حِقَبٍ زمانيَّة مختلفة ... ومن هؤلاء :

الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) في كتابه الرائع الماتع الرَّائق الشَّائق : " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، حيث قال في المقدِّمة : "

الْحَمْدُ للهِ مُحْدِثِ الْأَكْوَانِ وَالْأَعْيَانِ، وَمُبْدِعِ الْأَرْكَانِ وَالْأَزْمَانِ، وَمُنْشِئِ الْأَلْبَابِ وَالْأَبْدَانِ، وَمُنْتَخِبِ الْأَحْبَابِ وَالْخِلَّانِ، مُنَوِّرِ أَسْرَارِ الْأَبْرَارِ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْعِرْفَانِ، وَمُكَدِّرِ جِنَانِ الْأَشْرَارِ بِمَا حَرَمَهُمْ مِنَ الْبَصِيرَةِ وَالْإِيقَانِ، الْمُعَبِّرِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ الْمَنْطِقُ وَاللِّسَانِ. وَالْمُتَرْجِمِ عَنْ بَرَاهِينِهِ الْأَكُفُّ وَالْبَنَانِ بِالْمُوَافِقِ لِلتَّنْزِيلِ وَالْفُرْقَانِ، وَالْمُطَابِقِ لِلدَّلِيلِ وَالْبَيَانِ، فَأَلْزَمَ الْحُجَّةَ بِالْقَادَةِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَبْهَجَ الْمَنْهَجَ بِالسَّادَةِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعُرَفَاءَ الْأَصْفِيَاءِ. الْمُقَرَّبِينَ إِلَىٰ الرُّتَبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْمُنَزَّهِينَ عَنِ النِّسَبِ الْوَضِيعَةِ ، وَالْمُؤَيَّدِينَ بِالْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ ، وَالْمُقَوَّمِينَ بِالْمُتَابَعَةِ وَالتَّصْدِيقِ ، مَعْرِفَةً تُعْقِبُ لِمَعْرِفَتِهِمْ مُوَافَقَةً ، وَتُوجِبُ لِحُكْمِ نُفُوسِهِمْ مُفَارَقَةً ، وَتُلْزِمُ لِخِدْمَةِ مَشْهُودِهِمْ مُعَانَقَةً ، وَتُحَقِّقُ لِشَرِيعَةِ رَسُولِهِمْ مُرَافَقَةً والصَّلاة عَلَىٰ مَنْ عَنْهُ بَلَّغَ وَشَرَّعَ وَبِأَمْرِهِ قَامَ وَصَدَعَ، وَلِمُتَّبِعِيهِ غَرَسَ وَزَرَعَ ، محمَّد الْمُصْطَفَىٰ الْمُصْطَنَعِ ، وَعَلَىٰ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الْمُنْتَخَبِينَ وَسَلَّمَ . أَمَّا بَعْدُ ، أَحْسَنَ اللهُ تَوْفِيقَكَ فَقَدِ اسْتَعَنْتُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَجَبْتُكَ إِلَىٰ مَا ابْتَغَيْتَ مِنْ جَمْعِ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ أَسَامِي جَمَاعَةٍ وَبَعْضَ أَحَادِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْمُتَحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَئِمَّتِهِمْ ، وَتَرْتِيبِ طَبَقَاتِهِمْ مِنَ النُّسَّاكِ وَمَحَجَّتِهِمْ ، مِنْ قَرْنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ عَرَفَ الْأَدِلَّةَ وَالْحَقَائِقَ ، وَبَاشَرَ الْأَحْوَالَ وَالطَّرَائِقَ ، وَسَاكَنَ الرِّيَاضَ وَالْحَدَائِقَ ، وَفَارَقَ الْعَوَارِضَ وَالْعَلَائِقَ ... " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣-٤) .

ومنهم الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) في كتابه الممتِع : " طبقات الأولياء " ، فقد قال في المقدِّمة : " هذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان ، وأوتاد الأقطاب فى كلِّ قطر وأوان ؛ جمعتهم لأهتدىٰ بمآثرهم ، وأقتفى بآثارهم ، رجاء أن أنظم في سلكهم ، " فالمرء مع من أحبَّ " ، وأحيا بذكرهم ، ويزول عنِّي النَّصب " . انظر : طبقات الأولياء ، ابن الملقن (ص٣) .

ومنهم الإمام محمَّد عبد الرَّؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثُمَّ المُناوي القاهري ، زين الدِّين الشَّهير بالمُناوي (١٠٣١هـ) في كتابه الشيِّق : " الكواكب الدُّرِّيَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة أو طبقات المُناوي الكبرىٰ " ، قال في مقدِّمته : " فإنَّ الله أوجب علىٰ المؤمنين محبَّة الأولياء ، والعلماء ، والأمجاد ، وذمَّ من ينقّصُ بعضهم بعضهم لموالاة بعضهم جهلاء لسوء الاعتقاد ، كيف وهم أمناء الغيبان ، وحكماء الأنام ، وشموس الإسلام ، عين أعيان خاصَّة الملك العلَّام :

أولئك القوم إن عدّوا لمكرمة ومن سوام فلغوٌ غير معدود
والفرق بين الورىٰ جمعاً وبينهم كالفرق ما بين معدوم وموجود

لكن عادم الشَّوق لا يصل إلىٰ عيان الجمال ، وفاقد الشَّم لا ينال عرف الوصال :

ومن لم يبيت والحبُّ حشو فؤاده لم يدْر كيف تفتَّت الأكباد

وإنِّي كنت قبل أن يكتب الشَّباب خط العذار ، أُردِّد ناظري في أخبار الأولياء الأخيار ، وأتتبَّع مواقع إشارات حكم الصُّوفيَّة الأبرار ، وأترقَّب أحوالهم ، وأسبر أقوالهم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ فصادَف قلباً خالياً فتمكَّنا

حتَّىٰ حصلت من ذلك علىٰ فوائد عاليات ، وحكم شامخات ساميات ، فأُلهمت أن أُقيِّد ما وقفت عليه في ورقات ، وأن أجعله في ضمن التَّراجم ، كما فعله بعض الأعاظم الأثبات ، فأنزلت الصُّوفيَّة في طبقات ، وضربت لهم في هذا المجموع سُرادقات ، ورتَّبتهم علىٰ حروف المعجم عشر طبقات ... " . انظر : الكواكب الدُّريَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة (١/ ٣-٤) .

وفي هذه المقدِّمة لموسوعة التَّراجم التي أشرت إليها ...تحصَّل لي آلافاً مؤلَّفة منهم ، رضي الله عنهم ... جرىٰ ترتيبهم علىٰ حسب الحروف الهجائيَّة ، التي ما ضمَّت إلَّا بعضهم !!! تلك الموسوعة المُباركة بإذن الله ، التي بدأتها ببسم الله راجياً منه سبحانه العون والتَّوفيق في تقصِّيهم من بطون الكتب المختلفة ، ثُمَّ أتبعتُ المُقدِّمة بتمهيد ، وضَّحت فيه موقف مدَّعي السَّلفيَّة من التَّصَوُّفِ وَالصُّوفيَّةِ ، مع ذكر بعض من عقائد السَّادة الصُّوفيَّة ، وكذا الشُّبهات والاعتراضات التي يعترض بها المتسلِّفة علىٰ السَّادة الصُّوفيَّة ، ثُمَّ بدأت بسرد تَراجِمُ السَّادَةِ الصُّوفيَّة التِيْ تَبْدَأُ أَسَمَاؤُهُمْ بِحَرْفِ الأَلِف ... انتهاء بحرف الياء ، وبناء علىٰ ذلك فقد اشتملت هذه المقدِّمة علىٰ العديد من الفصول التي أبانت عن موقف مدَّعي السَّلفيَّة من التَّصَوُّفِ وَالصُّوفيَّةِ ، كالتَّالي :

المقدِّمَةُ : .....

الفَّصْلُ الأوَّلُ : كَذِبُ المُتَسَلِّفَة وَافترَاؤُهُم عَلَىٰ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة.

الفَصْلُ الثَّانِي : عَبَثُ المُتَسَلِّفَة بِكُتُبِ السَّادَة الصُّوْفِيَّة .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : تَكْفِيرُ المُتَسَلِّفَة وَتَبْدِيْعُهُم لِلسَّادَةِ الصُّوْفِيَّة.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَىٰ السَّادَةِ الصُّوفيَّة الذِّكْرُ بِالاسْمِ المُفْرَد .

الفَصْلُ الخَامِسُ : إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّة الذِّكْرُ الجَمَاعِي .

الفَصْلُ السَّادِسُ : إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّة التَّوَاجُدُ والاضْطِرَابُ أَثْنَاءَ الذِّكْر .

الفَصْلُ السَّابِعُ : إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّة استِخْدَامُ الدّف .

الفَصْلُ الثَّامِنُ : زَعْمُ المُتَسَلِّفَة أَنَّ الصُّوفيَّة هُمُ المِعْوَلُ الذِيْ هَدَمَ به اليَهُوْدُ وَالفُرْسُ صَرْحَ الإِسْلَامِ العَظِيْم ، وَأَنَّ الصُّوفيَّة هُمْ مَنْ مَكَّنُوا المُسْتَعْمِرَ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِيْن فِي غَيْرِ مَا بَلدٍ مِنْ بُلْدَانِهِم .

... والله تعالى وحده المسؤول أن ينفعنا ببركتهم ، وأن لا يحرمنا شفاعتهم ، وأن يحشرنا في زمرتهم ... أنَّه أهل ذلك والقادر عليه ...

وَسُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ،

وَالحَمْدُ لله رَبِّ

العَالَمِيْن

عندما بدأتُ بكتابة هذا السِّفر المبارك بإذن الله تعالى كنت أظنُّ أنَّ السِّفر لن يتجاوز حجمه بعد صناعته خمسة مُجلَّدات أو أكثر بقليل ، ولم يدخل إلى خلَدي أنَّ الأمر سيصل إلى عشرات المجلَّدات ... وهذه طامَّة كبرى تُحيق بالوهَّابيَّة الذين كفَّروا الصُّوفيَّة وغيرهم من مجموع الأُمَّة ، كما بيَّنته في كتابي : " تكفير الوهَّابيَّة لعموم الأُمَّة الإسلاميَّة " ...

فالوهَّابيَّة ما فتئوا يكفِّرون ويبدِّعون ويضلِّلون من سواهم من مجموع الأمَّة ... وحتَّى يتسنَّى لهم تكفير وتضليل وتبديع السَّادة الصُّوفيَّة عمدوا إلى استحلال الكذب والافتراء عليهم ، فقاموا بالعَبَثُ بِكُتُبِ السَّادَة الصُّوْفِيَّة من خلال ألوان عديدة من الكذب عليهم ، وكذا الشَّطب والحذف من كتبهم ، والتَّكلم كذباً بلسانهم ... إلى غير ذلك من ألوان الافتراء الذي سيُسألون عنه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم .

وحاصل موقف مُدَّعي السَّلفيَّة من التَّصَوُّفِ وَالصُّوفيَّةِ نُجمله في الفصول التَّالية :

الفَصْلُ الأوَّلُ

كَذِبُ المُتَسَلِّفَة وَافتِرَاؤُهُم عَلَى السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

كذبُ من يدَّعون السَّلفيَّة علىٰ ساداتنا الصُّوفية لا ينتهي ... فقد استمرؤوه حتىٰ صار حديثهم في كلِّ المعارض والميادين ... ومن ذلك :

زعممهم بأنَّ أهل الشَّام يعبدون ابن عربي (٦٣٨هـ) ، جاعلين علىٰ قبره صنماً يعبدونه . انظر : الدرر السنية في الفتاوىٰ النجدية (٢/ ٤٥) .

وزعم إمامهم عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بأنَّ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) من أكفر أهل الأرض . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٦٦) .

وجاء في " الدُّرر السنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " ... فابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن سبعين (٦٦٩هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، لهم عبادات ، وصدقات ، ونوع تقشُّف وتزهُّد ، وهم أكفر أهل الأرض أو من أكفر أهل الأرض !!! . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٦٦) .

وزعم محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ الإمام ابن عربي أكفر من فرعون ، فقال في حديثه عن أحد العارفين بالله ، واسمه " عبد الغني " : " ... وهذا اشتهر عنه أنَّه علىٰ دين ابن عربي ، الذي ذكر العلماء أنَّه أكفر من فرعون !!! حتىٰ قال ابن المقرّي الشَّافعي (٨٣٧هـ) : من شكَّ في كفر طائفه ابن عربي فهو كافر !!! " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٢٥) .

وزعموا بأنَّ إنكار الربّ !!! هو مذهب ابن عربي وابن الفارض ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدبَّة " : " ... وتوحيدكم هو التَّعطيل ، ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلىٰ إنكار الربِّ تبارك وتعالىٰ ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١١٣) .

وقال ابن تيمية : " وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ أَعْيَانِ الْفُضَلَاءِ !!! أنّه سَمِعَ الشَّيخ إبراهيم الجعبري – رَحْمَةُ اللهَّ عَلَيْهِ – يَقُولُ : رَأَيت ابْنَ عَرَبِيٍّ – وَهُوَ شَيْخٌ نَجِسٌ – يُكَذِّبُ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهَّ ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللهَّ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٤٠) .

وقال ابن تيمية : " ... وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ مِنْ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ : مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ . وَهَذَا الْمَذْهَبُ شَائِعٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ وَكَانَ طَوَائِفُ مِنْ الْجَهْمِيَّة يَقُولُونَ بِهِ ، وَكَلَامُ ابْنِ عَرَبِيٍّ فِي فُصُوصِ الْحِكَمِ وَغَيْرِهِ ، وَكَلَامُ ابْنِ سَبْعِينَ وَصَاحِبِهِ الشّشتري ، وَقَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارِضِ " نُظُمُ السُّلُوكِ " ، وَقَصِيدَةِ عَامِرٍ الْبَصْرِيّ ، وَكَلَامِ الْعَفِيفِ التِّلمساني ، وَعَبْدِ اللهَّ البلياني ، وَالصَّدْرِ القونوي ، وَكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ ابْنِ إسْرَائِيلَ ، وَمَا يَنْقُلُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ شَيْخِهِ الْحَرِيرِيِّ ؛ وَكَذَلِكَ نَحْوٌ مِنْهُ يُوجَدُ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْ النَّاس غَيْرِ هَؤُلَاءِ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذَا الْمَذْهَبِ – مَذْهَبِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ – " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٩٦–٢٩٧) .

وقال ابن تيمية : " وَفِي الْجُمْلَةِ فَالْقَوْلُ بِالْحُلُولِ أَوْ مَا يُنَاسِبُهُ : وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ مُتَأَخِّرِي الصُّوفِيَّةِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ الْقَوْمِ يُحَذِّرُونَ مِنْهُ : كَمَا فِي قَوْلِ الْجُنَيْد – لَمَّا سُئِلَ عَنْ التَّوْحِيدِ – فَقَالَ : التَّوْحِيدُ إفْرَادُ الْحُدُوثِ عَنْ الْقِدَمِ فَبَيَّنَ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْمُحْدَثِ . وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ابْنُ عَرَبِيٍّ – صَاحِبُ الْفُصُوصِ – وَادَّعَىٰ أَنَّ الْجُنَيْد وَأَمْثَالَهُ مَاتُوا وَمَا عَرَفُوا التَّوْحِيدَ لَمَّا أَثْبَتُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ بِنَاءً عَلَىٰ دَعْوَاهُ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَيْسَ فِيهِ فَرْقٌ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ وَزَعَمَ أَنَّه لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْمُحْدَثِ إلَّا مَنْ لَيْسَ بِقَدِيمِ وَلَا مُحْدَثٍ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٩٩) .

وجاء في فتاوىٰ ابن تيمية : " وَسُئِلَ :

مَا تَقُولُ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ أَئِمَّةُ الدِّين وَهُدَاةُ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ كِتَابُ " فُصُوصِ الْحُكْمِ " وَمَا شَاكَلَهُ مِنْ الْكَلَامِ الظَّاهِرِ فِي اعْتِقَادِ قَائِلِهِ : أَنَّ الرَّبَّ وَالْعَبْدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَأَنَّ مَا ثُمَّ غَيْرٌ كَمَنْ قَالَ فِي شِعْرِهِ : أَنَا وَهُوَ وَاحِدٌ مَا مَعَنَا شَيْء ، وَمِثْلُ : أَنَا مَنْ أَهْوَىٰ وَمَنْ أَهْوَىٰ أَنَا ، وَمِثْلُ : إذَا كُنت لَيْلَىٰ وَلَيْلَىٰ أَنَا ، وَكَقَوْلِ مَنْ قَالَ : لَوْ عَرَفَ النَّاس الْحَقَّ مَا رَأَوْا عَابِداً وَلَا مَعْبُوداً ...

فَأَجَابَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّين أَبُو العبَّاس أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بنِ عَبْدِ السَّلام ابْنُ تَيْمِيَّة – رَحِمَهُ اللهَّ –:

بِسْمِ اللهَّ الرَّحمن الرَّحِيم

الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُ " فُصُوصِ الْحُكْمِ " وَمَا شَاكَلَهُ مِنْ الْكَلَامِ : فَإِنَّهُ كُفْرٌ بَاطِناً وَظَاهِراً ؛ وَبَاطِنُهُ أَقْبَحُ مِنْ ظَاهِرِهِ . وَهَذَا يُسَمَّى مَذْهَبَ أَهْلِ الْوَحْدَةِ وَأَهْلِ الْحُلُولِ وَأَهْلِ الِاتِّحَادِ . وَهُمْ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ الْمُحَقِّقِينَ . وَهَؤُلَاءِ نَوْعَانِ : نَوْعٌ يَقُولُ بِذَلِكَ مُطْلَقاً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ صَاحِبِ الْفُصُوصِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالِهِ : مِثْلُ ابْنِ سَبْعِينَ ، وَابْنِ الْفَارِضِ، والقونوي ، والشّشتري ، وَالتِّلْمِسَانِيِّ ، وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ : إنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ وَيَقُولُونَ : إنَّ وُجُودَ الْمَخْلُوقِ هُوَ وُجُودُ الْخَالِقِ لَا يُثْبِتُونَ مَوْجُودَيْنِ خَلَقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَلْ يَقُولُونَ : الْخَالِقُ هُوَ الْمَخْلُوقُ وَالْمَخْلُوقُ هُوَ الْخَالِقُ وَيَقُولُونَ : إنَّ وُجُودَ الْأَصْنَامِ هُوَ وُجُودُ اللهَّ وَإِنَّ عُبَّادَ الْأَصْنَامِ مَا عَبَدُوا شَيْئاً إلَّا اللهَّ . وَيَقُولُونَ : إنَّ الْحَقَّ يُوصَفُ بِجَمِيعِ مَا يُوصَفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالذَّمِّ. وَيَقُولُونَ : إنَّ عُبَّادَ الْعِجْلِ مَا عَبَدُوا إلَّا اللهَّ وَأَنَّ مُوسَى أَنْكَرَ عَلَى هَارُونَ لِكَوْنِ هَارُونَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ الْعِجْلِ وَأَنَّ مُوسَى كَانَ بِزَعْمِهِمْ مِنْ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْحَقَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ بَلْ يَرَوْنَهُ عَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ صَادِقاً فِي قَوْلِهِ : ﴿ ﴾[النازعات: ٢٤] ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُهُ صَاحِبُ الْفُصُوصِ . وَيَقُولُ أَعْظَمُ مُحَقِّقِيهِمْ : إنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِرْكٌ لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ ؛ وَلَيْسَ التَّوْحِيدُ إلَّا فِي كَلَامِنَا " . انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٢-٣٦٥) .

وقال ابن تيمية : " ... وَيَقُولُونَ : إنَّ وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ وُجُودُ الْخَالِقِ وَالْخَالِقُ هُوَ الْمَخْلُوقُ وَالْمَخْلُوقُ هُوَ الْخَالِقُ وَالْعَبْدُ هُوَ الرَّبُّ وَالرَّبُّ هُوَ الْعَبْدُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الِاتِّحَادِيَّةِ الَّذِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَلَا يُثْبِتُونَ الْمُبَايَنَةَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْمَعَانِي الَّتِي تُوجَدُ فِي كَلَامِ ابْنِ عَرَبِيٍّ الطَّائِيِّ وَابْنِ سَبْعِينَ وَابْنِ الْفَارِضِ والتلمساني وَنَحْوِهِمْ مِنْ الِاتِّحَادِيَّةِ " . انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٠) .

وقال ابن تيمية : " ... وَ " صِنْفٌ " يَعُمُّونَ فَيَقُولُونَ بِحُلُولِهِ أَوْ اتِّحَادِهِ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ – حَتَّى الْكِلَابِ وَالْخَنَازِيرِ وَالنَّجَاسَاتِ وَغَيْرِهَا – كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ الْجَهْمِيَّة وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ الِاتِّحَادِيَّةِ : كَأَصْحَابِ ابْنِ عَرَبِيٍّ ، وَابْنِ سَبْعِينَ ، وَابْنِ الْفَارِضِ ، وَالتِّلْمِسَانِيِّ ، والبلياني ، وَغَيْرِهِمْ " . انظر : مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٣) .

وقال ابن تيمية : " هَذَا ابْنُ عَرَبِيٍّ يُصَرِّحُ فِي فُصُوصِهِ : أَنَّ الْوِلَايَةَ أَعْظَمُ مِنْ النُّبُوَّةِ ؛ بَلْ أَكْمَلُ مِنْ الرِّسَالَةِ ، وَمِنْ كَلَامِهِ : مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ " . انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ١٧١) .

وقال ابن تيمية : " وَمِنْ هَؤُلَاءِ " الِاتِّحَادِيَّةُ " الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْوُجُودُ وَاحِدٌ ثُمَّ يَقُولُونَ : بَعْضُهُ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَالْأَفْضَلُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ رَبّاً لِلْمَفْضُولِ . وَيَقُولُونَ : إنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ صَادِقاً فِي قَوْلِهِ : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] . وَهَذَا قَوْلُ طَـــائِفَةٍ مِنْ مَلَاحِدَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَفَلْسِفَةِ الِاتِّحَادِيَّةِ : كالتلمساني .

وَالْقَوْلُ بِالِاتِّحَادِ الْعَامِّ الْمُسَمَّى وَحْدَةَ الْوُجُودِ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَرَبِيٍّ الطَّائِيِّ وَصَاحِبِهِ القونوي وَابْنِ سَبْعِينَ وَابْنِ الْفَارِضِ وَأَمْثَالِهِمْ " . انظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٨) .

وقال ابن تيمية : " فَإِنَّ ابْنَ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالَهُ وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مَنَّ الصُّوفِيَّةِ فَهُمْ مِنْ صُوفِيَّةِ الْمَلَاحِدَةِ الْفَلَاسِفَةِ لَيْسُوا مِنْ صُوفِيَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ الْكِتَابِ والسُّنَّة " . انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ٢٣٣) .

وقال ابن تيمية : " وَقَدْ ضَلَّ فِي هَذَا جَمَاعَةٌ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ الْمُنَاسِبِ لِذَلِكَ كَابْنِ سَبْعِينَ ، وَالصَّدْرِ القونوي ، تِلْمِيذِ ابْنِ عَرَبِيٍّ ، والبلياني ، والتّلمساني ، وَهُوَ مِنْ حُذَّاقِهِمْ عِلْماً وَمَعْرِفَةً ، وَكَانَ يُظْهِرُ الْمَذْهَبَ بِالْفِعْلِ فَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَأْتِي الْمُحَرَّمَاتِ .

وَحَدَّثَنِي الثِّقَةُ أَنَّه قَرَأَ عَلَيْهِ " فُصُوصَ الْحِكَمِ " لِابْنِ عَرَبِيٍّ وَكَانَ يَظُنُّهُ مِنْ كَلَامِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْعَارِفِينَ فَلَمَّا قَرَأَهُ رَآهُ يُخَالِفُ الْقُرْآنَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا الْكَلَامُ يُخَالِفُ الْقُرْآنَ فَقَالَ : الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ فِي كَلَامِنَا " . انظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٦) .

وقال ابن تيمية : " ... وَالْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَفْرَحُ إذَا قِيلَ لَهُ لَسْت بِمُسْلِم !!! وَيَحْكِي عَنْ نَفْسِهِ – كَمَا كَانَ أَحْمَد المارديني وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ عَرَبِيٍّ يَحْكِي عَنْ نَفْسِهِ – أَنَّه دَخَلَ إلَى بَعْضِ دِيَارَاتِ النَّصَارَى لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَا يَأْكُلُهُ هُوَ وَرَفِيقُهُ ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يَتَكَلَّمُ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقُولُ : يَقُولُونَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ لَهُ آخَرُ : لَا تَتَكَلَّمْ فِي الْمُسْلِمِينَ فَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ ذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ : هَذَا وَجْهُهُ وَجْهُ مُسْلِمٍ ؟ أَيْ : لَيْسَ هَذَا بِمُسْلِمِ فَصَارَ يَحْكِيهَا الماريني أَنَّ النَّصْرَانِيَّ قَالَ عَنْهُ لَيْسَ هَذَا بِمُسْلِمِ وَيَفْرَحُ بِقَوْلِ النَّصْرَانِيِّ وَيُصَدِّقُهُ فِيمَا يَقُولُ أَيْ لَيْسَ هُوَ بِمُسْلِمِ " . انظر : مجموع الفتاوى (١٤/ ١٦٥) .

قُلْتُ : وما تجرَّأ هؤلاء على انتقاص وتكفير أعلام العلماء إلَّا بسبب ما أوحاه إليهم شيخ إسلامهم ابن تيمية ، الذي ما فتئ يكذب على العلماء ، ويُلصق أقواله بالسَّلف الصَّالح زوراً وبهتاناً لنصرة معتقده وانتقاص الآخرين ...

وكم تمنَّينا أن يأتي ابن تيمية ومن معه من المتسلِّفة بنصوص واضحة صريحة من كتب ابن عربي وغيره من سادات الأمَّة الذين طالتهم شبهاتهم ... فغالب ما ذكروه عن هؤلاء الصِّيد الميامين الجهابيذ الأساطين ما هو إلَّا دسٌّ دسُّوه في كتبهم ، وافتروا به عليهم ...

ومن كذِب وافتراء ابن تيمية على الشَّيخ الأكبر الإمام ابن عربي : قوله في حقِّه : " ولمَّا كانت أحوال هؤلاء شيطانيَّة ، كانوا مناقضين للرُّسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب " الفتوحات المكيَّة " ، و " الفصوص " ، وأشباه ذلك يمدح الكفَّار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء ، كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهارون ، ويذمُّ شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجُنيد بن محمَّد ، وسهل بن عبد الله التّستري وأمثالهما ، ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلَّاج ونحوه ، كما ذكره في تجليَّاته الخياليَّة الشَّيطانيَّة " . انظر : الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان (ص١١١) .

هذا بعض من افتراءاته بحقِّ الإمام الأكبر ابن عربي ، مع أنَّه لم يأت بدليل واحد من كتب ابن عربي على ما نسبه إليه ...

ولذلك فإنَّني عازم بإذن الله تعالى على تصنيف كتاب جامع مانع عن الإمام الأكبر ابن عربي الحاتمي ، أردُّ من خلاله على غالب الشُّبهات التي ألصقها به من لا يستحي ولا يخجل من إلصاق التُّهم بالآخرين بغير وجه حقّ ...

الفَصْلُ الثَّانِي

عَبَثُ المُتَسَلِّفَة بِكُتُبِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

لقد عبثت أيدي المتسلِّفة في القديم والحديث بكتب السَّادة الصُّوفيَّة ... وخاصَّة المشهورين منهم ، ككتب الإمام ابن عربي ، وكتب غيره من أهل العلم من ساداتنا الصُّوفيَّة ، حيث عمدوا إلى شطب أو تحريف كلّ ما من شأنه أن يتعارض مع منهجهم الأعوج المُخالف لما قامت عليه عقيدة الأمَّة ، أو من خلال الدَّسِّ في كتبهم لتشويه صورتهم عند الخلق لغاية انفضاض النَّاس عنهم ، وكذا حذف كلّ ما من شأنه أن يمسَّ إهاب المتسلِّفة من كتب أهل العلم الذين قاموا بتعرية منهجهم ونسفه وتبكيته ...

والغريب في الأمر أنَّ التَّحريف يقع ويحدث بعلمٍ من علمائهم الذين باركوا هذه الخطوة العبثيَّة في القديم والحديث ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقيِّ الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَفِي المبتدعة لَا سِيَّمَا المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم ، وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم وَالشَّهَادَة عَلَىٰ من يخالفهم فِي العقيدة بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقرُّبهم إِلَىٰ اللهَّ بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النّيل مِنْهُم ، فَهَؤُلَاءِ لَا يحِلُّ لمُسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (١٦/٢) .

وقال الإمام الكوثري في تقديمه لكتاب " تبيين كذب المفتري فيما نُسبَ إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري " لابن عساكر : " من عادة الحشويَّة أن يترصَّدوا الفُرص لإفناء أمثال هذه الكتب ، إمَّا بحرقها علناً ، يوم يكون لهم شوكة وسلطان ، وإمَّا بسرقتها من دور الكتب ، أو بوضع مواد متلفة فيها ، وإمَّا بتشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها ، أو الكشط والشَّطب في نسخها الأصليَّة ، وكتابنا هذا كان حظه من النَّوع الثَّالث من فنون احتيالهم ، ولكن أبىٰ الله إلَّا أن يظهر الحقّ ، فلم تأكل هذه المادَّة غير أوَّله . انظر: هامش مقدمة تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري ، بقلم الكوثري ، صفحة (د) .

وفيما يلي عرضٌ لبعض النَّماذج !!! التي وقفنا عليها من عبثهم وتحريفهم لكتب أهل العلم :

أوَّلاً : قال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، في حاشيته علىٰ تفسير الجلالين عند تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿ثر ثز ثم ثن ثى ثي بر بز﴾[فاطر : ٦] : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنَّهم علىٰ شيء ، ألا إنَّهم هم الكاذبون ، ﴿كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه﴾[المجادلة:١٩] ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " . انظر : حاشية الصاوي علىٰ الجلالين ، الصاوي ، (٧٨/٥) ، طبعة جديدة محققة علىٰ نسخة خطية للجلالين .

قُلْتُ : لقد عَمَدَ المتسلِّفون المفلسون إلىٰ شطب هذه الفقرة من حاشية الصَّاوي علىٰ الجلالين ، من طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! محمَّد عبد السَّلام شاهين ، حيث حرَّفوا النصَّ ليُصبح كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي محمَّد الضبَّاع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : " وهم فرقة بأرض الحجاز ... يحسبون أنَّهم " . فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نُقَطاً ، فإلىٰ الله المشتكىٰ من قوم لا يستحون ولا يخجلون ولا يرعوون ...

ثَانِياً : قاموا بالدَّسِّ في كتب الإمام الشَّعراني رحمه الله تعالىٰ ، وأكثر ما دُسَّ عليه في " الطَّبقات الكبرىٰ " ، ولقد أوضح ذلك في كتابه : " لطائف المنن والأخلاق " ، فقال : " وممَّا منَّ الله تبارك وتعالىٰ به عليَّ صبري علىٰ الحسدة والأعداء لَمَّا دسُّوا في كتبي كلاماً يخالف ظاهر الشَّريعة !!! وصاروا يستفتون عليَّ زوراً وبهتاناً .

واعلم يا أخي أنَّ أوَّل ابتلاء وقع لي في مصر من نحو هذا النَّوع أنِّي لمّا حججت سنة سبع وأربعين وتسعمائة زوَّر عليَّ جماعةٌ مسألة فيها خرق لإجماع الأئمَّة الأربعة ، وهو أنَّني أفتيت بعض النَّاس بتقديم الصَّلاة عن وقتها إذا كان وراء العبد حاجة ، قالوا : وشاع ذلك في الحجِّ ، وأرسل بعض الأعداء مكاتبات بذلك إلىٰ مصر من الجبل ، فلمَّا وصلت إلىٰ مصر حصل في مصر رجّ عظيم ، حتىٰ وصل ذلك إلىٰ إقليم الغربيَّة والشَّرقيَّة والصَّعيد وأكابر الدَّولة بمصر ، فحصل لأصحابي غاية الضَّرر ... فقُلْتُ : ما بال النَّاس ؟!! فأخبروني بالمكاتبات التي جاءتهم من مكَّة ، فلا يعلم عدد من اغتابني ولاث بعرضي إلَّا الله عزَّ وجلَّ ...

ثمَّ إنِّي لَمَّا صنَّفت كتاب " البحر المورود في المواثيق والعهود " ، وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر ، وتسارع النَّاس لكتابته ، فكتبوا نحو أربعين نسخة غارَ من ذلك الحسدةُ فاحتالوا علىٰ بعض المغفَّلين من أصحابي واستعاروا منه نسخته وكتبوا لهم بعض كراريس ودسُّوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ... ثُمَّ أخذوا تلك الكراريس وأرسلوها إلىٰ سوق الكتبيين في يوم السُّوق وهو مجمع طلبة العلم فنظروا في تلك الكراريس ورأوا اسمي عليها فاشتراها من لا يخشىٰ الله تعالىٰ ثُمَّ دار بها علىٰ علماء جامع الأزهر ...

فأوقع ذلك فتنة كبيرة ، ومكث النَّاس يلوثون بي في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة ، وأنا لا أشعر . وانتصر لي الشَّيخ ناصر الدِّين اللقَّاني ، وشيخ الإسلام الحنبلي ، والشَّيخ شهاب الدِّين الحلبي ، كلُّ ذلك وأنا لا أشعر ، فأرسل لي شخص من المحبِّين بالجامع الأزهر وأخبرني الخبر ، فأرسلت نسختي

التي عليها خطوط العلماء فنظروا فيها فلم يجدوا فيها شيئاً ممَّا دسَّه هؤلاء الحسدة ، فسبُّوا من فعل ذلك ، وهو معروف " !!! . انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، الشعراني (١ / ٧) .

ثَالِثَاً : أنَّ الدَّسَّ في كتب الكبراء من أهل العلم ديدنٌ سار عليه أهل الحشو ، ومن ذلك أنَّهم قاموا بالدَّسِّ في كتاب " الغُنْيَة " للإمام عبد القادر الجيلاني ... قال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَإِيَّاك أَن تغترَّ أَيْضاً بِمَا وَقع فِي " الغُنْية " لإِمَام العارفين وقطب الْإِسْلَام وَالْمُسلمين الْأُسْتَاذ عبد الْقَادِر الجيلاني ، فَإِنَّهُ دسَّه عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سينتقم اللهُ مِنْهُ ، وَإِلَّا فَهُوَ بريء من ذَلِك ، وَكَيف تُروَّج عَلَيْهِ هَذِه الْمَسْأَلَة الْوَاهِيَة مَعَ تضَّلُعه من الْكتاب والسُّنَّة وَفقه الشَّافِعِيَّة والحنابلة حَتَّى كَانَ يُفْتِي على المذهبين ، هَذَا مَعَ مَا انضَم لذَلِك من أَنَّ الله منّ عَلَيْهِ من المعارف والخوارق الظَّاهِرَة والباطنة وَمَا أنبأ عَنهُ مَا ظهر عَلَيْهِ وتواتر من أَحْوَاله " . انظر : الفتاوى الحديثية (ص١٤٥) .

رَابِعَاً : كذبوا على العابدة الزَّاهدة المتصوِّفة رابعة بنت إسماعيل العدويَّة (١٨٠هـ) ، فقال المتسلِّف المدعو عبد الرَّحمن الوكيل : " ... ثُمَّ مَنْ رابعة هذه ؟!!! أليست هي التي تقول عن الكعبة : " هذا الصَّنم المعبود في الأرض " . انظر : هذه هي الصوفيَّة ،عبد الرَّحمن الوكيل (ص١٥٢) .

وقد ردَّ هذه الكذبة عن السَّيِّدة رابعة العدويَّة الشَّيخ ابن تيمية !!! فقال : " وَأَمَّا مَا ذُكِرَ عَنْ رَابِعَةَ العدوية مِنْ قَوْلِهَا عَنْ الْبَيْتِ: " أَنَّه الصَّنَمُ الْمَعْبُودُ فِي الْأَرْضِ " فَهُوَ كَذِبٌ عَلَى رَابِعَةَ وَلَوْ قَالَ هَذَا مَنْ قَالَهُ لَكَانَ كَافِرًا يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ وَهُوَ كَذِبٌ فَإِنَّ الْبَيْتَ لَا يَعْبُدُهُ الْمُسْلِمُونَ؛ وَلَكِنْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْبَيْتِ بِالطَّوَافِ بِهِ والصَّلاة إلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَا نُقِلَ مِنْ قَوْلِهَا: وَاَللَّهِ مَا وَلَجَهُ اللهُ وَلَا خَلَا مِنْهُ كَلَامٌ بَاطِلٌ عَلَيْهَا ... " .
انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٠) ، مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٢٨) .

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ الإمام ابن تيمية اعترف بالدَّسِّ في كتب السَّادة الصُّوفيَّة غَيْرَ مرَّة ، ومن ذلك قوله : " نَعَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ بِاَللَّهِ الْمُحِبِّينَ لَهُ مِنْ مَقَامَاتِ الْقُرْبِ ؛ وَمَنَازِلِ الْيَقِينِ مَا لَا تَكَادُ تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَةُ وَلَا يَعْرِفُهُ حقُّ الْمَعْرِفَةِ إلَّا مَنْ أَدْرَكَهُ وَنَالَهُ ؛ وَالرَّبُّ رَبٌّ ، وَالْعَبْدُ عَبْدٌ ، لَيْسَ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ؛ وَلَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ : وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِاَللَّهِ يَعْتَقِدُ حُلُولَ الرَّبِّ تَعَالَى بِهِ ؛ أَوْ بِغَيْرِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَلَا اتِّحَادَهُ بِهِ . وَإِنْ سَمِعَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَنْقُولٌ عَنْ بَعْضِ أَكَابِرِ الشُّيُوخِ ، فَكَثِيرٌ مِنْهُ

مَكْذُوبٌ !!! اخْتَلَقَهُ الْأَفَّاكُونَ مِنَ الِاتِّحَادِيَّةِ المباحية ؛ الَّذِينَ أَضَلَّهُمْ الشَّيْطَانُ وَأَلْحَقَهُمْ بِالطَّائِفَةِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَالَّذِي يَصِحُّ مِنْهُ عَنْ الشُّيُوخِ لَهُ مَعَانٍ صَحِيحَةٌ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٧٤) .

ومع ذلك فما زال المتسلِّفة يرمون الإمام الأكبر ابن عربي وغيره من أئمَّة السَّادة الصُّوفيَّة باعتقاد الحلول والاتِّحاد ، وغير ذلك من العقائد الكفريَّة المُخرجة من ربقة التَّكليف ، والعياذ بالله تعالىٰ ... مع أنَّني أعتقد جازماً أنَّ الأيدي الأثيمة عبثت بكتب الإمام ابن تيمية ، فزادوا فيها ونقصوا اتِّباعاً للهوىٰ ، وعصبيَّة للفكر الذي يعتقدون ...

خَامِسَاً : عمدوا إلىٰ العبث بالعديد من الكتب ... من خلال شطب أو تحريف أو تشويه كلّ ما لا يتناسب مع عقائدهم ، وخاصَّة تلك المتعلِّقة بالتَّوسل ...

فقد جاء في " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " ، للإمام محمَّد بن محمَّد الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ : " ونضيف هنا ما ذكره الإمام العيني عن الشَّعبي ، أنَّه قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثُمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : ضعوا هذه علىٰ صدري وادفنوها معي ، لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر " . انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

فالسيِّدة عائشة رضي الله عنها طلبت ممَّن حضر أن يُدرجوا في كَفَنها خِرقة من قميص صاحب القبر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً منها بقميصه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا منها توسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بقطعة من قميص حبيبه ومصطفاه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف بصاحب القبر عليه الصَّلاة والسَّلام ؟!!!...

قُلْتُ : لقد قامت الأيدي الأثيمة المُجرمة عدوَّة الحق وأهله بإزالة وشطب ما نقلناه هنا من كلام نفيس ذكره الإمام الزَّبيدي من كلام الإمام الشَّعبي عن السَّيِّدة عائشة ، من نسخة " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، لأنَّه لا يتوافق مع عقائدهم ومذهبهم ومنهجهم ... فهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي : غشٌّ ، تدليسٌ ، كذبٌ ، مراوغة ، عبثٌ ، زور ، فجورٌ ... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلىٰ عدم الاطمئنان إلىٰ المكتبة الشَّاملة ، ولا بدَّ لطالب الحقِّ من العودة إلىٰ الكتب الورقيَّة ذات الطَّبعات القديمة ، فإنَّ من يدَّعون ويزعمون السَّلفيَّة ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التُّراث ...

سَادِسَاً : قاموا بشطب وحذف كلّ نصّ من النُّصوص التي تمسّ إهابهم ومنهاجهم وعقائدهم ... ومن ذلك :

قال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، صاحب حاشية ردّ المحتار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، في حاشيته عنهم : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا .

(قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّى الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَى سيِّدنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أهل السُّنَّة ، وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (٤/ ٢٦٢) .

قُلْتُ : قام الوهَّابيَّة بحذف هذه الفقرة وشطبها من حاشية ابن عابدين من النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ، كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " كاملاً من النُّسخة نفسها ... فإلى الله المشتكى ...

وفي النُّسخة التي طبعتها دار الفكر ببيروت ، شطبوا اسم محمَّد بن عبد الوهَّاب ...للإيهام ...واكتفوا باسم أبيه ، فقالوا : " ... كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أهل السُّنَّة وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : د المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (٤/ ٢٦٢) .

وهذا هو ديدنهم ، وصنيعهم مع كلِّ ما لا يتوافق مع منهجهم ومعتقدهم ...

سَابِعَاً : ومن الكُتب التي عبث بها مُدَّعو السَّلفيَّة : كتاب " الأذكار المنتخب من كلام سيِّد الأبرار" للإمام النَّووي ...

ومن المواطن التي عبثوا فيها بالتَّحريف والتَّزييف والشَّطب في كتاب " الأذكار " :

(١) شطب قصَّة الأعرابي الذي جاء إلىٰ القبر الشَّريف ، وقد أثبتها غير واحد من العلماء ، كما ذكرنا ذلك في كتابنا : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ بِالأَنْبِيَاءِ والصَّالحين " .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره عند تفسير قول الله تعالىٰ : ﭐﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ [النساء: ٦٤] ، وقوله : ﭐﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ يُرْشِدُ تَعَالَىٰ الْعُصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُمُ الْخَطَأُ وَالْعِصْيَانُ أَنْ يَأْتُوا إِلَىٰ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْتَغْفِرُوا اللهَ عِنْدَهُ ، وَيَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﭐﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ .

وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ : الشَّيخ أَبُو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ فِي كِتَابِهِ " الشَّامِلِ " الْحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ عَنْ الْعُتْبي ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتُ اللهَ يقول : ﭐﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَىٰ رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خيرَ مَنْ دُفنَت بِالْقَاعِ أعظُمُه   فَطَابَ منْ طِيبِهِنَّ القاعُ والأكَـمُ
نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أَنْتَ ساكنـه   فِيهِ العفافُ وَفِيهِ الجـودُ والكـرمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبي ، الحقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ له " . انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) .

وقد قام محقِّق كتاب الأذكار – غير المؤتمن علىٰ كتب أهل العلم – بحذف هذه الحكاية من الطَّبعة التي حقَّقها !!! لحساب دار الهدىٰ ، الرِّياض ، (١٤٠٩هـ) .

ومع أنَّ إسناد الرِّواية فيه مقال ، لكن الشَّاهد هو إيراد العديد من العلماء لها في كتبهم ... لأنَّهم فهموا من الآية أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصلٌ بعد انتقاله إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ ، ولذلك حثُّوا علىٰ ضرورة الذَّهاب لزيارته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤاله الاستغفار ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لزائريه ، وأذن له في الشَّفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيِّناً في كتب المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالىٰ : ﭐﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ [النساء : ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زيارة المدينة المنوَّرة ... كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة علىٰ واجهة حجرة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النَّبويَّة يراها القاصي والداني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ علىٰ شيء فإنَّما يدلُّ علىٰ القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتىٰ جاء من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها

مصائبهم وطاماتهم فمنعوا من التَّوسُّل به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا زيارة قبره عليه الصَّلاة والسَّلام ... وهذا من فهمهم السَّقيم للغة العرب التي طالها عبثهم من خلال منعهم المجاز في لغة القرآن العربي العظيم ... ذلكم الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، الفهم الذي عاد علىٰ مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة والتَّكفير والتَّنفير وعظائم الأمور ...

ومن العلماء الذين ذكروا واستشهدوا في كتبهم بقصَّة العتبي :

الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) . انظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشَّافعي وهو شرح مختصر المزني (٤/ ٢١٤-٢١٥) .

والإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) . انظر : شعب الإيمان (٦/ ٦٠-٦١) .

والإمام نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النَّابلسي المقدسي ، أبو الفتح الشَّافعي (٤٩٠هـ) . انظر : أمالي أبي الفتح المقدسي(المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) ، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح الشَّافعي(ص٥) ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، ط١ ، ٢٠٠٤هـ .

والإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) . انظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (٢/ ٤٨٩) .

والإمام الرُّوياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (٥٠٢ هـ) . انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) ، الروياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (٤/ ١٠٣) ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولىٰ ، ٢٠٠٩م .

والإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) . انظر : إحياء علوم الدِّين ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي (١/ ٢٥٩) ، دار المعرفة ، بيروت .

والإمام أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ البَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ (٥٤٠هـ) . انظر : مجلسان لأبي سعد البغدادي ، أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ االبَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ (ص٨) ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولىٰ ، ٢٠٠٤هـ .

والإمام أبو الحسين يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي (٥٥٨هـ) . انظر : البيان في مذهب الإمام الشَّافعي ، أبو الحسين يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي (٤/ ٣٧٨-٣٧٩) ، تحقيق : قاسم محمَّد النوري ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

والإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) . انظر : معجم الشيوخ ، ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (١/ ٥٩٩) ، تحقيق : الدكتورة وفاء تقي الدِّين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

والإمام محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان (٥٩٢هـ) . انظر : تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة ، محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان (٢/ ١٥٧) ، تحقيق : د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

والإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثُمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) . انظر : المغني ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثُمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٣/ ٤٧٨-٤٨٠) ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

والإمام ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ) . انظر : المنتقى من مسموعات مرو ، ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي (ص٢٣٩-٢٤٠) ، مخطوط .

والإمام محب الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجَّار (٦٤٣هـ) . انظر : الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، محب الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (ص١٥٨-١٦٠) ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .

والإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) . انظر : الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣ه ، ٢٠٠٣م .

والإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) . انظر : المجموع شرح المهذب ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي (مع تكملة السُّبكي والمطيعي) ، (٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) ، دار الفكر ، وانظر : الأذكار للنووي ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي (ص٣٥٢) ، الجفان والجابي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

والإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين (٦٨٢هـ) . انظر : الشرح الكبير على متن المقنع ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين (٣/ ٤٩٤) ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع .

والإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٦٨٤هـ) . انظر : الذخيرة ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٤م ، وانظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٣/ ٥١-٥٢) ، عالم الكتب .

والإمام عبد الصَّمد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدِّمشقي نزيل مكَّة (٦٨٦هـ) . انظر : إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدِّمشقي نزيل مكَّة (ص٥٤-٥٥) ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، الطبعة : الأولىٰ .

والإمام زين الدِّين المنجىٰ بن عثمان بن أسعد ابن المنجىٰ التنُّوخي الحنبلي (٦٩٥هـ) . انظر : الممتع في شرح المقنع ، زين الدِّين المنجىٰ بن عثمان بن أسعد ابن المنجىٰ (٢/ ٢١٤) ، تحقيق : أ. د عبدالملك بن عبدالله بن دهيش .

والإمام أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرِّفعة (٧١٠هـ) . انظر : كفاية النبيه في شرح التنبيه ، أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرفعة (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) ، تحقيق : مجدي محمَّد سرور باسلوم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولىٰ ، ٢٠٠٩م .

والإمام أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) . انظر : البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي (٣/ ٦٩٣) ، تحقيق : صدقي محمَّد جميل ، دار الفكر ، بيروت .

والإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) . انظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

والإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكِّي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) . انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

والإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) . انظر : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (١٤/ ٦١٥) ، تحقيق : محمَّد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

والإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) . انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي (٢/ ٢٥٧) ، تحقيق : محمَّد علي معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٨هـ.

والإمام إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح، أبو إسحاق ، برهان الدِّين (٨٨٤هـ) . انظر : المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدِّين (٣/ ٢٣٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

والإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) . انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٥٧٠-٥٧١) ، دار الفكر ، بيروت .

والإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) . انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (١/ ٤٤٦-٤٥١) ، تحقيق : د. محمَّد الأمين محمَّد محمود أحمد الجكيني ، طُبع علىٰ نفقة السيد : حبيب محمود أحمد ، وجعله وقفاً لله تعالىٰ .

والإمام أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٣/ ٥٩٦-٥٩٧) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

والإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) . انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، (ص٤٩٤) ، تحقيق: محمَّد غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٩هـ .

والإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) . انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، وانظر : سبل الهدىٰ والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٩٠) .

والإمام حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري (٩٦٦هـ) . انظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري (٢/ ١٧٥-١٧٦) ، دار صادر ، بيروت .

والإمام محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي الشَّهير بابن النَّجَّار (٩٧٢هـ) . انظر : معونة أولى النهىٰ ، شرح المنتهىٰ منتهىٰ الإرادات ، محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحىٰ الحنبلىٰ الشَّهير بابن النجار (٤/ ٢٤٧-٢٤٨) ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش .

والإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتىٰ الحنبلىٰ (١٠٥١هـ) . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتىٰ الحنبلىٰ (٢/ ٢١٥) ، دار الكتب العلمية .

والإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) . انظر : شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزرقاني المالكي (١٢/ ١٩٩-٢٠٠) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

والإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) . انظر : فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريًّا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثُمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (٢/ ٤٨٥) ، دار الفكر .

والإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) . انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزبيدي الشَّهير بمرتضىٰ ، (٤/ ٤٥٥) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، الطبعة : ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.

والإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ) . انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (ص١٢) ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٣٢٤هـ .

والإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) . انظر : إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية علىٰ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي (٢/ ٣٥٧) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

والإمام محمَّد سيِّد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر (١٤٣١هـ) . انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمَّد سيِّد طنطاوي (٣/ ٢٠١) .

وذكرها أصحاب الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة . انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ١٥٧) ...

(٢) فَتحَ الإمام النَّووي في كتابه الأذكار فصلاً سمَّاه : " فصلٌ في زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذكارها ، قال فيه : " اعلم أنَّه ينبغي لكلِّ من حجَّ أن يتوجَّه إلىٰ زيارة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سواء كان ذلك طريقهُ أو لم يكن ، فإنَّ زيارته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهمِّ القُرُبات ، وأربح المساعي ، وأفضل الطَّلبات ، فإذا توجَّه للزِّيارة أكثرَ من الصَّلاة والسَّلام عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه " . انظر : الأذكار ، النووي(ص٣٤٩) .

هذا هو ما ذكره الإمام النَّووي ... إلَّا أنَّ النَّصَّ أصبح في طبعة " الأذكار " الصَّادرة عن دار الهدىٰ ، الرِّياض ، هكذا : " فصلٌ في زيارة مسجد !!! رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، لأنَّ منهجهم الذي خطَّه لهم ابن تيمية يمنع من زيارة القبر الشَّريف ... كي لا يتوسَّل الزَّائرُ بصاحب القبر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لدرجة أنَّ ابن تيمية صرَّح بأنَّه لا فائدة في معرفة قبور الأنبياء ، وكذا زيارتها ، فقد قال : " ... وَقَدْ حَصَلَ مَقْصُودُهُمْ وَمَقْصُودُهُ مِنْ السَّلام عَلَيْهِ والصَّلاة عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ وَغَيْرِ مَسْجِدِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي إتْيَانِ الْقَبْرِ فَائِدَةٌ لَهُمْ وَلَا لَهُ ، بِخِلَافِ إتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاء ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ سَبْتٍ فَيُصَلُّونَ فِيهِ اتِّبَاعاً لَهُ صَلَّىٰ اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِنَّ الصَّلاة فِيهِ كَعُمْرَةٍ ، وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الصَّلاة فِي مَسْجِدِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ كَانَ أَحَدُ هَذَيْنَ لَا يُغْنِي عَنْ الْآخَرِ ، بَلْ يَحْصُلُ بِهَذَا أَجْرٌ زَائِدٌ . وَكَذَلِكَ إذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إلَى الْبَقِيعِ وَأَهْلِ أُحُدٍ ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ إلَيْهِمْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُمْ كَانَ حَسَناً ، لِأَنَّ هَذَا مَصْلَحَةٌ لا مَفْسَدَةَ فِيهَا ، وَهُمْ لَا يَدْعُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا يُغْنِي عَنْ هَذَا " . انظر : مجموع الفتاوى(٢٧/ ٤١٦) .

كما صرَّح ابن تيمية بأنَّ السَّفر لزيارة قبر نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا غيره من الأنبياء والصَّالحين ، غلط ... فيقول : " ... وَهَذَا ظَنَّ أَنَّ السَّفَرَ إلَى زِيَارَةِ نبيِّنا كَالسَّفَرِ إلَى غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ والصَّالحين ، وَهُوَ غَلَطٌ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ مَسْجِدَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَالسَّفَرَ إلَيْهِ مَشْرُوعٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ زِيَارَتَهُ كَمَا يُزَارُ غَيْرُهُ مُمْتَنِعَةٌ ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْإِنْسَانُ إلَى مَسْجِدِهِ ، وَفِيهِ يَفْعَلُ مَا شُرِعَ لَهُ .

الثَّالِثُ : أَنَّه لَوْ كَانَ قَبْرُ نبيِّنا يُزَارُ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ لَكَانَ أَهْلُ مَدِينَتِهِ أَحَقَّ النَّاس بِذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحَقُّ بِزِيَارَةِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ الصَّالحين ، فَلَمَّا اتَّفَقَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الدِّين عَلَى أَنَّ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لَا يَزُورُونَ قَبْرَهُ !!! بَلْ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ لِلسَّلَامِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَخَرَجُوا . وَإِنْ لَمْ يُسَمَّى هَذَا زِيَارَةً بَلْ يُكْرَهُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ السَّفَرِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَفْعَلُونَهُ : عُلِمَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ مَشْرُوعَةً كَزِيَارَةِ قَبْرِ غَيْرِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ " . انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٤٣) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، مع العلم بأنَّ علماء الأمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشَّريف بأَبي هو وأُمي ، ونصُّوا في كُتُبهم على أنَّ زيارة قبره الشَّريف سُنَّة من سُنن المسلمين مُجمعٌ عليها ، قال القاضي عياض : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) .

فما قام به محقِّق كتاب " الأذكار " يُعتبر خيانة للعلم وللأمانة العلميَّة ... ألا يعتبر فعلهم هذا تزوير وتقويل للعلماء بما لم يقولوه !!؟ ألا يعتبر عملهم هذا كتمانٌ لحُكمٍ سار عليه المسلمون ردْحاً طويلاً من الزَّمان ولم يُعرف له مخالف حتى جاءوا هم فجعلوا أنفسهم قيِّمين على دين الله ، وكأنَّهم وحدهم فقط من يفهم الدِّين والتَّوحيد على أصوله ، بعيداً عن البدع والشِّركيَّات ... والعياذ بالله تعالى ...

(٣) قال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في كتابه " الأذكار " : " رُوِّينَا في " كتاب ابن السنِّي " ، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهُ ، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إذَا انْفَلَتَتْ دابَّةُ أحَدِكُمْ بأرضٍ فلاةٍ فليُنادِ : يا عِبادَ الله ! احْبِسُوا ، يا عِبادَ اللهَّ ! احبسوا ؛ فإنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ في الأرْضِ حاضِراً سَيَحْبِسُهُ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلىٰ في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الحافظ ابن حجر في المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ (١٤/ ٤٤ برقم ٣٣٨٢) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٥ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَزَادَ: " «سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ» ". وَفِيهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ) .

قال الإمام النَّووي : " حكىٰ لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّة مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقُلْتُ ه ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوىٰ هذا الكلام " . انظر : الأذكار للنووي ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي (ص٣٧٨) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .

قُلْتُ : قامت الأيدي العابثة المجرمة الأثيمة الظَّالمة بشطب هذا الحديث وكذا تعليق النَّووي عليه من كتاب " الأذكار " للنَّووي ، من النُّسخة التي حقَّقها !!! عبد القادر الأرنؤوط ، ونشرتها دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، بطبعة جديدة منقحة !!! ، (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) ، والموجودة بالمكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ... وهذا هو ديدنهم وصنيعهم ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... ولكن يأبىٰ الله تعالىٰ إلَّا أن يقيِّض للحقِّ من عبيده من يكشف زيفهم وتزييفهم وعبثهم بكُتُبِ أهل العلم ...

ثَامِنَاً : اعتدوا علىٰ كتاب " الوصيَّة " للإمام ابن قدامة المقدسي ، فعبثوا فيه ...

قال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " ... وإذا كانت لك حاجة إلىٰ الله تعالىٰ ، تريدُ طلبها منه فتوضَّأ وأحسن الوضوء ، واركع ركعتين وأثنِ علىٰ الله عزَّ وجلَّ ، وصلِّ علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قل : ... اللهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ الرَّحمة ، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلىٰ ربِّي وربِّك عزَّ وجلَّ فيقضي لي حاجتي ، ويذكر حاجته .

وروي أنَّ السَّلف !!! كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصلِّيها ثُمَّ يقول : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجَّه !!! اللهمَّ ذلِّل لي صعوبة أمري ، وسهِّل من

الخير أكثر ممَّا أرجو ، واصرف عنِّي من الشَّر أكثر ممَّا أخاف " . انظر : الوصية ، ابن قدامة المقدسي (ص٤٦) ، تحقيق : محمَّد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ه ،١٩٩٧م.

قُلْتُ : قامت الأيدي الظَّالمة الأثيمة العابثة المُجرمة بالتَّلاعب في كتاب " الوصيَّة " للإمام ابن قدامة المقدسي ، فشطبوا هذه الفقرة من كتاب " الوصيَّة " الذي نشرته دار تيسير السنَّة !!! الطَّبعة : الأولى ، (١٤١١هـ ، ١٩٩٠م) ، بتحقيق : أم عبد الله بنت محروس العسيلي ، وإشراف : أبو عبد الله محمود بن محمَّد الحدَّاد ، والموجود في المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس .

وللأمانة لم أستطع الحصول على النُّسخة الورقيَّة من هذه الطَّبعة ، وبالتَّالي لا أدري : هل وقع العبث من قبل المسؤولين عن المكتبة الشَّاملة !!! وهذا هو ما أعتقد ، أم كان العبث ممَّن حقَّق الكتـــــــاب أصلاً ...

أمَّا النُّسخة التي نقُلْتُ عنها ، والتي هي من تحقيق : محمَّد خير رمضان يوسف ، وطباعة دار ابن حزم ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ، (١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) ، فقد ذكر المحقِّق الأستاذ محمَّد خير رمضان يوسف ، أنَّه قد حقَّقها على ثلاث نسخ ، رمز لها بـ : (أ)،(ب)،(ج) . وذكر أنَّ النُّسخة (أ) ، النُّسخة هي الأقدم من بين النُّسخ ، ولذلك اتَّخذها المحقِّق أصلاً ، وفيها جاء نصُّ الكلام الذي ذكرناه . أمَّا النُّسخة (ب) فهي ناقصة ، وأمَّا النُّسخة (ج) ، فهي نسخة مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة ، وهي النُّسخة الأحدث من بين النُّسخ الثلاث حيث نسخت عام (١٣٣٥هـ) ، وناسخها ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ، واسمه : الشَّيخ القاضي محمَّد بن سليمان البصيري ، وقد قام هذا النَّاسخ المُجرم الظَّالم المتسلِّف بحذف حديث التَّوسُّل تماماً !! وكذا قام بحذف قول ابن قدامة : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجَّه !!! فإلى الله المشتكى من هذه الشِّرذمة التي دأبت على التَّزوير والعبث بكتب أهل العلم في القديم والحديث ، فالله حسيبهم ...

تَاسِعَاً : عبثوا بكتاب " ذيل تذكرة الحفَّاظ " محمَّد بن علي الحسيني الدِّمشقي ، فحذفوا منه توسُّله إلى الله تعالى بجاه رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) : " فالله تعالى يُبقيه ويُمتع الاسلام ويُديم النَّفع به الأنام ، بجاه المصطفى سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، محمَّد بن علي الحسيني الدِّمشقي ، (ص٣١٥) ، بلا .

قُلْتُ : قامت الأيدي الأثيمة الظَّالمة المُجرمة بشطب هذا الكلام للإمام الحسيني الدِّمشقي من نسخة ذيل تذكرة الحفَّاظ للإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي ، دار الكتب العلميَّة ، الطبعة : الأولى ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) ، وذلك من نسخة ذيل التَّذكرة الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... فتنبَّهوا لصنيع هذه الفئة العابثة بتراثنا الذي لم يسلم منهم لا في القديم ولا في الحديث ...

مع أنَّ كلام الإمام الحسيني موجود في النُّسخة الثَّانية من كتاب : ذيل تذكرة الحفَّاظ " الموجودة في المكتبة الشَّاملة !!! والتي أُضيف إليها كتاب : " لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفَّاظ " ، لابن فهد المكِّي ، و " ذيل طبقات الحفَّاظ " للسُّيوطي ... ودائماً : إذا كنت كَذُوباً فكُن ذَكُوْرَاً ...

عَاشِرَاً : عبثوا بكتاب " تهذيب التَّهذيب " للحافظ ابن حجر العسقلاني ...

ففي كتابه : " تهذيب التَّهذيب " قال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وقال الحاكم في تاريخ نيسابور ... وسمعت أبا بكر محمَّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول : خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثَّقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرِّضى بطوس . قال فرأيت من تعظيمه يعني بن خزيمة لتلك البقعة وتواضُعه لها وتضرُّعه عندها ما تحيّرنا " . انظر : تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٧/ ٣٨٧-٣٨٨) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٣٢٦هـ ، وانظر طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م (٧/ ٣٢٧) .

قُلْتُ : قامت الأيدي العابثة الظَّالمة الأثيمة المُجرمة الضَّالَّة المضلَّة بشطب الفقرة السَّابقة من كتاب " تهذيب التَّهذيب " الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وقد عُدتُ للنُّسخة الورقيَّة من كتاب تهذيب التَّهذيب لابن حجر العسقلاني ، نشر : مطبعة دائرة المعارف النِّظاميَّة ، الهند ، الطبعة : الأولى ، (١٣٢٦هـ) ، وفيها النَّصُّ السَّابق ، وقد نقُلْتُ عنها النَّصَّ السَّابق الذي فُقِدَ وشُطب من النُّسخة الموجودة في الشَّاملة ، وهذا يثبت بلا مِرية أنّ في الأمر إنَّ ، ولكنَّ ... وأنَّ الحذف مقصودٌ ، وأنَّه أمرٌ دُبِّر بليْلٍ ... فهذه هي أخلاق من يدَّعون السَّلفيَّة ... غشٌ ، وكذبٌ ، وتدليسٌ ، وخيانةٌ ، وعبثٌ بكتب أهل العلم ... فإلى الله تعالى وحده المشتكى من أخلاق هذه الشِّرذمة القليلون ، الذين ما فتئوا يعبثون بكتب علماء الأمَّة

وجهابيذها وأساطينها ... كما تمَّ شطبة من نسخة تاريخ نيسابور الموجودة في المكتبة الشَّاملة ، فتأمَّل يا رعاك الله ...

حَادِيْ عَشَر : عبثوا بكتاب " نيل الأوطار " للإمام الشَّوكاني ...

قال الإمام محمَّد بن علي الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في نهاية أبواب الهدايا والضَّحايا من كتابه : " نيل الأوطار " : " وإلىٰ هنا انتهىٰ النِّصف الأوَّل من نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار بمعونة العزيز الغفَّار ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّه المختار وآله الأخيار . بك اللهمَّ أستعين علىٰ نيل الأوطار من أسرار منتقي الأخبار ، متوسِّلاً إليك بنبيِّك المختار " . انظر : نيل الأوطار من أحاديث سيِّد الأخيار شرح منتقىٰ الأخبار ، محمَّد بن علي الشوكاني ، (٥/ ٢٣٥) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م .

قُلْتُ : وكعادتها ... قامت الأيدي العابثة الظَّالمة المتسلِّفة بشطب كلام الإمام الشَّوكاني السَّالف ، لأنَّه يتعارض مع منهجهم وفكرهم حيث لا طاقة ولا قدرة لهم علىٰ محاربة فكر مجموع الأمَّة إلَّا بالغشِّ والكذب والتَّدليس والتَّزوير والتَّحريف والتَّزييف وتغيير الحقائق ... وقد عُدت إلىٰ طبعتين تضمَّنتا كلام الإمام الشَّوكاني الذي ذكرت ، وهما : طبعة دار الجيل ، بيروت ، (١٩٧٣م) ، وطبعة إدارة الطِّباعة المنيريَّة ، أمَّا النُّسخة الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فقد عبث فيها اللصوص العابثون الظَّالمون المتسلِّفون ، فشطبوا كلام الشَّوكاني الذي هو كلام مجموع الأمَّة التي لم يجد علماؤها ما يمنع من التَّوسُّل بالحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والنُّسخة الموجودة في الشَّاملة هي من تحقيق : عصام الدِّين الصَّبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) ، ولم أستطع الحصول علىٰ هذه النُّسخة الورقيَّة لأتأكَّد من مصدر التَّزوير : أهو من دار الحديث أم من القائمين علىٰ المكتبة الشَّامله ... فمرحىٰ ثُمَّ مرحىٰ لمن تخصَّصوا بتزوير الحقائق وَقَلْبِها ، وهُمْ هُمُ علىٰ مدار الزَّمان ، وكأنَّهم : " تَواصَوا به " ، لكن للحقِّ رجالٌ ، استعملهم الله تعالىٰ لكشف تزويرهم وتدميرهم لكتب التُّراث الذي ما فتئوا يحاربونه ويناصبونه العداء ....

ثَانِي عَشَر : قال الإمام يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجَّاج ، جمال الدِّين ابن الزّكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) : " أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الحسن بْن البخاري ، وزينب بنت مكِّي ، قَالا : أخبرنا أَبُو حفص بن طبرزذ ، قال : أخبرنا الْحَافِظُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الأنماطي ، قال : أَخْبَرَنَا أبو محمَّد الصّريفيني ، قال : أَخْبَرَنَا أبو القاسم بْنِ حُبَابَةَ ، قال : أَخْبَرَنَا عَبد الله بْن محمَّد البغوي ، قال : حَدَّثَنَا علي بْن الجعد ، قال :

أَخْبَرَنَا زُهَيْرٌ ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْد الرَّحمن بْن سَعْد ، قال : كنت عِنْدَ عَبد اللهَّ بْنِ عُمَر ، فَخُدِّرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ له : يا عَبْدِ الرَّحمن ما لِرِجْلِكَ ؟ قال : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قال : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا محمَّد ، فَانْبَسَطَتْ . رَوَاهُ عَن أَبِي نُعَيْمٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ مُخْتَصَراً " . انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزي ، (١٧/ ١٤٣) ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م] .

قُلْتُ : والأثر السَّابق ذكره الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في كتابه الأذكار : " بابُ ما يقولُه إذا خَدِرَتْ رِجْلُه :

روِّينا في كتاب ابن السنِّي عن الهيثم بن حنش ، قال : كنَّا عندَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدِرَتْ رجلُه ، فقال له رجل : اذكر أحبَّ النَّاس إليك ، فقال : يا محمَّد صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكأنَّما نُشِطَ من عِقَال .

وروِّينا فيه ، عن مُجاهد ، قال : خَدِرَتْ رِجلُ رجلٍ عند ابن عبَّاس ، فقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما : اذكر أحبَّ النَّاس إليك ، فقال : محمَّد صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذهبَ خَدَرُه .

وروِّينا فيه ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي أحدِ شيوخ البخاري الذين روىٰ عنهم في صحيحه ، قال : أهلُ المدينة يَعجبون من حُسن بيت أبي العتاهية :

وتَخْدَرُ في بعضِ الأحايينِ رِجْلُهُ فإنْ لم يَقلْ يا عُتْب لم يذهبِ الخَدَرْ

انظر : الأذكار النووية أو " حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار " ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي ، (ص٤٧٨) ، تحقيق : محيي الدِّين مستو ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ،١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

والأثر فيه توسُّلٌ بالنَّبيِّ ونداءه والاستشفاع به في الكُرب ، والمرض ، والشَّدائد ... وقد ذكره الإمام ابن تيمية في كتابه " الكَلم الطَّيِّب " ، ولم يعقِّب عليه بشيء ، بل إنَّ مجرَّد ذكره له في كتاب سمَّاه بـ " الكلم الطيِّب " هو استحسان له ، فهل يستحسن الإمام ابن تيمية الكفر ؟!! وما حكم من استحسن الكفر ؟!!! نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

ولذلك وجدنا من يدَّعون السَّلفيَّة في حيص بيص أمام هذه المعضلة التي أقضَّت مضاجعهم ، وما كان منهم إلَّا أن استجابوا لشياطين الإنس والجنِّ فعمدوا إلىٰ شطبها من أصلها ، حيث شطبوا (ياء النِّداء) من الرِّواية ، وذلك في كتاب الأدب المفرد الذي حقَّقه : سمير بن أمين الزّهيري ، مكتبة المعارف للنَّشر

والتَّوزيع ، الرِّياض ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) ، كما تمَّ شطبها من نسخة " الكلم الطيِّب " الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، والتي حقَّقها السيِّد الجميلي ، وكذا حُذفت من نسخة " الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب " ، لـ محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة ، (ص٢٠٤) ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) ، وكذا تمَّ حذفها من نسخة " عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد " ، لأحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَرِيُّ ، المعروف بـ ابن السُّنِّي ، (ص١٤١) ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة ومؤسسة علوم القرآن ، جدة ، بيروت ... فانظر إلى تلاعبهم وعبثهم المتقدِّم في الكتب المذكورة والموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ...

وعلى كلِّ حال فإنَّ المتسلِّفة بتكفيرهم كلَّ من نادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ (يا محمَّد) كفَّروا الإمام ابن تيمية ، لأنَّه أورده في كتابه : " الكلم الطيِّب " (ص٩٦) ، تحقيق : الدكتور السيِّد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطِّباعة والنَّشر ، بيروت ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م) ، وقد رواه غير واحد من العلماء بسندهم عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن مَا لِرَجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا ، قَالَ : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا محمَّد ، فَبَسَطَهَا " . انظر : الطبقات الكبير ، محمَّد بن سعد بن منيع الزهري ، (٤/ ١٤٤ برقم ٥١٢١) ، تحقيق : علي محمَّد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١ م ، مسند ابن الجعد ، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي ، (ص٣٦٩ برقم ٢٥٣٩) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ه ، ١٩٩٠م ، الأدب المفرد ، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، (ص٤٤١ برقم ٨٦٤) ، تحقيق : علي عبد الباسط مزيد ، وعلي عبد المقصود رضوان ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م ، غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ، (٢/ ٦٧٣) ، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمَّد العايد ، جامعة أم القرى ، مكَّة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، (١٤٠٥هـ) ، عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد ، أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَرِيُّ ، المعروف بـ " ابن السُّنِّي " ، (ص١٤٢ برقم ١٧٢) ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ومؤسسة علوم القرآن ، جدة ، بيروت ...

ثَالِثُ عَشَر : ومن عبثهم وخياناتهم وتدليسهم وتلبيسهم وتشويههم لكتب أهل العلم : ما ذكره الألباني في مختصر العلو ، حيث قال عن حديث الجارية ضمن من صحَّح الحديث : " ... فإنَّه مع صحَّة إسناده ، وتصحيح أئمَّة الحديث إيَّاه دون خلاف بينهم أعلمه ، منهم الإمام مسلم حيث أخرجه في " صحيحه " ،

وكذا أبو عوانة في "مستخرجه عليه " والبيهقي في " الأسماء " حيث قال عقبه (ص٤٢٢) : " وهذا صحيح ، قد أخرجه مسلم " .

وهذا كذب صُراح ... فقد قال الإمام البيهقي : " وَهَذَا صَحِيحٌ ، قَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مُقَطَّعاً مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ وَحَجَّاجٍ الصَّوَّافِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ دُونَ قِصَّةِ الْجَارِيَةِ !!! وَأَظُنُّهُ إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنَ الْحَدِيثِ لِاخْتِلَافِ الرُّوَاةِ فِي لَفْظِهِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٥ برقم ٨٩١) .

وقال الإمام البيهقي – أيضاً – عقب روايته لحديث الجارية في كتابه " السُّنن الكبرى " : " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ دُونَ قِصَّةِ الْجَارِيَةِ " . انظر : السنن الكبرى (١٠/ ٩٨ برقم ١٩٩٨٥) .

فالإمام البيهقي لم يقل ما نسبه له الألباني ، بل أنَّه حذف قصَّة الجارية من صحيحه بشهادة الإمام البيهقي .

والسُّؤال الذي يطرح نفسه هنا : إذا كان الإمام البيهقي المتوفَّى سنة (٤٥٨هـ) يشهد أنَّه في زمانه لم يكن حديث الجارية – بنصِّه الموجود في الصَّحيح اليوم – موجوداً ، فمتى ؟ وكيف ؟ ومن أَدخل وأضاف للحديث لفظ : " أين الله " ؟!!! وهذا عبثٌ آخر في نصِّ الحديث ...

فتدبَّروا يا أُولي الألباب ...

رَابِعُ عَشَر : ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم ما جاء في كتاب : " تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان " للشَّيخ السَّعدي : " قال الله متوجِّعاً !!! للعباد : **أَّٰي يي ذُرىٰ ٌُّ** [يس : ٣٠] ، أي : ما أعظم شقاءهم ، وأطول عناءهم ، وأشدّ جهلهم ، حيث كانوا بهذه الصِّفة القبيحة ، التي هي سبب لكلِّ شقاء وعذاب ونكال " . انظر : تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، (ص٦٩٥) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م .

فالسَّعدي يصف الله تعالى بصفة " الوجع " التي لم يقلها قبله أحدٌ من العالمين ، وقد ورد هذا اللفظ الشَّنيع في طبعات : دار الرِّسالة ، ودار ابن الجوزي ، وطبعة مكتبة الرُّشد ، وقد حاول بعض أدعياء السَّلفيَّة تدارك فداحة ما وقع فيه مفسِّرهم السَّعدي المعتمد لديهم ، فحرَّف قوله : (**متوجِّعاً !!!**) لتصبح (مترحِّماً) ، وقد نشرت التَّحريف في طبعتها لكتاب السَّعدي كل من : دار المدني بجدَّة ، وطبعة المؤسَّسة السَّعيديَّة ، وكذا طبعة مركز ابن صالح ...

فما رأيكم بهذ التَّحريف الذي ما كان إلَّا لجبر كسر كبير حصل في كلام عالم من كبار علمائهم ، أم أنَّهم سيقولون بوصلتهم المعروفة دائماً : إنَّ الله تعالىٰ يتوجَّع لا كتوجُّعنا ، بل يتوجَّع توجُّعاً يليق به !! سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيم ...

خَامِسُ عَشَر : ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : أنَّهم طبعوا كتاب " الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل " ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) في دار العبيكان بالرياض ، وحرَّفوا فيه العديد من المسائل ، منها : تحريفهم لتفسير الزَّمخشري لقوله تعالىٰ : **ﭐﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ** [القيامة:٢٢-٢٣] ...

سَادِسُ عَشَر : ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما قاله الأستاذ محمَّد نوري الدّيرثوي : " ... بل التَّحريف وحذف الأسانيد شأن السَّلفيَّة وديدنهم .

إنَّ نعمان الألوسي حرَّف تفسير والده المكرَّم علامة العراق الشَّيخ محمود الألوسي (تفسير : روح المعاني) ، ولولا تحريفه لكان التَّفسير الفريد وجامع الجوامع .

وأمَّا الحذف والسَّلخ للعبارات والأحاديث فحدِّث ولا حرج ... لقد طبعوا كتاب " المغني " لابن قدامة الحنبلي فحذفوا منه مبحث الاستغاثة ، وطبعوا شرح صحيح مسلم ، فسلخوا منه أحاديث الصِّفات ..." . انظر : ردود علىٰ شبهات السلفية ، محمَّد نوري الدير ثوي ، (ص٢٤٩) ، مطبعة الصباح ، ط١ ، ١٩٨٧م .

سَابِعُ عَشَر : ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : وضع الأستاذ محمَّد رفيق الونشريسي الجزائري شرحاً لطيفاً علىٰ نظم المقدِّمة الآجروميَّة للإمام العلامة محمَّد بن أب المعروف بعبيد ربّه الشَّنقيطي رحمه الله تعالىٰ ، وطبعته دار الإمام مالك ، أبو ظبي ، قال الأستاذ في الشَّرح الصَّفحة (٧٩-٨٠) : ثُمَّ سأل المؤلِّف الله عزَّ وجلَّ أن يجعل نظمه هذا دائم النَّفع للمبتدئين في علم النَّحو ، وقد توسَّل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في الأصل بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال :

(دائمة النَّفع بجاه أحمد) ، ومعلوم ما في هذا التَّوسُّل من مخالفة لما كان عليه سلفنا الصَّالح – رضوان الله عليهم – فحذفتُه وأبدلتُه بتوسُّل مشروع ، وهو حبّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وراجع في ذلك ...اهـ

وقامت إدارة مساجد محافظة العاصمة (الجزائر) بطبع منظومة الآجروميَّة لعبيد ربّه الشَّنقيطي ، وذلك ضمن المسابقة الرَّمضانيَّة للغة العربيَّة في سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ، وبدل أن يتركوا نصَّ النَّاظم كما هو ويعلِّقوا في الهامش بما شاءوا ، غيَّروا النَّص الأصلي رأساً ، الهامش الصَّفحة (١٤) إلىٰ ما يلي :

جعلها الله لكلِّ مبتدي   دائمة النَّفع دوام الأبد

وكتبوا في الهامش : ما بين معكوفين هي جملة من وضع فضيلة الشَّيخ زايد الأذان بن الطَّالب الشَّنقيطي شارح هذه المنظومة في كتابه " مصباح السَّاري شرح منظومة عبيد ربّه الشَّنقيطي علىٰ المقدِّمة الآجروميَّة " ، فبدَّل عبارة النَّاظم : (بجاه أحمد) ... ولا يخفىٰ عليك لماذا . انظر موقع شبكة روض الرَّياحين ، بقلم الأستاذ العلوي .

ثَامِنُ عَشَر : وجاء في موقع : " شبكة روض الرَّياحين " بقلم الأستاذ الأزهري : " كشف تزوير في اجتماع الجيوش لابن قيِّم الجوزيَّة : ذكر ابن القيِّم في " اجتماع الجيوش " عقيدة الإمام الحجَّة أبي أحمد بن الحسين الشَّافعي المعروف بالحدَّاد ، وذكر هذا النَّص من كلامه ، وهو منقول من الجيوش ، طبعة : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ط١ (١٤٠٨هـ) ، (ص٨٠) : " وَنَعْتَقِدُ حُبَّ آلِ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهَّ عَلَيْهِمْ ، وَنَذْكُرُ مَحَاسِنَهُمْ ، وَنَنْشُرُ فَضَائِلَهُمْ ، وَنَمْسِكُ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا عَنِ التَّطَلُّعِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَّ لَهُمْ ، وَنَتَوَسَّلُ إِلَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ بِاتِّبَاعِهِمْ " .

لاحظ الكلمة التي تحتها خط : **" ونتوسَّل إلىٰ الله تعالى باتِّباعهم "** !! فما زلتُ أشكُّ في أنَّ هذه العبارة مزورة لأنَّني لم أعهد القدماء يقولون هذا ، وإنَّما يقولون : نتوسَّل بهم ، فاستحضرت نسخة أخرىٰ من الجيوش طبعة مكتبة المؤيَّد الرِّياض ، بتحقيق : بشير محمَّد عيون ، وقد حقَّقها علىٰ مخطوطة الظَّاهريَّة ، والطَّبعة المنيريَّة ، فإذا النصُّ فيها (ص١٣٣) ، هكذا :

ونعتقد حبَّ آل محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونُمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطُّلع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهم " .

فإذا العبارة في هذه الطَّبعة المحقَّقة (بهم) وليست (باتِّباعهم) !! أ.هـ

وقد أرفق الأستاذ الأزهري مخطوطة الكتاب الأصليَّة التي برهنت ودلَّلت علىٰ التَّزوير المتعمَّد مع سبق الإصرار ... فإلىٰ الله تعالىٰ وحده المشتكىٰ ....

ثم إنِّي وقفتُ بعد مدَّة علىٰ رسالة صغيرة تصنيف العلَّامة ابن طولون الدِّمشقي الصَّالحي الحنفي عنوانها : " قيد الشَّريد من أخبار يزيد " جمعها في أخبار يزيد بن معاوية ، من مطبوعات دار الصَّحوة ، القاهرة ، ط١ ، (١٤٠٦هـ) ، وإذا به يذكر القطعة السَّابقة من عقيدة الحدَّاد نقلاً عن اجتماع الجيوش ، فإذا فيها : " ...

ونعتقد حبَّ آل محمَّد و(أزواجه) ، وسائر أصحابه ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطُّلع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهم " .

فإذا العبارة في هذا النَّص عند ابن طولون كما هي في طبعة دار المؤيَّد ، بتحقيق بشير عيون " .

تَاسِعُ عَشَر : قال الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، أبو الحسن ، نور الدِّين السِّندي (١١٣٨هـ) في شرحه لحديث : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعاء " : " قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا أَقْرَبُ بِالرُّتْبَةِ وَالْكَرَامَةِ ، لَا بالمسافة والمساحة ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ منزَّه عَن الْمَكَان وَالزَّمَانِ .

قَالَ الْبَدْرُ بْنُ الصَّاحِبِ فِي تَذْكَرَتِهِ : فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ نَفْيِ الْجِهَةِ عَنِ اللهَّ تَعَالَىٰ ، وَأَنَّ الْعَبْدَ فِي انْخِفَاضِهِ غَايَةُ الانخفاض يكون أقرب إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ . قُلْتُ : بني ذَلِك علىٰ أَنَّ الْجِهَة المتوهم ثُبُوتهَا لَهُ تَعَالَىٰ جلّ وَعلا جِهَة الْعُلُوّ . والْحَدِيث يدلُّ علىٰ نَفيهَا ، وإِلَّا فالجهة السُّفْلىٰ لَا ينافيها هَذَا الحَدِيث ، بل يُوهم ثُبُوتهَا ، بل قد يبْحَث فِي نفي الْجِهَة الْعليا بِأَنَّ الْقرب إِلَىٰ العالي يُمكن حَالَة الانخفاض بنزول العالي إِلَىٰ المنخفض ، كَمَا جَاءَ نُزُوله تَعَالَىٰ كلّ لَيْلَة إِلَىٰ السَّماء ، علىٰ أَنَّ الْمُرَاد : الْقرب مَكَانَة ورتبة وكرامة لَا مَكَاناً ، فَلَا تتمّ الدّلَالَة أصلاً ثُمَّ الْكَلَام فِي دلَالَة الحَدِيث علىٰ نفي الْجِهَة ، وإِلَّا فكونه تَعَالَىٰ منزهاً عَن الْجِهَة مَعْلُوم بأدلته ، وَالله تَعَالَىٰ أعلم " . انظر : حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (مطبوع مع السنن) ، محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، نور الدِّين السندي ، (٢/ ٢٢٧) .

جديرٌ بالذِّكر هنا أنَّ القائمين علىٰ المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، عبثوا – كعادتهم – فحرَّفوا وبدَّلوا وقالوا : (علىٰ أَنَّ الْمُرَاد الْقرب مَكَانَهُ ورتبة وكرامة) ، فبدلاً من المكانة قالوا : مَكَانَهُ) . مع أنَّها في الكتاب المطبوع الذي نزَّلوا عنه للشاملة بالتَّاء المربوطة ... ولذلك وغيره الكثير ، فإنَّني أنصح طلبة العلم خاصَّة بعدم الوثوق بأيِّ معلومة من المكتبة الشَّاملة إلَّا بعد عرضها علىٰ الَّطبعات الورقيَّة القديمة الموثوقة ... فالدِّين النَّصيحة ، لأنَّ القوم ما فتئوا يعبثون بكتب التُّراث حتىٰ توافق هواهم ومدَّعاهم ...

عِشْرُوْن : قال المدعو الدكتور سفر الحوالي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني : " ولو قيل أنَّ الحافظ – رحمه الله – كان متذبذباً في عقيدته !!! لكان ذلك أقرب إلىٰ الصَّواب ، كما يدلَّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة ، سفر الحوالي (ص٢٨) ، الدار السلفية ، ط١ ، ١٩٨٦م .

وقد قام المشرفون علىٰ المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من كتاب :" منهج الأشاعرة في العقيدة " الموجود ضمن المكتبة الشَّاملة ، فيا للخيانة العلميَّة ، والعبث المقصود ...

وَاحِد وَعِشْرُوْن : قال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) في كتابه الطيِّب : " مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبَه والرَّدِّ علىٰ المعتزلة : " ومتأخِّرو الحنابلة غلوا في دينهم غلوَّاً فاحشاً ، وتسفَّهوا سفهاً عظيماً ، وجسّموا تجسيماً قبيحاً ، وشبّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً ، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة ؛ حتىٰ قال أبوبكر ابن العربي في (العواصم) : " أخبرني من أثق به من مشيختي ، أنَّ القاضي أبا يعلىٰ الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظَّواهر في صفاته تعالىٰ : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلَّا اللحية والعورة . قال أئمَّة بعض أهل الحقّ : وهذا كفرٌ قبيحٌ ، واستهزاء بالله تعالىٰ شنيع ، وقائله جاهل به تعالىٰ ، لا يُقتدىٰ به ولا يُلتفت إليه ، ولا هو متَّبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتستَّر به ؛ بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام ؛ فإنَّه ما عبَد الله ولا عرفه ، وإنَّما صوَّر صنماً في نفسه ، فتعالىٰ الله عمَّا يقول الملحدون والجاحدون علوَّاً كبيراً " . ومثل ما نقله ابن العربي عن أبي يعلىٰ هذا ، منقول في كتب الملل والنِّحل عن داود الجواربي ، تعالىٰ الله عن ذلك . ثُمَّ قال اليافعي : " ولقد أحسن ابن الجوزي من الحنابلة حيث صنَّف كتاباً في الرَّدِّ عليهم ، ونقل عنهم أنَّهم أثبتوا لله صورة كصورة الآدمي في أبعاضها ، وقال في كتابه : " دفع شبه التَّشبيه " : هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيناً قبيحاً حتىٰ صار لا يُقال عن حنبلي إلَّا مجسِّم ، قال : وهؤلاء متلاعبون !!! وما عرفوا الله ولا عندهم من الإسلام خبر ولا يحدَّثون ، فإنهم يكابرون العقول ، وكأنَّهم يحدِّثون الصِّبيان والأطفال ، قال : وكلامهم صريحٌ في التَّشبيه ، وقد تبعهم خلقٌ من العوام ، وفضحوا التَّابع والمتبوع " . انظر : السيف الصقيل في الردّ علىٰ ابن زفيل ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (ص١٣٠-١٣١) ، وبهامشه (تكملة الردّ علىٰ نونية ابن القيّم للكوثري) .

ومن المؤسف حقَّاً أن يقوم القائمون علىٰ المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من كتاب : " مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبه والرَّدِّ علىٰ المعتزلة " الموجود ضمن المكتبة الشَّاملة ، وهذه خيانة من خياناتهم ، حتىٰ أنَّني أجزم أنَّ من أهم الأسباب التي دعتهم لإصدار المكتبة الشَّاملة : العبث بكتب أهل العلم ، كي توافق هواهم وعقائدهم ، ولكن هيهات ، فإنَّ للحقِّ رجال ، يأبىٰ الله تعالىٰ إلَّا أن يسخِّرهم ويستخدمهم لكشف مخازي القوم وسقطهم وخياناتهم علىٰ مدىٰ الزَّمان ...

ثَانِي وَعِشْرُوْن : قال الإمام ، شَيْخُ العَرَبِيَّة ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ القَاهِرِ بنُ عَبْدِ الرَّحمن الجُرْجَانِيُّ (٤٧١هـ) في كتابه : " أسرار البلاغة " : ومن قدح في المجاز وهمَّ أن يصفه بغير الصِّدق ، فقد خبط خبطًا عظيماً ، وتهدف لما لا يخفىٰ . ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به حتىٰ تُحصل ضروبه ، وتُضبط أقسامه ، إلَّا

للسَّلامة من مثل هذه المقالة ، والخلاص ممَّا نحا نحو هذه الشُّبهة ، لكان من حقِّ العاقل أن يتوفر عليه ، ويصرف العناية إليه ، فكيف وبطالب الدِّين حاجة ماسَّة إليه من جهات يطول عدُّها ، وللشَّيطان من جانب الجهل به مداخل خفيَّة يأتيهم منها ، فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون ، ويُلقيهم في الضَّلالة من حيث ظنُّوا أنَّهم يهتدون ؟ وقد اقتسمهم البلاء فيه من جانبي الإفراط والتَّفريط ، فمن مغرور مُغْرًى بنفيه دَفْعة ، والبراءة منه جملة ، يشمئز من ذكره ، وينبو عن اسمه ، يرى أنَّ لزوم الظَّواهر فرض لازم ، وضربَ الخيام حولها حتمٌ واجب ، وآخر يغلو فيه ويفرط ، ويتجاوز حدَّه ويخبط ، فيعدل عن الظَّاهر والمعنى عليه ، ويسوم نفسه التَّعمُّق في التَّأويل ولا سبب يدعو إليه .

أمَّا التَّفريط ، فما تجد عليه قوماً في نحو قوله تعالى : ﭐﻋﻢ ﻏﺞ ﻏﻢ ﻓﺞ ﻓﺢ ﻓﺦ ﻓﻢ ﻗﺢ ﻗﻢ ﻛﺞ ﻛﺢ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﭐﻟﻪ ﻣﺞ ﻣﺢ ﻣﺦ [الفجر : ٢٢] ، ﭐﺛﻦ ﺜﻰ ﺜﻲ ﻓﻰ [طه : ٥] ، وأشباه ذلك من النُّبوِّ عن أقوال أهل التحقيق . فإذا قيل لهم : إنَّ الإتيان والمجيء ، انتقال من مكان إلى مكان ، وصفة من صفات الأجسام ، وأنَّ الاستواء إنْ حُمل على ظاهره لم يصح إلَّا في جسم يشغل حَيّزاً ويأخذ مكاناً ، والله عزَّ وجلَّ خالق الأماكن والأزمنة ، ومنشئ كلّ ما تصحُّ عليه الحركة والنُّقلة والتَّمكُّن والسُّكون ، والانفصال والاتِّصال ، والمماسَّة والمحاذاة ، وأنَّ المعنى على : " إلَّا أن يأتيهم أمر الله " ، وجاء أمر ربِّك ، وأنَّ حقَّه أن يعبر بقوله تعالى : ﭐﻰ ﻳﺮ ﻳﺰ ﻳﻢ ﻳﻦ ﻳﻰ [الزمر : ٢٥] ، وقول الرَّجل : آتيك من حيث لا تشعر ، يريد : أُنزِل بك المكروهَ ، وأفعلُ ما يكون جزاءً لسوء صنيعك ، في حال غفلة منك ، ومن حيث تأمن حلوله بك ، وعلى ذلك قوله :

أتيناهُمُ مِن أيمنِ الشِّقِّ عندهمْ ويأتي الشَّقيَّ الحَيْن من حيث لا يدري

نعم ، إذا قُلْتُ ذلك للواحد منهم ، رأيته إن أعطاك الوفاق بلسانه ، فبين جنبيه قلب يتردَّد في الحيْرة ويتقلَّب ، ونفس تَفِرُّ من الصواب وتهرُب ، وفكر واقف لا يجيء ولا يذهب ، يُحضره الطَّبيب بما يبرئه من دائه ، ويريه المرشد وجه الخلاص من عنائه ، ويأبى إلا نِفارًا عن العقل ، ورجوعاً إلى الجهل . لا يحضره التَّوفيق بقدر ما يعلم به أنَّه إذا كان لا يجري في قوله تعالى : ﭐﻧﺮ ﻧﺰ [يوسف : ٨٢] ، على الظَّاهر لأجل علمه أنَّ الجماد لا يسأل ، مع أنَّه لو تجاهل متجاهل فادَّعى أنَّ الله تعالى خلق الحياة في تلك القرية حتى عقُلَتُ السُّؤال ، وأجابت عنه ونطقت ، لم يكن قال قولاً يكفر به ، ولم يزد على شيء يعلم كذبه فيه ، فمن حقه أن لا يجثم ها هنا على الظَّاهر ، ولا يضرب الحجاب دون سمعه وبصره حتى لا يعي ولا يراعي ، مع ما فيه ،

إذا أخذ على ظاهره ، من التعرض للهلاك والوقوع في الشِّرك " . انظر : أسرار البلاغة ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ القَاهِرِ بنُ عَبْدِ الرَّحمن الجُرْجَانِيُّ (ص٢٨٧-٢٨٩) ، تحقيق : محمَّد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م.

قُلْتُ : ومن المؤسف حقّاً أن يقوم مدَّعو السَّلفيَّة بالعبث بكتاب " أسرار البلاغة " التي لا يجيدون فنَّها ، فيشطبون هذه الفقرة برمَّتها من أسرار الجرجاني ، والسَّبب أنَّها لا تتوائم ولا تتوافق مع ما ذهبوا إليه من إنكار المجاز ، فقد قام المشرفون على المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من أسرار البلاغة ، وهذه خيانة علميَّة توارثوها جيلاً بعد جيل ، فقد سبق لأسلافهم العبث بكتب أهل العلم ، بل تعدُّوه إلى كتابة كتب نسبوها للعديد من أساطين العلم لنصرة مذهبهم وباطلهم ...

وقد تتبَّعت بحمد الله تعالى جرائمهم العبثيَّة بكتب أهل العلم في كتابنا " كَشْفُ الخَفا عَنْ عَبَثِ الوَهَّابِيَّة بِكُتُبِ العُلَمَا " ، وكذا موقفهم وعداوتهم لغيرهم من العلماء قديماً وحديثاً في كتابنا " إِرْشَادُ النُّجَبَاءِ إِلَى عَدَاوَةِ الوَهَّابِيَّة وَاسْتِخْفَافِهِم بِغَيْرِهِم مِنَ العُلَمَاءِ " ... وقد تمَّ نشرهما وغيرهما من الكتب في هذه البابة ، والحمد لله تعالى على توفيقه ...

ثَالِثُ وَعِشْرُوْن : قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمته للإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله البُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " ... وَتوجه إِلَى بِلَاد الْهِنْد فقطن كلبرجا مِنْهَا ، وَنشر بهَا الْعلم والتَّصوُّف ، وَكَانَ مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهِ ملكهَا وترقى عِنْده إِلَى الْغَايَة لما وقر عِنْده من علمه وزهده وورعه ، ثُمَّ قدم مكَّة فجاور بهَا وانتفع بِهِ فِيهَا غَالب أعيانها ، ثُمَّ قدم الْقَاهِرَة فَأَقَامَ بهَا سِنِين وانثال عَلَيْهِ الْفُضَلَاء من كلِّ مَذْهَب ، وعظَّمه الأكابر فَمن دونهم بِحَيْثُ كَانَ إِذا اجْتمع مَعَه الْقُضَاة يكونُونَ عَن يَمِينه وَعَن يسَاره كالسُّلطان ، وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة بَالغ فِي وعظهم والإغلاظ عَلَيْهِم ، بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشدّ فِي الإغلاظ ، ويحضّه عَن إِزَالَة أَشْيَاء من الْمَظَالِم مَعَ كَونه لَا يحضر مَجْلِسه ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يزْدَاد إِلَّا إجلالاً ورفعة ومهابة فِي الْقُلُوب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩١) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

وقد تمَّ تحريف قول السَّخاوي بحق العلاء البخاري : " وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة ، بَالغ فِي وعظهم ، والإغلاظ عَلَيْهِم ، بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشدّ فِي الإغلاظ ، ويحضّه عَن إِزَالَة أَشْيَاء من الْمَظَالِم " ، من قبل محقِّق الكتاب الشَّيخ زهير الشَّاويش ليُصبح : " ... واتَّصل بحكامها ، وكان شديد الالتصاق

بهم " . انظر تقديم الشَّيخ لكتاب الرد الوافر لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (ص٢١) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٩٩١م .

والسَّبب هو : لأنَّ الإمام العلاء البخاري كان علىٰ خلاف مع ابن تيمية حتىٰ أنَّه حكم بتكفيره ...

رَابِعُ وَعِشْرُوْن : أنَّ متسلِّفة العصر ما فتئوا يكذبون علىٰ علماء الأُمَّة لنُصرة باطلهم ومعتقدهم ، ومن ذلك في هذا الباب ما قاله محدِّثهم الألباني الذي كذب علىٰ الإمام ابن الأثير ، فقال : " قال ابن الأثير في " النِّهاية في غريب الحديث والأثر" : " الواسل : الرَّاغب ، والوسيلة : القُرْبة والواسطة ، وما يتوصَّل به إلىٰ الشَّيء ويتقرَّب به ، وجمعها وسائل " . انظر : التَّوسُّل أنواعه وأحكامه ، الألباني (ص١١) ، تحقيق : محمَّد عيد العباسي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

مع أنَّ ابن الأثير قال : " (وَسَلَ) فِي حَدِيثِ الْأَذَانِ : " الَّلهُمَّ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ " ، هِيَ فِي الأَصْل : مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ الشَّيْء ويُتَقَرَّبُ بِهِ ، وجَمْعُها : وَسَائِل . يُقال : وَسَلَ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، وتَوَسَّلَ . والمُراد بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ اللهَّ تَعَالَىٰ . وقِيل : هِيَ الشَّفاعة يومَ القِيامة . وقِيل : هِيَ مَنْزِلة مِنْ مَنازِل الجنَّة كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، (٥/ ١٨٥) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمَّد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

فانظر أخي القارئ الكريم إلىٰ النصَّين لترىٰ الفارق الكبير بينهما ، ولتعلم يقيناً أنَّ من يدَّعون السلفيَّة ليسوا أُمناء فيما ينقلون عن أهل العلم ، وأنَّهم يكذبون ويتحرَّون الكذب لنصرة ما هم عليه من الباطل ، كما أنَّهم ليسوا أُمناء علىٰ كتب التُّراث ، لأنَّهم لا يتورَّعون عن التَّحريف والتَّزييف في كتب أهل العلم ، وبالتَّالي فإنَّني أحذِّر طلبة العلم من الرُّكون إلىٰ الكتب التي طُبعت في مطابعهم أو تحت إشرافهم وتحقيقهم ، لأنَّنا ومن خلال الاستقراء والتتبُّع وجدنا من تحريفـــــاتهم وعبثهم في كتب التُّراث ما يندىٰ له الجبين ...

خَامِسُ وَعِشْرُوْن : قال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وقد اعتدَّ بالمحيي بن عربي أهلُ عصره " . انظر : لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني (٥/ ٣١٢) ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية ، الهند ، نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٠هـ ،١٩٧١م .

قُلْتُ : قامت الأيدي الأثيمة المُجرمة بتحريف كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني السَّابق وَقلْبه رأساً علىٰ عقب ليُصبح : " وقد اغترَّ بالمحيي بن عربي أهل عصره " ، بدلاً من " وقد اعتدَّ " ، وذلك في نسخة لسان

الميزان الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، دار البشائر الإسلاميَّة ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (٢٠٠٢م) ، فالله حسيبهم ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

سَادِسٌ وَعِشْرُوْن : : قال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني أيضاً : " وقد دسَّ الزَّنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ، ولولا أنَّ أصحابه يعلمون منه صحَّة المعتقد لافتتنوا بها وجدوه تحت وسادته ، وكذلك دسُّوا علىٰ شيخ الإسلام مجد الدِّين الفيروزآبادي صاحب القاموس كتاباً في الرَّدِّ علىٰ أبي حنيفة وتكفيره ، ودفعوه إلىٰ أبي بكر الخيَّاط ، فأرسل يلوم الشَّيخ مجد الدِّين علىٰ ذلك ، فكتب إليه : إن كان الكتاب بكفِّك فأحرقه ، فإنَّه افتراء من الأعداء ، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة ، وذكرت مناقبه في مجلَّد .

وكذلك دسُّوا علىٰ الإمام الغزالي عدَّة مسائل في كتاب الإحياء ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النُّسخ فأمر بإحراقها ، وكذلك دسُّوا عليَّ أنا في كتابي المسمَّىٰ بـ " البحر المورود " جملة من العقائد الزَّائغة ، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكَّة نحو ثلاث سنوات ، وأنا بريء منها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه ، فما سكنت الفتنة حتىٰ أرسلت إليهم النُّسخة التي عليها خطوطهم ... إذا علمت ذلك فيحتمل أنَّ الحسدة دسُّوا علىٰ الشَّيخ في كتبه ، كما دسُّوا في كتبي أنا ، فإنَّه أمرٌ قد شاهدته عن أهل عصري في حقِّي ، فالله يغفر لنا ولهم آمين " . انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، عبد الوهاب الشعراني (ص٧) .

قُلْتُ : وتكفيرهم للإمام أبي حنيفة موجود في كتاب : " السُّنَّه " الذي وضعوه ونسبوه ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وموجود كذلك في كتاب : " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة " ، وكذا في غيرهما من الكتب المُعتمدة عندهم ...

سَابِعُ وَعِشْرُوْن : قال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " أَنَّ مَنْ قَالَ عَنْ فُصُوصِ الْحُكْمِ لِلشَّيْخِ مُحْيِىٰ الدِّين بْنِ الْعَرَبِيِّ أَنَّه خَارِجٌ عَنْ الشَّرِيعَةِ ، وَقَدْ صَنَّفَهُ لِلْإِضْلَالِ ، وَمَنْ طَالَعَهُ مُلْحِدٌ ، مَاذَا يَلْزَمُهُ ؟ أَجَابَ : نَعَمْ فِيهِ كَلِمَاتٌ تُبَايِنُ الشَّرِيعَةَ ، وَتَكَلَّفَ بَعْضُ الْمُتَصَلِّفِينَ لِإِرْجَاعِهَا إلَىٰ الشَّرْعِ ، لَكِنَّا تَيَقَّنَّا أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ !!! افْتَرَاهَا عَلَىٰ الشَّيخ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ، فَيَجِبُ الِاحْتِيَاطُ بِتَرْكِ مُطَالَعَةِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، وَقَدْ صَدَرَ أَمْرٌ سُلْطَانِيٌّ بِالنَّهْيِ ، فَيَجِبُ الِاجْتِنَابُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، انْتَهَىٰ فَلْيُحْفَظْ ، وَقَدْ أَثْنَىٰ صَاحِبُ الْقَامُوسِ عَلَيْهِ فِي سُؤَالٍ رُفِعَ إلَيْهِ فِيهِ ، فَكَتَبَ : اللَّهُمَّ أَنْطِقْنَا بِمَا فِيهِ

رِضَاك ، الَّذِي أَعْتَقِدُهُ وَأَدِينُ اللهَّ بِهِ أَنَّه كَانَ – رَضِيَ اللهُّ تَعَالَى عَنْهُ – شَيْخَ الطَّرِيقَةِ حَالاً وَعِلْماً ، وَإِمَامَ الْحَقِيقَةِ حَقِيقَةً وَرَسْماً وَمُحْيِي رُسُومِ الْمَعَارِفِ فِعْلاً وَاسْماً :

إذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ عِلْمِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

عُبَابٌ لَا تُكَدِّرُ الدِّلَاءُ ، وَسَحَابٌ تَتَقَاصَى عَنْهُ الْأَنْوَاءُ ، كَانَتْ دَعْوَتُهُ تَخْرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ ، وَتُفَرِّقُ بَرَكَاتُهُ فَتَمْلَأُ الْآفَاقَ . وَإِنِّي أَصِفُهُ وَهُوَ يَقِيناً فَوْقَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَنَاطِقٌ بِمَا كَتَبْتُهُ ، وَغَالِبُ ظَنِّي أَنِّي مَا أَنْصَفْتُهُ :

وَمَا عَلَيَّ إذَا مَا قُلْتُ مُعْتَقَدِي دَعْ الْجَهُولَ يَظُنُّ الْجَهْلَ عُدْوَاناً

وَاَللهَّ وَاَللهَّ وَاَللهَّ الْعَظِيمِ وَمَنْ أَقَامَهُ حُجَّةً للهَّ بُرْهَاناً

إنَّ الَّذِي قُلْتُ بَعْضٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ مَا زِدْتُ إلَّا لَعَلِّي زِدْتُ نُقْصَاناً

إلَى أَنْ قَالَ : وَمِنْ خَوَاصِّ كُتُبِهِ أَنَّه مَنْ وَاظَبَ عَلَى مُطَالَعَتِهَا انْشَرَحَ صَدْرُهُ لِفَكِّ الْمُعْضِلَاتِ ، وَحَلِّ الْمُشْكِلَاتِ ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الشَّيخ الْعَارِفُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ سِيَّمَا فِي كِتَابِهِ " تَنْبِيهُ الْأَغْبِيَاءِ، عَلَى قَطْرَةٍ مِنْ بَحْرِ عُلُومِ الْأَوْلِيَاءِ " ، فَعَلَيْك وَبِاَللهَّ التَّوْفِيقُ " . انظر : رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (٤/ ٢٣٨-٢٤٠) .

قُلْتُ : قامت الأيدي العابثة المتسلِّفة بشطب الفقرة السَّابقة التي ذكرها الإمام ابن عابدين في تبرئة الشَّيخ ابن عربي ممَّا دسَّه المجرمون الآثمون الظَّالمون في كتبه ، وذلك من نسخة : " حاشية ردّ المختار على الدُّر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة " ، ابن عابدين ، نشر : دار الفكر للطِّباعة والنَّشر ، بيروت ، (١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م) ، الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة . فإلى الله تعالى المشتكى ...

ثَامِنٌ وَعِشْرُوْن : افتروا كثيراً على الإمام الأكبر ابن عربي ...

قال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني : " ... وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي ، رضي الله تعالى عنه لعلوِّ مراقيها ، ولما فيها من الكلام المدسوس على الشَّيخ ، لا سيَّما " الفصوص " و " الفتوحات المكيَّة " ، فقد أخبرني الشَّيخ أبو طاهر ، عن شيخه ، عن الشَّيخ بدر الدِّين بن جماعة أنَّه كان يقول : جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين من الأمور المخالفة لكلام العلماء ، فهو مدسوسٌ عليه ، وكذلك كان يقول الشَّيخ مجد الدِّين صاحب القاموس في اللغة .

قُلْتُ – الشَّعراني – : وقد اختصرتُ الفتوحات المكيَّة ، وحذفتُ منها كلَّ ما يخالف ظاهر الشَّريعة ، فلمَّا أخبرت بأنَّهم دسُّوا في كتب الشَّيخ ما يوهم الحلول والاتحاد ، وَرَد عليَّ الشَّيخ شمس الدِّين المدني بنسخة

الفتوحات التي قابلها على خط الشَّيخ بقونية ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك الذي حذفته ، ففرحتُ بذلكَ غاية الفرح ، فالحمد لله على ذلك " . انظر : لطائف المنن ، الشعراني (ص٣٩٤) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني أيضاً : " وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشَّيخ أبو طاهر المزني الشَّاذلي رضي الله عنه أنَّ جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين ممَّا يُخالف ظاهر الشَّريعة مدسوسٌ عليه ، قال : لأنَّه رجل كامل بإجماع المحقِّقين ، والكامل لا يصحُّ في حقِّه شطحٌ عن ظاهر الكتاب والسُّنَّة ، لأنَّ الشَّارع أمنه على شريعته " . انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، عبد الوهَّاب الشعراني (ص٣) .

ولأنَّ العديد من العلماء عرفوا ما وقع في كتب الإمام الأكبر من الدَّسِّ ، لم يلتفتوا إلى ما يقوله بحقِّه المرجفون ، ولم يعبأوا بشنشنة المبطلين السَّاعين إلى تشويه صورة أئمَّة الحقّ والدِّين ، فأكَّدوا على ولاية قطب الدِّين ابن عربي الحاتمي ، وأنَّه من أولياء الله تعالى العارفين ، ومن العلماء العاملين .

وقد ذكر الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني في " اليواقيت والجواهر " أسماء ستة عشر إماماً من الأكابر الذين ذبُّوا ودافعوا عن الإمام الأكبر ابن عربي الحاتمي ، قال رحمه الله : " وأمَّا من أثنى على الشَّيخ من العلماء ومدح مؤلَّفاته ، فقد كان الشَّيخ مجد الدِّين الفيروزأبادي صاحب كتاب " القاموس في اللغة " يقول : لم يبلغنا عن أحد من القوم أنَّه بلغ في علم الشَّريعة والحقيقة ما بلغ الشَّيخ محيي الدِّين أبداً ، وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ، ويقول : لم تزل النَّاس منكبِّين على الاعتقاد في الشَّيخ وعلى كتابة مؤلَّفاته في حياته بحل الذَّهب في حياته وبعد وفاته ، إلى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدِّين ابن الخيَّاط فكتب مسائل وأرسلها إلى العلماء ببلاد الإسلام ، وقال : هذه عقائد الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي ، فيها عقائد زائغة ، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ، فكتب العلماء على ذلك بحسب ، وشنَّعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبُّت ، والشَّيخ عن ذلك كلِّه بمعزل .

قال الفيروزأبادي : فلا أدري أوَجَدَ ابن الخيَّاط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشَّيخ أو فهمها هو من كلام الشَّيخ محيي الدِّين على خلاف مراده ، قال : والذي أقوله وأتحقَّقه وأدين الله تعالى به : أنَّ الشَّيخ محيي الدِّين كان شيخ الطَّريقة حالاً وعلماً ، وإمام التَّحقيق حقيقة ورسماً ، ومحيي علوم العارفين فعلاً واسماً إذا تغلل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره ، لأنَّه بحرٌ لا تكدِّره الدِّلاء ، وسحابٌ لا يتقاصى عنه الأنواء ، كانت دعواته تخرق السَّبع الطِّباق ، وتغترف بركاته فتملأ الآفاق ، وهو يقيناً فوق ما وصفته وناطق بما كتبته ، وغالب ظنِّي أنَّني ما أنصفته :

وما عليَّ إذا ما قُلْتُ معتقـــــدي دع الجهول يظنُّ الجهل عدواناً
والله والله والله العظيـم ومن أقامـــــــــه حجَّة للدِّين برهاناً
إنَّ الذي قُلْتُ بعض من مناقبــــه ما زدت إلَّا لعلِّــــي زدت نقصاناً

قال : وأمَّا كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزَّواخر التي ما وضع الواضعون مثلها ، ومن خصائصها : ما واظب أحد على مطالعتها إلَّا وتصدَّر لحلِّ المشكلات في الدِّين ، ومعضلات مسائله ، وهذا الشَّأن لا يوجد في كتب غيره أبداً .

قال : وأمَّا قول بعض المنكرين : إنَّ كتب الشَّيخ لا تحلّ قراءتها ولا إقراؤها فكفر .

قال : وقد قدَّموا لي مرَّة سؤالاً صورته : ما تقول في الكتب المنسوبة إلى الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي كـ " الفصوص " و " الفتوحات " ، هل يحلُّ قراءتها وإقراؤها ؟ وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟ فأجبت : نعم هي من الكتب المسموعة المقروءة ، وقد قرأها عليه الحافظ البرزلي وغيره ، ورأيت إجازته بخطِّ الشَّيخ محيي الدِّين على حواشي " الفتوحات المكِّيَّة " بمدينة " قونية " وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدِّثين ، فمطالعة كتب الشَّيخ قُربةٌ إلى الله تعالى ، ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحقِّ ، فلقد كان الشَّيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصِّدِّيقيَّة الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به ، خلاف ما عليه جماعة ممَّن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده ، ووقعوا في عِرضه بهتاناً وزوراً ، وحاشا جنابه الكريم إن يخالف كلام نبيَّه الذي استأمنه على شرعه ، ومن أنكر عليه وقع في أخطر الأمور :

عليَّ نحت القوافي من معادنها وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ

انتهى كلام الشَّيخ مجد الدِّين رحمه الله تعالى .

وكان الشَّيخ سراج الدِّين المخزومي شيخ الإسلام بالشَّام يقول : إيَّاكم والإنكار على شيء من كلام الشَّيخ محيي الدِّين ، فإنَّ لحوم الأولياء مسمومة ، وهلاك أديان مبغضهم معلومة ، ومن أبغضهم تنصَّر ومات على ذلك ، ومن أطلق لسانه فيهم بالسبِّ ابتلاه الله بموت القلب ، وكان أبو عبدالله القرشي يقول : من غضَّ من وليِّ الله عزَّ وجلَّ ضرب في قلبه بسهم مسموم ، ولم يمت حتى تفسد عقيدته ، ويخاف عليه من سوء الخاتمة .

وكان أبو تُراب النَّخشبي يقول : إذا ألفَ القلبُ الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليائه ، قال الشَّيخ مجد الدِّين الفيروزأبادي : وقد رأيت إجازة بخطِّ الشَّيخ كتبها للملك الظَّاهر بيبرس صاحب حلب ،

ورأيت في آخرها : وأجزت له أيضاً أن يروي عنِّي جميع مؤلَّفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتىٰ عدَّ نيِّفاً وأربعمائة مؤلَّف ، منها : تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلَّداً ، وصل فيه إلىٰ قوله تعالىٰ :ﭐﺑﻲ ﺗﺮ **ﺗﺰ ﺗﻢ ﺗﻦ ﺗﻰ** تي **ثر ثز ثم ثن ثى**ّ[الكهف: ٦٥] ، فاصطفاه الله لحضرته ، ومنها : تفسيره الصَّغير في ثمانية أسفار علىٰ طريقة المحقِّقين من المفسِّرين ، ومنها : كتاب : " الرِّياض الفردوسيَّة في بيان الأحاديث القدسيَّة " ، فهل يحلُّ لمسلم أن يقول : لا يجوز مطالعة كتب الشَّيخ محيي الدِّين مطلقاً ؟!!! ما ذاك إلَّا كفر وتعصُّب وعناد .

وممَّن أثنىٰ عليه أيضاً : الشَّيخ كمال الدِّين الزَّملكاني : وكان من أجلِّ علماء الشَّام ، وكذلك الشَّيخ قطب الدِّين الحموي ، وقيل له لمَّا رجع من الشَّام إلىٰ بلاده : كيف وجدت الشَّيخ محيي الدِّين ؟!! فقال : وجدته في العلم والزُّهد والمعارف بحراً زاخراً لا ساحل له ، قال : وقد أنشدني الشَّيخ بلفظه من جملة أبيات :

تركنا البحار الزَّاخرات وراءنا فمن أين يدري النَّاس أين توجّهنا

وممَّن أثنىٰ عليه : الشَّيخ صلاح الدِّين الصَّفدي في تاريخ علماء مصر ، وقال : من أراد أن ينظر إلىٰ كلام أهل العلوم اللدنيَّة فلينظر في كتب الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي رحمه الله .

وسُئِلَ الحافظ أبو عبدالله الذَّهبي عن قول الشَّيخ محيي الدِّين في كتابه " الفصوص " أنَّه ما صنعه إلَّا بإذن من الحضرة النَّبويَّة ، فقال الحافظ : ما أظنُّ أنَّ مثل هذا الشَّيخ محيي الدِّين يكذب أصلاً ، مع أنَّ الحافظ الذَّهبي كان من أشدِّ المنكرين علىٰ الشَّيخ وعلىٰ طائفته الصُّوفيَّة هو وابن تيمية !!!

وممَّن أثنىٰ عليه أيضاً : الشَّيخ قطب الدِّين الشِّيرازي ، وكان يقول : أنَّ الشَّيخ محيي الدِّين كان كاملاً في العلوم الشَّرعيَّة والحقيقيَّة ، ولا يقدح فيه إلَّا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به ، كما لا يقدح في كمال الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام نسبتهم إلىٰ الجنون والسِّحر علىٰ لسان من لم يؤمن بهم ، وكان الشَّيخ مؤيَّد الدِّين الخجندي يقول : ما سمعنا بأحد من أهل الطَّريق اطَّلع علىٰ ما أطلع عليه الشَّيخ محيي الدِّين ، وكذلك كان يقول الشَّيخ شهاب الدِّين السَّهروردي ، والشَّيخ كمال الدِّين الكاشي ، وقال فيه : أنَّه الكامل المحقِّق صاحب الكمالات والكرامات ، مع أنَّ هؤلاء الأشياخ كانوا من أشدِّ النَّاس إنكاراً علىٰ من يخالف ظاهر الشَّريعة .

وممَّن أثنىٰ عليه أيضاً : الشَّيخ فخر الدِّين الرَّازي ، وقال : كان الشَّيخ محيي الدِّين وليّاً عظيماً ، وسُئِلَ الإمام محيي الدِّين النَّووي عن الشَّيخ محيي الدِّين العربي ، قال : تلك أمَّة قد خلت ، ولكن الذي عندنا أنَّه

يحرم على كلِّ عاقل أن يسيء الظَّنَّ بأحد من أولياء الله عزَّ وجلَّ ، ويجب عليه أن يؤوِّل أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلَّا قليل التَّوفيق .

قال في " شرح المهذَّب " : ثُمَّ إذا أوَّل فليؤوِّل كلامهم إلى سبعين وجهاً ، ولا نقبل عنه تأويلاً واحداً ، ما ذاك إلَّا تعنُّت ، انتهى .

وممَّن أثنى عليه أيضاً : الإمام ابن أسعد اليافعي وصرَّح بولايته العظمى ، كما نقل ذلك عن شيخ الإسلام زكريَّا في شرحه للرَّوض ، وكان اليافعي يُجيز رواية كتب الشَّيخ محيي الدِّين ، ويقول : إنَّ حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطَّريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها ، قال : ومن عادى أولياء الله فكأنَّما عادى الله ، وإن كان لم يبلغ حدَّ التَّكفير الموجب للخلود في النَّار ، انتهى .

وممَّن أثنى عليه أيضاً : مشايخنا محمَّد المغربي الشَّاذلي شيخ الجلال السُّيوطي وترجمه بأنَّه مربِّي العارفين ، كما أنَّ الجُنيد مربِّي المريدين ، وقال : أنَّ الشَّيخ محيي الدِّين روح التَّنزُّلات والإمداد ، وألف الوجود وعين الشُّهود ، وهاء المشهود النَّاهج منهاج النَّبي العربي قدَّس الله سرَّه وأعلى في الوجود ذكره ، انتهى .

قُلْتُ : وقد صنَّف الشَّيخ سراج الدِّين المخزومي كتاباً في الرَّدِّ عن الشَّيخ محيي الدِّين ، وقال : كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه في " الفتوحات " وغيرها ، وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم ، وتلقّوها بالقبول ، قال : وقد شرح كتابه " الفصوص " جماعة من الأعلام الشَّافعيَّة وغيرهم منهم الشَّيخ بدر الدِّين بن جماعة ، وشاعت كتبه في الأمصار ، وقرئت متناً وشرحاً في غالب البلاد ، وروِّيناها بالقراءة الظَّاهرة في الجامع الأموي وغيره بالإسناد ، وتغالى النَّاس قديماً وحديثاً في شرائها ونسخها ، وتبرَّكوا بها وبمؤلِّفها لما كان عليه من الزُّهد والعلم ومحاسن الأخلاق ، وكان أئمَّة عصره من علماء الشَّام ومكَّة كلّهم يعتقدونه ، ويأخذون عنه ، ويعدُّون أنفسهم في بحر علمه كلا شيء ، وهل ينكر على الشَّيخ إلَّا جاهل أو معاند .

قال الفيروزآبادي بعد أن ذكر مناقب الشَّيخ محيي الدِّين : ثُمَّ إنَّ الشَّيخ محيي الدِّين كان مسكنه الشَّام ، وقد أخرج هذه العلوم بالشَّام ولم ينكر عليه أحد من علمائها ، قال : وقد كان قاضي القضاة الشَّيخ شمس الدِّين الخونجي الشَّافعي يخدمه خدمة العبيد ، وأمَّا قاضي القضاة المالكي فهبَّت عليه نظرة من الشَّيخ فزوَّجه ابنته ، وترك القضاء ، وتبع طريقة الشَّيخ ، وأطال الفيروزآبادي في ذكر مناقب الشَّيخ ثُمَّ قال :

وبالجملة فما أنكر على الشَّيخ إلَّا بعض الفقهاء القح الذين لاحظَّ لهم في شرب المحقِّقين ، وأمَّا جمهور العلماء والصُّوفيَّة فقد أقرُّوا بأنَّه إمام أهل التَّحقيق والتَّوحيـــد ، وأنَّه في العلوم الظَّاهرة فريد وحيد .

وكان الشَّيخ عز الدِّين بن عبدالسَّلام يقول : ما وقع إنكار من بعضهم على الشَّيخ إلَّا رفقاً بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفاً أن يفهموا من كلام الشَّيخ أمراً لا يوافق الشَّرع فيضلُّوا ، ولو أنَّهم صحبوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم ، وأمنوا من مخالفة الشَّريعة ، قال شيخ الإسلام المخزومي : وقد كان الشَّيخ محيي الدِّين بالشَّام وجميع علمائها تتردَّد إليه ، ويعترفون بجلالة المقدار ، وأنَّه أستاذ المحقِّقين من غير إنكار ، وقد أقام بين أظهرهم نحواً من ثلاثين سنة يكتبون مؤلَّفات الشَّيخ ويتداولونها بينهم ، انتهى .

وقال الفيرزآبادي : قد كان الشَّيخ محيي الدِّين بحراً لا ساحل له ، ولمَّا جاور بمكَّة شرَّفها الله تعالى ، كان البلد إذ ذاك مجمع العلماء والمحدِّثين ، وكان الشَّيخ هو المشار إليه بينهم في كلِّ علم تكلَّموا فيه ، وكانوا كلّهم يتسارعون إلى مجلسه ، ويتبرَّكون بالحضور بين يديه ، ويقرؤون عليه تصانيفه ، قال : ومصنَّفاته بخزائن مكَّة إلى الآن أصدق شاهد على ما قلناه ، وكان أكثر اشتغاله بمكَّة بسماع الحديث وإسماعه ، وصنَّف فيها " الفتوحات المكيَّة " كتبها عن ظهر قلب جواباً لسُّؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ، ولمَّا فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظَّمة ، فأقامت فيه سنة ثُمَّ أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ، ولا لعبت بها الرِّياح ، مع كثرة أمطار مكَّة ورياحها ، وما أذن للنَّاس في كتابتها وقراءتها إلَّا بعد ذلك .

قال : وأمَّا ما أشاعه بعض المنكرين عن الشَّيخ عز الدِّين بن عبدالسَّلام وعن شيخنا الشَّيخ سراج الدِّين البلقيني أنَّهما أمرا بإحراق كتب الشَّيخ محيي الدِّين فكذبٌ وزور ، ولو أنَّها أُحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشَّام نسخة ، ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشَّيخين ، وحاشاهما من ذلك ، ولو أنَّ ذلك وقع لم يخف لأنَّه من الأمور العظام التي تسير بها الرُّكبان في الآفاق ، ولتعرَّض لها أصحاب التَّواريخ .

وقال الشَّيخ سراج الدِّين المخزومي : كان شيخنا شيخ الإسلام سراج الدِّين البلقيني وكذلك الشَّيخ تقي الدِّين السُّبكي ينكران على الشَّيخ في بداية أمرهما ثُمَّ رجعا عن ذلك حين تحقَّقا كلامه وتأويل مراده ، وندما على تفريطهما في حقِّه في البداية ، وسلَّما له الحال فيما أشكل عليهما عند النِّهاية .

فمن جملة ما ترجمه به الإمام السُّبكي : كان الشَّيخ محيي الدِّين آية من آيات الله تعالى ، وإنَّ الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه ، وقال : لا أعرف إلَّا إيَّاه .

ومن جملة ما قاله الشَّيخ سراج الدِّين البلقيني فيه حين سئل عنه : إيَّاكم والإنكار على شيء من كلام الشَّيخ محيي الدِّين ، فإنَّه رحمه الله لَمَّا خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في " الفصوص " و " الفتوحات " و " التَّنزلات الموصليَّة " وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الإشارات ، ثُمَّ أنَّه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلَّطوه في ذلك بل كفَّروه بتلك العبارات ، ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ، ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه ، وذلك أنَّ كلام الشَّيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط وإشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهَّال مجهولة ، ولو أنَّهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها وعرفوا نتائجها ومقدِّماتها لنالوا الثَّمرات المرادة ، ولم يباين اعتقادهم اعتقاده ، قال : ولقد كذب والله وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتِّحاد ، ولم أزل أتتبَّع كلامه في العقائد وغيرها ، وأُكثر من النَّظر في أسرار كلامه وروابطه حتى تحقَّقت بمعرفة ما هو عليه من الحقِّ ، ووافقت الجمَّ الغفير المعتقدين له من الخلق ، وحمدت الله عزَّ وجلَّ إذ لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه ، الجاحدين لكراماته وأحواله ، انتهى كلام الشَّيخ سراج الدِّين البلقيني .

قال تلميذه شيخ الإسلام المخزومي رحمه الله تعالى : ولَمَّا وردت القاهرة عام توفِّي شيخنا سراج الدِّين البلقيني وذلك في عام أربع وثمانمائة ، ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشَّام في حقِّ الشَّيخ محيي الدِّين من أنَّه يقول بالحلول والاتِّحاد ، فقال الشَّيخ : معاذ الله وحاشاه من ذلك ، إنَّما هو من أعظم الأئمَّة ، وممَّن سبح في بحار علوم الكتاب والسُّنَّة ، وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم ، وقدَم صدقٍ عنده .

قال المخزومي : فقوي بذلك نفسي ، وكثر اعتقادي في الشَّيخ من تلك السَّاعة ، وعلمت أنَّه من رءوس أهل السُّنَّة والجماعة ، قال المخزومي : ولقد بلغنا أنَّ الشَّيخ تقي الدِّين السُّبكي تكلَّم في شرحه لـ : المنهاج " في حقِّ الشَّيخ محيي الدِّين بكلمة ثُمَّ استغفر بعد ذلك وضرب عليها ، فمن وجدها في بعض النُّسخ فليضرب عليها ، كما هو في نسخة المؤلِّف ، قال : مع أنَّ السُّبكي قد صنَّف كتاباً في الردِّ على المجسِّمة والرَّافضة ، وكتب الأجوبة العلميَّة في الردِّ على ابن تيمية ، ولم يصنِّف قط شيئاً في الرَّدِّ على الشَّيخ محيي الدِّين مع شهرة كلامه بالشَّام وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره ، بل كان يقول : ليس الرَّدّ على الصُّوفيَّة مذهبي لعلو مراتبِهم ، وكذلك كان يقول الشَّيخ تاج الدِّين الفركاح ، وأطال المخزومي في الثَّناء على

الشَّيخ محيي الدِّين ، ثُمَّ قال : فمن نقل عن الشَّيخ تقي الدِّين السُّبكي أو عن الشَّيخ سراج الدِّين البلقيني إنَّهما بقيَا علىٰ إنكارهما عل الشَّيخ محيي الدِّين إلىٰ أن ماتا فهو مخطئ ، انتهىٰ .

قال : ولَمَّا بلغ شيخنا السِّراج البلقيني أنَّ الشَّيخ بدر الدِّين السُّبكي شيخ الإسلام بالشَّام ردَّ علىٰ الشَّيخ في موضعين من كتاب " الفصوص " أرسل له كتاباً من جملته : يا قاضي القضاة الحذر ثُمَّ الحذر من الإنكار علىٰ أولياء الله ، وإن كنت ولا بدَّ راداً فردّ كلام من ردَّ علىٰ الشَّيخ وإلَّا فدع ، وسئل العماد ابن كثير رحمه الله عمَّن يخطِّئ الشَّيخ محيي الدِّين ، فقال : أخشىٰ أن يكون من يخطِّئه هو المخطئ ، وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك ، وكذلك سئل الشَّيخ بدر الدِّين بن جماعة عن الشَّيخ محيي الدِّين ، فقال : ما لكم ولرجل قد أجمع النَّاس علىٰ جلالته ، انتهىٰ .

قال شيخ الإسلام المخزومي : وأمَّا ما نقله بعضهم عن الشَّيخ عز الدِّين بن عبدالسَّلام أنَّه كان يقول : ابن عربي زنديق فكذب وزور ، فقد روِّينا عن الشَّيخ صلاح الدِّين القلانسي صاحب الفوائد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشَّيخ عز الدِّين بن عبدالسَّلام ، قال : كنَّا في درس الشَّيخ عز الدِّين في باب الرِّدَّة ، فذكر القارئ لفظة الزِّنديق ، فقال بعضهم : هذه اللفظة عربيَّة أو عجميَّة ؟ فقال بعض العلماء : فارسيَّة معرَّبة أصلها زن دين ، وهو الذي يُضمر الكُفر ويُظهر الإيمان ، فقال شخص من الطَّلبة : مثل من ؟ فقال شخص بجانب الشَّيخ عز الدِّين بن عبدالسَّلام : مثل محيي الدِّين بن العربي ، ولم ينطق الشَّيخ عز الدِّين بشيء ، قال الخادم : فلمَّا قدَّمت له عشاءه وكان صائماً سألته عن القطب من هو ؟ فقال : لا أرىٰ القطب في زماننا هذا إلَّا الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي ، وهو متبسِّم فأطرقت مليّاً متحيِّراً ، فقال : ما لك ، ذلك مجلس الفقهاء ما وسعني فيه غير السُّكوت ، قال المخزومي : فهذا هو الذي روِّيناه عن الشَّيخ عز الدِّين بالسَّند الصَّحيح ، انتهىٰ . ذكر ذلك كلّه الشَّيخ المخزومي في كتابه المسمَّىٰ بـ " كشف الغطاء عن أسرار كلام الشَّيخ محيي الدِّين " .

قُلْتُ : وقد صنَّف شيخنا الجلال السُّيوطي كتاباً في الرَّدِّ عن الشَّيخ محيي الدِّين سمَّاه : " تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي " ، وكتاباً آخر سمَّاه : " قمع المعارض في نصرة ابن الفارض " لَمَّا وقعت فتنة الشَّيخ برهان الدِّين البقاعي بمصر ، فراجعهما " . انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، عبد الوهاب الشعراني(١/ ٧-١١) .

وأمَّا عمَّا زعمه وافتراه ابن تيمية علىٰ الإمام الأكبر من أنَّه ينتقص الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، فيكفي في ردِّه أن يقول الإمام الأكبر : " فواجب علىٰ المذكر إقامة حرمة الأنبياء عليهم السَّلام ، والحياء من

الله أن لا يقلَّد اليهود فيما قالوا في حقّ الأنبياء ، عليهم الصَّلاة والسَّلام من المثالب ، ونقلة المفسِّرين خذلهم الله " .

ويقول أيضاً : " إنَّ شرط أهل الطَّريق في ما يخبرون عنه من المقامات والأحوال أن يكون عن ذوق ، ولا ذوق لنا ولا لغيرنا ولا لمن ليس بنبيٍّ صاحب شريعة في نبوَّة التَّشريع ولا في الرِّسالة ، فكيف نتكلَّم في مقام لم نصل إليه أو على حال لم نذقه لا أنا ولا غيري ممَّن ليس بنبيٍّ ذي شريعة من الله ، ولا رسول ؟ حرام علينا الكلام فيه ... حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين ، فسأل بعضهم بعضاً : من أي مقام سأل موسى الرُّؤية ؟ فقال الآخر : من مقام الشَّوق .

فقُلْتُ له : لا تفعل ، أصل الطَّريق : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، فلا ذوق للوليِّ في حال من أحوال أنبياء الشَّرائع ، ومن أصولنا : أنا لا نتكلَّم إلا عن ذوق ، ونحن لسنا برسل ولا أنبياء شريعة ، فبأي شيء نعرف من أيِّ مقامٍ سأل موسى الرؤية " . انظر : الفتوحات المكية (٢/ ٥١) .

وعليه ، فإنَّ افتراءات المتسلِّفة على الإمام الأكبر ابن عربي وغيره من علماء الأُمَّة ما هو إلَّا خيوط سراب وطنين ذباب ، ومحض كذب وافتراء اعتادوا عليه ، ونقلوه فيما بينهم جيلاً بعد جيل ، مع العلم أنَّه لم يسلم من ألسنتهم عالم من علماء الأُمَّة الذين لم يسيروا على منهجهم ، خاصَّة بعد أن حكموا بكفر من سواهم ...

يُضاف لما سبق أنَّ أغلب العلماء الذين عاصروا الإمام الأكبر ابن عربي قد اعتدُّوا به ، ونقلوا كلامه من غير اعتراض ...

قال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وقد اعتدَّ بالمحيي بن عربي أهلُ عصره " . انظر : لسان الميزان (٥/ ٣١٢) .

قُلْتُ : ومن العلماء الذين عاصروا الإمام الأكبر ابن عربي الحاتمي ولم يُخالفوه أو يعترضوا عليه : ابن رشد (٥٩٥هـ) ، فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) ، صدر الدِّين القونوي (٦٧٣هـ) ، العز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، شهاب الدِّين السَّهروردي (٥٨٦هـ) ، أبو الحسن الشَّاذلي (٦٥٦هـ) ، جلال الدِّين الرُّومي (٦٧٢هـ) ، وغيرهم كثير ...

وفي المُقابل فإنَّ أغلب العلماء الذين عاصروا ابن تيمية المتجنِّي على الإمام ابن عربي الحاتمي ... ردُّوا عليه وشنَّعوا وأغلظوا في ردودهم عليه ، وكذا فعل من جاء بعدهم ...

وكان من أبرزهم : صالح بن عبد الله البطائحي شيخ المنيبيع الرفاعي (٧٠٧هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السّروجي الحنفي (٧١٠هـ) ، عَليّ بن محمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن خطاب الشَّيخ الإِمَام عَلَاء الدِّين الْبَاجِيّ (٧١٤هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحيم بن محمَّد الشَّيخ صفي الدِّين الهندي الأرموي (٧١٥هـ) ، محمَّد بن عمر بن مكي، المعروف بابن المرحّل (٧١٦هـ) ، زين الدِّين عَلِيّ بْن مخلوف المالكي (٧١٨هـ) ، محمَّد بن علي بن علي المازني الدّهان الدِّمشقي (٧٢١هـ) ، نُورُ الدِّين أَبُو الْحَسَنِ علىٰ بن يَعْقُوب بن جِبْرِيل بن عبد المحسن ابْن يحيىٰ بن الْحسن بن مُوسَىٰ بن يحي بن يعقوب بن نجم الدِّين بن عيسىٰ أبي الروح الْبَكْرِيُّ الْمِصْرِيُّ الشَّافعي (٧٢٤هـ) ، محمَّد بنُ محمَّد بنِ عثمانَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ حسنٍ القرشيُّ المِصريُّ فخرُ الدِّين بنُ مُحيي الدِّين المعروفُ بابنِ المُعلمِ (٧٢٥هـ) ، كمال الدِّين أبو المعالي محمَّد بن علي الأنصاري السّماكي نسبه إلىٰ أبي دجانة الأنصاري سماك بن حرب بن حرشة الأوسي (٧٢٧هـ) ، محمَّد بن الحريري الأنصاري الحنفي (٧٢٨هـ) ، بدر الدِّين بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحمْوي (٧٣٣هـ) ، أَحْمد بن يحيىٰ بن إِسْمَاعِيل الشَّيخ شهَاب الدِّين ابْن جهبل الْكلابِي الْحلَبِي (٧٣٣هـ) ، أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي (٧٣٨هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدِّين القزويني الشَّافعي (٧٣٩هـ) ، محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان، أثير الدِّين، أبو حيَّان، الغرناطي الأندلسي الجياني النّفزي (٧٤٥هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن عثمان ابن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، الشَّيخ الإمام العلامة شمس الدِّين أبو عبد الله الكناني المصري الشَّافعي، المعروف بابن عدلان (٧٤٩هـ) ، أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسىٰ بن تمام بن حامد بن يحيىٰ بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار ابن سليم السُّبكي، الخزرجي، الأنصاري (٧٥٦هـ) ، أبو سعيد العلائي، صلاح الدِّين، خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦١هـ) ، عفيف الدِّين أبي السّعادات، أبو محمَّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني الشَّافعي (٧٦٨هـ) ، أبو نصر تاج الدِّين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٧١هـ) ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) ، عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي (٧٣٤هـ) ، تقي الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عيسىٰ بن بدران السَّعدي المصري الأخنائي (٧٥٠هـ) ، أحمد بن عثمان التركماني الجوزجاني الحنفي (٧٤٤هـ) ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن الحسن بن محمَّد بن أبي البركات مسعود السّلامي البغدادي الدِّمشقي الحنبلي أبو الفرج الشَّهير

بابن رجب (٧٩٥هـ) ، أبو زرعة أحمد بن الحافظ الكبير أبي الفضل عبد الرَّحيم العراقي بن الحسين المعروف بابن العراقي (٨٢٦هـ) ، أبو بكر بن محمَّد بن عبد المؤمن بن حريز ابن معلًّى بن موسىٰ ابن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي بن ناشب بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن موسىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن علي بن محمَّد بن علي المنتخب بن جعفر الزَّكي بن علي الهادي بن محمَّد الجواد بن علي الرِّضا بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصَّادق ابن محمَّد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثُمَّ الدِّمشقي (٨٢٩هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن عرفة الورغمي (٨٠٣هـ) ، علاء الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد البخاري الحنفي (٨٤١هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدِّمشقي (٨٥١هـ) ، شهاب الدِّين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني ثُمَّ المصري الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، محمَّد بن أحمد حميد الدِّين الفرغاني الدِّمشقي الحنفي (٨٦٧هـ) ، أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي المعروف بـزرّوق (٨٩٩هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري الشَّافعي (٩٧٣هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد شهاب الدِّين بن محمَّد بن علوان، الشَّهير بالزُّرقاني المصري الأزهري المالكي (١١٢٢هـ) ، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النَّابلسي الدِّمشقي الحنفي (١١٤٣هـ) ، محمَّد مهدي بن السيِّد علي الصيَّادي الرِّفاعي الحسيني الحسني الشَّهير بالروَّاس (١٢٨٧هـ) ، محمَّد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيَّادي الرِّفاعي الحسيني (١٣٢٨هـ) ، مصطفىٰ بن أحمد بن حسن الشطِّي الحنبلي (١٣٤٨هـ) ، محمود محمَّد خطَّاب السُّبكي (١٣٥٢هـ) ، محمَّد الخَضِر بن سيِّد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) ، محمَّد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) ، محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، أحمد بن الصدِّيق الغُماري المغربي (١٣٨٠هـ) ، عبد الله الغُماري المغربي (١٣١٤هـ) ، سلامة هندي العزّامي الشَّافعي (١٣٧٦هـ) ، محمَّد يوسف بن محمَّد زكريَّا البنّوري الحسني (١٣٩٧هـ) ، منصور محمَّد محمَّد عويس (١٣٨٢هـ) ، محمَّد العربي التباني السطايفي الجزائري (١٣٩٠هـ) ، إبراهيم بن عثمان بن محمَّد بن أبي داود بن داود السمنودي المنصوري العطَّار الخلوتي (من علماء القرن الرابع عشر) ...

ولو قمنا باستقصاء أسماء من ردُّوا علىٰ ابن تيمية لطال بنا المُقام ...

وهذه باقة يسيرة بأسماء بعض المؤلَّفات التي أَلَّفها أصحابها في الرَّدِّ علىٰ ابن تيمية ، ومن وافقه فيما ذهب إليه من عقائد مُخالفة لما قامت عليه الأمَّة من تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة الحوادث ، وكذا للعديد من الفرعيَّات التي خالفوا بها جمهور الأمَّة ...

١ ." ابن تيمية ليس سلفيّاً " ، منصور محمَّد محمّد عويس .

٢ ." إتقان الصَّنعة في تحقيق معنىٰ البدعة " ، السيِّد العلَّامة عبد الله بن الصدِّيق الغُماري الحسيني

٣ . " إحياء المقبور من أدلَّة جواز بناء المساجد والقباب علىٰ القبور " ، السيِّد العلَّامة أحمد بن الصدِّيق الغُماري .

٤ . " أخطاء ابن تيمية في حقِّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، السيِّد محمود السيِّد صبيح .

٥. " آراء أهل السُّنَّة في ابن تيمية " ، الأستاذ حسن بن علي السقاف العلوي الهاشمي .

٦ . " إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي " ، الإمام المحدِّث السيِّد عبد الله بن محمَّد بن الصدِّيق الغماري الحسني .

٧ . " الإشفاق علىٰ أحكام الطَّلاق " ، وكيل المشيخة الإسلاميَّة في دار الخلافة العثمانيَّة الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

٨ . " إظهار الحق بوجوب الدِّفاع عن سيِّد الخلق " ، أبي الفضل أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام الفلسطيني المالكي الأشعري .

٩ . " الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار " ، تقي الدِّين علي بن عبد الوهَّاب السُّبكي .

١٠ . " الإعلام باستحباب شدّ الرِّحال لزيارة قبر خير الأنام " ، الشَّيخ المحدِّث محمود سعيد ممدوح .

١١ . " إعلام الرَّاكع السَّاجد بمعنىٰ اتخاذ القبور مساجد " ، الإمام الحافظ الحجَّة أبو الفضل عبد الله بن محمَّد الصدِّيق الغُماري .

١٢ . " الإغاثة بأدلَّة الاستغاثة " ، الأستاذ حسن بن علي السقَّاف .

١٣ . " البحوث الوفيَّة في مفردات ابن تيمية " ، وكيل المشيخة الإسلاميَّة في دار الخلافة العثمانيَّة الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

١٤ . " براءة الأشعريين من عقائد المخالفين " ، محمَّد العربي التبّان .

١٥ . " البراهين السَّاطعة في ردّ بعض البدع الشَّائعة " ، الشَّيخ سلامة العزامي الشَّافعي .

١٦ . " البشارة والإتحاف بما بين ابن تيمية والألباني في العقيدة من الاختلاف " ، الأستاذ حسن بن علي السقَّاف .

١٧ . " البصائر لمنكري التَّوسُّل بأهل المقابر " ، حمد الله الداجوي .

١٨ . " بعض أفكار ابن تيمية في العقيدة " ، الدكتور محمَّد سالم أبو عاصي .

١٩ . " بيان زغل العلم والطَّلب " ، الحافظ الذَّهبي .

٢٠ . " البيان النَّبوي عن فضل الاحتفال بمولد النَّبي " ، الدكتور محمود الزِّين .

٢١ . " التُّحفة المختارة في الرَّدِّ على منكر الزِّيارة " ، الشَّيخ عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي .

٢٢ . " تحقيق الآمال فيما ينفع الميِّت من الأعمال " ، محمَّد بن السيِّد علوي المالكي الحسني .

٢٣ . " التَّحقيق في مسألة التَّعليق " ، تقي الدِّين علي بن عبد الوهَّاب السُّبكي .

٢٤ . " تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد " ، مفتي الديار المصرية الشَّيخ محمَّد بخيت المطيعي .

٢٥ . " التَّعقُّب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث " ، وكيل المشيخة الإسلاميَّة في دار الخلافة العثمانيَّة الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

٢٦ . " التَّنديد بمَن عدَّد التَّوحيد " ، الأستاذ حسن بن علي السقَّاف العلوي الهاشمي .

٢٧ . " التَّوفيق الربَّاني في الرَّدِّ على ابن تيمية الحرَّاني " ، جماعة من العلماء .

٢٨ . " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " ، الشَّيخ نعمان بن محمود الآلوسي البغدادي .

٢٩ . " الجوهر المنظَّم في زيارة القبر المعظم " ، الشَّيخ ابن حجر الهيتمي .

٣٠ . " الدرَّة المضيّة في الردِّ على ابن تيمية " ، الإمام المجتهد تقي الدِّين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السُّبكي الأنصاري الشَّافعي .

٣١ . " دفع شُبَه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد " ، أبو بكر الحصني الدِّمشقي .

٣٢ . " الدِّين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق " الأستاذ محمود خطَّاب السُّبكي .

٣٣ . " الرَّد المحكم المتين " ، المحدِّث العلَّامة السيِّد عبد الله الغُماريّ .

٣٤ . " الرَّد على ابن تيمية في الاعتقادات " ، الشَّيخ محمَّد بن أحمد حميد الدِّين الفرغاني الدِّمشقي الحنفي .

٣٥ . " الرَّدّ على ابن تيمية في التَّجسيم والاستواء " ، الكلابي .

٣٦ . " الرَّدّ علىٰ ابن تيمية في مسألة الطَّلاق " ، عيسىٰ بن مسعود المنكلاني المالكي .

٣٧ . " ردّ علىٰ الشَّيخ ابن تيمية " ، نجم الدِّين بن أبي الدُّر البغدادي .

٣٨ . " رسالة في الردّ علىٰ ابن تيمية " ، الإمام لأخميمي الشافعي، المعروف بـ(المصري) .

٣٩ . " رسالة في الرَّد علىٰ ابن تيمية " ، الفقيه أبو القاسم أحمد بن محمَّد بن محمَّد الشِّيرازي .

٤٠ . " رسالة في مسألة الزِّيارة " ، محمَّد بن علي المازني .

٤١ . " رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار " ، العلَّامة محمَّد بن إسماعيل الصَّنعاني .

٤٢ . " رفع الشّقاق عن مسألة الطَّلاق " ، تقي الدِّين علي بن عبد الوهَّاب السُّبكي .

٤٣ . " رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزِّيارة " ، الشَّيخ المحدِّث محمود سعيد ممدوح .

٤٤ . " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ عَلَىٰ ابنِ زَفِيل " ، الإمام المجتهد تقي الدِّين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السُّبكي الأنصاري الشَّافعي .

٤٥ . " شدُّ الرَّحل لزيارة القبر الشَّريف بين المجيزين والمانعين " ، الشَّيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي .

٤٦ . " شفاء السَّقام في زيارة خير الأنام " ، تقي الدِّين علي السُّبكي .

٤٧ . " شمس الحقيقة والهداية علىٰ أهل الضَّلالة والغواية " ، أحمد علي بدر .

٤٨ . " الفتاوىٰ الحديثيَّة " ، الشَّيخ ابن حجر الهيتمي .

٤٩ . " الفتاوىٰ السَّهميَّة في ابن تيمية " ، أجاب عنها جماعة من العلماء هم : الإمام المحقِّق المدقِّق شيخ الإسلام تقي الدِّين الحصني الشَّافعي الدِّمشقي ، وقاضي القضاة الإمام العلَّامة نجم الدِّين أبو الفتوح عمر بن حجي ، وقاضي القضاة الإمام العالم برهان الدِّين ابن خطيب عذراء .

٥٠ . " فتح المعين بنقد كتاب الأربعين " ، الإمام المحدِّث عبد الله بن الصدِّيق الغُماري .

٥١ . " الفرق العظيم بين التَّنزيه والتَّجسيم " ، الدكتور سعيد بن عبد اللطيف فودة .

٥٢ . " فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان " ، سلامة القضاعي العزامي .

٥٣ . " الكاشف الصَّغير عن عقائد ابن تيمية " ، الدكتور سعيد بن عبد اللطيف فودة .

٥٤ . " لزوم الطَّلاق الثَّلاث دفعه بما لا يستطيع العالم دفعه " ، مفتي المدينة المنوَّرة الشَّيخ المحدِّث محمَّد الخضر الشَّنقيطي .

٥٥ . " المبرد المبكي في ردِّ الصَّارم المنكي " ، المحدث محمَّد بن علي بن علان الصدِّيقي المكِّي

٥٦ . " محقُ التقوُّل في مسألة التَّوسُّل " ، وكيل المشيخة الإسلاميَّة في دار الخلافة العثمانيَّة الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

٥٧ . " المشبِّهة والمجسِّمة " ، العلَّامة الشَّيخ عبد الرَّحمن خليفة .

٥٨ . " مقالات الكوثري " ، وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانيَّة الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

٥٩ . مقدِّمات الكوثري " ، وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري .

٦٠ . " المقالات السَّنيَّة في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية " ، عبد الله الهرري .

٦١ . " المقالة المرضيَّة في الرَّدّ على ابن تيمية " ، الأخنائي .

٦٢ . " موقف السَّلف من المتشابهات " ، الدكتور محمَّد عبد الفضيل القوصي .

٦٣ . " نجم المهتدي برجم المعتدي " ، ابن المعلّم القرشي .

٦٤ . " نحت حديد الباطل وبرده بأدلَّة الحقّ الذابَّة عن صاحب البردة " ، الشَّيخ العلامة داود بن سليمان .

٦٥ . " نصرة الإمام السُّبكي برد الصَّارم المنكي " ، إبراهيم بن عثمان السّمنودي المصري .

٦٦ . " النَّصيحة الذَّهبيَّة " ، الحافظ الذَّهبي .

٦٧ . " النَّظر المحقَّق في الحلف بالطَّلاق المعلَّق " ، تقي الدِّين علي بن عبد الوهَّاب السُّبكي .

٦٨ . " نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطَّلاق " ، تقي الدِّين علي بن عبد الوهَّاب السُّبكي .

٦٩ . " نقد تقسيم التَّوحيد إلى ألوهيَّة وربوبيَّة " ، الإمام جمال الدِّين يوسف بن أحمد الدِّجوي المالكي الأزهري ....

وللعبد الفقير مؤلِّف هذا السِّفر العديد من المؤلَّفات في الرَّدِّ على المتسلِّفة ، منها :

٧٠ . الإفصاح عن معنى السُّنَّة والبدعة في اللغة والاصطلاح ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧١. إرشاد الفحـول إلى ما قاله أسـاطين العلم في تنزيه الله عن الحركة والنُّزول ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧٢ . تكفير الوهَّابيَّة لعموم الأمَّة الإسلاميَّة ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧٣. إتحافُ العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧٤ . مشروعيَّة الاحتفال بميلاد خير البريَّة والرَّد على الوهَّابيَّة ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧٥. إِعْلَامُ العَبْدِ الأَوَّاه بِحَقِيْقَةِ الوَجْهِ المُضَافِ إِلَى الله ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري ، وهو مطبوع .

٧٦. الإِشَارَةُ وَالتَّنْبِيْه عَلَى ضَرُوْرِيَّاتِ التَّنْزِيْه، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٧٧. إِتْحَافُ البَرِيَّةِ بِبَعْضِ الشَّاذِّ وَالغَرِيْبِ مِنْ فَتَاوَىٰ الوَهَّابِيَّة، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٧٨. القَوْلُ العَرِيْضُ فِيْ الكَلَامِ عَنِ التَّفْوِيْضِ، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٧٩. إِتْحَافُ الكَائِنَاتِ بِبَيَانِ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَ الخَلَفِ فِي المُتَشَابِهَاتِ وَرَدِّ شُبَهِ المُلْحِدَةِ وَالمُجَسِّمَةِ وَمَا يَعْتَقِدُوْنَهُ مِنَ المُفْتَرَيَات ، الإِمَام مَحْمُوْد محمَّد خَطَّاب السُّبكي ، دِرَاسَةُ وَتَعْلِيْق ، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٠. إِرْشَادُ النُّجَبَاءِ إِلَى عَدَاوَةِ الوَهَّابِيَّة وَاسْتِخْفَافِهِم بِغَيْرِهِم مِنَ العُلَمَاءِ، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨١. مَوْقِفُ الوَهَّابِيَّةِ مِنْ سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البَرِيَّة، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيّ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٢. الإِمْدَادُ وَالإِسْعَادُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَخَذَ بِالآحَادِ فِي الاعْتِقَاد، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٣. كَشْفُ الغِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٤. أَقْوَالُ العُلَمَاءِ المَنْثُوْرَة فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَنِ الصُّوْرَة، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٥. العُلُوُّ لِلْعَلِيِّ الرَّحْمَن عُلُو مَكَانَةٍ لَا عُلُو مَكَان، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٦. وَهَّابِيَّةٌ لَا سَلَفِيَّة، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٧. الشَّرْحُ الأَكْمَلُ لِعَقِيْدَةِ الإِمَامِ أَحْمَدِ بْنِ جَهْبَل، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٨. النَّفَحَاتُ البَهِيَّة فِي الكَلَامِ عَلَىٰ المُحْكَمِ وَالمُتَشَابِهِ وَعَلَاقَتِهِ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّة، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

٨٩. نُوْرُ النَّيِّرَيْنِ فِيْ بَيَانِ الأَحَادِيْثِ التِي انْتَقَدَهَا المُتَسَلِّفَةُ عَلَىٰ الصَّحِيْحَيْن ، الأُسْتَاذُالدُّكْتُوْر عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي ، وهو مطبوع .

وهناك العديد العديد من الكُتب المصنَّفة في الرَّدِّ علىٰ ابن تيمية ...

كما أنَّ المنصفين من تلاميذه ردُّوا عليه بليَّاته وأغلوطاته ، ومن أبرزهم الإمام الذَّهبي الذي وجَّه له رسالة اشتهرت باسم : " الرِّسالة الذَّهبيَّة " ، نصح فيها شيخه ابن تيمية للعدول عن غيِّه وضلاله ونبشه لدقـــــائق الكفريَّات الفلسفيَّة ، واتَّهمه فيها ببلع سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، ونصُّ الرِّسالة هو :

" الحمد لله علىٰ ذلَّتي ، يا ربِّ ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليَّ إيماني ، واحزناه علىٰ قلَّة حزني ، واأسفاه علىٰ السنَّة وذهاب أهلها ، واشوقاه إلىٰ إخوان مؤمنين يعاونونني علىٰ البكاء ، واحزناه علىٰ فَقْد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التَّقوىٰ وكنوز الخيرات ، آه علىٰ وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبىٰ لمن شغله عيبُه عن عيوب النَّاس ، وتَبّاً لمن شغله عيوبُ النَّاس عن عيبه ، إلىٰ كم ترىٰ القذاة في عين أخيك وتنسىٰ الجذع في عينك ؟ إلىٰ كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمُّ العلماء ، وتتبُّع

عورات النَّاس مع علمك بنهي الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تذكروا موتاكم إلا بخير ، فإنَّهم قد أفضوا إلىٰ ما قدَّموا " . أخرج الشّق الأول منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

بلىٰ ، أعرفُ إنك تقول لي لتنصُرَ نفسك : إنَّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جهاد ، بلىٰ والله عرفوا خيراً ممَّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممَّا لا يعنيهم ، و " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " . أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) .

يا رجل ، بالله عليك كفَّ عنَّا ، فإنَّك مِحجاجٌ عليم اللسان ، لا تقرّ ولا تنام ، إيَّاكم والأغلوطات في الدِّين ، كره نبيِّك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسائل وعابها ونهىٰ عن كثرة السُّؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف علىٰ أُمَّتي كلّ منافق عليم اللسان " . أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، وغيره ...

وكثرة الكلام بغير زلل تقسِّي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيَّة والفلاسفة وتلك الكفريَّات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلىٰ كم تنبشُ دقائق الكفريَّات الفلسفيَّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، وكثرة استعمال السُّموم يُدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلىٰ مجلس فيه تلاوة بتدبُّر ، وخشية بتذكُّر ، وصمت بتفكُّر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار ، فعند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة ، لا عند ذكر الصَّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجَّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضَّلال ، قد صارت هي محض السنَّة وأساس التَّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعدّ النَّصارىٰ مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشَّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتَّبعك فإنه مُعَرَّضٌ للزَّندقة والانحلال !!! ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليَّاً شهوانيَّاً ، لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدوٌّ لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيدٌ مربوط خفيف العقل!!! أو عاميّ كذَّاب بليد الذِّهن !!! أو غريب واجم قوي المكر !!! أو ناشف صالح عديم الفهم !!! فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلىٰ كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلىٰ كم تصدِّقها وتزدري الأبرار ، إلىٰ كم تعظِّمها وتصغر العباد ، إلىٰ متىٰ تُخاللها وتمقت الزهَّاد ، إلىٰ متىٰ تمدح كلامك بكيفيَّة لا

تمدح بها والله أحاديث الصَّحيحين ، يا ليت أحاديث الصَّحيحين تسلم منك ، بل في كلِّ وقت تُغيرُ عليها بالتَّضعيف والإهدار ، أو بالتَّأويل والإنكار .

أما آن لك أن ترعوي ؟!! أما حان لك أن تتوب وتنيب ؟!! أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرَّحيل ، بلىٰ والله ما أذكر أنك تذكر الموت ، بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنُّك تُقبل علىٰ قولي ، ولا تُصغي إلىٰ وعظي ، بل لك همَّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات ، وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتىٰ أقول لكَ : والبتة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي ، وأنا الشَّفوق المحبُّ الوادّ ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبَّني علانية ، وتنتفع بمقالتي سرّاً : " فرحم الله امرءاً أهدىٰ إليَّ عيوبي " . أخرجه من كلام عمر بن الخطَّاب : الدارمي (١/ ٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

فإنِّي كثير العيوب ، غزير الذُّنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علاَّم الغيوب ، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيِّين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين " . انظر : السيف الصقيل في الردِّ علىٰ رد ابن زفيل ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (ص٢١٧-٢١٩) ، ومعه تكملة الردِّ علىٰ نونية ابن القيم بقلم : محمَّد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة زهران ، القاهرة .

والرِّسالة ثابتة لا مجال للطَّعن فيها ، وذلك لـ :

(١) أنَّ الإمام الذَّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الذَّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، علىٰ ما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة ، بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعيَّة !!! ... " . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٦) .

وقال الإمام الذَّهبي في تذكرة الحفَّاظ في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوىٰ نيل من عِرضِهِ لأجلها ،... فالله تعالىٰ يسامحه ويرضى عنه ، وكلّ أحد من الأمَّة فيؤخذ من قوله ويُترك " . انظر : تذكرة الحفاظ ، الذَّهبي ، (٤٤/ ١٩٢) .

وهذا بعكس من يدَّعون السَّلفيَّة في زماننا ، أولئك الذين أضفوا علىٰ كلام ابن تيمية هالة عظيمة من الإجلال والإعظام ، حتىٰ وصل الأمر ببعضهم إلىٰ الاعتقاد بأنَّ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه ، بل وصل الأمر بالكثيرين منهم إلىٰ جعل كلامه مقياساً يقيسون به عقائد النَّاس وأعمالهم ، بدليل أنَّنا لم نرَ عالماً منهم تجاسر علىٰ تخطئة ابن تيمية ، اللهمَّ إلَّا الألباني – فيما اطلعت – فقد ناقشه وخالفه علىٰ استحياء ، بل أنَّه حين ناقشه في مسألة " فناء النَّار " ذكر أنَّ لابن تيمية أجْراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النَّار ، مع أنَّ المسألة قطعيَّة لا مجال فيها للاجتهاد ...

فلا مجال البتَّة لاعتقاد عدم صحَّة نسبة الرِّسالة للإمام الذَّهبي ، لأنَّ الدِّين النَّصيحة ، والإنسان أيّاً كان لا يستغني عن النَّصيحة ، والرِّسالة برمَّتها ما خرجت إلَّا مخرج النَّصيحة ، وقد وصف الإمام الذَّهبي أتباع ابن تيمية في النَّصيحة بقوله : " يا خيبة من اتبعك ، فإنَّه معرَّض للزَّندقة والانحلال ، لاسيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليَّاً شهوانيَّاً . لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيدٌ مربوطٌ خفيفُ العقل ، أو عاميٌّ كذَّاب بليد الذّهن ، أو غريب واجم ، قويُّ المكر ، أو ناشفٌ صالحٌ عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل ... كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة ، وكذبة ، وجهلة ، وبطلة ، وعور ، وبقر " .

ففي هذا المقطع قيَّم ووزن الذَّهبي أتباع ابن تيمية ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ، وهذا مدعاة لأن يُراجعوا أنفسهم ، فقد وصف أتباعه بأنَّ منهم القعيد ، والمربوط ، وخفيف العقل ، وبليد الذِّهن وقويّ المكر ، كما أنَّ أوليائه فيهم الفجرة والكذبة والبقر والعور .

وفي هذا إشارة إلىٰ أنَّ فكرهم فيه جهل وكذب ، وكم نتمنَّىٰ أن تكون نصيحة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية مدعاة لمدَّعي السَّلفيَّة في زماننا كي يراجعوا حساباتهم وأنفسهم ، خاصَّة وأنَّهم ما تركوا عالماً من غير طريقتهم ومنهجهم إلَّا وصموه بالكفر والنِّفاق ، والتَّعطيل والتَّجهُّم ، والتَّفسيق والتَّضليل ...

(٢) أنَّ الإمام الذَّهبي انتقد ابن تيمية غير مرَّة ، من ذلك قوله : " فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسُّنَّة وأصول السَّلف ، ولفَّقت بين العقل والنَّقل ، فما أظنُّك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحطِّ عليه ، والهجر والتَّضليل والتَّكفير والتَّكذيب بحقٍّ وبباطل ، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصِّناعة منوَّراً مضيئاً ، علىٰ محيَّاه سيما السَّلف ، ثُمَّ صار مظلماً مكسوفاً ، عليه قتمة عند خلائق من النَّاس ، ودجَّالاً أفَّاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعاً فاضلاً محقِّقاً بارعاً عند طوائف من عقلاء

الفضلاء ، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدِّين ومحيي السُّنَّة عند عوامِّ أصحابه " . انظر : زغل العلم ، الذَّهبي (ص٤٢) .

فالذَّهبي ذمَّ ابن تيمية بسبب خوضه بالفلسفة ، وهذا الذمُّ منه ينسف مدحه له في تذكرة الحفَّاظ حين قال : " فما رأيت مثله " . انظر : تذكرة الحفاظ ، الذَّهبي (٤٤/ ١٩٢) .

وقال الإمام الذَّهبي : " فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوىٰ ذكاء من رجل يقال له : ابن تيمية ، مع الزُّهد في المأكل والملبس والنِّساء ، ومع القيام في الحقِّ والجهاد بكلِّ ممكن ، وقد تعبتُ في وزنه وفتَّشته حتىٰ مللت في سنين متطاولة ، فما وجدت قد أخَّره بين أهل مصر والشَّام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذَّبوه وكفَّروه إلَّا الكبر والعجب ، وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار ، فانظر كيف وبال الدَّعاوي ومحبَّة الظُّهور ، نسأل الله تعالىٰ المسامحة ، فقد قام عليه أُناسٌ ليسوا بأورع منه ، ولا أعلم منه ، ولا أزهد منه ، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم ، وما سلَّطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه ، وما دفعه الله عنه وعن أتباعه أكثر ، وما جرىٰ عليهم إلَّا بعض ما يستحقُّون ، فلا تكن في ريب من ذلك " . انظر : زغل العلم ، الذَّهبي (ص٣٨) .

(٣) أثبت رسالة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، فقال : " وقد رأيت له – أي للذَّهبي – عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصُّبه مفيدة " . انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٧٧) .

وكذلك أثبتها الأستاذ الدكتور بشَّار عواد معروف ، فقال عن الرِّسالة : " وهي رسالة بعث بها الذَّهبي إلىٰ شيخه ورفيقه أبي العبَّاس ابن تيمية الحرَّاني ينصحه فيها ، ويعاتبه في بعض تصرُّفاته ، وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذَّهبي ، وقد ذكرها السَّخاوي في الإعلان ... وذهب بعضهم إلىٰ القول بأنَّها مزوَّرة ، ولا عبرة بذلك " . انظر : الذَّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام (ص١٤٦) .

وتكلَّم الأستاذ الدكتور بشَّار عوَّاد معروف عن نُسخ الرِّسالة ، وأنَّها موجودة في : دار الكتب المصريَّة بخط تقي الدِّين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفَّىٰ سنة (٨٥١هـ) رقم (١٨٨٢٣) ، وفي : دار الكتب الظَّاهريَّة برقم (١٣٤٧) .

والنَّصّ الذي ذكرته هنا هو المُثبت في كتاب : " السَّيف الصَّقيل في الردِّ علىٰ ابن زفيل " للإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفَّىٰ سنة (٧٥٦هـ) ...

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ من يُسمُّون أنفسهم بـ " السَّلفيَّة " هم من حمل لواء الهجوم على الشَّيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي ، فكفَّروه ... وكان ابن تيمية الدَّاعي لذلك كلِّه ، مع العلم أنَّ ابن تيمية خالفة أغلب علماء عصره – كما سبق – وعُزِّر على أقواله غير مرَّة ، وحكم عليه بالسِّجن عدَّة مرَّات ، ومات وهو في السِّجن ، بل إنَّ البعض حكم بتكفيره ، قال الإمام تقي الدِّين أبي بكر الحصني الشَّافعي الدِّمشقي (٨٢٩هـ) : " وكان الشَّيخ زين الدِّين ابن رجب الحنبلي ممَّن يعتقد كفر ابن تيمية ، وله عليه الرَّدّ ، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس : معذور السُّبكي يعني في تكفيره .

والحاصل أنَّه وأتباعه من الغُلاة في التَّشبيه والتَّجسيم والإزدراء بالنَّبي ، وبغيض الشَّيخين ، وبإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ، ولهم دواهي أُخر لو نطقوا بها لأحرقهم النَّاس في لحظة واحدة ، فنسأل الله تعالى العافية ودوامها أنَّه على ما يشاء قدير " . انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص١٢٣) .

وقال الإمام محمَّد زاهد بن حسن الحلمي الكوثري (١٣٧١هـ) في تعليقه على كتاب " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ على ابن زفيل " للسُّبكي : " قال الحافظ ابن طولون في " ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر " عند ذكره سبب انتقال الشَّيخ عبد النَّافع بن عراق من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشَّافعي بعد أن جعله والده حنبليَّاً : " قال الحافظ صلاح الدِّين العلائي : وقلَّ من أفضله عليه من متأخِّري الشَّافعيَّة في الجمع بين الفقه والحديث كما يجب " : ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية النَّاس في الأصول والفروع . فمنها ما خالف فيها الإجماع ، ومنها ما خالف فيها الرَّاجح في المذهب : فمن ذلك يمين الطَّلاق ، قال بأنَّه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين ، ولم يقل قبله بالكفَّارة فيها واحد من فقهاء المسلمين البتَّة ، ودام افتاؤه بذلك زماناً طويلاً ، وعظم الخطب ووقع في تقليده جمٌّ غفير من العوام وعمَّ البلاء ، وأنَّ طلاق الحائض لا يقع ، وكذلك الطَّلاق في طهر جامع فيه زوجته ، وأنَّ الطَّلاق الثَّلاث يردّ إلى واحدة ، وكان قبل ذلك قد نقل إجماع المسلمين في هذه المسألة على خلاف ذلك ، وإنَّ من خالفه فقد كفر ، ثُمَّ أنَّه أفتى بخلافه وأوقع خلقاً كثيراً من النَّاس فيه ، وأنَّ الصَّلاة إذا تُركت عمداً لا يشرع قضاؤها ، وأنَّ الحائض تطوف في البيت من غير كفَّارة وهو مباح لها ، وأنَّ المكوس حلال لمن أقطعها ، وإذا أُخذت من التجَّار أجزأتهم عن الزَّكاة وإن لم يكن باسم الزَّكاة ولا على رسمها ، وأنَّ المايعات لا تنجس بموت الفأرة ونحوها فيها ، وأنَّ الجنب يصلِّي تطوُّعه بالليل بالتَّيمُّم ولا يؤخِّره إلى أن يغتسل عند الفجر وإن كان بالبلد

. وقد رأيتُ من يفعل ذلك ممَّن قلده فمنعته منه ، وسمعته حين سئل عن رجل قدم فراشاً لأمير فيجنب بالليل في السَّفر ويخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتَّهمه أستاذه ، فأفتاه بصلاة الصُّبح بالتَّيمُّم وهو قادر على الغسل [ومسألة أبي يوسف غير هذه] ، وسئل عن شرط الواقف قال : غير معتبر بالكليَّة بل الوقف على الشَّافعية يصرف إلى الحنفيَّة وعلى الفقهاء إلى الصُّوفيَّة وبالعكس ، وكان يفعل هكذا في مدرسته فيعطي منها الجند والعوام ولا يحضر درساً على اصطلاح الفقهاء وشرط الواقف بل يحضر فيها ميعاداً يوم الثلاثاء ويحضره العوام ويستغني بذلك عن الدَّرس ، وسئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجَّحه وأفتى به .

ومن المسائل المنفرد بها في الأصول : مسألة الحسن والقبح التي يقول بها المعتزلة [بل أربى عليهم بتحكيم العقل في الخلود ، راجع المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي في المسألة وكلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته وتهوُّره] ، فقال بها ونصرها وصنَّف فيها وجعلها دين الله بل ألزم كل ما يبني عليه كالموازنة في الأعمال [فياليته حينما حكم العقل حكم العقل السَّليم ولم يحكم عقل نفسه الظَّاهر اختلاله جداً بما فاه به في ذات الله وصفاته ، تعالى الله عمَّا يقول الجاهلون] .

وأمَّا مقالاته في أصول الدِّين فمنها : أنَّ الله سبحانه محلٌّ للحوادث ، تعالى الله عمَّا يقول علوَّاً كبيراً ، وأنَّه مركَّب مفتقر إلى (اليد ، والعين ، والوجه ، والسَّاق ، ونحوها) افتقار الكلِّ إلى الجزء ، وأنَّ القرآن محدث في ذاته تعالى ، وأنَّ العالم قديم بالنَّوع ولم يزل مع الله مخلوق دائماً فجعله موجباً بالذَّات لا فاعلاً بالاختيار - سبحانه ما أحلمه - ، ومنها : قوله بالجسميَّة والجهة والانتقال- وهو منزَّه عن ذلك - وصرَّح في بعض تصانيفه بأنَّ الله بقدر العرش لا أكبر ولا أصغر ، تعالى الله عن ذلك ، وصنَّف جزءاً في أنَّ علم الله لا يتعلَّق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنَّة ، وأنَّه لا يحيط بغير المتناهي وهي التي زلق فيها الإمام [يعني ابن الجويني في البرهان] ، ومنها : أنَّ الأنبياء غير معصومين ، وأنَّ نبيِّنا عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام ليس له جاه ولا يتوسَّل به أحد إلَّا وأن يكون مخطئاً ، وصنَّف في ذلك عدَّة أوراق ، وأنَّ إنشاء السَّفر لزيارة نبيِّنا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – معصية لا تقصر فيها الصَّلاة وبالغ في ذلك ، ولم يقل به أحد من المسلمين قبله ، وأنَّ عذاب أهل النَّار ينقطع ولا يتأبَّد [وجزء التَّقي السُّبكي في الرَّدِّ عليه مطبوع] .

ومن أفراده أيضاً : أنَّ التَّوراة والإنجيل لم تبدَّل ألفاظهما بل هي باقية على ما أنزلت ، وإنَّما وقع التَّحريف في تأويلهما ، وله فيه مصنَّف [هذا يخالف كتاب الله والتَّاريخ الصَّحيح ، وما في البخاري عن ابن عبَّاس من الكلام الطَّويل في ذلك بين صدره وعجزه كلام مدرج ، ما أسنده أحد وفيه الإيهام فلا يصحّ أن يتمسَّك

به أحد على خلاف كتاب الله وخلاف ما صحَّ عن ابن عبَّاس نفسه في البخاري نفسهـ] آخَرُ ما رأيت وأستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلاً عن اعتقاده " انتهى ما نقله ابن طولون عن الصَّلاح العلائي " . انظر : هامش السيف الصقيل في الردِّ على ابن زفيل ، السُّبكي ، (ص١٦٢-١٦٤) ، مكتبة زهران ، القاهرة .

وقد وصل الحال بابن تيمية وأتباعه أن " نُودِيَ بِدِمَشْق : من اعْتقد عقيدة ابْن تَيْمِية حلَّ دَمه وَمَاله خُصُوصاً الْحَنَابِلَة فَنُوديَ بذلك وقرئ المرسوم وَقرأَهَا ابْن الشِّهَاب مَحْمُود فِي الْجَامِع ثُمَّ جمعُوا الْحَنَابِلَة من الصَّالحِيَّة وَغَيرهَا ، وأشهدوا على أنفسهم أَنَّهم على مُعْتَقد الإِمَام الشَّافعي ... " . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني (١/ ١٧١) .

بينما الإمام ابن عربي الحاتمي لم يُخالفه أحد من أهل العلم ، بل شهد له الجميع بالقَدَم الرَّاسخ في العلم ، واعتدَّ به أهل عصره ، كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ولذلك قام من لا يستحي بالدَّسِّ في كتب الإمام ابن عربي لتشويه صورته ...

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر مُعين الدِّين الحنبلي البغدادي المعروف بابن نقطة (٦٢٩هـ) : " وأبو بكر محمَّد بن علي بن العربي من أهل المغرب ، سكن بلاد الرُّوم ملطية وقونية ، وقد طاف البلاد ودخل بغداد ، له كلام وشعر حسن على طريقة العارفين " . انظر : تكملة الإكمال ، : محمَّد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (٤/ ٢٩٣) .

وقال الإمام ابن الأبَّار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) : " محمَّد بْن عَلِيّ بْن محمَّد الطَّائِي الصُّوفي من أهل إشبيلية وَأَصله من مرسية ، يعرف بِابْن الْعَرَبِيّ ، ويكنَّى أَبَا بَكْر ، أَخذ عَنْ مشيخة بَلَده ، وَمَال إِلَى الْأَدَب ، وَكتب لبَعض الْوُلَاة ثُمَّ رَحل إِلَى الْمشرق حَاجّاً فَأَدَّى الْفَرِيضَة وَلم يعد بعْدهَا إِلَى الأندلس ، وَسمع الحَدِيث من أبي القَاسِم الحرستاني وَغَيره ، وَسمع صَحِيح مُسلم مَعَ شَيخنَا أبي الْحسن بن أَبي نصر فِي شَوَّال سنة وسِتمِائَة ، وَكَانَ يحدِّث بِالْإِجَازَةِ الْعَامَّة عَن أبي طَاهِر السّلَفِي وَيَقُول بهَا ، وبرع فِي علم التَّصوُّف ، وَله فِي ذَلِك تواليف جليلة كَثِيرَة ، لقِيه جمَاعَة من الْعلمَاء المتعبِّدين وَأخذُوا عَنهُ ، وأفادني بعض أَصْحَابنَا إِجَازَته الْعَامَّة لمن أحبَّ الرِّوَايَة عَنهُ ، وَتُوفِّي بعد الْأَرْبَعين وسِتمِائَة " . انظر : التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار (٢/ ١٤٦) .

وقال الإمام ابن الصَّابوني ، محمَّد بن علي بن محمود ، أبو حامد ، جمال الدِّين المحمودي (٦٨٠هـ) في " تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب " : " وفاته أيضاً في باب " النوري " بالنُّون :

شيخنا الزَّاهد أبو الطَّاهر إسماعيل بن سُوْدَكين بن عبد الله النُّوري شيخ فاضل : له شعر حسن ، وكلام في التَّصوُّف . صحب الشَّيخ العـــــارف أبا عبد الله محمَّد بن علي بن محمَّد بن العربي ، وكتب عنه أكثر مصنَّفاتـــــه " . انظر : تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب ، ابن الصابوني (ص٣١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلِّكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " ... وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور يشدِّد في إلزام الرَّعيَّة بإقامة الصَّلوات الخمس ، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وقتل العمَّال الذين تشكو الرَّعايا منهم ، وأمر برفض فروع الفقه ، وأنَّ العلماء لا يفتون إلَّا بالكتاب العزيز والسُّنَّة النَّبويَّة ، ولا يقلِّدون أحداً من الأئمَّة المجتهدين المتقدِّمين ، بل تكون أحكامهم بما يؤدِّي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس . ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطَّريق : مثل أبي الخطاب بن دحية ، وأخيه أبي عمر ، ومحيي الدِّين ابن العربي نزيل دمشق ، وغيرهم " . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٧/ ١١) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن محمود القزويني (٦٨٢هـ) : " اشبيلية مدينة بالأندلس ... يُنسب إليها الشَّيخ الفاضل محمَّد بن العربي الملقَّب بمحيي الدِّين . رأيته بدمشق سنة ثلاثين وستمائة ، وكان شيخاً فاضلاً أديباً حكيماً شاعراً عارفاً زاهداً . سمعت أنَّه يكتب كراريس فيها أشياء عجيبة . سمعت أنَّه كتب كتاباً في خواص قوارع القرآن . ومن حكاياته العجيبة ما حكى أنَّه كان بمدينة اشبيلية نخلة في بعض طرقاتها ، فمالت إلى نحو الطَّريق حتى سدَّت الطَّريق على المارِّين ، فتحدَّث النَّاس في قطعها حتى عزموا أن يقطعوها من الغد ؛ قال : فرأيت رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تلك الليلة في نومي عند النَّخلة ، وهي تشكو إليه وتقول : يا رسول الله إنَّ القوم يريدون قطعي لأنِّي منعتهم المرور ! فمسح رسول الله عليه السَّلام ، بيده المباركة النَّخلة فاستقامت ، فلمَّا أصبحت ذهبت إلى النَّخلة فوجدتها مستقيمة " . انظر : آثار البلاد وأخبار العباد ، زكريَّا بن محمَّد بن محمود القزويني (ص٤٩٧) .

وقال الإمام قطب الدِّين أبو الفتح موسى بن محمَّد اليونيني (٧٢٦هـ) في ترجمة محمَّد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلّد الأنصاري : " ... وكان أحد تلامذة الشَّيخ محيي الدِّين ابن العربي – قدَّس الله روحه ورضي عنه – لازمه دهراً طويلاً ، وأخذ عنه وكتب من تصانيفه " الفتوحات المكِّيَّة " ووقفها

علىٰ المسلمين ، وكتب غير ذلك من تصانيفه ، وكان يفهم كلامه ويعرف إرشادات الشَّيخ ورموزه بتوقيف منه علىٰ ذلك " . انظر : ذيل مرآة الزمان ، قطب الدِّين أبو الفتح موسىٰ بن محمَّد اليونيني (٢/ ١٥٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمته للإمام الأكبر ابن عربي : " وقولي أنا فيه : أنَّه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحقُّ إلىٰ جنابه عند الموت ، وختم له بالحُسنىٰ " . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٦٦٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في تاريخ الإسلام : " ولابن العربي توسُّع فِي الكلام ، وذكاءٌ ، وقوة حافظة ، وتدقيقٌ فِي التَّصوُّف ، وتواليفُ جمَّةٌ فِي العِرْفان . ولولا شطحاتٌ فِي كلامه وشعره لكانَ كلمةَ إجماع ، ولعلَّ ذَلِكَ وَقَعَ منه فِي حال سكرِه وغيبته ، فنرجو له الخير " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١٤/ ٢٧٣) .

قُلْتُ : ولو اطَّلع الإمام الذَّهبي علىٰ ما دسَّه الظَّلمة المُجرمون المفترون في كتب الإمام الأكبر لأطنب في الثَّناء علىٰ الشَّيخ ، ولدافع عنه بكلِّ ما أوتي من قوَّة ... وقد أكَّد الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) علىٰ أنَّه تيقَّن بالدَّليل بأنَّ اليهود دسُّوا في كتب الشَّيخ الأكبر ... فقال : " لَكِنَّا تَيَقَّنَّا أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ افْتَرَاهَا عَلَىٰ الشَّيخ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ، فَيَجِبُ الِاحْتِيَاطُ بِتَرْكِ مُطَالَعَةِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ " . انظر : رد المحتار علىٰ الدر المختار ، ابن عابدين (٤/ ٣٣٨) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " وقفت علىٰ كتابه الذي سمَّاه " الفتوحات المكِّيَّة " لأنَّه صنعه بمكَّة ، وهو في عشرين مجلَّدة بخطِّه ، فرأيت أثناءه دقائق وغرائب ليست توجد في كلام غيره ، وكأنَّ المنقول والمعقول ممثَّلان بين عينيه في صورة محصورة يشاهدها ، متىٰ أراد أتىٰ بالحديث أو الأمر ونزَّله علىٰ ما يريده ، وهذه قدرة ونهاية اطلاع وتوقُّد ذهن وغاية حفظ وذكر ، ومن وقف علىٰ هذا الكتاب علم قدْره ، وهو من أجلِّ مصنَّفاته !!! ... وقد ذكر فيه في المجلَّدة الأولىٰ عقيدته ، فرأيتها من أوَّلها إلىٰ آخرها عقيدة الشَّيخ أبي الحسن الأشعري ليس فيها ما يخالف رأيه ، وكان الذي طلبها منِّي بصفد وأنا في القاهرة فنقلتها أعني العقيدة لا غير في كرَّاسة وكتبت عليها :

ليس في هذه العقيدة شـــيء ... يقتضيه التَّكذيب والبهتـــان

لا ولا ما قد خالف العقل والنَّقـ ... ـل الذي قد أتىٰ بـــه القرآن

وعليهـــا للأشعري مدار ... ولها في مقاله إمكـــان

وعلىٰ ما ادَّعاه يتَّجه البحث   ويأتي الدَّليل والبرهان

بخلاف الشناع عنه ولكن   ليس يخلو من حاسد إنسان

ولم أكن وقفت علىٰ شيء من كلامه ، ثُمَّ إنِّي وقفت علىٰ " فصوص الحكم " التي له ، فرأيت فيها أشياء منكرة الظَّاهر لا توافق الشَّرع ، وما فيه شكّ أنَّه يحصل له ولأمثاله حالات عند معاناة الرِّياضات في الخلوات، يحتاجون إلىٰ العبارة عنها ، فيأتون بما تقصر الألفاظ عن تلك المعاني التي تمحوها في تلك الحالات ، فنسأل الله العصمة من الوقوع فيما خالف الشَّرع " . انظر : كتاب الوافي بالوفيات ، الصفدي (٤/ ١٢٥) .

وقد قدَّمنا أنَّ كُتُبَ الإمام الأكبر وخاصَّة كتاب " الفُصوص " قد دَسَّ فيها من لا يستحي ما يُخالف الشَّريعة ... والله حسيبه ...

وفي ثنائه علىٰ الإمام ابن عربي قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) : " محمَّد بن علي بن محمَّد بن عربي الطَّائي ، أبو عبد الله المنعوت بمحيي الدِّين الصُّوفي المشهور ، ولد سنة " ... " ، وقرأ القراءات بالأندلس علىٰ أبي بكر محمَّد بن خلف بن صاف صاحب شريح ، وروىٰ التَّيسير سماعاً من أبي بكر محمَّد بن أحمد بن أبي جمرة وروىٰ بالإجازة من ابن هذيل ، وروىٰ التَّجريد بالإجازة عن يحيىٰ بن سعدون القرطبي ، روىٰ التَّيسير عنه سماعاً محمَّد بن علي بن أبي الذِّكر المطرَّز ، وروىٰ عنه الكافي عبد الله بن علي بن محمَّد الخولاني ، توفِّي سنة ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بالصَّالحيَّة بتربة بني الزَّكي ، وقبره بها ظاهر يُزار " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (٢/ ٢٠٨) .

قُلْتُ : وقوله : " وقبره بها ظاهر يُزار " يحمل في طيَّاته مدحاً وثناء علىٰ الشَّيخ الأكبر ابن عربي ، كما لا يخفىٰ علىٰ كلِّ ذي لبّ ..

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " قال المعارف محيي الدِّين محمَّد بن العربيّ الطَّائيّ الحاتميّ في الملحمة المنسوبة إليه قاهرة تعمر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وتخرب سنة ثمانين وسبعين ، ووقفت لها علىٰ شرح لم أعرف تصنيف من هو ، فإنَّه لم يسمّ في النُّسخة التي وقفت عليها ، وهو شرح لطيف قليل الفائدة ، فإنَّه ترك كلام المصنِّف فيما مضىٰ علىٰ ما هو معروف في كتب التَّاريخ ، ولم يبيِّن مراده ، فيما يستقبل ، وكانت الحاجَّة ماسَّة إلىٰ معرفة ما يستقبل أكثر من المعرفة بحال ما مضىٰ ، لكن أخبرني غير واحد من الثِّقات ، أنَّه وقف لهذه الملحمة علىٰ شرح كبير في مجلَّدين " . انظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي (٢/ ٢٢٤) .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) : " وذكر الشَّيخ الكامل محيي الدِّين بن العربي في " الفتوحات " أنَّه رأىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فسأله عن خلاف الأئمَّة في أنَّ أقل الجمع اثنان أو ثلاثة ، فعلَّمه أنَّ أقَلَّ الجمع في الشَّفع اثنان وفي الوتر ثلاثة .

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الإثنان فما فوقهما جماعة " . أخرجه ابن ماجة (١/ ٣١٢ برقم ٩٧٢) ، الروياني في مسنده (١/ ٣٨٢ برقم ٥٨٦) ، الطبراني في المعجم الأوسط(٦/ ٣٦٣ برقم ٦٦٢٤) ، القاهرة ، مسند الشاميين (٢/ ٣٩ برقم ٨٧٧) ، الدارقطني في السنن، (٢/ ٢٤ برقم ١٠٨٧) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٤/ ٣٧١ برقم ٧٩٥٧) ، أبو يعلىٰ في المسند (١٣/ ١٨٩ برقم ٧٢٢٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٩٧ برقم ٥٠٠٨) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٢/ ٢٦٤ برقم ٨٨١١) .

وقد احتجَّ ابن عبَّاس بذلك علىٰ عثمان ، فقال : كيف تردّها إلىٰ السُّدس بالأخوين وليسا بإخوة ؟ فقال عثمان : لا أستطيع ردَّ شيء كان قبلي ومضىٰ في البلدان " . انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمي النيسابوري (٢/ ٣٦٦) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وقال ابن المديني : قدم بغداد سنة ثمان وست مائة فكان يومىٰ إليه بالفضل والمعرفة ، والغالب عليه طريق أهل الحقيقة ، وله قدمٌ في الرِّياضة والمجاهدة ، وكلام علىٰ لسان القوم ، ورأيت جماعة يصفونه بالتقدُّم والمكانة عند أهل هذا الشَّأن بالبلاد ... وكان يلقَّب القشيري لقباً غلب عليه لما كان يشتهر به من التَّصوُّف ، وكان جميل الحلية والفضل محصِّلاً لفنون العلم ، وله في الأدب الشَّأو الذي لا يلحق ... " . انظر : لسان الميزان (٥/ ٣١٤) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً : " وقد أطراه الكمال بن الزّملكاني ، فقال : هو البحر الزَّاخر في المعارف الإلهيَّة ، وإنَّما ذكرت كلامه وكلام غيره من أهل الطَّريق لأنَّهم أعرف بحقائق المقامات من غيرهم لدخولهم فيها وتحقُّقهم بها ذوقا مخبرين عن عين اليقين .

وقال ابن أبي المنصور : كان من أكبر علماء الطَّريق ، جمع بين سائر العلوم المكتسبة ومأموله من العلوم الوهبيَّة ، وكان غلب عليه التَّوحيد علماً وخلقاً وحالاً لا مكترثاً بالوجود مقبلاً كان أو معرضاً . ويحكىٰ عنه من يتعصَّب له أحوالاً سنيَّة ومعارف كثيرة ، والله أعلم .

وقرأت بخطِّ أبي العلاء الفرضي في المسند : كان شيخاً عالماً جامعاً للعلوم ، صنَّف كتباً كثيرة ، وهو من ذريَّة عبد الله بن حاتم الطَّائي أخي عدي بن حاتم " . انظر : لسان الميزان (٥/ ٣١٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) : " وقال الشَّيخ الأكبر سيِّدي محي الدِّين بن عربي رحمه الله تعالىٰ :

ما رحَّلوا يوم ســـــاروا البزّل العيسا — إلَّا وقد حملوا فيها الطَّواويســــــا

من كلّ فاتكة الألحاظ مالكـة — تخالها فوق عرش الدّر بلقيســـــا

إذا تمشَّت علىٰ صرح الزُّجــــاج ترىٰ — شمساً علىٰ فلك في حجر إدريســا

أسقفة من بنات الرُّوم عاطلـــــــة — ترىٰ عليها من الأنوار نـــــاموسا

انظر : المستطرف في كل فن مستطرف ، الأبشيهي (ص٢٨٩) .

فالإمام الأبشيهي ذكر الإمام ابن عربي وأثنىٰ عليه لدرجة أنَّه وصفه بالسيِّد وترحَّم عليه ...

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) في ترجمة إسماعيل بن علي بن محمَّد بن عبد الواحد ، الشَّيخ فخر الدِّين أبو طاهر المعروف بابن عزّ القضاة : " وله في طريقة الشَّيخ محي الدِّين بن عربي قدَّس الله سرَّه العزيز :

يقولون دع ليلىٰ لثني كيف لــي — وقد ملكت قلبي بحسن اعتدالهــا

واقسم ما عاينت في الكون صورة — لَهَا الحسن إِلَّا قُلْتُ طيف فيا لَهَا

ومن لي بليلىٰ العـــــامريَّة أنَّهـــا — عظيم الغنىٰ من نال وهم وصـــالها

فواجبها حبِّي وممكن جودهـــــــا — وصالي وعُدّوا سلوتي من محالها

وحسبي فخراً إن نسبت لحبِّهــــــا — وحسبي قرباً أن خطرت ببالهـــــا

انظر : المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردي (٢/ ٤١٠) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " بسم الله الرَّحمن الرَّحيم الحمد لله وكفىٰ ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ ، وبعد :

فقد سئلتُ في ابن عربي ، ما حاله ؟ وفي رجل أمر بإحراق كتبه ، وقال : أنَّه أكفر من اليهود والنَّصارىٰ ، ومن ادَّعىٰ لله ولداً ؟ فما يلزمه في ذلك ؟

قد اختلف النَّاس قديماً وحديثاً في ابن عربي : ففرقة تعتقد ولايته ، وهي المُصيبةُ ، ومن هذه الفرقة الشَّيخ تاج الدِّين بن عطاء الله من أئمَّة المالكيَّة ، والشَّيخ عفيف الدِّين اليافعي من أئمَّة الشَّافعية ، فإنَّهما

بالغا في الثَّناء عليه ، ووصفاه بالمعرفة ، وفرقة تعتقد ضلاله ومنهم طائفة كبيرة من الفقهاء ، وفرقة شكَّت في أمره ومنهم الحافظ الذَّهبي في الميزان .

وعن الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام : الحطّ عليه ووصفه بأنَّه القطب ، والجمع بينهما : ما أشار إليه تاج الدِّين بن عطاء الله في " لطائف المنن " : أنَّ الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام كان في أوَّل أمره على طريقة الفقهاء من المسارعة إلى الإنكار على الصُّوفيَّة ، فلمَّا حجَّ الشَّيخ أبو الحسن الشَّاذلي ورجع ، جاء إلى الشَّيخ عز الدِّين قبل أن يدخل بيته ، وأقرأه السَّلام من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فخضع الشَّيخ عز الدِّين لذلك ، ولزم مجلس الشَّاذلي من حينئذ ، وصار يبالغ في الثَّناء على الصُّوفيَّة لَّما فهم طريقتهم على وجهها ، وصار يحضر معهم مجالس السَّماع .

وقد سئل شيخنا شيخ الإسلام ، بقية المجتهدين شرف الدِّين المناوي عن ابن عربي ، فأجاب بما حاصله : إنَّ السُّكوتَ عنه أسلم ؛ وهذا هو اللائق بكلِّ وَرِع يخشى على نفسه .

والقول الفصل عندي في ابن عربي : طريقه لا يرضاها فِرْقَتَا أهل العصر : لا من يعتقده ، ولا من يحطّ عليه ، وهي : اعتقادُ وِلايَته ، وتحريم النَّظر في كُتُبِه . فقد نُقِلَ عنه هو أنَّه قال : " نحن قوم يحرم النَّظر في كتبنا " ، وذلك أنَّ الصُّوفيَّة تواطئوا على ألفاظ اصطلحوا عليها ، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها .

فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظَّاهر كفَر وكفَّرهم ، نصَّ على ذلك الغزالي في بعض كتبه ، وقال : أنَّه شبيه بالمتشابه بالقرآن والسُّنَّة .

ومن حمله على ظاهره كفر ، وله معنى سوى المتعارَف عليه منه ، فمن حمل آيات الوجه ، واليدين ، والعين ، والاستواء ، على معانيها المتعارفة كفر قطعاً .

والمتصدِّي لتكفير ابن عربي لم يخفْ من سوء الحساب ، وأن يقال له : هل ثبت عندك في نصٍّ أنَّه كافر ؟ فإن قال : كُتُبه تدلُّ على كفره . الأوَّل : أن يُقالَ له : هل ثبت عندك بالطَّريق المقبول في نقل الأخبار أنَّه قال هذه الكلمة بعينها ؟ وأنَّه قصد بها معناها المتعارف ؟ والأوَّل : لا سبيل إليه ؛ لعدم مُستَنَدٍ يُعْتمد عليه في ذلك ، ولا عبرة بالاستفاضة الآن ، وعلى تقدير ثبوت أصل الكتاب عنه ؛ فلا بدّ من ثبوت كلِّ كلمة كلمة ؛ لاحتمال أن يُدَسَّ في الكتاب ما ليس من كلامه من عَدُوٍّ أو مُلْحِد ، وهذا " شرح التَّنبيه " للجيلي ، مشحون بغرائب لا تعرف في المذهب ، وقد اعْتُذِرَ عنه ؛ بأنَّه لعلَّ بعض الأعداء دسَّ فيه ما أفسده حسداً .

والثَّاني : وهو أنَّه قصد بهذه الكلمة (كذا) لا سبيل إليه أيضاً ، ومن ادَّعاه كفر ؛ لأنَّه من أمور القلب ، التي لا يطَّلع عليها إلَّا الله .

وقد سأل بعض أكابر العلماء بعض الصُّوفيَّة في عصره : ما حملكم على أن اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يُسْتَبْشَعُ ظاهرُها ؟ فقال : غيرةً على طريقنا هذا أن يَدَّعيه من لا يحسنه ، ويدخل فيه من ليس من أهله .

والمتصدِّي للنَّظر في كتب ابن عربي ، أو أقرأها غيره ، لم ينصح نفسه ، ولا غيره ؛ بل ضرَّ نفسه ، وضرَّ المسلمين كلَّ الضرر ، لا سيَّما إن كان من القاصرين في علوم الشَّرع ، والعلوم الظَّاهرة ؛ فإنَّه يَضِل ، ويُضِل .

وعلى تقدير أن يكون المُقرئ عارفاً ؛ فليس من طريق القوم إقراء المريدين كتب الصُّوفيَّة ، ولا يؤخذ هذا العلم من الكتب .

وما أحسن قول بعض الأولياء لرجل – وقد سأله أن يقرأ عليه " تائيَّة ابن الفارض " – فقال له :

دع عنك هذا ، مَن جاع جُوعَ القوم ، وسهر سهرَهم ، رأى ما رأَوْا .

والواجب على الشَّاب المستَفْتَى عنه : التَّوبة ، والاستغفار ، والخضوع لله تعالى ، والإنابة إليه ؛ حذراً من أن يكون آذى وليّاً لله ، فيؤذِن الله بحرب ، فإن امتنع من ذلك ، وصمَّمَ ، فكفاه عقوبة الله تعالى عن عقوبة المخلوقين ، وماذا عسى أن يصنع فيه الحاكم أو غيره ؟ هذا جوابي في ذلك ، والله أعلم .

وقد أثنى عليه جماعة منهم :

قال الشَّيخ العارف صفي الدِّين بن أبي المنصور في " رسالته " : رأيت بدمشق الشَّيخ الإمام الوحيد ، العالم العامل : مُحْيِي الدِّين بن عربي ، وكان من أكبر علماء الطَّريق ، جمع بين سائر العلوم الكَسْبِيَّة ، وما قرأ من العلوم الوهبيَّة ، وشهرته عظيمة ، وتصانيفه كثيرة . وكان غلب عليه التَّوحيد علماً وخلقاً ، لا يكترث الوجود مقبلاً كان أو مُعرضاً ، وله أتباع علماء ، أرباب مواجيد ، وتصانيف ، وكان بينه وبين سيِّدي أبي العبَّاس الحرَّار إخاء ورفقة في السِّياحات رضي الله عنهما ، آمين .

وقال في موضع آخر من " الرِّسالة " : كتب الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي كتاباً من دمشق إلى أبي العبَّاس الحرَّار قال فيه : يا أخي أخبرني بما تجده لك من الفتح ، فقال لي الشَّيخ : اكتب : جرت أمور غريبة النَّظر ، عجيبة الخبر ، فكتب إليه ابن عربي : توجَّه إليَّ بها بباطنك أُجبْك عنها بباطني ، فعزَّ ذلك على الشَّيخ منه ،

وقال لي : اكتب له : أُشْهدت الأولياء دائرة مستديرة في وسطها اثنان : أحدهما – الشَّيخ أبو الحسن بن الصبَّاغ ، والآخر – رجل أندلسي ، فقيل لي : أحد هذين هو " الغوث " ، فرفع الأندلسي رأسه أولاً فتحقَّقته ، فوقفت إليه ، وسألته سؤالاً بغير حرف ولا صوت ، فأجابني بنفثة نفثَها ، فأخذت منه جوابي ، وسرت لسائر دائرة الأولياء ، أخذ منها كلُّ وليٍّ بقسطه . فإن كنت يا أخي بهذه المثابة ، تحدَّثت معك عن مصر ، فلم يعد يكتب له من ذلك شيئاً .

وقال الشَّيخ عبد الغفَّار القوصي في كتابه " الوحيد " ، قال : حدَّثني الشَّيخ عبد الغفَّار المنوفي خادم الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي ، قال : كان الشَّيخ يمشي ، وإنسان يسبُّهُ ، وهو ساكت لا يردُّ عليه ، فقال : سيِّدي ، ما تنظر إلى هذا ؟ ، فقُلْتُ : لمن يقول ؟ ، فقال : قول لك ، فقال : ما يسبُّني أنا ، قُلْتُ : كيف ؟ قال : هذا تصوَّرت له صفات ذميمة ؛ فهو يسبُّ تلك الصِّفات ، وما أنا موصوف بها .

قال الشَّيخ عبد الغفَّار : ولقد حكى لي الشَّيخ عبد العزيز عن ابن عربي حكايات من هذا الجنس وغيره ، مع ما يتكلَّم النَّاس فيه ، ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها في الكتب وما تأوَّلوها .

قال : وحكى لي الشَّيخ عبد العزيز : أنَّ شخصاً كان بدمشق ، فرض على نفسه أن يلعن ابن عربي كلَّ يوم عَقب كلِّ صلاة عشر مرَّات ، فتوقَّف لأنَّه مات ، وحضر ابن عربي مع النَّاس جنازته ، ثُمَّ رجع وجلس في بيت بعض أصحابه ، وتوجَّه إلى القبلة ، فلمَّا جاء وقت الغداء أحْضِرَ إليه الغداء ، فلم يأكل ، ولم يزل على حاله متوجِّهاً ، يصلِّي الصَّلوات ، ويتوجَّه إلى ما بعد العشاء الآخرة ، فالتفت وهو مسرور ، وطلب الطَّعام ، فقيل له في ذلك ، فقال : الْتزمت مع الله ألَّا آكل ولا أشرب حتى يغفر لهذا الرَّجل الذي كان يلعنني ، فبقيت كذلك ، وذكرت له سبعين ألف " لا إله إلَّا الله " ، ورأيته وقد غفر له .

قال الشَّيخ عبد الغفَّار :

وحكى لي الشَّيخ عبد العزيز عنه حكاياتٍ تدلُّ على عظم شأنه ، وكشف اطِّلاعه ، قال : وحكى الإمام محبُّ الدِّين الطَّبري شيخ الحرم بمكَّة عن والدته – وكانت من الصَّالحات – أنَّها ربَّما أنكرت على ابن عربي كلاماً قاله في معنى " الكعبة " ، قالت : فرأيت الكعبة تطوف بابن عربي .

وقال : وقد كان وقع بين الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام ، وبين الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي .

أخبر الشَّيخ عبد العزيز ذلك ؛ لأنَّ الشَّيخ عز الدِّين كان ينكر ظاهر الحكم .

وحكىٰ عن خادم الشَّيخ عز الدِّين أنَّه دخل إلىٰ الجامع بدمشق ، فقال الخادم للشَّيخ عز الدِّين : أنت وعدتني أن تُرِيَنِي " القطب " ، فقال له : ذلك هو " القطب " ، وأشار إلىٰ ابن عربي وهو جالس ، والحلقة عليه . فقال له : يا سيِّدي وأنت تقول فيه ما تقول ؟ فقال : هو القطب ، فكرَّر عليه القول ، وهو يقول ذلك . فإن لم يكن " القطب " فلا معارضة في قول الشَّيخ عز الدِّين ؛ لأنَّه إنَّما يحكم عليه بما يبدو من أموره الظَّاهرة ، وحفظ سياج الشَّرع ، والسَّرائر أمرها إلىٰ الله تعالىٰ يفعل فيها ما يشاء ، فقد يطَّلع علىٰ محلِّه ورتبته ، فلا ينكرهما ، وإذا بدا في الظَّاهر شيء ممَّا لا يعهده النَّاس في الظَّاهر أنكره حفظاً لقلوب الضُّعفاء ، ووقوفاً مع ظاهر الشَّرع ، وما كلّف به ، فيعطي هذا المقامَ حقَّهُ ، وهذا حقَّهُ ، والله أعلم .

هذا كلام الشَّيخ عبد الغفَّار في جمعه بين مقالتي الشَّيخ عز الدِّين في حقِّ ابن عربي . وعندي في الجمع أحسن من ذلك ، وهو ما أشار إليه الشَّيخ تاج الدِّين بن عطاء الله – نفعنا الله به – : أنَّ الشَّيخ عز الدِّين كان أوَّلاً علىٰ طريقة غالب الفقهاء من المسارعة إلىٰ الإنكار علىٰ الصُّوفيَّة ، فلمَّا حجَّ الشَّيخ أبو الحسن الشَّاذلي ورجع ، وأقرأه السَّلام من النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حسُن اعتقاده في الصُّوفيَّة ، ولزم مجالسهم بعد ذلك ؛ فالظَّاهر أنَّ إنكاره علىٰ ابن عربي كان في أوَّل أمره لمَّا كان الشَّيخ عز الدِّين أولاً بدمشق ، وثناؤه عليه كان بعد ذلك في آخر أمره .

قال الشَّيخ عبد الغفَّار :

وقد حكىٰ الثِّقة عن ابن عربي أنَّ شخصاً طلع وهو بغرفة بدمشق ، وكان الشَّيخ عز الدِّين حاضراً عنده ، فقال له ذلك الشَّخص : إنِّي أقصد الجهة الفلانيَّة ، فقال : لا يأخذوك العرب ، فقال : لا بُدَّ لي من السَّفر ، فنزل ، فإذا الشَّيخ يقول : هذا البدوي خرج عليه ، وأخذ ثيابه ، وها هو قد رجع ، وجعل يقول : ها هو ... إلىٰ أن قال : يا فلان ، قال : نعم ، فطلع علينا عرياناً ونحن جلوس مكاننا .

قال الشَّيخ عبد الغفَّار : وهذا كشف صريح ، قال : وقد اشتبه عليَّ الحال في الحاكي : هل هو القاضي جلال الدِّين ابن السُّبكي عن قاضي القضاة وجيه الدِّين البهنسي أم هو الشَّيخ عبد العزيز ؟ قال : وكلاهما إذا حكيا سواء .

وقال اليافعي في " الإرشاد " :

اجتمع الشَّيخان الإمامان العارفان المحقِّقان الربَّانيَّان : الشَّيخ شهاب الدِّين السّهْرَوَرْدي ، والشَّيخ محيي الدِّين بن عربي – رضي الله عنهما – فأطرق كلُّ واحد منهما ساعة ، ثُمَّ افترقا من غير كلام ، فقيل لابن

عربي : ما تقول في الشَّيخ شهاب الدِّين ؟ قال : مملوءً سنَّة من قَرنه إلىٰ قدمه ، فقيل للسَّهروردي : ما تقول في الشَّيخ محيي الدِّين ؟ فقال : بحر الحقائق .

وبلغني عن بعض الشُّيوخ الكبار العارفين : أنَّه كان يقرأ عليه أصحابُه كلام ابن عربي ويشرحه ، فلمَّا حضرته الوفاة ، نهاهم عن مطالعة كتب ابن عربي ، وقال : أنتم ما تفهمون مراده ، ومعاني كلامه

وسمعت أنَّ الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام كان يطعن في ابن عربي ويقول : هو زِنديق ، فقال له يوماً بعض أصحابه : أريد أن تُريني القطب ، فأشار إلىٰ ابن عربي وقال : هذاك هو ...

فقيل له : فأنت تطعن فيه ؟ فقال : حتىٰ أصونَ ظاهر الشَّرع ، أو كما قال - رضي الله عنه - أخبرني بذلك غير واحد ما بين مشهور بالصَّلاح ، والفضل، ومعروف بالدِّين ثقة عدل ، من أهل الشَّام ، ومن أهل مصر ، إلَّا أنَّ بعضهم روىٰ : " أن تُريني ولياً " . وبعضهم روىٰ " أن تُريني القطب " .

وقد مدحه طائفة ، وعظَّمه طائفة من شيوخ الطَّريقة ، وعلماء الحقيقة ، كالشَّيخ الحريري ، والشَّيخ نجم الدِّين الأصبهاني ، والشَّيخ تاج الدِّين ابن عطاء الله ، وغيرهم ممَّن يكثر عددهم ، ويعلو مجدهم

وطعن فيه طائفة لا سيَّما من الفقهاء ، وتوقَّف فيه طائفة .

قُلْتُ : ما نُقل ونسب إلىٰ المشائخ - رضي الله عنهم - ممَّا يخالف العلم الظَّاهر ، فله محامل :

الأوَّل - أنَّا لا نُسلِّم نسبته إليهم حتىٰ يصحَّ عنهم .

الثَّاني - بعد الصحَّة يُلْتَمَس له تأويلٌ يوافق ، فإن لم يوجد له تأويل قيل : لَعَلَّ له تأويلاً عند أهل العلم الباطن العارفين بالله تعالىٰ .

الثَّالث - صدور ذلك عنهم في حال السُّكر والغيبة ، والسَّكرانُ سُكراً مباحاً غير مؤاخذ ؛ لأنَّه غير مكلَّف في ذلك الحال . فسوء الظنِّ بهم بعد هذه المخارج من عدم التَّوفيق ، نعوذ بالله من الخذلان ، وسوء القضاء ، ومن جميع أنواع البلاء .

وقال أيضاً - في موضع آخر - من " الإرشاد " ما نصّه : قال شيخ الطَّريقة ، وبحر الحقيقة محيي الدِّين بن عربي - رضي الله عنه - : كنت أنا وصاحب لي في المغرب الأقصىٰ بساحل البحر المحيط ، وهناك مسجد يأوي إليه " الأبدال " ، فرأيت أنا وصاحبي رجلاً قد وضع حصيراً في الهواء علىٰ مقدار أربعة أذرع من الأرض وصلَّىٰ عليه ، فجئت أنا وصاحبي حتىٰ وقفت تحته ، وقُلْتُ :

شُغِلَ المحِبُّ عن الحبيبِ بسرِّه   في حبِّ مَن خَلق الهواء وسخَّره

العارفون عُقولُهم معقولـــــــــةٌ عن كلِّ كون ترتضيـــــــــه مُطَهَّره

فهمُ لديه مكرَّمـــــــــون وعنده أسرارُهم محفوظـــــــــة ومُطَهَّره

قال : فأوجز في صلاته ، وقال : إنَّما فعلت هذا لأجل المُنْكِرِ الذي معك ، وأنا أبو العبَّاس الخضر .

قال : ولم أكن أعلم أنَّ صاحبي ينكر كرامات الأولياء ، فالتفَتُّ إليه ، وقُلْتُ : يا فلان ، أكنت تنكر كرامات الأولياء ؟؟ قال : نعم ، قُلْتُ : فما تقول الآن ؟ قال : ما بعد العيان ما يقال .

وقال أيضاً : دعانا بعض الفقراء إلى دعوة بـ " زقاق القناديل " بمصر ، فاجتمع بها جماعة من المشايخ ، فقدِّم الطعام ، وعجرت الأوعية ، وهناك وعاء زجاج جديد ، قد اتُّخذ للبول ، – ولم يستعمل بعد – فغرف فيه ربُّ المنزل الطَّعام ، فالجماعة يأكلون ، وإذا الوعاء يقول : منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السَّادة منِّي لا أرضى لنفسي أن أكون بعد ذلك محلَّاً للأذى ، ثُمَّ انكسر نصفين .

قال : فقُلْتُ للجميع : سمعتم ما قال الوعاء ؟ قالوا : نعم . قُلْتُ : ما سمعتم ؟ قال : فأعاد القول الذي تقدَّم . قال : فقُلْتُ : قال قولاً غير ذلك . قُلْتُ : وما هو ؟ قُلْتُ : قال كذلك قلوبكم مُنْكِرة ، قد أكرمها الله تعالى بالإيمان ، فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلَّاً لنجاسة المعصية ، وحبِّ الدُّنيا .

أورد هاتين الحكايتين عن ابن عربي : الشَّيخ تاج الدِّين بن عطاء الله في " لطائف المِنَن " ، والعلَّامة قاضي القضاة شرف الدِّين البارزي في كتابه : " توثيق عُرى الإيمان " .

وقال الحافظ محب الدِّين بن النَّجَّار في " ذيل تاريخ بغداد " : محمَّد بن علي بن محمَّد بن عربي أبو عبد الله الطَّائي من أهل الأندلس . ذكر لي أنَّه ولد بمرسية في ليلة الاثنين سابع عشر من رمضان سنة ستين وخمسمائة ، و نشأ بها ، وانتقل إلى أشبيلية في سنة ثمان وسبعين ، فأقام بها إلى سنة ثمان وتسعين ، ثُمَّ دخل بلاد الشَّرق ، وطاف بلاد الشَّام ، ودخل بلاد الرُّوم ، وكان قد صحب الصُّوفيَّة ، وأرباب القلوب ، وسلك طريق القوم ، وحجَّ وصنَّف كتباً في علوم القوم ، وفي أخبار مشايخ الغرب ، وزُهَّادها ، وله أشعار حسنة ، وكلام مليح .

اجتمعت به بدمشق ، وكتبت عنه أشياء من شِعره ، ونعم الشَّيخ هو ، دخل بغداد ، وحدَّث بها بشيء من مصنَّفاته ، وكتب عنه الحافظ أبو عبد الله بن الدبيثي .

ومن شعره ما أنشدني لنفسه قوله :

أيا حائراً مـــــــا بين علم وشهوة ليتَّصـلا مـا بيـن ضدَّيـن مـن وصـــل

ومن لم يكن مستنشق الرِّيح لم يكـــن	يرىٰ الفضـــل للمسك العتيق علىٰ الزِّبل

انظر : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ابن النجار البغدادي (١/ ٢١) .

كتب إليَّ الحافظ ضياء الدِّين المقدسي: إنَّ ابن العربي توفِّي ليلة الجمعة الثَّاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ومنهم قاضي القضاة العلَّامة سراج الدِّين الهندي الحنفي أحد أئمَّة الحنفيَّة ، وقاضي القضاة بالدِّيار المصريَّة ، وصاحب المصنَّفات : كـ " شرح الهداية " ، و " شرح المغني " . كان يتعصَّب لابن عربي ، وابن الفارض ، وألَّف شرحاً علىٰ تائيَّة ابن الفارض ، وعزَّر ابن أبي حجلة لكلامه فيه .

ومنهم الشَّيخ ولي الدِّين محمَّد بن أحمد الملّوي أحد علماء الشَّافعيَّة .

كان عارفاً بالتَّفسير والفقه ، والأصول ، والتَّصوُّف ، ألَّف عدَّة تصانيف علىٰ طريقة ابن عربي ، ومات في ربيع الأوَّل سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، وحضر جنازته ثلاثون ألفاً .

وحكي أنَّه قال عند موته : حضرت ملائكة ربِّي ، وبشَّروني ، وأحضروا لي ثياباً من الجنَّة ، فانزعوا عنِّي ثيابي ؛ فنزعوها ، فقال : أرحمتموني ، ثُمَّ زاد سُرُورُه ، ومات في الحال .

ومنهم أبو ذر أحمد بن عبد الله العجمي أحد من كان يشغل النَّاس في المعقول . ذكر الحافظ بن حجر في " إنباء الغمر " أنَّه كان يدرس كتب ابن عربي ، وأنَّه كان للنَّاس فيه اعتقاد ، ومات سنة ثمانين وسبعمائة .

انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ١٨٠) .

أدمِ الصَّلاة علىٰ النَّبي محمَّـــد	فقبولهـــــــــــا حتمٌ بدون تردُّد
أعمالنا بين القبول وردّهـــــا	إلَّا الصَّلاة علىٰ النَّبي محـمَّـــــــد
فصلاة ربِّي عدّ أنفاس الورىٰ	وسلامه أبداً عليكـــــــم سيِّدي
والآل والصَّحب الكــــرام ومن تلا	والصّـــالحين علىٰ الدوام السَّرمـدي

ومنهم الشَّيخ بدر الدِّين أحمد بن الشَّيخ شرف الدِّين محمَّد بن فخر الدِّين بن الصَّاحب بهاء الدِّين بن حنا المشهور بالبدر بن الصَّاحب .

قال ابن حجر : تفقَّه ، ومهر في العلوم ، وألَّف تواليف ، وكان يحسن الظَّنَّ بتصانيف ابن عربي ويصرِّح بالنَّقل منها ، مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٣٢١) .

ومنهم الشَّيخ شمس الدِّين محمَّد بن إبراهيم بن يعقوب المعروف بـ شيخ الوضوء . قال ابن حجر : كان يقرأ السَّبع ، ويشارك في الفضائل ، وينظر في كلام ابن عربي . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٣٦٠) .

وقال ابن حجر : تفقَّه بوالدي وغيره ، وأذن له من خطيب أبيورد بالإفتاء ، وكان التَّاج السُّبكي يثني عليه وكان حسن الفهم ، جيِّد المناظرة ، وسلك طريق التَّصوُّف ، وكان يعتقد أنَّ ابن عربي مات سنة تسعين وسبعمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٣٦١) .

ومنهم أبو عبد الله محمَّد بن سلامة التّوزري المغربي ، قال ابن خلِّكان : كان فاضلاً في الأصول والفقه ، داعية إلىٰ مقالة ابن عربي ، يناضل عنها ويناظر عليها ، مات سنة ثمانمائة .

ومنهم الشَّيخ نجم الدِّين الباهي ، قال ابن حجِّي : كان أفضل الحنابلة بالديَّار المصريَّة ، وأحقّهم بولاية القضاء ، قال ابن حجر : وكان لهُ نظر في كلام ابن عربي . وقد درَّس وأفتىٰ ، مات سنة اثنتين وثمانمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/ ١٢٨) .

ومنهم شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الصُّوفي المعروف بـ " لبن نجم " نزيل مكَّة . قال ابن حجر : تسلَّك علىٰ يد الشَّيخ يوسف العجمي ، وتجَّرد ، وكان كثير العبادة ، قال ابن حجر : كان علىٰ طريقة ابن عربي ، مات سنة إحدىٰ وثمانمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/ ٨٣) .

ومنهم الشَّيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ثُمَّ الزَّبيدي ، قال ابن حجر : تعانىٰ الاشتغال ، ثُمَّ تصوَّف ، وكان خيِّراً عابداً ، حسن السَّمت ، محبَّاً في مقالة ابن عربي ، مات سنة ست وثمانمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/ ٢٧٢) .

ومنهم العلَّامة مجد الدِّين الشِّيرازي صاحب القاموس ، قال ابن حجر : لَمَّا اشتهرت باليمن مقالة ابن عربي ، ودعا إليها الشَّيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، وغلبت علىٰ علماء تلك البلاد صار الشَّيخ مجد الدِّين يُدخل في شرح البخاري من كلام ابن عربي . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ٤٩) .

ومنهم علاء الدِّين أبو الحسن بن سلام الدِّمشقي الشَّافعي ، أحد أئمَّة الشَّافعيَّة بالشَّام ، ومُصنِّفيهم ، قال ابن حجر : كان يُنسب إلىٰ نُصرة مقالة ابن عربي ، ويتخيَّل لها تأويلات ، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ٣٧٨) .

ومنهم قاضي القضاة شمس الدِّين البساطي المالكي ، ذكر ابن حجر في حوادث سنة إحدىٰ وثلاثين وثمانمائة أنَّه حضر معه عند الشَّيخ علاء الدِّين البخاري ، فجرىٰ ذكر ابن عربي ، فبالغ الشَّيخ علاء الدِّين

في ذمِّه ، وتكفير من يقول بمقالته ؛ فانتصر له البساطي ، وقال : إنَّما ينكر النَّاس عليه ظاهر الألفاظ التي يقولها ، وإلَّا فليس في كلامه ما ينكر ، إذا حمل لفظه علىٰ مراده ، وضَرْبٍ من التَّأويل .

وكان من جملة كلام الشَّيخ علاء الدِّين : الإنكار علىٰ من يعتقد الوحدة المطلقة .

وكان من جملة كلام البساطي : أنتم تعرفون الوحدة المطلقة ؟ فاستشاط البخاري غضباً ، وأقسم بالله إن لم يعزل السُّلطان البساطيَّ من القضاء ليخرجنَّ من مصر ، والتمس من كاتب السرّ أن يسأل السُّلطان في ذلك ، فهمَّ السُّلطان أن يوافقه ، وأراد أن يقرِّر الشِّهاب بن تقي مكان البساطي ، فأُحضر ، وأُحضِرت خِلَعُهُ ، ثُمَّ بطل ذلك المجلس . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/ ٤٠٣) .

قُلْتُ : هذا من بركة الانتصار لأولياء الله تعالىٰ ! واستمرَّ البساطي في منصبه ، ولم يتَّفق له عزل قط إلىٰ أن مات بعد إحدىٰ عشرة ليلة من هذه الواقعة .

وذكر البرهان الرّقاعي في " معجمه " : حكىٰ لي الشَّيخ تقيُّ الدِّين أبو بكر بن أبي الوفاء القدسي الشَّافعي ، قال – وهو أمثل الصُّوفيَّة في زماننا – قال : كان بعض الأصدقاء يشير عليَّ بقراءة كتب ابن عربي ونحوها من أنظارها ، وبعضهم يمنع منِّي ذلك ، فاستشرتُ الشَّيخ يوسف الإمام الصَّفدي في ذلك ، فقال : اعلم يا ولدي – وفقك الله – أنَّ هذا العلم المنسوب لابن عربي ليس بمختَرَع له ، وإنَّما هو كان ماهراً فيه ، وقد ادَّعىٰ أهله أنَّه لا يمكن معرفته إلَّا بالكشف ، فإذا صحَّ مُدَّعاهم ، فلا فائدة في تقريره ؛ لأنَّه إذا كان المقرَّر ، والمقرر له مطلعين ؛ فالتَّقرير تحصيل الحاصل ، وإن كان المطلعُ أحدَهما فتقريره لا ينفع الآخر ، وإلَّا فإنَّهما يخبطان خبط عشواء !! فسبيل العارف عدم البحث عن هذا العلم ، وعليه المعوَّل ، والسُّلوك فيما يوصل إلىٰ الكشف عن الحقائق ، ومتىٰ كُشف له عن شيء علمه ، ومشىٰ في أعلىٰ سند ، قال : ثُمَّ استشرتُ الشَّيخ زين الدِّين الخافي بعد أن ذكرت له كلام الشَّيخ يوسف ، فقال : كلام الشَّيخ يوسف حسن . وأزيدك أنَّ العبد إذا تخلَّق ، ثُمَّ تحقَّق ، ثُمَّ جُذِب ، اضمحلَّت ذاته ، وذهبت صفاته ، وتخلَّص من السّوىٰ ، فعند ذلك تلوح له بروق الحقِّ بالحقِّ ، فيطَّلع علىٰ كلِّ شيء ، ويرىٰ الله عند كلِّ شيء ، فيغيب بالله عن كلِّ شيء ولا يرىٰ شيئاً سواه ، فيظنُّ أنَّ الله عين كلّ شيء وهذا أول المقامات . فإذا ترقَّىٰ عن هذا المقام وأشرف علىٰ مقام أعلىٰ منه ، وعضَّده التأييد الإلهي ، رأىٰ أنَّ الأشياء كلّها فيض وجوده تعالىٰ ، لا عين وجوده ، فالنَّاطق حينئذ بما ظنّه في أوَّل مقام إمَّا محروم ساقط ، وإمَّا نادم تائب ﱡﭐسج سح سخ سم صحصخ صم ضج ضح ضخضم طح ظم عج عم غجﱠ[القصص : ٦٨] ، فإن قُلْتُ : فهذا الشَّيخ ولي الدِّين العراقي قد

قال في فتاويه : قد بلغني عن الشَّيخ الإمام علاء الدِّين القونوي أنَّه قال في مثل ذلك : إنَّما يؤول كلام المعصومين !

قُلْتُ : هذا منقوض بأمرين :

أحدهما : أنَّ القونوي قد فعل خلاف ذلك في كتابه " شرح التَّعرُّف " ، فنقل عن ابن عربي وغيره كلمات ظاهرها المنافاة للشَّرع ، ثُمَّ تأوَّلها وخرَّجها علىٰ أحسن المحامل ؛ فهذا منه إمَّا دليل علىٰ بطلان ما نقل عنه من عدم التَّأويل ، أو رجوع عنه . والثَّاني : أنَّ كلام القونوي لو ثبت أنَّه قاله ، ولم يقل خلافه في " شرح التَّعرف " مُعَارَض بقول مَن هو أجَلّ منه ، وهو شيخ الإسلام ولي الله تعالىٰ محيي الدِّين النَّووي ؛ فإنَّه نصَّ في كتابه " بستان العارفين " علىٰ خلاف قول القونوي ؛ فقال بعد أن حكىٰ عن " أبي الخير التِّيناتي " حكاية ظاهرها الإنكار ، ما نصه : " قُلْتُ : قد يتوهَّم من يتشبَّه بالفقهاء ولا فقه عنده أن ينكر علىٰ أبي الخير هذا ، وهذه جهالة وغباوة ممَّن يتوهَّم ذلك ، وجسارة منه علىٰ إرسال الظُّنون في أفعال أولياء الرَّحمن ، فليحذر العاقل من التَّعرُّض لشيء من ذلك ، بل حقُّه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة ، ولطائفهم المستجادة ، أن يتفهَّمها ممَّن يعرفها ، وكلّ شيء رأيته من هذا النَّوع ممَّا يتَوَهَّم من لا تحقيق عنده أنَّه مخالف ، ليس مخالفاً بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالىٰ . هذا كلام النَّووي بحروفه . انظر : بستان العارفين (ص٧٣) .

ولابن عربي هذا ولد مشهور ، فقيه أديب يسمَّىٰ : سعد الدِّين محمَّد بن العربي ، شِعره مشهور في " تذكرة الصَّلاح الصَّفدي " ، وغيره . وقد روىٰ من شعره الحافظ شرف الدِّين الدّمياطي في " معجمه " ، وقال : محمَّد بن محمَّد بن علي بن محمَّد بن أحمد أبو عبد الله بن أبي عبد الله الطَّائي الحاتمي المغربي المحتد ، الدِّمشقي المولد ، الشَّافعي الفقيه الأديب المعروف بابن العربي ، والمنعوت بالسَّعد – رضي الله عنه وعن والده – توفِّي بدمشق في جمادىٰ الآخرة سنة ست وخمسين وستمائة . وذكره الصَّلاح الصَّفدي في تاريخه ، فقال : سعد الدِّين محمَّد بن الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي الشَّاعر ، ولد بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة ، وسمع الحديث ودرَّس ، وكان شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر مشهور ، ومن شعره :

نهري من المحبوب أصبح مرسلاً ... وأراه متَّصِلاً بفيض مدامعي

قال الحبيب بأن ريقي نافع ... فاسمع رواية مالك بن نافع

ولابن عربي ولد ثانٍ اسمه عماد الدِّين محمَّد ، قال فيه القطب اليونيني : كان فاضلاً سمع الكثير علىٰ أحمد بن عبد الدَّائم المقدسي ، ومات بدمشق سنة سبع وستين وستمائة ، وقد نيف علىٰ الخمسين .

ثمَّ رأيتُ في تاريخ الصَّفدي في ترجمة الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي – رضي الله عنه – ما نصه : قد عظمه الشَّيخ كمال الدِّين بن الزّملكاني في مصنَّفه الذي عمله في الكلام علىٰ النَّبي ، والملك ، والشَّهيد ، والصّدِّيق ، وهو مشهور في الفصل الثَّاني في فضل الصّدِّيقية ، وقال : الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي البحر الزَّاخر في المعارف الإلهيَّة ، وذكر من كلامه جُمْلَةً ، ثُمَّ قال في آخر الفصل : وإنَّما نقُلْتُ كلامه ، وكلام من جرىٰ مجراه من أهل الطَّريق ؛ لأنَّهم أعرف بحقائق هذه المقامات ، وأبصر بها ، لدخولهم فيها . وتَحققِهم بها ذوقاً ، والمخبر عن الشَّيء ذوقاً مخبر عن عين اليقين ، فاسأل به خبيراً ، انتهىٰ كلام ابن الزّملكاني .

قال الصَّفدي : وحُكي لي بأنَّه ذكر للشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية أنَّ في دمشق إنساناً يصرف كلام ابن عربي بالتَّأويل إلىٰ ظاهر الشَّرع ، فقُدِّر أن اجتمع به ، فقال له : بلغني عنك كذا ، وكذا ، فقال : نعم ، فقال : كيف تعمل في قوله : خُضْتُ لُجَّةَ بَحْرٍ ، الأنبياءُ وقوفٌ علىٰ ساحله ، فقال : ما في ذا شيء ، يعني أنَّهم واقفون لإنقاذ من يغرق فيه من أممهم ، فقال له : هذا بعيد ، فقال : وإلَّا ما الذي تفهمه أنت ؟ وما هو المقصود ؟! وعلىٰ الجملة فقد كان رجلاً عظيماً ، والذي نفهمه من كلامه حسن بَسنٌ ، والذي يشكل علينا نكل علمه إلىٰ الله تعالىٰ ، وما كلفنا اتِّباعه ، ولا العمل بكلِّ ما قاله .

قال : وقد رأيتُ كتابه " الفتوحات المكيَّة " في عشرين مجلَّداً بخطِّه ، فرأيتُ فيه دقائق وغرائب وعجائب ليست توجد في كلام غيره ، وكأنَّ المنقول والمعقول ممثَّلان بين عينيه في صورة محصورة يشاهدها متىٰ أراد ، وتأتي له الأثر ونزَّله علىٰ ما يريده ، وهذه قدرة ونهاية إطلاع ، وتوقُّد ذهن ، وغاية حفظ وذكر . ومن وقف علىٰ هذا الكتاب علا قَدرُه ، وهو من أجلِّ مصنَّفاته .

قال : وقد ذكر في أوَّله عقيدته ، فرأيتها من أولها إلىٰ آخرها عقيدة الشَّيخ أبي الحسن الأشعري ، ليس فيها ما يخالف رأيه ، قال : وكتب عليها :

ليس في هذه العقيدة شـــيء	يقتضيه التَّكذيب والبهتـــانُ
لا ولا ما قد خالف العقل والنقـ	ـل الذي قد أتـــىٰ به القرآنُ
وعليهـــــا للأشعري مَدَارٌ	ولها في مقالـــه إمكـــانُ
وعلىٰ ما ادَّعـــاه يتَّجه البحـــ	ـــثُ ويأتي الدَّليل والبرهـــانُ
بخلاف الشياع عنه ولكـــــن	ليس يخلو من حـــاسد إنسان

هذا آخره ، والحمد لله وحده ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه ، وسلَّم تسليماً كثيراً بلا تقليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " . انظر : تنبيه الغبيّ في تبرئة ابن عربيّ ، جلال الدِّين السُّيوطي .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي (٩٢٦هـ) : " وَقَدْ نَصَّ عَلَىٰ وِلَايَةِ ابْنِ عَرَبِي جَمَاعَةٌ عُلَمَاءُ عَارِفُونَ بِاَللَّهِ ، مِنْهُمْ : الشَّيخ تَاجُ الدِّين بْنُ عَطَاءِ اللهِ ، والشَّيخ عَبْدُ اللهِ الْيَافِعِيُّ ، وَلَا يَقْدَحُ فِيهِ وَفِي طَائِفَتِهِ ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ الْمَذْكُورِ عِنْدَ غَيْرِ الصُّوفِيَّةِ لِمَا قُلْنَاهُ ؛ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَصْدُرُ عَنْ الْعَارِفِ بِاَللَّهِ إذَا اسْتَغْرَقَ فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ بِحَيْثُ تَضْمَحِلُّ ذَاتُهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتُهُ فِي صِفَاتِهِ وَيَغِيبُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ عِبَارَاتٌ تُشْعِرُ بِالْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ لِقُصُورِ الْعِبَارَةِ عَنْ بَيَانِ حَالِهِ الَّذِي تَرَقَّىٰ إلَيْهِ ، وَلَيْسَتْ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا كَمَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ وَغَيْرُهُ " . انظر : أسنىٰ المطالب في شرح روض الطالب ، زكريَّا بن محمَّد بن زكريَّا الأنصاري (٤/ ١١٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالحطَّاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) : " ... وَهَذَا يَدُلُّ لِمَا ذَكَرَهُ الشَّيخ مُحْيِي الدِّين بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَوَّلِ بَابِ الْوَصَايَا مِنْ الْفُتُوحَاتِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : إذَا عَصَيْتَ اللهَّ فِي مَوْضِعٍ فَلَا تَبْرَحْ مِنْهُ حَتَّىٰ تَعْمَلَ فِيهِ طَاعَةً لِمَا يَشْهَدُ عَلَيْكَ يَشْهَدُ لَكَ ، وَكَذَلِكَ ثَوْبُكَ إذَا عَصَيْتَ اللهَّ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ مَا يُفَارِقُكَ مِنْكَ مِنْ قَصِّ الشَّارِبِ وَحَلْقِ عَانَةٍ وَقَصِّ أَظَافِرَ وَتَسْرِيحِ لِحْيَةٍ وَتَنْقِيَةِ وَسَخٍ لَا يُفَارِقُكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إلَّا وَأَنْتَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، وَذِكْرٍ للهَّ ، فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْكَ كَيْفَ تَرَكَكَ ، وَأَقَلُّ عِبَادَةٍ تَقْدِرُ عَلَيْهَا عِنْدَ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَدْعُوَ اللهَّ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكَ حَتَّىٰ تَكُونَ مُؤَدِّياً وَاجِباً فِي امْتِثَالِ قَوْلِهِ : ﭐﲊ ﲋ ﲌﲍ [غافر: ٦٠] ، ثُمَّ قَالَ : ﭐﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ [غافر: ٦٠] ، يَعْنِي بِالْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ، وَقَالَ الشَّيخ إبراهيم بْنُ هِلَالٍ وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ الدُّعاء عِنْدَ الْحَلْقِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تَغْشَىٰ الْحَاجَّ عِنْدَ حِلَاقِهِ ، انْتَهَىٰ . انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٣/ ١٢٨) .

وجاء في الفتاوىٰ الحديثيَّة للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَسُئِلَ أَفَاضَ الله علينا من بركاته مَا حكم مطالعه كتب الشَّيخ محيي الدِّين بن عَرَبِيّ (فَأجَاب) بقوله : الَّذِي أثرناه عَن أكَابِر مَشَايِخنَا الْعلمَاء الْحُكَمَاء الَّذِي يستسقىٰ بهم الْغَيْث ، وَعَلَيْهِم الْمعول ، وإليهم الْمرجع فِي تَحْرِير الْأَحْكَام وَبَيَان الْأَحْوَال والمعارف والمقامات والإشارات ، أَنَّ الشَّيخ محيي الدِّين بن عَرَبِيّ من أَوْلِيَاء الله تَعَالَىٰ العارفين وَمن الْعلمَاء العاملين وَقد اتَّفقُوا علىٰ أَنَّه كَانَ أعلم أهل زَمَانه بِحَيْثُ أَنَّه كَانَ فِي كل فن متبوعاً لَا تَابعاً ، وأَنَّه فِي التَّحْقِيق والكشف وَالْكَلَام

علىٰ الْفرق وَالْجمع بَحر لَا يجارىٰ وَإِمَام لَا يغالط وَلَا يمارىٰ ، وأنَّه أورع أهل زَمَانه وألزمهم للسّنة وأعظمهم مجاهدة " . انظر : الفتاوىٰ الحديثية (ص٢١٠) .

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) : " وَحكىٰ الشَّيخ الامام الْعَلَّامَة بحرق سمع الشَّيخ أَبَا بكر العيدروس يَقُول : لَا أذكر أَنَّ وَالِدي ضَرَبَنِي وَلَا انتهرني إِلَّا مرَّة وَاحِدَة بِسَبَب أَنَّه رأىٰ بيَدي جُزْءاً من كتاب " الفتوحات المكِّيَّة " لِابنِ عَرَبِيّ ، فَغَضب غَضباً شَدِيداً ، فهجرتها من يَوْمئِذٍ ، قَالَ : وَكَانَ وَالِدي ينْهَىٰ عَن مطالعة كتابي : " الْفتُوح " و " الفصوص " لِابْنِ عَرَبِيّ ويأمرنا بِحسن الظنِّ فِيهِ ، وباعتقاد أَنَّه من أَكَابِر الْأَوْلِيَاء الْعلمَاء بِاللهَّ العارفين ، وَيَقُول : أَنَّ كتبه اشْتَمَلت علىٰ حقائق لَا يُدْرِكهَا إِلَّا أرباب النِّهايات وتضرُّ بأرباب البدايات .

قَالَ الشَّيخ بحرق : وَأَنا أَيْضاً علىٰ هَذِه العقيدة ، وأدركت عَلَيْهَا جمَاعَة من الْمَشَايِخ المقتدىٰ بهم .

قُلْتُ : وَهَذَا مُقْتَضىٰ كَلَام السُّيوطي رَحمَه الله ، وَأَنا أَيْضاً علىٰ هَذِه العقيدة ، وَهَذِه الطَّرِيقَة أسلم والله أعلم .

وَوجدت بِخَط صَاحب التَّرْجَمَة سَيِّدي الشَّيخ حُسَيْن بن الْفَقِيه عبد الله بالحاج أَبَا فضل رَضِي الله عَنهُ ونفع بِهِ آمين أَنَّ الشَّيخ الإِمَام ولي الله تَعَالَىٰ محيي الدِّين النَّوَوِيّ لَّما رأىٰ كَلَامه وطالعه ، قَالَ : الْكَلَام كَلَام صوفي ، ثُمَّ قَالَ الشَّيخ حُسَيْن : وَهُوَ كَما قَالَه هَذَا الإِمَام أنَّ كلامة كَلَام الصُّوفِيَّة ، وإنَّما هُوَ بسط الْعبارَة فِي مَوضِع الْإِشَارَة وما يحملهُ من يُنكر علىٰ الصُّوفِيَّة ، وَوجدت بِخَطِّهِ أَيْضاً مَا صورته هَذَا الأبيات تصلح فِي الشَّيخ محيي الدِّين :

دَعـوه لَا تلوموه دَعـــــــــــــــوه	فقد علم الَّذِي لم تعلمـــــــــــــوه
وَرَأىٰ علم الْهدىٰ فَسمىٰ إِلَيْـــــــهِ	وطالب مطلباً لم تطلبــــــــــــوه
أجاب دَعَاهُ لَّما دَعَـــــــــــــــاهُ	وَقَامَ بِحقِّهِ ووضعتمــــــــــــوه

قُلْتُ : وعَلىٰ بالي حِكَايَة غَرِيبَة وَقعت للشَّيْخ ابْن عَرَبِيّ تدلُّ علىٰ فَضله الْعَظِيم أَذْكُرُهَا هُنَا تيمُّناً بِذكرِهِ واستشعاراً بعظيم قدره ، ولأنَّ المؤرخين يَقُولُونَ : من ذكر إنساناً وَعلم لَهُ نادرة فَلم يذكرهَا فقد ظلمه ، ذكره بعض المعتنين بأخباره والمدوِّنين لمحاسن آثاره : أنَّ صَاحب إشبيلية أرسل مَالاً عَظِيماً إِلَىٰ مكَّة شرَّفها الله تَعَالَىٰ ، وَأوصىٰ الْوَكِيل أن لَا يفرِّق هَذَا المَال إِلَّا أعلم أهل الأَرْض ، وَاتَّفقَ أَنَّه اجتمع تلك السَّنة بِمَكَّة شرفها الله تَعَالَىٰ من الْمَشَايِخ وَالْعُلَمَاء وَالْفُقَهَاء وَمن كلِّ ذِي فنٍّ من الْعُلُوم مَا لم يجْتَمع فِي عصر من الْأَعْصَار

، وَهِي السَّنة الَّتِي اجْتمع فِيهَا الشَّيخ شهَاب الدِّين السَّهروردي بالشَّيخ محيي الدِّين رَضِي الله عَنْهُمَا ، وَقَالَ كلُّ وَاحِد مِنْهُمَا فِي شَأْن صَاحبه مَا قَالَ ، فأجمع الْكلُّ علىٰ الشَّيخ محيي الدِّين رَضِي الله عَنهُ ، وأن لَا يفرِّق المَال سواهُ ، ففرَّقه ، فَلَمَّا فرغ من تفريقه ، قَالَ : لَوْلَا أنَّ خوفي خرق الإجماع لامتنعت ، فَقَالَ له بعض أَصْحَابه : لِمَ ياسيِّدي ، قَالَ : مَا أُريد بِهِ وَجه الله بل أُريد بِهِ التَّفاخر ، فَقَالَ لَهُ : بَيِّن لي ذَلِك ؟ فَقَالَ : إنَّ صَاحب الغرب أراد أن يفتخر بِي علىٰ سَائِر مُلُوك الأَرْض إِذْ قدم علم أَنَّه لَا يفرقه سواي ، فَمَا أراد بِهِ وَجه الله تَعَالَىٰ ، بل أَرَادَ التَّفاخر ، فَبلغ ذَلِك الْمجْلس إِلَىٰ صَاحب إشبيلية فَبكىٰ ، وَقَالَ صدق الشَّيخ هَذَا أردت " . انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٣١٠-٣١١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيىٰ ، أبو العبَّاس المقرّي التِّلمساني (١٠٤١هـ) : " والذي عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطَّريقة التَّسليم لهم ففيه السَّلامة ، وهو أحوط من إرسال العنان وقول يعود علىٰ صاحبه بالملامة .

وما وقع لأبي حيَّان وابن حجر في تفسيره من إطلاق اللسان في هذا الصدِّيق وأنظاره فذلك من غَلس الشَّيطان .

والذي أعتقده ولا يصحُّ غيره أنَّ الإمام أبي عربي وليٌّ صالح وعالِمٌ ناصحٌ ، وإنَّما فُوِّق إليه سهامَ الملامة من لم يفهم كلامه .

علىٰ أَنَّه دُسَّت في كتبه مقالات يجلّ قدْرة عنها . وقد تعرَّض من المتأخِّرين وليّ الله الربَّاني سيِّدي عبد الوهَّاب الشَّعراني نفعنا الله تعالىٰ ببركاته لتفسير كلام الشَّيخ علىٰ وجه يليق ، وذكر من البراهين علىٰ ولايته ما شرح صدره أهل التَّحقيق ، فليُطالع ذلك من أراده ، والله وليُّ التَّوفيق " . انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ٥٥-٥٦) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقرّي التِّلمساني (١٠٤١هـ) : " وممَّن ذكر الشَّيخ محيي الدِّين الإمام شمس الدِّين محمَّد بن مسدي في معجمه البديع المحتوي علىٰ ثلاث مجلَّدات ، وترجمه ترجمة عظيمة مطوَّلة أذكر منها أنَّه قال : أنَّه كان ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النَّظر في الاعتقادات ، خاض بحر تلك العبارات ، وتحقَّق بمحيًّا تلك الإشارات ، وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدُّم والإقدام ، ومواقف النِّهايات في مزالق الأقدام ، ولهذا ما ارتبت في أمره ، والله تعالىٰ أعلم بسرِّه ، انتهىٰ . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ١٨٣) .

وقال الإمام نجم الدِّين محمَّد بن محمَّد الغزّي (١٠٦١هـ) في ترجمة دمرادش المحمَّدي : " دمرداش المحمَّدي ، الشَّيخ الصَّالح الورع المعتقد ، صاحب الزَّاوية : " غرس ألف نخلة فلم يخطيء منها واحدة ، وليس منذ غرس غيطة بمصر ، أحسن تمراً من غيطه ، ولتمره شهرة زائدة ، وكلُّ ذلك ببركة التَّقوىٰ ، وملاحظة النيَّة عند غرسه فإنَّه أخبر عن نفسه ، أنَّه لم يغرس نخلة قطّ ، إلَّا علىٰ نيَّة الفقراء والمساكين الذين هو من جملتهم ، وذكر أنَّ سيدي إبراهيم المتبولي ، هو الذي أشار عليه بذلك ، وقال له : يا دمرداش كُل من عمل يدك ، وإيَّاك والأكل من صدقات النَّاس ، فإنَّهم يتقاسمون حسناتك في الآخرة ، وقد وقف غيطه ، وشرط أن تنقسم غلَّته أثلاثاً ثلاث لمصالح الغيط ، وثلث لورثته ، وثلث الفقراء والمساكين القاطنين بالزَّاوية ، والواردين إليها ، وشرط علىٰ القاطنين بزاويته ، أن يقرأوا كلَّ يوم ختماً يتناوبونه ، ثُمَّ يجتمعون قبيل المغرب ، ويهدونه إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإلىٰ الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي – رضي الله تعالىٰ عنه – " . انظر : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ١٩٥) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العكري الحنبلي (١٠٨٩) : " وقال الشَّيخ عبد الرَّؤوف المُناوي في " طبقات الأولياء " له : وقال الحافظ ابن حجر في " لسان الميزان " وهو ممَّن كان يحطُّ عليه ويسيء الاعتقاد فيه –: كان عارفاً بالآثار والسُّنن ، قويّ المشاركة في العلوم .

أخذ الحديث عن جمع ، وكان يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب ، ثُمَّ تزهَّد وساح ، ودخل الحرمين والشَّام ، وله في كلِّ بلد دخلها مآثر ، انتهىٰ .

وقال بعضهم : برز منفرداً مؤثراً للتَّخلِّي والانعزال عن النَّاس ما أمكنه ، حتىٰ أنَّه لم يكن يجتمع به إلَّا الأفراد ، ثُمَّ آثر التَّآليف ، فبرزت عنه مؤلَّفات لا نهاية لها ، تدلُّ علىٰ سعة باعه ، وتبحُّره في العلوم الظَّاهرة والباطنة ، وأنَّه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط ، وتأسيس القواعد والمقاصد التي لا يدريها ولا يحيط بها إلَّا من طالعها بحقِّها ، غير أنَّه وقع له في بعض تضاعيف تلك الكتب كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها ، وكانت سبباً لإعراض كثيرين لم يحسنوا الظنَّ به ، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحقّقين ، والعلماء العاملين ، والأئمَّة الوارثين : إنَّ ما أوهمته تلك الظَّواهر ليس هو المراد ، وإنَّما المراد أمور اصطلح عليها متأخِّر وأهل الطَّريق غيرة عليها ، حتَّىٰ لا يدَّعيها الكذَّابون ، فاصطلحوا علىٰ الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة خلاف المراد ، غير مبالين بذلك ، لأنَّه لا يمكن التَّعبير عنها بغيرها " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧/ ٣٣٣) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العكري الحنبلي (١٠٨٩) أيضاً في كلامه عن الإمام ابن عربي : " ... وحسده طوائف ، فدسُّوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشَّرع ، وعقائد زائغة ، ومسائل تخالف الإجماع ، وأقاموا عليه القيامة ، وشنَّعوا وسبُّوا ، ورموه بكلِّ عظيمة ، فخذلهم الله وأظهره عليهم .

وكان مواظباً علىٰ السّنَّة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة علىٰ نفسه حتىٰ بملبوسه ، متحمِّلاً للأذىٰ ، موزِّعاً أوقاته علىٰ العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة ، واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة ، فكان يقوم بهم نفقه وكسوة " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٤٦) .

وقال الإمام صدر الدِّين المدني ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) في ترجمة الشَّيخ محمَّد بن سعيد الكاشني الدِّمشقي الصُّوفي : " عارف شاد ربوع المعارف ، وسالك نهج أوضح المسالك ، صافي فصوفي ، حتىٰ لقِّب الصُّوفي .

وله في الأدب مقام ، شهدت به الطروس والأرقام ، غير أنَّ شعره وسط ، وإن أطنب فيه القول وبسط ، فمنه قوله في الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي رضي الله تعالىٰ عنه وكان يلازم طريقته ، ويعتقد مجازه وحقيقته :

أمولاي محيي الدِّين أنت الذي بدت ... علومك في الآفاق كالغيث مذهمـــا
كشفت معـــاني كلَّ علم مكتـــــم ... وأوضحت بالتَّحقيق ما كان مبهمـا

وقوله مؤرِّخاً وفاته :

شيخنا الحـاتمي في الكـــون فرد ... وهو غوث وسيد وإمـــــــــــــام
كم علوم أتىٰ بها من غيـــــوب ... من بحار منها استمد الغمـــــــــام
إن سألتـــــــم متىٰ توفي شهيداً ... قُلْتُ أرخت مات قطب إمـــــــام

انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ، صدر الدِّين المدني، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشَّهير بابن معصوم (ص٢٢٨-٢٢٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) : " ومات الإمام العلَّامة أحد أذكياء العصر ونجباء الدَّهر الشَّيخ محمَّد ابن بدر الدِّين الشَّافعي سبط الشَّمس الشَّرنبابلي ولد قبل القرن بقليل وأجازه جدُّه وحضر بنفسه علىٰ شيوخ وقته كالشَّيخ عبد ربّه الديوي ، والشَّيخ مصطفىٰ العزيزي ، وسيِّدي عبد الله الكنكسي ، والسيِّد علي الحنفي ، والشَّيخ الملوي في آخرين وباحث وناصل وألَّف وأفاد ولزمه سليقة في الشِّعر جيِّدة وكلامه موجود بين أيدي النَّاس وله ميل لعلم اللغة ومعرفة بالأنساب غير أنَّه كان كثير

الوقيعة في الشَّيخ محي الدِّين ابن عربي قدَّس الله سرَّه وألَّف عدَّة رسائل في الردِّ عليه ، وكان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلَّق بذلك فينصحونه ويمنعونه من الكلام في ذلك فيعترف تارة وينكر أخرىٰ ، ولا يثبت علىٰ اعترافه ، وبلغني أنَّه ألَّف مرَّة رسالة في الردِّ عليه في ليلة من الليالي ونام فاحترق منزله بالنَّار واحترقت تلك الرِّسالة من جملة ما احترق من الكتب ، ومع ذلك فلم يرجع عمَّا كان عليه من التعصُّب " . انظر : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي (١/ ٣٦٨) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) معلناً رجوعه عن تكفير من كفَّرهم في بداية شبابه ... ومن ضمنهم الإمام ابن عربي : " وَكَانَ تَحْرِير هَذَا الْجَواب فِي عنفوان الشَّبَاب ، وَأَنا الْآن أتوقَّف في حَال هَؤُلَاءِ ، وأتبرَّأ من كلِّ مَا كَانَ من أَقْوَالهم وأفعالهم مُخَالفاً لهَذِهِ الشَّرِيعَة الْبَيْضَاء الْوَاضِحَة الَّتِي لَيْلهَا كنهارها ، وَلم يتعبَّدني الله بتكفير من صَار في ظَاهر أمره من أهل الْإِسْلَام .

وهب أَنَّ الْمُرَاد بِمَا في كتبهمْ وَمَا نقل عَنْهُم من الْكَلِمَات المستنكرة الْمَعْنىٰ الظَّاهِر والمدلول العربي وأنَّه قَاضٍ علىٰ قَائِله بالْكفْر البواح والضَّلال الصُّراح ، فَمن أَيْن لنا أَنَّ قَائِله لم يتب عَنهُ ؟!!! وَنحن لَو كُنَّا فِي عصره بل فِي مصره بل في منزله الذي يعالج فِيهِ سَكَرَات الْمَوْت لم يكن لنا إِلَى الْقطع بِعَدَمِ التَّوبة سَبِيل ، لِأَنَّهَا تقع من العَبْد بِمُجَرَّد عقد الْقلب مالم يُغَرْغر بِالْمَوْتِ ، فَكيف وبيننا وَبينهمْ من السِّنين عدَّة مئين " . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٣٧) .

قُلْتُ : ... وما عسىٰ الإمام الشَّوكاني يقول لو علم يقيناً أنَّ ما اشتملت عليه كُتب الإمام ابن عربي والشَّعراني ، و ... و ... و ... مدسوس عليهم من قِبَلِ من لا خَلاق لهم ؟!!!

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " وَإِذَا أُطْلِقَ الشَّيخ الْأَكْبَرُ فِي عُرْفِ الْقَوْمِ فَهُوَ الْمُرَادُ ، وَتَمَامُهُ فِي ط عَنْ طَبَقَاتِ الْمُنَاوِيِّ (قَوْلُهُ بَعْضُ الْمُتَصَلِّفِينَ) ، أَيْ الْمُتَكَلِّفِينَ (قَوْلُهُ لَكِنَّا تَيَقَّنَّا إلَخْ) لَعَلَّ تَيَقُّنَهُ بِذَلِكَ بِدَلِيلٍ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَوْ بِسَبَبِ عَدَمِ اطِّلَاعِهِ عَلَىٰ مُرَادِ الشَّيخ فِيهَا وأَنَّه لَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا فَتَعَيَّنَ عِنْدَهُ أَنَّهَا مُفْتَرَاةٌ عَلَيْهِ ؛ كَمَا وَقَعَ لِلْعَارِفِ الشَّعْرَانِيِّ أَنَّه افْتَرَىٰ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحُسَّادِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ أَشْيَاءَ مُكَفِّرَةً وَأَشَاعَهَا عَنْهُ حَتَّىٰ اجْتَمَعَ بِعُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَخْرَجَ لَهُمْ مُسَوَّدَةَ كِتَابِهِ الَّتِي عَلَيْهَا خُطُوطُ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا هِيَ خَالِيَةٌ عَمَّا افْتُرِيَ عَلَيْهِ هَذَا . وَمَنْ أَرَادَ شَرْحَ كَلِمَاتِهِ الَّتِي اعْتَرَضَهَا الْمُنْكِرُونَ فَلْيَرْجِعْ إلَىٰ كِتَابِ الرَّدِّ الْمَتِينِ عَلَىٰ مُنْتَقِصِ الْعَارِفِ مُحْيِي الدِّين لِسَيِّدِي عَبْدِ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيِّ (قَوْلُهُ

فَيَجِبُ الِاحْتِيَاطُ إلَخْ) ، لِأَنَّهُ إنْ ثَبَتَ افْتِرَاؤُهَا فَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ ، وَإِلَّا فَلَا يَفْهَمُ كُلُّ أَحَدٍ مُرَادَهُ فِيهَا ، فَيَخْشَىٰ عَلَىٰ النَّاظِرِ فِيهَا مِنْ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ أَوْ فَهِمَ خِلَافَ الْمُرَادِ " . انظر : رد المحتار على الدر المختار (٤/ ٢٣٨) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) في كلامه عن الإمام الأكبر ابن عربي : " وله من المحاسن ما لا يستوفىٰ .

وبالجملة : فهو حجَّة الله الظَّاهرة ، وآيته الباهرة ، أمَّا كراماته ، فلا تحصرها مجلَّدات . قال الشَّعراني : وقولُ المنكرين في حقِّه مثلُ غُثاء وهباء لا يُعبأ به . وبنىٰ السُّلطان سليم خان علىٰ قبره مدرسة عظيمة ، ورتَّب له الأوقاف . قال المَقَّرِي : وقد زرتُ قبره ، وتبرَّكت به مراراً ، رأيتُ لوائح الأنوار عليه ظاهرة ، ولا يجد منصف محيداً إلىٰ إنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة .

وكان يحدِّث بالإجازة العامَّة عن الحافظ السّلفي ، وأثنىٰ عليه الإمام الصَّفي بن ظافر الأزدي في " رسالته " ، وذكر له النُّعمان أفندي في " الروضة الغنَّاء " ترجمة جميلة موجزة ، وقال : إمام الصُّوفيَّة ، ورب طريقهم . ولد بمرسية سنة (٥٦٠هـ) ، وكان مسكنه في دمشق ، وظهوره فيها ، وبها نشر علومه ، توفِّي في دمشق سنة (٦٣٨هـ) ، ألَّف في مناقبه ومواهبه الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي مؤلَّفاً حسناً سمَّاه : " السِّرُّ المختبي في ضريح ابن عربي " ، وألَّف فيه أيضاً كتاباً جليلاً سمَّاه : " الردُّ المتين علىٰ منتقص العارف محيي الدِّين " ، والقوم لا ينقطعون عن زيارة الشَّيخ ، يعتبرونه من أعظم أولياء ، وفي كلِّ يوم جمعة ترىٰ مئاتٍ من النَّاس حول ضريحه للصَّلاة والزِّيارة ، انتهىٰ .

قُلْتُ : والمذهب الرَّاجح فيه علىٰ ما ذهب إليه العلماء المحقِّقون الجامعون بين العلم والعمل والشَّرع والسُّلوكِ : السُّكوتُ في شأنه ، وصرفُ كلامه المخالف لظاهر الشَّرع إلىٰ محامل حسنة ، وكفّ اللسان عن تكفيره وتكفير غيره من المشايخ الذين ثبت تقواهم في الدِّين ، وظهر علمهم في الدُّنيا بين المسلمين ، وكانوا في ذروة عليا من العمل الصَّالح ، ومن ثُمَّ رأيتُ شيخَنا الإمام العلامة الشَّوكانيَّ في " الفتح الربَّاني " مال إلىٰ ذلك ، وقال : لكلامه محامل ، ورجع عمَّا كتبه في أوَّل عمره بعد أربعين سنة .

وأمَّا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذه الحافظ ابن القيِّم ، وأمثالهما ، فهم إنَّما يذبُّون عن الشَّرع المطهَّر ، وهذا منصبهم ، وليس إنكارهم عليه من قِبَل الخصومة النَّفسانيَّة ، ولا علىٰ طريق الحسد الجاري بين أكثر أهل العلم من علماء الدُّنيا لكلٍّ وجهة هو موليِّها ، ومع ذلك ، لا شبهة ولا شكَّ في أنَّ

جمعاً جَمّاً ذهبوا إلىٰ تكفيره ، وحطُّوا عليه بما لم يكن في حساب ؛ كما أشرت إلىٰ ذلك في كتابي " أبجد العلوم " .

وأقول في هذا الكتاب : إنَّ الصَّواب : ما ذهب إليه الشَّيخ أحمد السَّرهندي - مجدِّدُ الألف الثَّاني -، والشَّيخ الأجلُّ مسنِدُ الوقت أحمدُ وليُّ الله - المحدَّث الدهلويُّ -، والإمام المجتهد الكبير محمَّد الشَّوكاني ؛ من قبول كلامه الموافق لظاهر الكتاب والسُّنَّة ، وتأويل كلامه الذي يخالف ظاهرهما ، تأويله بما يُستحسن من المحامل الحسنة ، وعدم التفوُّه فيه بما لا يليق بأهل العلم والهدىٰ ، والله أعلم بسرائر الخلق وضمائرهم " . انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، محمَّد صديق القِنَّوجي (ص١٦٨-١٦٩) .

وهناك كُتُب مستقلَّة صنَّفها أصحابها للذَّبِّ عن الإمام ابن عربي الحاتمي ، منها :

• الاغتباط بمعالجة ابن الخيَّاط ، الفيروزآبادي ، ردَّ فيه علىٰ اتِّهام ابن الخيَّاط للإمام الأكبر في عقيدته ، وهو مطبوع .

• الانتصار للشيخ محيي الدِّين ، علي بن ميمون المغربي ، توجد منه نسخة في دار الكتب .

• تنبيه الأغبياء علىٰ قطرة من بحر علوم الأولياء ، عبد الوهَّاب الشَّعراني .

• تنبيه العقول علىٰ تنزيه الصُّوفيَّة من اعتقاد التَّجسيم والعينيَّة والاتِّحاد والحلول ، برهان الدِّين إبراهيم بن حسن الكوراني ، وهو مطبوع .

• تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي ، جلال الدِّين السُّيوطي ، وهو مطبوع .

• الرَّدُّ علىٰ المعترضين علىٰ الشَّيخ محيي الدِّين ، الفيروزآبادي ، موجود في معهد المخطوطات العربيَّة ٢٠١ ، تصوُّف .

• الردُّ المتين علىٰ منتقص العارف محيي الدِّين ، عبد الغني النَّابلسي ، وهو مطبوع .

• الفتح المبين في ردِّ المعترض علىٰ الشَّيخ محيي الدِّين ، عمر حفيد شهاب الدِّين العطار ، وهو مطبوع .

• قرَّة أهل الحظّ الأوفر في ترجمة الشَّيخ الأكبر ، حامد العمادي ، وهو موجود في دار الكتب مجاميع ٣٤٤٥ .

• القولُ المُبين في الرَّدِّ عن الشَّيخ محيي الدِّين ، عبد الوهَّاب الشَّعراني ، وهو مطبوع

• الكبريت الأحمر في بيان علوم الشَّيخ الأكبر ، عبد الوهَّاب الشَّعراني ، وهو مطبوع

• كشف الغطاء عن أسرار كلام الشَّيخ محيي الدِّين ، سراج الدِّين المخزومي ، وهو مطبوع .

• مفتاح الوجود الأشهر في توجيه كلام الشَّيخ الأكبر ، عبد الله الصّلاحي ، وهو موجود في دار الكتب (١٩٥) ، تصوُّف ...

وعلى كلِّ حال فقد ذهب المُنصفون من أهل العلم إلى أنَّ ما اعتمده المتسلِّفة من تكفير للإمام الأكبر ابن عربي ما هو إلَّا دسٌّ دسَّه في كتبه من لا خلاق لهم ... ولذلك رأينا – كما تقدَّم – جمعاً وافراً من العلماء ينفون عنه ما دسَّه في كتبه الحشويَّة الظَّالمون المفترون ، ويصرِّحون بأنَّ الحشويَّة هم من دسَّ السمَّ في كتب الشَّيخ الأكبر ابن عربي ...

قال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " أَنَّ مَنْ قَالَ عَنْ فُصُوصِ الْحُكَمِ لِلشَّيْخِ مُحْيِي الدِّين بْنِ الْعَرَبِيِّ أَنَّه خَارِجٌ عَنْ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ صَنَّفَهُ لِلْإِضْلَالِ وَمَنْ طَالَعَهُ مُلْحِدٌ مَاذَا يَلْزَمُهُ ؟ أَجَابَ : نَعَمْ فِيهِ كَلِمَاتٌ تُبَايِنُ الشَّرِيعَةَ ، وَتَكَلَّفَ بَعْضُ الْمُتَصَلِّفِينَ لِإِرْجَاعِهَا إلَى الشَّرْعِ ، لَكِنَّا تَيَقَّنَّا أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ افْتَرَاهَا عَلَى الشَّيخ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ، فَيَجِبُ الِاحْتِيَاطُ بِتَرْكِ مُطَالَعَةِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، وَقَدْ صَدَرَ أَمْرٌ سُلْطَانِيٌّ بِالنَّهْيِ فَيَجِبُ الِاجْتِنَابُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ انْتَهَى فَلْيُحْفَظْ ، وَقَدْ أَثْنَى صَاحِبُ الْقَامُوسِ عَلَيْهِ فِي سُؤَالٍ رُفِعَ إلَيْهِ فِيهِ ، فَكَتَبَ اللَّهُمَّ أَنْطِقْنَا بِمَا فِيهِ رِضَاك ، الَّذِي أَعْتَقِدُهُ وَأَدِينُ اللهَ بِهِ أَنَّه كَانَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – شَيْخَ الطَّرِيقَةِ حَالاً وَعِلْماً ، وَإِمَامَ الْحَقِيقَةِ حَقِيقَةً وَرَسْماً وَمُحْيِي رُسُومِ الْمَعَارِفِ فِعْلاً وَاسْماً :

إذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ   مِنْ عِلْمِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

عُبَابٌ لَا تُكَدِّرُ الدِّلَاءُ ، وَسَحَابٌ تَتَقَاصَى عَنْهُ الْأَنْوَاءُ ، كَانَتْ دَعْوَتُهُ تَخْرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ ، وَتُفَرِّقُ بَرَكَاتُهُ فَتَمْلَأُ الْآفَاقَ . وَإِنِّي أَصِفُهُ وَهُوَ يَقِيناً فَوْقَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَنَاطِقٌ بِمَا كَتَبْتُهُ ، وَغَالِبُ ظَنِّيِّ أَنِّي مَا أَنْصَفْتُهُ :

وَمَا عَلَيَّ إذَا مَا قُلْتُ مُعْتَقَدِي   دَعْ الْجَهُولَ يَظُنُّ الْجَهْلَ عُدْوَاناً
وَاَللهَّ وَاَللهَّ وَاَللهَّ الْعَظِيمِ وَمَنْ   أَقَامَهُ حُجَّةً للهَّ بُرْهَاناً
إنَّ الَّذِي قُلْتُ بَعْضٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ   مَا زِدْتُ إلَّا لَعَلِّي زِدْتُ نُقْصَاناً

إلَى أَنْ قَالَ : وَمِنْ خَوَاصِّ كُتُبِهِ أَنَّه مَنْ وَاظَبَ عَلَى مُطَالَعَتِهَا انْشَرَحَ صَدْرُهُ لِفَكِّ الْمُعْضِلَاتِ ، وَحَلِّ الْمُشْكِلَاتِ ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الشَّيخ الْعَارِفُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ سِيَّمَا فِي كِتَابِهِ " تَنْبِيهُ الْأَغْبِيَاءِ عَلَى قَطْرَةٍ مِنْ بَحْرِ عُلُومِ الْأَوْلِيَاءِ " ، فَعَلَيْك وَبِاَللهَّ التَّوْفِيقُ " . انظر : رد المحتار على الدر المختار (٤/ ٢٣٨–٢٤٠) .

ومن المعلوم أنَّ بعضاً ممَّن لا خلاق له اتَّهم الإمام الأكبر ببعض العقائد الباطلة الكفريَّة ، مثل : الاتِّحاد والحلول ، والمساواة بين الخالق والمخلوق ، وأنَّ الربَّ ربٌّ والعبدّ ربٌّ ، ... وقاموا بربط هذه العقائد الباطلة الكفريَّة بالتَّصوُّف والصُّوفيَّة ...

قال المدعو الدُّكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي ، المدرِّس بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة : " الصُّوفيَّة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين منذ القرن الثَّالث الهجري إلى يومنا هذا ، وقد بلغت أوج مجدها في القرون المتأخِّرة .

وقد أثَّرت تأثيراً بالغاً في عقائد المسلمين وغيَّرتها عن مسارها الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة ، وكان ذلك هو أخطر جانب من جوانب الصُّوفيَّة ، حيث اقترن بالفكر الصُّوفي التعلُّق بالأولياء والمشايخ ، والمبالغة في تقديس الأموات ، كما اقترن بها القول بالحلول ووحدة الوجود ، إضافة إلى ما أفسدت الصُّوفيَّة من الجوانب الأخرى . حيث يتَّسم أتباعها بالتَّواكل والرَّهبنة ، كما أنها عطَّلت الرُّوح الجهاديَّة في الأُمَّة الإسلاميَّة " . انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، محمَّد بن ربيع هادي المدخلي (ص١٠)

وقال المدعو الدكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي أيضاً : " المذهب الثَّالث : القول بوحدة الوجود : وهو يقرِّر أنَّ الموجود واحد في الحقيقة ، وكلُّ ما نراه ليس إلا تعيّنات للذَّات الإلهيَّة . وزعيم هذه الطَّائفة ابن عربي الحاتمي الطَّائي المدفون بدمشق والمتوفَّى سنة (٦٣٨هـ) ، ويقول في ذلك في كتابه الفتوحات المكيَّة :

العبد ربٌّ والرَّبُّ عبـــــدٌ يا ليت شعري مـــــن المكلَّف
إن قُلْــــتُ عبدٌ فذاك حقٌّ أو قُلْتُ ربٌّ أنّـــى يُكـلَّف

ويقول أيضاً في الفتوحات : " إنَّ الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله " .

وابن عربي هذا يلقبه الصُّوفيَّة بالعارف بالله ، والقطب الأكبر ، والمسك الأذفر ، والكبريت الأحمر ، مع قوله بوحدة الوجود وغيرها من الطَّامات ، فإنَّه يمدح فرعون ويحكم بأنَّه مات على الإيمان ، ويذمُّ هارون على إنكاره على قومه عبادة العجل مخالفاً بذلك نصَّ القرآن ، ويرى أنَّ النَّصارى إنَّما كفروا لأنَّهم خصَّصوا عيسى بألوهيَّة ، ولو عمَّموا لما كفروا " . انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، محمَّد بن ربيع هادي المدخلي (ص١٨) .

ولأنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة درسوا على شيخ واحد ، فقد اعتادوا على هذه الكِذبة في نسبة هذا الشِّعر الكُفريِّ للإمام الأكبر ابن عربي ، فقد قال المدعو : محمَّد حامد الفقي في تحقيقه !!! لكتاب : " مدارج السَّالكين " ، لابن القيِّم : " قال ابن عربي الحاتمي شيخ الصُّوفيَّة ، النَّاطق بلسانهم :

العبد ربٌّ والرَّبُّ عبــدٌ يا ليت شعري مــن المكلَّف

إن قُلْتُ عبدٌ فذاك حــقٌّ أو قُلْتُ ربٌّ أنّـى يُكـلَّف

انظر : هامش كتاب : مدارج السالكين (١/ ٧٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .

ومن المعلوم لدى كلِّ من له اطلاع على حال من يدَّعون السَّلفيَّة يجد أنَّهم من أجل نُصرة باطلهم يكذبون ويتحرَّوا الكذب ، والأدلَّة على ذلك كثيرة ... سنذكر بعضها في معرض ردِّنا على هذا " المدخلي " ، فنقول :

إنَّ الإمام الأكبر لم يقل شيئاً ممَّا قُلْتُ ه أيُّها المدخلي ، وأنَّ ما قُلْتُ ه إنَّما هو الكذب بعينه وشينه ومينه ، لأنَّ الذي قاله الإمام الأكبر هو :

الرَّبُّ حقٌّ والعبـــــــدُ حقٌّ يا ليت شعري من المكلَّف

إن قُلْـــتُ عبدٌ فذاك ميت أو قُلْتُ ربٌّ أنـــى يكلَّف

انظر : التنزُّلات الموصليَّة في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية ، محيي الدِّين محمَّد بن علي بن عربي ، (ص١٢٦) ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م.

فهذا هو ما قاله ابن عربي لا ما نسبته إليه أيُّها المدخلي المتجنِّي الظَّالم الجحود ... وأُضيف بياناً لهذا المدخلي المُتعالم ، فأقول : إنَّ ابن تيمية نقل كلام ابن عربي ولم يقل ما نسبته لابن عربي أيُّها المدخلي ، بل قال عيْن ما قاله الإمام ابن عربي ، فقد جاء في مجموع الفتاوى وغيره من كُتب ابن تيمية : " كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ فِي أَوَّلِهَا :

الرَّبُّ حقٌّ وَالْعَبْــدُ حقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَــن الْمُكَلَّفُ

إنْ قُلْتُ عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ أَوْ قُلْتُ رَبٌّ أَنَّـــى يُكَلَّفُ

انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢) ، (٢/ ١١١) ، (٢/ ٢٤٢) ، (١٤/ ١٢) ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية الحراني (٤/ ٩٧) ، جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٢٧٩) .

ثُمَّ إنَّ كتب الإمام ابن عربي طافحة بردِّ ما اتُّهم به ، من ذلك قوله : " الرَّبُّ ربٌّ والعبدُ عبدٌ ، فلا تُغالط ولا تُخالط " . انظر : الفتوحات الربانية ، ابن عربي ، (٣/ ٢٢٤) ، دار صادر ، بيروت .

وقوله أيضاً : " فالقديمُ الرَّبُّ ، والحادثُ العبدُ " . انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٤٣٨) .

وقوله : " وما قال بالاتِّحادِ إلَّا أهلُ الإلحادِ " . انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٢) .

وقوله : " بل كلُّ ذات على انفراد من غير شوب ولا اتِّحاد ، ولا حلول ولا انتقـــــال ، ولا إنفاق ولا عنـــــــاد " . انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٨١) .

وأمَّا عن الحلول فيقول الإمام الأكبر ابن عربي الحاتمي : " فإنَّ الله لا يحلُّ في شيء ، ولا يحلُّ فيه شيء ، إذ ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير " . انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٢) .

وقوله : " إنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى يتعالى عن الحلول في الأجسام . انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

وقوله : " فلا يجتمع الحقُّ والخلق أبداً في وجه من الوجوه ، فالعبد عبدٌ والرَّبُّ ربٌّ " . انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

وقوله : " ومن قال بالحلولِ فهو معلولٌ ، وهو مرضٌ لا دواء لدائه ، ولا طبيبٌ يسعى في شفائه " . انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٩) .

وقد افتروا عليه أيضاً أنَّه يعتقد بإيمان فرعون ، مع أنَّه يقول : " وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلُّها في النَّار ، لا يخرجون منها ، وهم المتكبِّرون على الله تعالى ، كفرعون وأمثاله " . انظر : الفتوحات الربانية (١/ ٣٠١) ....

وَهَا أَنَذَا أَضَعُ بَيْنَ يَدَي القَارِئ الكَرِيْم عَقِيْدَةَ الإمَامِ الأَكْبَرِ ، مِنْ كِتَابِهِ : " الفُتُوحَاتُ المَكِّيَّة " ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ رَحمَةُ الله تَعَالَى : " فيا إخوتي ويا أحبَّائي رضي الله عنكم ، أُشهَدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كلِّ لحظة وطرفة ، وهو مؤلِّف هذا الكتاب ومنشئه ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهدَ الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنَّه يشهد قولاً وعقداً أنَّ : الله تعالى إلهٌ واحدٌ ، لا ثانيَ له في ألوهيتَّه ، منزَّه عن الصَّاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبِّر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجدٍ يوجده ، بل كلُّ موجود سواه مفتقرٌ إليه تعالى في وجوده ، فالعالم كلُّه موجود به ، وهو وحده متَّصف بالوجود لنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيَّد ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيِّز فيُقدَّر له المكان ، ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدَّس عن الجهات والأقطار ، مرئيٌّ بالقلوب والأبصار ، إذا شاء استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده ، كما أنَّ العرش وما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، ليس له مثل

معقول ، ولا دلَّت عليه العقول ، لا يحدُّه زمان ولا يُقلُّه مكان ، بل كان ولا مكان وهو علىٰ ما عليه كان ، خلق المتمكِّن والمكان ، وأنشأ الزَّمان ، وقال : أنا الواحد الحيّ ، لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالىٰ أن تحلُّه الحوادث أو يحلّها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يقال كان ولا شيء معه ، فإنَّ القبل والبعد من صيغ الزَّمان الذي أبدعه ، فهو القيُّوم الذي لا ينام ، والقهَّار الذي لا يُرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حدّ الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسَّماوات العلىٰ ، اخترع اللوح والقلم الأعلىٰ ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلىٰ يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كلَّه علىٰ غير مثال سبق ، وخلق الخلْق وأخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخَّر لنا ما في السَّموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرَّك ذرَّة إلا إليه وعنه ، خلق الكلَّ من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكنَّ علمه سبق بأن يخلق ما خلق ، فهو الأوَّل والآخر ، والظَّاهر والباطن ، وهو علىٰ كلِّ شيء قدير ، أحاط بكلِّ شيء علماً ، وأحصىٰ كلَّ شيء عدداً ، يعلم السرَّ وأخفىٰ ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، علم الأشياء منها قبل وجودها ، ثُمَّ أوجدها علىٰ حدِّ ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدَّد له علم عند تجدُّد الإنشاء ، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكّم عليها من شاء وحكمها ، علم الكليَّات علىٰ الإطلاق ، كما علم الجزئيَّات بإجماع من أهل النَّظر الصَّحيح واتفاق ، فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالىٰ الله عمَّا يشركون ، فعَّال لما يريد ، فهو المريد الكائنات في عالم الأرض والسَّموات ، لم تتعلَّق قدرته بشيء حتىٰ أراده ، كما أنَّه لم يُرده حتىٰ علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكِّن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حيّ ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حُر ، ولا برد ولا حَر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا برّ ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرَض ، ولا صحَّة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرِّك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لبّ ، ولا شيء من هذه النّسب المتضادَّات منها والمختلفات والمتماثلات إلا

وهو مراد للحقِّ تعالىٰ ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ، فكيف يوجد المختار ما لا يريد ، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممَّن يشاء ، ويعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ، ويضلُّ من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ما شاء كان ، وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلُّهم علىٰ أن يريدوا شيئاً لم يُرد الله تعالىٰ أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يُرد الله تعالىٰ إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ، ولا استطاعوا علىٰ ذلك ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطَّاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثُمَّ أوجد العالم من غير تفكُّر ولا تدبُّر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التفكُّر والتدبُّر علم ما جهل ، جلَّ وعلا عن ذلك ، بل أوجده عن العلم السَّابق وتعيين الإرادة المنزّهة الأزليَّة القاضية علىٰ العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مُريد في الوجود علىٰ الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، وأنَّه سبحانه كما علم فأحكم وأراد فخصَّص ، وقدَّر فأوجد ؛ كذلك سمع ورأىٰ ما تحرَّك أو سكن أو نطق في الورىٰ من العالم الأسفل والأعلىٰ ، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد ، يسمع كلام النفس في النفس ، وصوت المماسَّة الخفيَّة عند اللمس ، ويرىٰ السَّواد في الظلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظُّلمات ولا النُّور ، وهو السَّميع البصير ، تكلَّم سبحانه لا عن صمت متقدِّم ، ولا سكوت متوهّم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسىٰ عليه السَّلام ، سمَّاه التَّنزيل والزَّبور والتَّوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان ، كما أنَّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أنَّ بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أنَّ إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أنَّ علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزِّيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السُّلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كلّ ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ، ولا مدبِّر معه في ملكه ، إن أنعم فنعّم فذلك فضله ، وإن أبلىٰ فعذّب فذلك عدله ، لم يتصرَّف في ملك غيره فينسب إلىٰ الجور والحيف ، ولا يتوجَّه عليه لسواه حكم فيتَّصف بالجزع لذلك والخوف ، كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرفٌ عن إرادته وأمره ، فهو

الملهم نفوس المكلَّفين التَّقوىٰ والفجور ، وهو المتجاوز عن سيِّئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النُّشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنَّة ولا أبالي ، وهؤلاء للنَّار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترضٌ هناك ، إذ لا موجود كان ثُمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كلّه سعيداً لكان ، أو شقيَّاً لما كان من ذلك في شأن ، لكنَّه سبحانه لم يرد ؛ فكان كما أراد ، فمنهم الشقيُّ والسَّعيد ، هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلىٰ تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالىٰ في الصَّلاة : هي خمس وهي خمسون ، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] ، لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضَّمائر ، إلَّا بوهب إلهي وجودٍ رحماني لمن اعتنىٰ الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعلم حين أُعلم أنَّ الألوهة أعطت هذا التَّقسيم ، وأنَّه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلَّا إيَّاه﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] ، و﴿**لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣] ،﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام:١٤٩] .

الشَّهادة الثَّانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم علىٰ نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم علىٰ نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ؛ ذلك سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي أرسله إلىٰ جميع النَّاس كافَّة بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلَّغ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أُنزل من ربِّه إليه ، وأدَّىٰ أمانته ، ونصح أُمَّته ، ووقف في حجَّة وَدَاعه علىٰ كل من حضر من أتباعه ، فخطب وذكَّر ، وخوَّف وحذَّر ، وبشَّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصَّ بذلك التَّذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصَّمد ، ثُمَّ قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا : بلَّغت يا رسول الله ، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللهمَّ اشهد ، وإنِّي مؤمنٌ بكلِّ ما جاء به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا علمت وما لم أعلم ، فممَّا جاء به فقرَّر أنَّ الموت عن أجل مسمَّىٰ عند الله إذا جاء لا يؤخَّر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شكّ ، كما آمنت وأقررت أنَّ سؤال فتَّاني القبر حقٌّ ، وعذاب القبر حقٌّ ، وبعث الأجساد من القبور حقٌّ ، والعرض علىٰ الله تعالىٰ حقٌّ ، والحوض حقٌّ ، والميزان حقٌّ ، وتطاير الصُّحف حقٌّ ، والصِّراط حقٌّ ، والجنَّة حقٌّ ، والنَّار حقٌّ ، وفريقاً في الجنَّة وفريقاً في النَّار حقٌّ ، وكرب ذلك اليوم حقٌّ ، علىٰ طائفة وطائفة أخرىٰ لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنَّبيين والمؤمنين

وإخراج أرحم الرَّاحمين بعد الشَّفاعة من النَّار من شاء حقٌّ ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنَّم ثُمَّ يخرجون منها بالشَّفاعة والامتنان حقٌّ ، والتَّأبيد للمؤمنين والموحِّدين في النَّعيم المقيم في الجنان حقٌّ ، والتَّأبيد لأهل النَّار في النَّار حقٌّ ، وكلّ ما جاءت به الكتب والرُّسل من عند الله عُلم أو جُهل حقٌّ .

فهذه شهادتي علىٰ نفسي أمانة عند كلِّ من وصلت إليه أن يؤدِّيها إذا سئلها حيثما كان ، نفعنا الله وإيَّاكم بهذا الإيمان ، وثبتناً عليه عند الانتقال من هذه الدَّار إلىٰ الدَّار الحيوان ، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرِّضوان ، وحال بيننا وبين دار سرابيلها من القطران ، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان ، وممَّن انقلب من الحوض وهو ريَّان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له علىٰ الصِّراط القدمان ، أنَّه المنعم المحسان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربِّنا بالحقّ " . انظر : الفتوحات المكيَّة ، ابن عربي الحاتمي ، (١/ ٣٦-٣٨) ، دار صادر ، بيروت .

هذه هي عقيدة الشَّيخ الأكبر ابن عربي من كتابه " الفتوحات المكِّيَّة " ، فهل فيها شيء ممَّا نسبه إليه العاطلون المبطلون المفترون الآثمون الجاحدون المتسلِّفون، بل هل فيها شيء من العِوج أو النُّشوز ؟!! ... ولذلك رأينا جمعاً وافراً من العلماء ينفون عنه ما دسَّه في كتبه الحشويَّة الظَّالمون ، ويصرِّحون بأنَّ الحشويَّة هم من دسَّ السمَّ في كُتب الشَّيخ الأكبر ابن عربي ، كما مضىٰ ...

ومن المعلوم أنَّ عقيدة جميع الطُّرق الصُّوفيَّة إنَّما هي العقيدة الأشعرية ، تلكم العقيدة التي عليها السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

ويطيب لي هنا أن أُثبت بعضاً من عقائد السَّادة الصُّوفيَّة ، فأقول :

أوَّلاً : عَقِيْدَةُ الإمَامُ، الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الكَرِيْمِ بنُ هَوَازِن بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ طَلْحَةَ القُشَيْرِيُّ، الخُرَاسَانِيُّ، النَّيْسَابُوْرِيُّ، الشَّافِعِيُّ، الصُّوْفِيُّ، المُفَسِّرُ، صَاحِبُ (الرِّسَالَةِ) (٤٦٥هـ) :

قال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القُشيري في " الرِّسالة القشيريَّة " : " فصل : فِي بيان اعتقاد هذه الطَّائفة فِي مسائل الأصول : اعلموا رحمكم اللهُ أَنَّ شيوخ هذه الطَّائفة بنوا قواعد أمرهم عَلَىٰ أصول صحيحة فِي التَّوحيد صانوا بِهَا عقائدهم عَنِ البدع ، ودانوا بِمَا وجدوا عَلَيْهِ الَّسلف وأهل السنَّة من توحيد لَيْسَ فِيهِ تمثيل ولا تعطيل ، وعرفوا مَا هُوَ حقّ القدم ، وتحقَّقوا بِمَا هُوَ نعت الموجود عَنِ العدم ، ولذلك قَالَ سيِّد هذه الطَّريقة الجنيد (٢٩٧هـ) رحمه اللهُ : التَّوحيد إفراد القدم من الحدث ، وأحكموا أصول

العقائد بواضح الدّلائل ، ولائح الشّواهد ، كَمَا قَالَ أَبُو محمَّد الحريري رحمه اللهَّ : من لَمْ يقف عَلَىٰ علم التّوحيد بشاهد من شواهده ، زلت بِهِ قدم الغرور فِي مهواة من التّلف .

يريد بِذَلِكَ أَنَّ من رَكَنَ إِلَىٰ التّقليد ، وَلَمْ يتأمل دلائل التّوحيد سقط عَن سنن النّجاة ، ووقع فِي أسر الهلاك ، ومن تأمّل ألفاظهم ، وتصفّح كلامهم وجد فِي مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها مَا يثق بتأمله بأن الْقَوْم لَمْ يقصروا فِي التّحقيق عَن شأو ، وَلَمْ يعرّجوا فِي الطّلب عَلَىٰ تقصير .

ونحن نذكر فِي هَذَا الفصل جملاً من متفرّقات كلامهم فيما يتعلّق بمسائل الأصول ، ثُمَّ نحرِّر عَلَىٰ التّرتيب بعدها مَا يشتمل عَلَىٰ مَا يحتاج إِلَيْهِ فِي الاعتقاد عَلَىٰ وجه الإيجاز والاختصار إن شاء اللهَّ تَعَالَىٰ .

سمعت الشّيخ أبا عَبْد الرّحمن محمَّد بْن الْحُسَيْن السّلمي (٤١٢هـ) رحمه اللهَّ يَقُول : سمعت عَبْد اللهَّ بْن مُوسَىٰ السّلامي (٣٧٤هـ) ، يَقُول : سمعت أبا بَكْر الشِّبلي (٣٣٤هـ) يَقُول : الْوَاحِد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف ، وَهَذَا صريح من الشّبلي أَنَّ القديم سبحانه لا حدَّ لذاته ، ولا حروف لكلامه .

سمعت أبا حاتم الصُّوفي ، يَقُول : سمعت أبا نصر الطُّوسي (٣٧٨هـ) ، يَقُول : سئل رويم (٣٠٣هـ) عَن أوّل فرض افترضه اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ خلقه مَا هُوَ ؟ فَقَالَ المعرفة لقوله جلَّ ذكره : **ﭐ ئر ئز ئم ئن ئى** [الذاريات : ٥٦] ، قَالَ ابْن عبَّاس : إلَّا ليعرفون .

وَقَالَ الجنيد : إِنَّ أَوَّل مَا يحتاج إِلَيْهِ العبد من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كَيْفَ كَانَ إحداثه ، فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدَث ، ويذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ، فَإِن لَمْ يعرف مالكه لَمْ يعترف بالملك لمن استوجبه .

أخبرني محمَّد بْن الْحُسَيْن ، قَالَ : سمعت محمَّد بْن عَبْد اللهَّ الرَّازي ، يَقُول : سمعت أبا الطيِّب المراغي ، يَقُول : للعقل دلالة ، وللحكمة إشارة ، وللمعرفة شهادة ، فالعقل يدلُّ ، والحكمة تشير ، والمعرفة تشهد أَنَّ صفاء العبادات لا ينال إلَّا بصفاء التَّوحيد .

وسئل الجنيد عَنِ التَّوحيد ، فَقَالَ : إفراد الموحّد بتحقيق وحدانيّته بكمال أحديّته أَنَّه الْوَاحِد الَّذِي **ﭐ مى مي نج نحّ** [الإخلاص : ٣] بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ، ولا تكييف ، ولا تصوير ، ولا تمثيل **ﭐ ني هج هم هى هي يج يحّ** [الشورىٰ: ١١] أَخْبَرَنَا محمَّد بْن أَحْمَد بْن محمَّد بْن يَحْيَي الصُّوفي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهَّ بْن عَلِيّ التميمي الصُّوفي ، يحكي عَنِ الْحُسَيْن بْن عَلِيّ الدَّامغاني ، قَالَ : سئل أَبُو بَكْر الزَّاهر أبادي عَنِ المعرفة فَقَالَ : المعرفة : اسم ، ومعناه وجود تعظيم فِي القلب يمنعك عَنِ التَّعطيل والتَّشبيه .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ البوشنجي رحمه اللهَّ : التَّوحيد أَن تعلم أَنَّه غَيْر مشبه للذَّوات ولا منفي الصِّفات .

أَخْبَرَنَا الشَّيخ أَبُو عَبْد الرَّحمن السّلمي رحمه اللهَّ تعالىٰ ، قَالَ : سمعت محمَّد بْن محمَّد بْن غالب ، قَالَ : سمعت أبا نصر أَحْمَد بْن سَعِيد الإسفنجاني ، يَقُول : قَالَ الْحُسَيْن بْن مَنْصُور (٣٠٩هـ) : أَلزم الكل الحدث ، لأنَّ القدم لَهُ فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه ، والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت ، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسّه ، والذي الوهم يظفر بِهِ فالتَّصوير يرتقي إِلَيْهِ ، ومن آواه محل أدركه أين ، ومن كَانَ لَهُ جنس طالبه مكيف ، أَنَّه سبحانه لا يظله فَوْق ، ولا يقله تَحْت ، ولا يقابله حدّ ، ولا يزاحمه عِنْدَ ، ولا يأخذه خلف ، ولا يحده أمام ، وَلَمْ يظهره قبل ، وَلَمْ ينفه بَعْد ، وَلَمْ يجمعه كُل ، وَلَمْ يوجده كَانَ ، وَلَمْ يفقده لَيْسَ ، وصفه لا صفة لَهُ ، وفعله لا علة لَهُ ، وكونه لا أمد لَهُ ، تنزَّه عَن أحوال خلقه ، لَيْسَ لَهُ من خلقه مزاج ، ولا فِي فعله علاج ، باينهم بقدمه كَمَا باينوه بحدوثهم ، إِن قُلْتُ : مَتَىٰ فَقَدْ سبق الوقت كونه ، وإِن قُلْتُ : هُوَ فالهاء والواو خلقه ، وإِن قُلْتُ : أين فَقَدْ تقدم المكان وجوده ، فالحروف آياته ، ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تمييزه من خلقه ، مَا تصور فِي الأوهام فَهُوَ بخلافه ، كَيْفَ يحل بِهِ مَا منه بدأ ، أَوْ يعود إِلَيْهِ مَا هُوَ أنشاه ، لا تماقله العيون ، ولا تقابله الظنون ، قربه كرامته ، وبعده إهانته ، علوه من غَيْر توقل ، ومجيئه من غَيْر تنقل ، هُوَ الأَوَّل والآخر والظاهر والباطن ، القريب البعيد الَّذِي ﭐﱡ ٱني هج همهى هي يج يحٌ [الشورى: ١١] .

سمعت أبا حاتم السجستاني (٢٤٨هـ) يَقُول : سمعت أبا نصر الطّوسي السّراج (٣٧٨هـ) ، يحكي عَن يُوسُف بْن الْحُسَيْن (٣٠٤هـ) ، قَالَ : قام رجل بَيْنَ يدي ذي النون الْمِصْرِي (٢٤٥هـ) ، فَقَالَ : أخبرني عَنِ التَّوحيد مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : هُوَ أَن تعلم أَن قدرة اللهَّ تعالىٰ فِي الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كُل شَيْء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وليس فِي السموات العلا ولا فِي الأرضين السفلي مدير غَيْر اللهَّ ، وكل مَا تصور فِي وهمك فالله بخلاف ذَلِكَ .

وَقَالَ الجنيد : التَّوحيد علمك وإقرارك بأن اللهَّ فردٌ فِي أزليَّته لا ثاني مَعَهُ ، ولا شيء يفعل فعله .

وَقَالَ أَبُو عَبْد اللهَّ بْن خفيف (٣٧١هـ) : الإيمان تصديق القلوب بِمَا علمه الحق من الغيوب .

وَقَالَ أَبُو عبَّاس السياري (٣٤٢هـ) : عطاؤه عَلَىٰ نوعين : كرامة ، واستدراج ، فَمَا أبقاه عليك فَهُوَ كرامة ، وَمَا أزاله عَنْك فَهُوَ استدراج ، فقل : أنا مؤمن إِن شاء اللهَّ تعالىٰ وأبو العبَّاس السيّاري كَانَ شيخ وقته .

سمعت الأستاذ أبا عَلِي الدقَّاق (٤٠٥هـ) رحمه اللهَّ يَقُول : غمز رَجُل رِجْل أَبِي العبَّاس السياري (٣٤٢هـ) ، فَقَالَ : تغمز رِجْلاً مَا نقُلْتُ ها قط فِي معصية اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ أَبُو بَكْر الواسطي (٢٣٥هـ) : من قَالَ : أنا مؤمن بالله حقّاً ، قيل لَهُ : الحقيقة تشير عَلَىٰ إشراف واطِّلاع وإحاطة ، فمن فقده بطل دعواه فِيهَا يريد بِذَلِكَ مَا قاله أهل السُّنَّة إِنَّ المؤمن الحقيقي من كَانَ محكوماً بالجنَّة فمن لَمْ يعلم ذَلِكَ من سرِّ حكمة اللهَّ تعالىٰ فدعواه بأَنَّه مؤمن حقَّاً غَيْر صحيح .

سمعت الشَّيخ أبا عَبْد الرَّحمن السلمي يَقُول سمعت مَنْصُور بْن عَبْد اللهَّ يَقُول : سمعت أبا الْحَسَن العنبري يَقُول : سمعت سهل بْن عَبْد اللهِّ التستري (٢٩٧هـ) يَقُول : ينظر إِلَيْهِ تعالىٰ المؤمنون بالأبصار من غَيْر إحاطة ولا إدراك نهاية .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ النّوري (٢٩٥هـ) : شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إِلَيْهِ من قلب محمَّد صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة .

سمعت الإِمَام أبا بَكْر محمَّد ابْن الْحَسَن بْن فورك (٤٠٦هـ) رحمه اللهَّ تعالىٰ يَقُول : سمعت محمَّد بْن المحبوب خادم أَبِي عُثْمَان المغربي يَقُول : قَالَ لي أَبُو عُثْمَان المغربي (٣٧١هـ) يوماً : يا محمَّد لو قَالَ لَك أحد أين معبودك إيش تقول ؟ قَالَ : قُلْتُ : أقول حيث لَمْ يزل ، قَالَ : فَإِن قَالَ أين كَانَ فِي الأزل ، إيش تقول ؟

قَالَ : قُلْتُ : أقول حيث هُوَ الآن يَعْنِي أَنَّه كَمَا كَانَ ولا مكان فَهُوَ الآن كَمَا كَانَ ، قَالَ : فارتضىٰ منِّي ذَلِكَ ونزع قميصه وأعطانيه .

وسمعت الإِمَام أبا بَكْر بْن فورك رحمه اللهَّ تعالىٰ يَقُول : سمعت أبا عُثْمَان المغربي يَقُول : كنت أعتقد شَيْئاً من حَدِيث الجهة فلمَّا قدمت بغداد زال ذَلِكَ عَن قلبي ، فكتبت إِلَىٰ أَصْحَابنا بمكَّة : إِنِّي أسلمت الآن إسلاماً جديداً .

سمعت محمَّد بْن الْحُسَيْن السلمي (٤١٢هـ) رحمه اللهَّ يَقُول : سمعت أبا عُثْمَان المغربي يَقُول وَقَدْ سئل عَنِ الخلق فَقَالَ : قوالب وأشباح تجري عَلَيْهِم أحكام القدرة .

وَقَالَ الواسطي : لَمَّا كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا بِهِ لا بذواتها ، كَذَلِكَ قامت الخطوات والحركات بالله لا بذواتها ، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح صرح بِهَذَا الْكَلام أَنَّ أكساب الْعِبَاد مخلوقة للهِّ تعالىٰ ، وكما أَنَّه لا خالق للجواهر إِلَّا اللهَّ تعالىٰ ، فَكَذَلِكَ لا خالق للأعراض إلا اللهَّ تعالىٰ .

سمعت الشَّيخ أبا عَبْد الرَّحمن السّلمي رحمه اللهَّ يَقُول : سمعت محمَّد بْن عَبْد اللهَّ يَقُول : سمعت أبا جَعْفَر الصيدلاني يَقُول : سمعت أبا سَعِيد الخرَّاز (٢٧٧هـ) يَقُول : من ظنَّ أَنَّه يبذل الجهد يصل إِلَىٰ مطلوبه فمتعنّ ، ومن ظنَّ أَنَّه بغير الجهد يصل فمتمن .

وَقَالَ الواسطي : المقامات أقسام قسمت ، ونعوت أجريت ، كَيْفَ تستجلب بحركات أَوْ تنال بسعايات

.

وسُئل الواسطي عَنِ الكفر بالله أَوْ للهَّ ، فَقَالَ : الكفر والإيمان والدُّنيا والآخرة من اللهَّ ، وإلىٰ اللهَّ ، وبالله ، وَللهَّ ، من اللهَّ ابتداء وإنشاء ، وإلىٰ اللهَّ مرجعاً وانتهاء ، وبالله بقاء وفناء ، وَللهَّ ملكاً وخلقاً .

وَقَالَ الجنيد : سئل بَعْض الْعُلَمَاء عَنِ التَّوحيد فَقَالَ : هُوَ اليقين ، فَقَالَ السائل : بَيِّنَ لي مَا هُوَ فَقَالَ : هُوَ معرفتك أَن حركات الخلق وسكونهم فعل اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك لَهُ فَإِذَا فعلت ذَلِكَ فَقَدْ وحدته .

سمعت محمَّد بْن الْحُسَيْن رحمه اللهَّ يَقُول : سمعت عَبْد الْوَاحِد بْن عَلِيّ يَقُول : سمعت القاسم بْن القاسم يَقُول : سمعت محمَّد بْن موسي الواسطي يَقُول : سمعت محمَّد بْن الْحُسَيْن الجوهري يَقُول : سمعت ذا النون المصري يَقُول : وَقَدْ جاءه رجل فَقَالَ : ادع اللهَّ لي فَقَالَ : إِن كنت قَدْ أيدت فِي علم الغيب بصدق التَّوحيد فكم من دعوة مجابة قَدْ سبقت لَك وإِلَّا فَإِن النِّداء لا ينقذ الغرقىٰ .

وَقَالَ الواسطي : ادَّعىٰ فرعون الرُّبوبيَّة عَلَىٰ الكشف ، وادَّعت المعتزلة عَلَىٰ السّتر تقول : مَا شئت فعلت

.

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْن النّوري : التَّوحيد كُلّ خاطر بشير إِلَىٰ اللهَّ تعالىٰ بَعْد أَن لا تزاحمه خواطر التَّشبيه .

وَأَخْبَرَنَا الشَّيخ أَبُو عَبْد الرَّحمن السلمي رحمه اللهَّ تعالىٰ قَالَ : سمعت عَبْد الْوَاحِد بْن بَكْر يَقُول : سمعت هلال بْن أَحْمَد يَقُول : سئل أَبُو عَلِي الرّوذباري (٣٢٢هـ) عَنِ التَّوحيد فَقَالَ : التَّوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فِي كلمة واحدة كُل مَا صوره الأوهام والأفكار ، فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالىٰ : **ﭐﱺ ﱻ ﱼﱽ ﱾ ﱿ ﲀ** [الشورىٰ: ١١] ، وَقَالَ أَبُو القاسم النَّصرأباذي : الجنَّة باقية بإبقائه ، وذكره لَك ورحمته ومحبته لَك باق ببقائه فشتان بَيْنَ مَا هُوَ باق ببقائه وبين مَا هُوَ باق بإبقائه ، وَهَذَا الَّذِي قاله الشَّيخ أَبُو القاسم النَّصرأباذي هُوَ غاية التَّحقيق ، فَإِن أهل الحق قَالُوا : صفات ذَات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالىٰ ، فنبَّه عَلَىٰ هذه المسألة ، وبيَّن أَنَّ الباقي باق ببقائه ، بخلاف مَا قاله مخالفوا أهل الحقّ فخالفوا الحقّ .

أَخْبَرَنَا محمَّد بْن الْحُسَيْن قَالَ : سمعت النصرأباذي يَقُول : أَنْتَ متردِّد بَيْنَ صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما صفته تعالىٰ عَلَىٰ الحقيقة ، فَإِذَا هيمك فِي مقام التَّفرقة قرنك بصفات فعله ، وإذا بلغت إِلَىٰ مقام الجمع قرنك بصفات ذاته .

وأبو القاسم النَّصرأباذي كَانَ شيخ وقته .

سمعت الأستاذ الإِمَام أبا إِسْحَاق الإِسْفِرَايِنِيّ (٤١٨هـ) رحمه اللَّهَ يَقُول : لَمَّا قدمت من بغداد كنت أدرس فِي جامع نيسابور مسألة الرُّوح ، وأشرح القول فِي أَنَّهَا مخلوقة ، وَكَانَ أَبُو القاسم النَّصرأباذي قاعداً متباعداً عنَّا يصغي إِلَىٰ كلامي ، فاجتاز بنا بَعْد ذَلِكَ يوماً بأَيَّام قلائل ، فَقَالَ : لـ محمَّد الفراء : أشهد أَنِّي أسلمت جديداً عَلَىٰ يد هَذَا الرَّجل ، وأشار إِلَيَّ .

سمعت محمَّد بْن الْحُسَيْن السلمي يَقُول : سمعت أبا حسين الفارسي يَقُول : سمعت إِبْرَاهِيم بْن فاتك يَقُول : سمعت الجنيد يَقُول : مَتَىٰ يتَّصل من لا شبيه لَهُ ولا نظير لَهُ بمن لَهُ شبيه ونظير ، هيهات هَذَا ظنّ عجب إِلَّا بِمَا لطف اللطيف من حيث لا دراك ولا وَهْمٌ ولا إحاطة إِلَّا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان .

وَأَخْبَرَنَا محمَّد بْن الْحُسَيْن رحمه اللَّهَ تعالىٰ قَالَ : سمعت عَبْد الْوَاحِد بْن بَكْر يَقُول : حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن محمَّد بْن عَلِي البردعي قَالَ : حَدَّثَنَا طاهر بْن إِسْمَاعِيل الرَّازي قَالَ : قيل ليحيىٰ بْن معاذ : أخبرني عَنِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : اللَّهَ واحد .

فقيل لَهُ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَقَالَ : ملك قادر .

فقيل : أين هُوَ ؟ فَقَالَ : هُوَ بالمرصاد .

فَقَالَ السَّائل : لَمْ أسألك عَن هَذَا .

فَقَالَ : مَا كَانَ غَيْر هَذَا كَانَ صفة المخلوق فأما صفته فَمَا أخبرتك عَنْهُ .

وَأَخْبَرَنَا محمَّد بْن الْحُسَيْن قَالَ : سمعت أبا بَكْر الرَّازي يَقُول : سمعت أبا عَلِيّ الروذباري يَقُول : كُل مَا توهَّمه متوهِّم بالجهل أَنَّه كَذَلِكَ فالعقل يدلُّ عَلَىٰ أَنَّه بخلافه .

وسأل ابْن شاهين الجُنيد عَن معنىٰ (مَعَ) فَقَالَ : (مَعَ) عَلَىٰ معنيين : مَعَ الأنبياء بالنُّصرة والكلاءة ، قَالَ اللَّهَ تعالىٰ : ﭐﱡ سج سحسخ سم صح صخ صمﱠ [طه: ٤٦] ، ومع العامَّة بالعلم والإحاطة ، قَالَ اللَّهَ تَعَالَىٰ : ﭐﱡ نخ نم ني ىٰ ٌّ هج هم هى هيﱠ [المجادلة : ٧] ، فَقَالَ : ابْن شاهين : مثلك يصلح أَن يَكُون دالّاً للأمَّة عَلَىٰ اللَّهَ .

وسئل ذو النُّون الْمِصْرِي عَن قَوْله تعالىٰ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ، فَقَالَ : أثبت ذاته ونفي مكانه ، فَهُوَ موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمة كَمَا شاء سبحانه .

وسُئل الشِّبلي عَن قَوْله تعالىٰ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ، فَقَالَ : الرَّحمن لَمْ يزل ، والعرش مُحدث ، والعرشُ بالرَّحمن استوىٰ .

وسُئل جَعْفَر بْن نصير (٣٤٨هـ) عَن قَوْله تعالىٰ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ، فَقَالَ : استوىٰ علمه بكلِّ شيء ، فليس شَيْء أقرب إِلَيْهِ من شَيْء .

وَقَالَ جَعْفَر الصَّادق (١٤٨هـ) : من زعم أَنَّ اللهَّ فِي شَيْء أَوْ من شَيْء أَوْ عَلَىٰ شَيْء فَقَدْ أشرك ، إذ لو كَانَ عَلَىٰ شَيْء لكان محمولاً ، ولو كَانَ فِي شَيْء لكان محصوراً ، ولو كَانَ من شَيْء لكان محدثاً .

وَقَالَ جَعْفَر الصَّادق أيضاً فِي قَوْله :﴿ثُمَّ دَنَا﴾[النجم: ٨] : من توهَّم أَنَّه بنفسه دنا جعل ثُمَّ مسافة ، إِنَّمَا التَّداني أَنَّه كلَّما قرب منه بعده عَن أنواع المعارف إذ لا دنو ولا بَعْد .

ورأيتُ بخطِّ الأستاذ أَبِي عَلِيّ أَنَّه قيل لصوفي أين اللهَّ ؟ فَقَالَ : أسحقك اللهَّ تطلب مَعَ العين أين ؟ أَخْبَرَنَا الشَّيخ أَبُو عَبْد الرَّحمن السّلمي قَالَ : سمعت أبا العبَّاس بْن الخشَّاب البغدادي يَقُول : سمعت أبا القاسم بْن موسي يَقُول : سمعت محمَّد بْن أَحْمَد يَقُول : سمعت الأَنْصَارِي يَقُول : سمعت الخرَّاز يَقُول : حقيقة القرب فَقد حسّ الأشياء من القلب وهدو الضَّمير إِلَىٰ اللهَّ تعالىٰ ...

وَقَالَ ابْن عَطَاء : إِنَّ اللهَّ تعالىٰ لَمَّا خلق الأحرف جعلها سراً لَهُ ، فلمَّا خلق آدم عَلَيْهِ السَّلام بثَّ فِيهِ ذَلِكَ السّر وَلَمْ يبث ذَلِكَ السّر فِي أحد من ملائكته ، فجرت الأحرف عَلَىٰ لسان آدم عَلَيْهِ السَّلام بفنون الجريان وفنون اللغات ، فجعلها اللهَّ صوراً لَهَا صرح ابْن عَطَاء القول بأَنَّ الحروف مخلوقة .

وَقَالَ سهل بْن عَبْد اللهَّ : إِنَّ الحرف لسان فعل لا لسان ذَات ، لأَنَّهَا فعل فِي مفعول

قَالَ : وَهَذَا أَيْضاً تصريح بأَنَّ الحروف مخلوقة .

وَقَالَ الجنيد : فِي جوابات مسائل الشَّاميين : التَّوكُّل عمل القلب ، والتَّوحيد قَوْل القلب ، قَالَ : هَذَا قَوْل أهل الأصول إِن الْكَلام هُوَ المعنىٰ الَّذِي قام بالقلب من معنىٰ الأمر والنَّهي والخبر والاستخبار .

وَقَالَ الجُنيد : فِي جوابات مسائل الشَّاميِّين أَيْضاً : تفرّد الحقّ بعلم الغيوب فعلم مَا كَانَ وَمَا يَكُون وَمَا لا يَكُون أَن لو كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُون .

وَقَالَ الْحُسَيْن بْن مَنْصُور : من عرف الحقيقة فِي التَّوحيد سقط عَنْهُ لِمَ وكيف .

أَخْبَرَنَا محمَّد بْن الْحُسَيْن قَالَ : سمعت مَنْصُور بْن عَبْد اللهَّ يَقُول : سمعت جَعْفَر بْن محمَّد يَقُول : قَالَ الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مَعَ الفكرة فِي ميدان التَّوحيد .

وَقَالَ الواسطي : مَا أحدث اللهَّ شَيْئاً أكرم من الرُّوح ، صرَّح بأنَّ الرُّوح مخلوقة .

قَالَ الأستاذ الإِمَام زين الإِسْلام أَبُو القاسم رحمه اللهَّ : دلَّت هذه الحكايات عَلَىٰ أَنَّ عقائد مشايخ الصُّوفيَّة توافق أقاويل أهل الحقّ مسائل الأصول ، وَقَد اقتصرنا عَلَىٰ هَذَا المقدار خشية خروجنا عمَّا أثرناه من الإيجاز والاختصار . انظر : الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ص١٩-٣١) .

ثَانِيَاً : عقيدة الإِمَامُ، القُدْوَةُ، العَابِدُ، الزَّاهِدُ، شَيْخُ العَارِفِيْن، أَبُو العبَّاس أَحْمَدُ بنُ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى بنِ حَـــــازِمِ بنِ عَلِيِّ بنِ رِفَاعَةَ الرِّفَاعِيُّ، المَغْرِبِيُّ، ثُمَّ البَطَـــائِحِيُّ الشَّهير بالرِّفاعي (٥٧٨هـ) :

سأل السيِّد عبدالرَّحيم السيِّد الجليل الشَّيخ أحمد الرِّفاعي الكبير قدِّس سرُّه : " النَّاس يسألوني عن عقيدتي فما أقول لهم ؟ فقال السيِّد أحمد رضي الله عنه : " أي عبدالرَّحيم ، اعلم أنَّ كلّ ما عدا الخالق فهو مخلوق ، والليل والنَّهار والضّوء والظَّلام ، والسَّموات السَّبع وما فيهما من النُّجوم والشَّمس والقمر والأرض ، وما عليها من جبل وبحر وشجر ، وأنواع النَّباتات وأصناف النَّبات ، والحيوانات الضَّار منها والنَّافع ، لم يكن شيء من ذلك إلَّا بتكوين الله ، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا مادَّة ولا شيء من ذلك إلَّا بتكوين الله ، وكذلك الجنَّة والنَّار والعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والإنس والجن والشَّياطين ، لم يكن منها شيء إلَّا بتكوين الله تعالىٰ ، وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسُّكون ، والاجتماع والافتراق ، والأطعام والمشروب والرَّوائح ، والجهل والعلم ، والعجز والقدرة ، والسَّمع والصَّمم ، والبصر والعمىٰ ، والنُّطق والبكم ، والصحَّة والسُّقم ، والحياة والموت ، كلُّ ذلك من مخلوقات الله تعالىٰ ، وكذلك أفعال العباد واكتسابهم ، من الأمر والنَّهي والوعد والوعيد ، كلُّ ذلك من مخلوقات الله تعالىٰ ، خلق كلَّ شيء ، قال الله تعالىٰ : ﴿ٱ‍كلا كم لج لح لخ لمٱ﴾ [فاطر:٣] ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، الطَّاعات والمعاصي بقضاء الله وقدرته ، وعبادته بإرادته ومشيئته ، فإنَّ الطَّاعة مقدرة من الله تعالىٰ بقضائه وقدره ، وكذا المعصية والمعاصي مكونة مقدرة بقضاء الله تعالىٰ وقدره ومشيئته ، لكن ليست برضائه ولا محبّته ، ولا بأمره وما أراد الله أن يكون كان بلا محالة ، طاعة أو معصية ، وهذا معنىٰ قولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن هداه الله تعالىٰ خلق فيه فعل الاهتداء ، من لم يهده لم يهتد وكل ذلك بمشيئة الله تعالىٰ كما قال :﴿ٱلخ لم لى لي مج مح مخ مم﴾[الرعد:٢٩] ، والله يعطي العبد كما يريد ، كان فيه صلاح العبد أو

فساده ، وغاية صلاح العبد ليست بواجبة علىٰ الله تعالىٰ ، بل إن كان فيه صلاح كان منه إحساناً وتفضلاً ، وإن لم يكن ذلك كان منه عدلاً ، فله الفضل والحمد ، والله تعالىٰ قديم ليس لوجوده ابتداء ، وباق ليس لبقائه انتهاء ، حيّ بلا روح ، عالم بلا قلب وفكرة ، قادر لا بآلة ، سميع بلا أذن ، بصير لا بحدقة ، متكلِّم لا بلسان ، والله تعالىٰ قديم بصفاته ، وليس شئ من صفاته محدث ، وكلامه ليس من الحروف والأصوات ، بل الحروف والأصوات عبارة عن كلامه ودلالة عليه ، والله تعالىٰ ليس بجسم ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا علىٰ مكان ولا في مكان ، بل كان جلّت عظمته ولا ءاخر له ، ولا ولد له ولا والدة له ولا والد له ، وهو الأول والآخر ، والظَّاهر والباطن ولا زمان ولا مكان ، والله تعالىٰ ليس بصورة ، وكلّ ما تصور في فهمك ووهمك فالله تعالىٰ خالقه ومكونه ، والله تعالىٰ لا يشبه شيئاً ممَّا خلق ، ولا يشبه ذاته ذوات المخلوقين ، ولا صفاته صفات المخلوقين كما قال تعالىٰ : ٱني هج همهى هي يج يحٌ [الشورىٰ:١١] ، والله تعالىٰ واحد أحد فرد صمد ، لا شريك له ولا وزير له ، ولا شبيه له ، ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ، ولا نظير له ولا مثيل له ، ولا أول له ، وهو بكل شيء عليم ، وعلىٰ كل شيء قدير ، علام بأمور خلقه من مبتداهم الىٰ منتهاهم ، وكل مخلوق بخلقته شاهد عادل علىٰ أنَّه لا إله إلَّا هو الرَّحمن الرَّحيم .

وأنَّ محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخيرته من خلقه ، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدِّين كله ولو كره المشركون ، سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبيين ، وأنَّ الله أرسل من قبله رسلاً ، أولهم ءادم وخاتمهم محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ، وكلهم جاءوا بالحقّ وتكلَّموا بالصِّدق ، وبلّغوا الرِّسالة وصدقوا فيما بلَّغوا عن ربِّهم عزَّ وجلَّ ، وكل ما أنزل عليهم من الكتب والصُّحف حقٌّ ، وأنَّ محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاتم الرُّسل ولا نبي بعده حقٌّ ، وأنَّ الرُّسل كلّهم علىٰ حقٌّ ، وأنّ عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ينزل في ءاخر الزَّمان حقٌّ ، وأنَّ المعراج حقٌّ ، أسري بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بنفسه وشخصه في ليلة واحدة من مكَّة إلىٰ بيت المقدس علىٰ ظهر البراق ، ثُمَّ عرج به إلىٰ السَّماء حيث شاء الله ، وأنَّ الصَّالحين مع علوِّ منزلتهم وقربهم من الله لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصَّلاة والزَّكاة والحجّ والصِّيام وغير ذلك ، ومن زعم أنَّه صار وليَّاً وسقط عنه الفرائض ، فقد كفر ، فإنّه لم يسقط ذلك عن الأنبياء فكيف يسقط عن الأولياء .

وأنّ الإيمان يزيد وينقص ، والإيمان والإسلام واحد ، وكلّ مسلم مؤمن ، وأنّ عذاب القبر حقٌّ وأنّ منكرا ونكيرا حقٌّ ، وسؤالهما حقٌّ ، وأن البعث حقٌّ ، والعرض حقٌّ ، والحساب حقٌّ ، وأنَّ الجنَّة ونعيمها

حقٌّ ، والنّار وعذابها حقٌّ ، وأهل الجنَّة يرون ربّهم بعينهم من غير تشبيه ولا احاطة ولا كيفيَّة ولا مقابلة ولا علىٰ مكان – هم في الجنَّة وهو موجود بلا مكان – ولا في جهة من الجهات السِّت ، وأنَّ قراءة الكتب أي في الآخرة حقٌّ ، يؤتىٰ المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله ، والميزان حقٌّ ، والشَّفاعة للنَّبي حقٌّ ، وأنَّ أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخليفة حقّ ، وبعده خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حقّ ، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حقٌّ ، وبعده خلافة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه حقٌّ ، إلىٰ أن قال سيِّدنا أحمد الرِّفاعي : فهذا اعتقادنا ومذهبنا فمن خالفه وقال غير ذلك لا برهان له ، والله بريء منه . [من كتاب : المجالس الرِّفاعيَّة ، أحمد الرِّفاعي] .

ثَالِثَاً : عَقِيْدَةُ سُلْطَان الْعُلَماء عزّ الدِّين عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ السَّلام بن أبي الْقَاسِم بِنْ حَسَنْ أَبُو محمَّد السُّلَميّ، الدّمَشْقيّ، الشَّافعي السُّلَمِي (٦٦٠هـ) :

" بسم الله الرَّحمن الرَّحيم " اعلم أنَّ حقوق الله تعالىٰ علىٰ القلوب منقسمة إلىٰ المقاصد والوسائل ؛ أمَّا المقاصد ، فـ كمعرفة ذات الله عزَّ وجلَّ وصفاته .

وأمَّا الوسائل ، فـ كمعرفة أحكامه ، فإنَّها ليست مقصودة لعينها ، وإنَّما هي مقصودة للعمل بها .

وكذلك الأحوال قسمان ؛ فالمقاصد : ما قُصد لنفسه كالمهابة والإجلال .

والوسائل : ما هو وسيلة إلىٰ غيره ، كالخوف والرَّجاء ؛ فالخوف وازع عن المخالفات لما رتّب عليها من العقوبات ، والرَّجاء حاثٌّ علىٰ تكثير الطَّاعات لما رتّب عليها من المثوبات .

والحقوق المتعلِّقة بالقلب أنواع :

النَّوْعُ الأَوَّلُ : معرفة ذات الله تعالىٰ وما يجب لها من الأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، وانتفاء الجوهريَّة والعرضيَّة والجسميَّة ، والاستغناء عن الموجِب والموجِد ، والتوحّد بذلك عن سائر الذَّوات .

النَّوْعُ الثَّاني : معرفة حياته تعالىٰ بالأزليَّة والأبديَّة ، والاستغناء عن الموجِب والموجِد ، والتوحّد بذلك عن غيرها من الحياة .

النَّوْعُ الثَّالِثُ : معرفة علمه تعالىٰ بالأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجِب والموجِد ، والتعلُّق بكلِّ واجب وجائز ومستحيل ، والتَّوحّد بذلك عن سائر العلوم .

النَّوْعُ الرَّابِعُ : معرفة إرادته تعالىٰ بالأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتعلّق بما تتعلَّق به القدرة ، والتَّوحد بذلك عن سائر الإرادات .

النَّوْعُ الخَامِسُ : معرفة قدرته تعالىٰ – علىٰ الممكنات – بالأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتَّوحد بذلك عن سائر القُدَر .

النَّوْعُ السَّادِسُ : معرفة سمعه تعالىٰ بالأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتَّعلّق بكلِّ مسموع قديم أو حادث ، والتَّوحد بذلك من بين سائر الأسماع .

النَّوْعُ السَّابِعُ : معرفة بصره تعالىٰ بالأزليَّة والأبدية والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتعلّق بكل موجود قديم أو حادث ، والتَّوحد بذلك عن سائر الأبصار .

النَّوْعُ الثَّامِنُ : معرفة كلام الله تعالىٰ بالأزليَّة والأبديَّة والأحديَّة ، والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتعلّق بجميع ما يتعلق به العلم ، والتَّوحد بذلك عن سائر أنواع الكلام .

فهذه الصِّفات كلّها ثبوتيَّة قائمة بذات الله سبحانه وتعالىٰ واجبة له .

النَّوْعُ التَّاسِعُ : معرفة ما يجب سَلبُه عن ذاته تعالىٰ من كلِّ عيب ونقص ، ومن كلِّ صفة لا كمال فيها ولا نقصان .

النَّوْعُ العَاشِرُ : معرفة تفرّده تعالىٰ بالإلهيَّة والاختراع .

النَّوْعُ الحَادِيْ عَشَر : معرفة صفاته الفعليَّة الصَّادرة عن قدرته ، الخارجة عن ذاته ، وهي منقسمة إلىٰ الجواهر والأعراض .

والأعراض أنواع : كالخفض والرَّفع ، والعطاء والمنع ، والإعزاز والإذلال ، والإغناء والإفقار ، والإماتة والإحياء ، والإعادة والإفناء .

النَّوْع الثَّانِي عَشَر : معرفة ما له أن يفعله وأن لا يفعله ؛ كإرسال الرُّسل ، وإنزال الكتب ، والتَّكليف ، والجزاء بالثَّواب والعقاب .

النَّوْعُ الثَّالِثُ عَشَر : معرفة حسن أفعاله كلها ، خيرها وشرّها ، نفعها وضرّها ، قليلها وكثيرها ، وأنَّه لا حقّ لأحد عليه ، ولا ملجأ منه إلَّا إليه ، له حقّ ، وليس عليه حقٌّ ، ومهما قال فالحسَن الجميل ؛ وكذلك لو عذب أهل السَّماوات والأرض وأقصاهم لكان عادلاً في ذلك كلّه ، ولو أثابهم وأدناهم لكان مُنعِماً مُفْضِلاً بذلك .

النَّوْعُ الرَّابِعُ عَشَر: اعتقاد جميع ما ذكرنا في حقّ العامَّة ، وهو قائم مقام العلم في حقّ الخاصَّة ؛ لما في تعرف ذلك من المشقَّة الظَّاهرة للعامَّة ، فإنَّ الله تعالىٰ كلَّف الخاصَّة أن يعرفوه بالأزليَّة والأبديَّة والتفرُّد

بالإلهيَّة ، وأنَّه حيٌّ عالم قادر مريد سميع بصير متكلِّم صادق في أخباره ، وكلَّف العامَّة أن يعتقدوا ذلك بغير وقوفهم على أدلَّة معرفته ، فاجتزأ منهم باعتقاد ذلك .

النَّوْعُ الخَامِسُ عَشَر: الحقوق المتعلِّقة بالقلوب : تصديق القلب بجميع ما ذكرناه من الاعتقادات والعرفان .

النَّوْعُ السَّادِسُ عَشَر : النَّظر في تعرُّف ذلك واعتقاده ، وهو واجب وجوب الوسائل .

والحمد لله رب العالمين " . انظر : رسائل في التَّوحيد ، العز بن عبد السَّلام (ص٣٠-٣٤) ، تحقيق : إياد خالد الطبَّاع ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م].

رَابِعاً : عَقِيْدَةُ الإمَام محمَّد بِن يُوْسُف بِنْ عُمَر بِن شُعَيْب السَّنُوْسِي (٨٩٥هـ) ، المسمَّاة بـ " متن أُم البراهين المسمَّى بالعقيدة السَّنوسيَّة الصُّغرى " :

" بسم الله الرَّحمن الرحيم

الحَمْد لله .

وَالصَّلاَةُ والسَّلام عَلَىٰ رَسُولِ الله .

اعْلَمْ أنَّ الحُكْمَ العَقْلِيَّ يَنْحَصِرُ فِي ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ : الْوُجُوب ، وَالِاسْتِحَالَة ، وَالجَوَاز .

فَالْوَاجِبُ : مَالا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ عَدَمُهُ .

وَالْمُسْتَحِيلُ : مَالاَ يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ .

وَالجَائِزُ : مَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ وَجودَهَ وَعَدَمُهُ .

وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعاً أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حقّ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ وَكَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مِثْلَ ذلِكَ فِي حقّ الرُّسل عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام .

فمَمَّا يَجِبُ لمَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ عِشْرُونَ صِفَةً ، وَهِيَ :

الْوَجُودُ .

وَالْقِدَمُ .

وَالبَقَاءُ .

وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ .

وَقِيَامُهُ تَعَالَىٰ بِنفْسِهِ : أَيْ لاَ يَفْتَقِرُ إِلَىٰ محَل ، وَلاَ مُخَصِّصٍ .

وَالوَحْدَانِيَّةُ : أَيْ لاَ ثَانِيَ لَهُ فِي ذَاتِهِ ، وَلاَ فِي صِفَاتِهِ ، وَلاَ فِي أَفْعَالِهِ .

فَهذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ :

ٱلأُولَىٰ نَفْسِيَّةٌ ، وَهِيَ : الْوَجُودُ .

وَالخَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةٌ .

ثُمَّ يَجِبُ لَهُ تَعَالَىٰ سَبْعُ صِفَاتٍ ، تُسَمَّىٰ صفَاتِ المَعَانِي ، وَهِيَ :

الْقُدْرَةُ ، وَالإِرادَةُ : المُتعَلِّقَانِ بِجَمِيعِ المُمْكِنَات .

وَالْعِلْمُ المُتعَلِّقُ بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ ، وَالجَائِزَاتِ ، وَالمُسْتَحِيلاَت .

وَالحَيَاةُ ، وَهِيَ : لاَ تتعَلَّقُ بِشيءٍ .

وَالسَّمْعُ وَالبصَرُ : المُتعَلِّقَان بِجَمِيعِ المَوْجُودَات .

وَالْكَلامُ : الذِّي لَيْسَ بِحَرْفٍ ، وَلاَ صَوْتٍ ، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِلْمُ مِنَ المُتعَلَّقَاتِ .

ثُمَّ سَبْعُ صِفَاتٍ ، تُسَمَّىٰ صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّة ، وَهِيَ : مُلاَزِمَةٌ لِلسَّبْعِ الأُولَىٰ ، وَهِيَ :

كَوْنهُ تعالىٰ : قادراً ، وَمُرِيداً . وَعَالِماً وَحَيّاً ، وَسَمِيعاً ، وَبَصِيراً ، وَمُتَكَلِّماً .

وَمِمَّا يسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالىٰ عِشْرُونَ صِفَة ، وَهِيَ أَضْدَادُ الْعِشْـرِينَ ٱلأُولَىٰ ، وَهِيَ :

الْعَدَمُ .

وَالحُدُوثُ .

وَطُرُؤُ العَدَمِ .

وَالمُمَاثَلَةُ لِلْحَوادِثِ : بِأَنْ يَكُونَ جِرْماً : أَيْ تَأخُذَ ذَاتُهُ العَلِيةُ قَدْراً مِنَ الْفَرَاغِ . أَوْ يَكُونَ عَرَضاً يَقُومُ بِالْجِرْم ، أَوْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ للجرمِ ، أَو لهُ هُوَ جِهَةٌ ، أَوْ يَتَقَيَّد بِمَكَانٍ ، أَوْ زَمَانٍ ، أَوْ تتَّصِف ذَاتُهُ الْعلِيةُ بِالحَوَادِثِ ، أَو يَتَّصِفَ بِالصِّغَرِ ، أَوْ الْكِبَرِ ، أَوْ يَتَصَّفَ بِٱلأَغْرَاض فِي ٱلأَفْعَالِ أَو ٱلأَحْكامِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَنْ لاَ يَكُونَ قائِماً بِنَفْسِهِ ، بِأَنْ يَكُونَ صِفَةً يَقُومُ بِمَحلٍ ، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مُخَصَّصٍ .

وَكَذَا يَسْتَحيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَنْ لاَ يَكُوْنَ وَاحِداً بِأَنْ يَكُونَ مُركباً فِي ذَاتِهِ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ فِي ذَاتِهِ ، أَوْ صِفَاتِهِ ، أَوْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الْوُجُودِ مُؤَثِّرٌ فِي فِعْلٍ مِنَ ٱلأَفْعَالِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ الْعجْزُ عَنْ ممكنٍ مَّا ، وَإِيجَادُ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ مَعَ كَرَاهَتِهِ لِوُجُودِهِ ، أَيْ : عَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالَىٰ أَوْ مَعَ الذُهُولِ ، أَو الْغَفْلَةِ ، أو بِالتَّعْلِيلِ ، أَوْ بِالطَّبْعِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ الجَهْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ بِمَعْلُومٍ مَّا ، وَالمَوْتُ ، وَالصَّمَمُ ، وَالْعَمىٰ وَالْبَكَمُ .

وَأَضْدَادُ الصِّفَات المَعْنَوِيَّةِ وَاضِحَةٌ مِنْ هَذِهِ .

وَأَمَّا الجَائِزُ فِي حقِّهِ تَعَالَىٰ : فَفِعْلُ كُلِّ ممكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ .

أَمَّا بُرْهَانُ وَجودِهِ تَعَالَىٰ : فَحُدوثُ الْعَالَمِ ، لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْدِثٌ بَلْ حَدَث بِنَفْسِهِ ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ ٱلأَمْرَيْنِ المُتَسَاوِيَيْنِ مُسَاوِياً لِصَاحِبِهِ رَاجِحاً عَلَيْهِ بِلاَ سَبَبٍ وَهُوَ مُحَالٌ .

وَدلِيلُ حُدُوثِ الْعَالَمِ مُلاَزَمَتُهُ لِلأَعْرَاضِ الحَادِثَةِ مِنْ : حَرَكَةٍ ، أو سُكُونٍ أو غَيْرِهِمَا ، وَمُلاَزِمُ الحَادِثِ حَادِثٌ .

وَدَلِيلُ حُدُوثِ ٱلأَعرَاضِ مُشَاهَدَةُ تَغَيُّرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وَجودٍ ، وَمِنْ وُجُودٍ إِلَىٰ عَدَمٍ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ الْقِدَمِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَو لَمْ يَكُنْ قَدِيماً ، لَكَانَ حَادِثاً فَيَفْتَقِرُ إِلَىٰ مُحْدِثٍ ، فَيَلْزَمُ الدَّوْرُ ، أَوِ التَّسَلْسُلُ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجوبِ الْبَقَاءِ لَهُ تَعَالَىٰ ، فَلأَنَّهُ لَو أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ الْعَدَمُ ، لاَنْتَفىٰ عَنْهُ القِدَمُ لِكَوْنِ وُجُودِهِ حِينَئِذٍ جَائِزاً لاَ وَاجِباً ، وَالجَائِزُ لاَ يَكُونُ وُجُودُهُ إِلاَّ حَادِثاً ، كَيْفَ ! وَقَدْ سَبَقَ قَرِيباً وُجُوبُ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِه .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ : فَلأَنَّهُ لَو مَاثَلَ شَيْئاً مِنْهَا ، لَكانَ حَادِثاً مِثْلَهَا ، وَذلِكَ مُحَالٌ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِهِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجوب قِيَامِهِ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ : فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَوِ احْتَاجَ إِلَىٰ مَحَلٍ لَكَانَ صفَةً ، وَالصِّفَةُ لاَ تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ المَعَانِي ، وَلاَ المَعْنويَّةِ ، وَمَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ يَجِب اتِّصَافُهُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِصِفَةٍ . وَلَو احْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ لَكانَ حَادِثاً ، كَيْفَ ! وَقَدْ قامَ الْبُرْهَانُ عَلَىٰ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبقَائِهِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِداً لَزِمَ أَنْ لاَ يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ للزُومِ عَجْزِهِ حِينَئِذٍ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجوبِ اتِّصَافِهِ تَعالَىٰ بِالْقُدْرَةِ وَٱلإِرَادَةِ وَالْعِلْم وَالحَيَاةِ : فَلأَنَّهُ لَوِ انْتفىٰ شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا وجِدَ شَيْءٌ مِنَ الحَوَادِثِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوبِ السَّمْعِ لَهُ تَعَالَىٰ وَالْبَصَرِ وَالْكَلاَمِ : فَالْكِتَابُ والسُّنَّة وَالإِجْمَاعُ ، وَأَيْضاً لَوْ لَمْ يتَّصِفَ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِهَا ، وَهِيَ نَقَائِصُ ، وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ مُحَالٌ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ كَوْنِ فِعْل الْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا جَائِزاً فِي حَقِّهِ تَعَالَى : فَلأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً ، أَوِ اسْتَحَالَ عَقْلاً لاَ نْقَلَبَ الْمَكِنُ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيلاً ، وَذلِكَ لاَ يُعْقَلُ .

وَأَمَّا الرُّسل عَلَيْهِمُ والسَّلام :

فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ : الصِّدْقُ وَالأَمَانَةُ وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ .

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام أَضْدَادُ هذه الصِّفَاتِ ، وَهِيَ : الْكَذِبُ وَالْخِيَانَةُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِمَّا نُهُوا نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ ، أَوْ كِتْمَانُ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ .

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام مَا هُوَ مِنَ الأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لاَ تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمِ الْعَلِيَّةِ ؛ كالْمَرَضِ وَنَحْوِهِ .

أَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ صِدْقِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام : فَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَصْدُقُوا لَلَزِمَ الْكَذِبُ فِي خَبرِهِ تَعَالَى ، لِتَصْدِيقِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِالْمُعْجِزَةِ النَّازِلَةِ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى : صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ الأَمَانَةِ لَهم عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام : فَلأَنَّهُمْ لَو خَانُوا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ ، أَوْ مَكْرُوهٍ ، لاَ نْقَلَبَ المحَرَّمُ ، أَوِ المَكْروهُ طَاعَةً فِي حَقِّهِمْ ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِالاِقْتِدَاءِ بِهِم فِي أَقْوالِهِم وَأَفْعَالِهِم ، وَلاَ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ وَلاَ مَكْرُوه . وَهذَا بِعَيْنِهِ هُوَ بُرْهَانُ وُجُوبِ الثَّالِثِ .

وَأَمَّا دَلِيلُ جَوازِ الأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِم : فَمشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا بِهِم : إِمَّا لِتَعْظِيمِ أُجُورِهِمْ أَوْ لِلتَّشْرِيعِ أَوْ لِلتَّسَلِّي عَنِ الدُّنيا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ لِخِسَّةِ قَدْرِهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، وَعَدَمِ رِضَاهُ بِهَا دَار جَزَاءٍ لأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِاعْتِبَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمُ الصَّلاة وَالسَّلم .

وَيَجْمَعُ مَعَانِيَ هذِهِ العَقَائِدِ كُلهَا قَوْلُ :

لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ مُحمَّد رَسُولُ الله .

إِذ مَعْنَى الأُلُوهِيَّةِ : اسْتِغْنَاءُ الإِلهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَافْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ .

فَمَعْنَى لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ : لاَ مُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَمُفْتَقِراً إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى .

أَمَّا اسْتِغْنَاؤُهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَى : الْوُجُودَ ، وَالْقِدَمَ ، وَالْبَقَاءَ ، وَالْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ ، وَالْقِيَامَ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّنَزُّهَ عَن النَّقَائِصِ .

وَيَدْخُلُ فِي ذلِكَ وُجُوبُ السَّمْعِ لَهُ تَعَالَى وَالْبَصَرِ وَالْكَلاَمِ ، إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ هذِهِ الصِّفَاتُ لكَانَ مُحْتَاجاً إِلَى الْمُحْدِثِ ، أَوِ المحَلِّ ، أَو مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقَائِصَ .

وَيُؤخذُ مِنْهُ : تَنَزُّهُهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلأَغْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكامِهِ ، وَإِلاَّ لَزِمَ افْتِقَارُهُ إِلَىٰ مَا يُحَصِّلُ غَرَضَهُ ، كَيْفَ ! وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤخذُ مِنْهُ أَيْضاً : أَنَّه لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكنَاتِ عقلا وَلاَ تَرْكُهُ ، إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً كالثَّوَابِ مَثَلاً ، لَكانَ جَلَّ وَعَزَّ مُفْتِقراً إِلَىٰ ذلِكَ الشَّيْءِ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ غَرَضُهُ ، إِذْ لاَ يَجِبُ فِي حَقّه تَعَالَىٰ إلاَّ مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الغَنِيُّ عن كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَأَمَّا افْتِقَارُ كُلِّ مَا عَداهُ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَىٰ الحَيَاةَ ، وَعُمُومَ الْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ ، إِذْ لَو انتَفىٰ شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الحَوَادِثِ فَلاَ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، كَيْفَ ! وَهُوَ الذَّي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُوجِبُ لَهُ تَعَالَىٰ أَيْضاً : الْوَحْدَانية ، إِذْ لَوْ كانَ مَعَهُ ثَانٍ فِي ٱلأُلُوهِيَّةِ لما افْتَقرَ إِلَيْهِ شَيْءٌ لِلُزُومِ عَجْزِهِمَا حِينَئِذٍ ، كيْفَ ! وَهُوَ الذَّي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤْخذُ منْهُ أَيْضاً : حُدُوثُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، إِذْ كانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَديماً لَكَانَ ذلِكَ الشَّيْءُ مُسْتَغْنِياً عَنْهُ تَعَالَىٰ ، كَيْفَ ! وَهُوَ الذَّي يَجِبُ أَنْ يَفتَقِرَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : أنَّه لاَ تَأْثِيرَ لِشَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ فِي أَثَر مَّا ، وَإِلّا لَزِمَ أَنْ يَسْتَغْني ذلِكَ ٱلأَثَرُ عَنْ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ ، كَيْفَ ! وَهُوَ الذَّي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ عُمُوماً .

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، هذَا إِنْ قَدَّرتَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْكائِنَاتِ يُؤَثِّرُ بطَبْعِهِ ، وَأَمَّا إِنْ قَدَّرْتَهُ مُؤَثِّراً بِقوَّةٍ جعَلَهَا اللهُ فِيهِ كم يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجَهَلَةِ فَذلِكَ محَالٌ أَيْضاً ، لأَنَّهُ يَصِيرُ حِينَئِذٍ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِراً فِي إِيجَادِ بَعْضِ ٱلأَفْعَالِ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ ، وَذلِكَ بَاطِلٌ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ وُجُوبِ اسْتِغْنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ

فَقَدْ بَانَ لَكَ تَضَمُّنُ قَوْلِ : لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ لِلأَقْسَامِ الثَّلاَثَةِ التَّي يَجِبُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا فِي حقّ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ ، وَهِيَ :

مَا يجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا محمَّد رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُ فيه الإِيمَانُ ٱلأَنْبِيَاءِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام جاءَ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ ذلِكَ كُلِّهِ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : وُجُوبُ صِدْقِ الرُّسل عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام . وَاسْتِحَالَةُ الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ ، وَإِلاَّ لَمْ يَكُونُوا رُسُلاَ أَمنَاءَ لِمَوْلاَنَا العَالِمِ بِالخَفِيَّاتِ جَلَّ وَعَزَّ .

وَاسْتِحَالَةُ فِعْلِ الْمَنْهِيَّاتِ كلِّهَا لأنَّهم أُرْسِلُوا لِيُعَلِّمُوا النَّاس بِأَقْوَالِهِمْ ، وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ ، فَيَلْزَمُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا مُخَالَفَةٌ لأَمْرِ مَوْلاَنَا جَلَّ وَعَزَّ الذِّي اخْتَارَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَمِنَهُمْ عَلَى سِرِّ وَحِيْهِ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : جَوَازُ ٱلأَعْرَاضِ الْبَشَرِيةِ عَلَيْهِمْ ، إِذْ ذَاكَ لاَ يَقْدَحُ فِي رِسَالَتِهِمْ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ الله تَعَالَىٰ بَلْ ذَاكَ مِمَّا يَزِيدُ فِيهَا .

فَقَد بَانَ لَكَ تَضَمُّنُ كَلِمَتَي الشَّهَادَةِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا لِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَقَائِدِ ٱلإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ وَفِي حقّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام .

وَلَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِهَا مَعَ اشْتِمَالِهَا عَلَىٰ مَا ذكَرْنَاهُ جَعَلَهَا الشَّرْعُ تَرْجمَةً عَلَىٰ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الإِسْلامِ ، وَلَمْ يَقْبَل مِنْ أَحَدٍ الإِيمَان إلاَّ بِهَا .

فَعَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا مُسْتَحْضِراً لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِد الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَمْتَزِجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، فَإِنَّهُ يَرَىٰ لَهَا منِ ٱلأَسْرَارِ وَالْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مَالاَ يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ ، وَبالله التَّوْفِيقُ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ ، وَلاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ .

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجعَلَنَا وَأَحِبَّتَنَا عِنْدَ المَوْتِ نَاطِقِينَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَة عَالِمِينَ بِهَا ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سيِّدنا محمَّد ،كُلَّمَا ذكره الذَّاكرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ . وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِين لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين ، وَسَلاَمٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ . وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينِ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انظر : متن السَّنوسيَّة في العقائد ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف السَّنوسي ، طبع علىٰ نفقة أهل الخير.

خَامِسَاً : عَقِيْدَةُ الإِمَام عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الأَنْصَارِي الْمَشْهُوْر بالشَّعْراني ، العَالِمُ الزَّاهِدُ ، الفَقِيْهُ ، المحَدِّثُ ، المصْرِي الشَّافِعِي الشَّاذلِي الصُّوفِي المَنعُوْت بـ " القُطْبِ الرَّبّاني " (٨٧٣هـ) كَمَا هِيَ فِي كِتَابِهِ : " الأَنْوَارُ القُدُسِيَّةُ فِي مَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ الصُّوفيَّة " :

" اعلم يا أخي أنَّ القوم أجمعوا علىٰ أنَّ الله تعالىٰ إله واحد لا ثاني له ، منزَّه عن الصَّاحبة والوالد ، مالك الملك لا شريك له ، صانعه لا مدبِّر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلىٰ مُوجد يُوجده ، بل كلّ موجود مفتقر إليه في وجوده ، فالعالم كلّه موجود به ، وهو تعالىٰ موجود بذاته ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجوده مطلق مستمر ، قائم بنفسه ، ليس بجوْهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدَّس عن الجهة والأقطار ، مرئي بالقلوب والأبصار ، استوىٰ تعالىٰ علىٰ عرشه كما قال ، وعلىٰ المعنىٰ الذي أراده ، كما أنَّ العرش وما حواه به استوىٰ ، له الآخرة والأولىٰ ،

ليس له مثل معقول ، ولا دلَّت عليه العقول ، لا يحدّه زمان ، ولا يقلّه مكان ، وهو الآن علىٰ ما عليه كان ، خلق المتمكّن والمكان ، وأنشأ الزَّمان ، وقال : أنا الواحد الحيّ الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها ولا تلحقه صفة من صفات المصنوعات ، تعالىٰ أن تحلّه الحوادث أو يحلّها ، أو تكون قبله أو يكون قبلها ، بل يقال : كان ولا شئ معه ، لأنَّ القَبل والبعد من صيغ الزَّمان الذي أبدعه ، فلا نطلق عليه تعالىٰ ما لم يطلقه علىٰ نفسه ، فإنَّه أطلق علىٰ نفسه : الأوَّل والآخر ، لا القبل والبعد ، فهو القيُّوم الذي لا ينام ، والقهَّار الذي لا يرام ، ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير ، خلق العرش وجعله حدَّ الاستواء .

أنشأ الكرسيَّ وأوسعه الأرض والسَّماء ، اخترع اللوح والقلم الأعلىٰ ، وأجراه كاتباً في خلقه إلىٰ يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم علىٰ غير مثال سابق ، وخلق الخلق ، وأخلق ما خلق .

أنزل الأرواح إلىٰ الأشباح أمناً ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلقاً ، وسخر لها ما في السَّموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرَّك ذرَّة إلَّا عنه ، خلق الكلَّ من غير حاجة إليهم له ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه بذلك سبق ، فلا بدَّ أن يخلق ما خلق ، فهو **ﱡﭐﱁﱂ كج كح كخ كل كم لج لح لخ لمﱠ** [الحديد: ٣] ، أحاط بكلِّ شئ علماً ، وأحصىٰ كل شئ عدداً ، يعلم السرَّ وأخفىٰ ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور ، كيف لا يعلم شيئاً خلقه ؟ **ﱡﭐ نح نخ نم نى ني هج همﱠ** [الملك: ١٤] .

علم الأشياء قبل وجودها ثُمَّ أوجدها علىٰ حدِّ ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء لم يتجدَّد له علم عند تجدُّد الأشياء ، أتقن الأشياء وأحكمها بعلمه ، يعلم الكليَّات والجزئيَّات علىٰ الإطلاق ، فهو عالم الغيب والشَّهادة فتعالىٰ عما يشركون ، فعَّال لما يريد ، فهو مريد للكائنات في عالم الأرض والسَّموات ، لم تتعلَّق قدرته تعالىٰ بإيجاد شيء حتىٰ أراده ، كما أنَّه سبحانه ما أوجده حتىٰ علمه ، إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالىٰ ما لم يعلم ، أو يفعل المختار من ذلك الفعل ما لا يريده ، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حيّ ، كما يستحيل أن تقوم الصِّفات بغير ذات موصوفة بها .

فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حر ، ولا برد ولا حرّ ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوّهر ولا عرَض ، ولا صحَّة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلمه ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ،

ولا بياض ولا سواد ، ولا سهاد ولا رقاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرِّك ولا ساكن ، ولا رطب ولا يابس ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من جميع المتضادَّات المختلفة والمتماثلات ، إلَّا وهو مراد للحقِّ تعالىٰ ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ؟ فكيف يوجد المختار ما لا يريد ؟ لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممَّن يشاء ، ويعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ، ويضلُّ من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

لو اجتمع الخلائق كلُّهم علىٰ أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالىٰ لهم أن يريدوه ما أرادوه ، أو أن يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوا ما فعلوه ولا استطاعوا ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطَّاعة والعصيان من مشيئته وحكمته وإرادته ، ولم يزل سبحانه وتعالىٰ موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم ، ثُمَّ أوجد العالم من غير تفكُّر ولا تدبُّر ، بل أوجده عن العلم السَّابق ، وتعيين الإرادة المنزّهة الأزليَّة القاضية علىٰ العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مريد في الوجود علىٰ الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه : ﭐﱡ ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن ﱠ [الإنسان: ٣٠] .

وأنَّه تعالىٰ كما علم ما خلق ، وأراد فخصَّ ، وقدَّر فأوجد ، كذلك سمع ورأىٰ ما تحرَّك وسكن ، ونطق في الورىٰ ، من العالم الأسفل والأعلىٰ ولا يحجب سمعه البُعد ، فهو القريب ، ولا يحدّ بصره القرب ، فهو البعيد ، يسمع كلام النَّفس في النَّفس ، وصوت المماسَّة الخفيَّة عند اللمس ، يرىٰ السَّواد في الظَّلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ، ولا الظُّلمات ، ولا النُّور وهو السَّميع البصير .

تكلَّم سبحانه ، لا عن صمت متقدِّم ، ولا سكوت متوهّم ، بكلام قديم أزليٍّ كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ، سمَّاه : التَّنزيل والزَّبور والتَّوراة والإنجيل والقرآن ، من غير تشبيه ولا تكييف ، إذ كلامه تعالىٰ بغير لهاة ولا لسان ، كما أنَّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أنَّ بصره من غير أعين ولا أجفان ، كما أنَّ إرادته من غير قلب ولا جنان ، كما أنَّ علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزِّيادة ولا النُّقصان .

فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السُّلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان ، كلّ ما سواه فهو عن وجود فائض ، وفضله وعدله الباسط والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ولا مدبّر معه فيه ، إن أنعم فنعم العبد فذلك فضله ، وإن أبلىٰ فعذب فذلك عدله ، لم

يتصرَّف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجَّه عليه من سواه حكم فيتَّصف بالجبر لذلك والخوف ، كلّ ما سواه فهو تحت سلطان قهره ، ومتصرّف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلَّفين للتَّقوىٰ والفجور ، فهو المتجاوز عن سيِّئات من شاء هنا وفي يوم النشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله لقدم صفاته كلّها ، وتنزّهها عن الحدوث .

أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنَّة ولا أبالي وهؤلاء للنَّار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، إذ لا موجود كان ثُمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصرف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ، لو أراد سبحانه أن يكون العالم كلّه سعيداً لكان ، أو شقيّاً لما كان في ذلك من شان ، لكنه سبحانه لم يرد ذلك فكان كما أراد ، فمنهم الشَّقي ومنهم السَّعيد ، هنا وفي يوم الميعاد ، فلا سبيل إلى تبدي ما حكم عليه القدم ، وقد قال تعالىٰ في حديث فرض الصَّلاة : " هي خمس وهي خمسون "

.

قال تعالىٰ : **ﭐﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ** [ق: ٢٩] ، وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ، ولم تعبر عنها عليها الأفكار ولا الضَّمائر ، إلا بوهب إلهي ووجود رحماني ، لمن أعتنىٰ الله به من عباده ، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده ، فعلم حين أعلم أن الألوهيَّة أعطت هذا التَّقسيم ، وإنَّها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود بذاته إلَّا إيَّاه .

قال تعالىٰ : **ﭐﱢ ﱣ ﱤ ﱥ** [الصافات: ٩٦] .

وقال تعالىٰ : **ﭐﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ** [الأنبياء: ٢٣] .

وقال تعالىٰ : **ﭐﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ** [الأنعام: ١٤٩] .

وكما شهدنا لله تعالىٰ بالوحدانيَّة وما يستحقه من الصِّفات العليَّة ، كذلك نشهد لسيِّدنا ومولانا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالة إلىٰ جميع النَّاس كافَّة بشيراً ونذيراً ، **ﭐﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ** [الأحزاب: ٤٦] .

وأنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بلَّغ جميع ما أنزل إليه من ربِّه وأدَّىٰ أمانته ، ونصح للأمَّة ، وقد ثبت أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ، وقف في حجَّة الوداع علىٰ كلِّ من حضره من الأتباع ، فخطب وذكَّر وخوَّف وأنذر ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصَّ بذلك التَّذكير أحداً دون أحد ، عن إذن الواحد الصَّمد ثُمَّ قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا جميعاً : قد بلغت يا رسول الله ، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وآله : اللهمَّ فاشهد .

ونؤمن بكلّ ما جاء به رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله ، ممَّا علمنا وممَّا لم نعلم ، فممَّا علمنا وتحقَّقنا ممَّا جاء به وقرر ، أنَّ الموت عن أجلٍ مسمَّىٰ عند الله إذا جاء لا يؤخَّر ، فنحن مؤمنون بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شكّ ، كما آمنَّا وأقررنا وصدَّقنا أنَّ سؤال منكر ونكير في القبر حقٌّ ، وأنَّ عذاب القبر حقٌّ ، والبعث من القبور حقٌّ ، والعرض علىٰ الله تعالىٰ حقٌّ ، والحوض حقٌّ ، والميزان حقٌّ ، وتطاير الصُّحف حقٌّ ، والصِّراط حقٌّ ، والجنَّة والنَّار حقٌّ ، وفريقاً فىٰ الجنَّة وفريقاً في السَّعير حقٌّ ، وأنَّ كرب ذلك اليوم علىٰ طائفة حقٌّ وطائفة أخرىٰ لا يحزنهم الفزع الأكبر حقٌّ ، وأنَّ شفاعة المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقٌّ ، وأنَّ شفاعة الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين حقٌّ ، وشفاعة أرحم الراحمين حقٌّ ، فتشفع أسماؤه من الحنان والرَّحمة عند أسماء الجبروت والنِّقمة والعدل ، وكذلك نؤمن بأنَّ إيمان أهل النَّار كفرعون وغيره غير مقبول ولا نافع ، وأنَّ جماعة من أهل الكبائر من الموحِّدين يدخلون جهنم ثُمَّ يخرجون بالشَّفاعة حقٌّوأن كل ما جاءت به الكتب والرُّسل من عند الله تعالىٰ حقٌّ .

كذلك نؤمن بأنَّ التَّأبيد للمؤمنين في النَّعيم المُقيم حقٌّ ، والتَّأبيد للكافرين والمشركين والمجرمين في النَّار حقٌّ ، فهذه عقيدة القوم رضي الله عنهم أجمعين . وعقيدة عليها حيينا وعليها نموت ، كما هو رجاؤنا في الله عزَّ وجلّ .

فنسأل الله من فضله أن ينفعنا بهذا الإيمان ويثبتنا عليها عند الانتقال إلىٰ الدَّار الحيوان ، ويحلّنا دار الكرامة والرِّضوان ، ويحول بيننا وبين دار سرابيل أهل القطران ، ويجعلنا من العصابة التي تأخذ كتبها بالأيمان ، وممَّن ينقلب من الحوض وهو ريَّان ، ويرجح له الميزان بالإحسان ، وثبت منه علىٰ الصِّراط القدمان ، أنَّه المنعم المنَّان ، آمين اللهمَّ آمين ، اللهم آمين .

فأمعن يا أخي النَّظر في هذه العقيدة فإنَّها عظيمة الشَّأن ، وإن حفظتها عن ظهر قلب كان أولىٰ لك فأولىٰ ، والله يتولَّىٰ هداك ، والله يرعاك ولك يتولَّىٰ " . انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، عبد الوهَّاب الشعراني ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

سَادِسَاً : عَقِيْدَةُ الإِمَام أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي حَامِد العَدَوِي المَالِكِي الأَزْهَرِي الخَلْوَتِي ، الشَّهير بِأَحْمَد الدَّرْدِيْر (١٢٠١هـ) :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم :

يجبُ علىٰ المكلَّف معرفةُ ما يجبُ لله تعالىٰ ولأنبيائه وملائكته الكرام .

فيجب لله تعالىٰ عشرون صفة ، وهي : الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنَّفس ، والوحدانيَّة ، والحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسَّمع ، والبصر ، والكلام ، وكونه تعالىٰ حياً وعليماً ومريداً وقادراً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً .

فهذه عشرون صفة ، الأولىٰ نفسيَّة ، والخمسة بعدها سلبيَّة ، والسَّبعة بعدها صفات معان ، والتي بعدها معنويَّة .

فهو سبحانه وتعالىٰ واجبُ الوجود ، قديمٌ ، باقٍ ، مخالف لجميع الخلق ، فليس بجسم ولا عرَض ، ولا يتَّصف بالمكان ولا بالزَّمان ، ولا باليمين ولا بالشِّمال ، ولا بالخلف ولا بالأمام .

القائمُ بنفسه .

واحد في ذاته وصفاته وأفعاله .

حيّ عليم بكلِّ شيء ما كان وما يكون وما لم يكن .

مريد لكلِّ شيء جرىٰ أو برز من العوالم ، وما لم يكن منهما .

قادر علىٰ كلِّ شيء من الممكنات وإعدامها ، لا يشاركه في ذلك مشارك .

سميع لكلِّ موجود ومبصر ، متكلِّم بكلام أزلي منزَّه عن الصَّوت والحرف .

ويجب للأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام العصمة ، فلا يقع منهم مخالفة لله في أمره ونهيه ، وكذلك الملائكة .

ويجب للرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق من الأحكام وغيرها ، كاليوم الآخر وما فيه من الحساب والعقاب ، إمَّا في القبر أو في النَّار ، والصِّراط والميزان والجنَّة والنَّار ، والعرش ، وبالكرسي ، وبالكتب السَّماويَّة والرُّسل وما وقع لهم مع أممهم ، وبالحور العين ، وبالولدان ، وبالأولياء ، وبإسرائه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبالمعراج ، وبأنَّ الشُّهداء أحياء عند ربِّهم يُرزقون ، وبشفاعة نبيِّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبعلامات السَّاعة .

وتجديد التَّوبة من الذُّنوب ، والرِّضا بالقضاء والقدر " . انظر : حاشية العقباوي علىٰ شرحه لعقيدة الدَّردير في التوحيد ، (ص٢-٣) ، مكتبة القاهرة ، القاهرة .

وتالياً متن عقيدة الإمام الدَّردير نظماً :

يَقُولُ رَاجي رَحْمَةَ القَديرِ أَي أَحْمَدُ المَشْهورُ بالدَّرديرِ

الحَمْدُ للهِ العَلــــــيِّ الواحِدِ   العَــــالِمِ الفَرْدِ الغَنيِّ المَاجِدِ
وأَفْضَلُ الصَّلاة والتَسْلــــيمِ   علىٰ النَّبي المُصْطَفىٰ الكَريمِ
وءالِهِ وصَحْبِـــــــهِ الأطْهَارِ   لاسِيما رَفيقُهُ فــــــــــي الغَارِ
وهذِهِ عَقيدَةٌ سَنيِّــــــــــه   سَمَّيتُــها الخَريدَةَ البَهيِّــــــهْ
لَطيفَةٌ صَغيرَةٌ فــــي الحَجْمِ   لكِنَّها كَبيرَةً فــــــــــي العِلْمِ
تَكْفيكَ عِلْماً إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفي   لأَنَّها بِزُبْدِةُ الفَنِّ تَفــــــــــــي
واللهَ أَرْجو في قَبولِ العَمَلِ   والنَّفعَ مِنْها ثُمَّ غَفْرَ الزَلَلِ
أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ   هي الوُجــــوبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَهْ
ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأَقْسَامِ   فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفهامِ
وواجِبٌ شَرْعاً علىٰ المُكَلَّفِ   مَعرِفَـــــــةُ اللهِ العَلِيِّ فاعْرِفِ
أَيْ يَعرِفُ الواجِبَ والمُحَالا   مَعْ جَـــــائِزٍ في حَقِّهِ تَعالىٰ
ومِثْلُ ذا في حَقِّ رُسْلِ اللهِ   عَليهِمُ تحيَّةُ الإلـــــــــــهِ
فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقبَلِ   الانتِفا فـــــــــي ذاتِه فابتَهِلِ
والمُسْتَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ   في ذاتِه الثُّبوتَ ضِدَّ الأوَّلِ
وكُلَّ أَمْرٍ قَابِلٍ للانْتِفا   وللثُبــــــــوتِ جائِزٌ بلا خَفا
ثمَّ اعْلَمَنْ بأنَّ هذا العالَمَا   أيْ ما سِوىٰ اللهِ العَلِيِّ العالِمَا
مِن غيرِ شَكّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ   لأنَّه قَامَ بــــــــــــه التَغيُّرُ
حُدوثُهُ وجُودُه بعدَ العَدَمْ   وضِدُّهُ هو المُسَمَّــــــــىٰ بالقِدَمْ
فاعْلَمْ بأنَّ الوَصفَ بالوُجودِ   مِنْ واجِباتِ الواحِدِ المَعْبودِ
إِذْ ظـــــــاهِرٌ بأنَّ كُلَّ أَثَرِ   يَهْدي إلـــــــىٰ مُؤثِّرٍ فاعتَبِرِ
وذِي تُسمَّىٰ صِفةً نَفسيِّه   ثمَّ تليها خَمْســـــةٌ سَلْبيَّهْ
وهي القِدَمْ بالذاتِ فاعْلَمْ والبَقَا   قِيامُهُ بِنَفْسِهِ نِلْتَ التُّقَىٰ
مُخـالِفٌ للغَيرِ وَحْدانيَّهْ   في الذَّاتِ أو صِفاتِهِ العليَّهْ
والفِعْلُ في التأثيرِ لَيسَ إلا   للواحِدِ القَهَّـــــارِ جَلَّ وعَلا

ومَنْ يقُلْ بالطَّبعِ أو بالعِلَّهْ   فذاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ المِلَّهْ

ومَنْ يَقُلْ بالقُوَةِ المُودَعَةِ   فذاكَ بِدْعِـــيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

لَوْ لم يَكُنْ مُتَّصِفاً بها لَزِمْ   حُدوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ

لأَنَّهُ يُفْضِي الىٰ التَسَلْسُلِ   والدَّوْرِ وهْوَ المُستَحيلُ المُنْجَلِي

فَهْوَ الجليلُ والقَديرُ والوَلي   والظَّاهرُ القدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي

مُنَزَّهٌ عن الحُلولِ والجِهَهْ   والاتِّصالِ والانْفِصالِ والسَّفَهْ

ثُمَّ المَعاني سَبْعَةٌ للرَّائِي   أي عِلْمُهُ المُحيطُ بالأَشْياءِ

حَياتُـــــهُ وقُدْرَةٌ إِرادَهْ   وكُلُّ شيءٍ كَائِنٌ أَرَادَهْ

وإنْ يَكُنْ بضَدِّهِ قَدْ أمَرا   فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا

فقَد عَلِمتَ أربَعاً أَقْساما   في الكائِناتِ فاحْفَظِ المَقَاما

كَلامُهُ والسَّمْعُ والإِبْصارُ   فهْوَ الإلهُ الفاعِلُ المُخْتارُ

وواجِبٌ تَعْليقُ ذِي الصِّفاتِ   حَتْماً دواماً ما عدا الحَياةِ

فالعِلْمُ جَزماً والكَلامُ السَّامِي   تعلَّقا بســـــائِرِ الأَقْسامِ

وقُدرةٌ إرادةٌ تعلَّقـــــا   بالممكِناتِ كلِّهـــا أخَا التُّقَىٰ

واجزِمْ بأنَّ سَمْعهُ والبصَرا   تَعَلَّقَا بِكُلِّ مَوجــــودٍ يُرَىٰ

وكلُّها قَديمـــــةٌ بالذَّاتِ   لأنهـــــــا لَيْسَتْ بغَيرِ الذَّاتِ

ثُمَّ الكَلامُ لَيْس بالحُروفِ   ولَيْسَ بالتَّرتيبِ كالمَألوفِ

ويَسْتَحيلُ ضِدُّ ما تَقَدَّمَا   مِنَ الصِّفاتِ الشَّامِخاتِ فاعلَما

لأنَّه لو لم يكُنْ مَوصُوفا   بِها لكانَ بالسِّوَىٰ مَعْروفا

وكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِواها   فهْوَ الذي في الفَقْرِ قَد تَناهىٰ

والواحِدُ المَعْبودُ لا يَفْتَقِرُ   لغيرِهِ جَلَّ الغَنيُّ المُقْتَدِرُ

وجَائِزٌ في حَقِّهِ الايجَادُ   والتَّرْكُ والاشْقَاءُ والاسْعَادُ

ومَنْ يَقُلْ فِعلُ الصَّلاحِ وَجَبا   علىٰ الالهِ قَدْ أَساءَ الأدَبا

واجْزِم أخـــي برُؤيةِ الإلهِ   في جنُّةِ الخُلْدِ بلا تَناهِي

إذِ الوُقوعُ جائِزٌ بالعَقلِ — وقَدْ أتَـــى بِهِ دَليلُ النَّقلِ
وصِفْ جَميعَ الرُّسل بالأمَانَهْ — والصِّدْقِ والتَّبليـــغِ والفَطَانَهْ
ويَسْتَحيلُ ضِدُّها عَليهِـــمِ — وجَائِزٌ كَالأكْلِ فــي حَقِّهِمِ
إرْسَالُهُم تفَضُّلٌ ورَحمـــةٌ — للعالَمِينَ جَلَّ مُولِي النِّعمةْ
ويَلْزَمُ الايمـانُ بالحِساب — والحَشْرِ والعِقَــابِ والثَّوابِ
والنَّشْرِ والصِّراطِ والمِيزانِ — والحَوضِ والنيرانِ والجِنَـانِ
والجِنِّ والأملاكِ ثُمَّ الأنبيا — والحُورِ والوِلدانِ ثُمَّ الأولِيا
وكُلُّ ما جَاءَ مِنَ البَشيرِ — مِنْ كُلِّ حُكْمٍ صارَ كالضَّرُوري
ويَنْطَوي في كِلْمَةِ الإسْلامِ — ما قَدْ مَضىٰ مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ
فأكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأدَبِ — تَرقىٰ بِهذا الذِّكرِ أَعلىٰ الرُّتُبِ
وغَلِّبِ الخَوْفَ علىٰ الرَّجاءِ — وسِرْ لِمولاكَ بلا تَناءِ
وجَدِّدِ التَّوبة للأوزارِ — لا تَيْأَسَنْ مِنْ رَحمَةِ الغَفَّارِ
وكُنْ علىٰ آلائِـــهِ شَكُورا — وكُنْ علىٰ بَلائِهِ صَبُورا
وكُلُّ شَيءٍ بالقَضاءِ والقدَرْ — وكُلُّ مَقدورٍ فَما عَنْهُ مَفَرّْ
فكُنْ لَهُ مُسَلِّماً كَي تَسْلَما — واتْبَعْ سَبيلَ النَّاسِكينَ العُلَما
وخَلِّصِ القَلْبَ مِنَ الأغْيارِ — بالجِدِّ والقِيامِ بالأسْحَارِ
والفِكْرِ والذِّكْرِ علىٰ الدَّوامِ — مُجتَنِباً لِســــائِرِ الآثامِ
مُراقِباً للهِ فــي الأحْوالِ — لِتَرْتَقي مَعَـــــالِمَ الكَمالِ
وقُل بِذُلٍّ رَبِّ لا تَقْطَعْني — عَنْكَ بِقـاطِعٍ ولا تَحرِمْني
مِنْ مَنِّكَ الأبْهىٰ المُزيلِ للعَمىٰ — واخْتِمْ بخَيرٍ يا رَحيمَ الرُّحَما
والحَمْدُ للهِ علىٰ الإتْمام — وأَفْضَـلُ الصَّلاة والسَلامِ
علىٰ النَّبي الهاشِميِّ الخــــاتِمِ — وآلِهِ وَصَحْبِه الأكَـــــــــارِمِ

فهذه ستَّة نماذج من عقائد السَّادة الصُّوفيَّة ، وهي عقيدة قائمة علىٰ المبادئ المعتمدة لدىٰ أهل الحقّ التي تبنَّاها جمهور أهل السُّنَّة والجماعة من الأشاعرة والماتريديَّة ومن وافقهم ... يجمعها تنزيه الله تعالىٰ عن

سمات المحدثين وصفات المخلوقين ، وأنَّ كلّ ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسّكوت عنه ليس لأحد أن يفسِّره إلَّا الله تعالىٰ ورسوله أو أن يُصار إلىٰ التَّأويل بما يتوافق مع أصل المحكم وكذا قواعد اللغة العربيَّة ... فالصُّوفي يتباعد عن الأوهام والشُّكوك ، ويقول بوحدانية الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأفعاله ، لأنَّه سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء ... فهو سبحانه وتعالىٰ الواحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ... فالتَّوحيد عندهم هو : أن تعلم أنَّه تعالىٰ غير مشبه للذَّوات ، ولا منفيٍّ الصِّفات ...

🕮 الفَصْلُ الثَّالِثُ 🕮

تَكْفِيرُ المُتَسَلِّفَة وَتَبْدِيْعُهُم لِلسَّادَةِ الصُّوْفِيَّة

إنَّ النَّاظر في كتب من يدَّعون السَّلفيَّة يجد أنَّهم ما انفكُّوا يكيلون للسَّادة الصُّوفيَّة سيلاً جارفاً من ألوان التَّبديع والتَّكفير ... من ذلك :

قال الشَّيخ ابن باز أيضاً : " ... فإنَّ الصُّوفيَّة في الغالب طريقتهم هي البدع والخرافات ، وكثير منهم يعبدُ شيخه من دون الله !!! ويستغيث به ، وينذر له ، ويطلب منه المدد حيَّاً وميتاً ، وأحوالهم خطيرة ، والنَّاجي منهم قليل !!! ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله " . انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، (٦/ ٣٣٣) ، أشرف على جمعه وطبعه : محمَّد بن سعد الشويعر .

فالشَّيخ ابن باز يصف طريقة الصُّوفيَّة بأنَّها قائمة على البدع والخرافات ، وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، لأنَّ من المعلوم أنَّ المتسلِّفة لا يرعوون عن تبديع وتفسيق وتكفير عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، حتى صار التَّبديع والتَّكفير سَنَنَاً وطريقاً لهم في كلامهم مع غيرهم ، مع أنَّهم لم يدركوا معنى البدعة أو أنَّهم يَغضُّونَ الطَّرْفَ عن المعنى الصَّحيح للبدعة احتراماً لرأي شيخ إسلامهم الذي علَّمهم ...

فقد بيَّن علماء السَّلف والخلف على حدٍّ سواء معنى البدعة ، وأنَّها تنقسم إلى قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ، وقد تكلَّمنا عن ذلك وأسهبنا في كتابنا : " الإِفْصَاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّة وَالبِدْعَةِ فِي اللغَةِ وَالاصْطِلَاح " ، بحمد الله تعالى ...

ولو دقَّقنا في التَّعريف لرأينا أنَّ ابن تيمية ومن وافقه من المتسلِّفة هم المبتدعة بِدَعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السُّنَّة ، وقد وضَّحنا ذلك بالدَّليل في كتابنا المُشار إليه آنفاً ، كما أنَّنا سنُشير إلى بعضٍ منها فيما يأتي ...

فمن التُّهم الكفريَّة للسَّادة الصُّوفيَّة التي رموا بها السَّادة الصُّوفيَّة :

ذكر محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ إنكار الربِّ هو مذهب ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، وفئات من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام (١/ ١١٣) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ.

وصرَّح عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بأنَّ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) من أكفر أهل الأرض !!! . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، (٨/ ٣٦٦) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

وكفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب أهل الشَّام !!! لأنَّهم – كما يزعم – يعبدون الإمام ابن عربي . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام (٢/ ٤٥) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

وجاء في كتابهم : " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " ... فابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن سبعين (٦٦٩هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، لهم عبادات ، وصدقات ، ونوع تقشُّف وتزهُّد ، وهم أكفر أهل الأرض أو من أكفر أهل الأرض !!! . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام (٨/ ٣٦٦) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

وحكموا بتكفير ابن عربي في مواطن عديد من دُرَرِهم السَّنيَّة : انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، (١/ ١١٣) ، (٢/ ٤٥) ، (٢/ ٣٠٧) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٥٥) ، (٣/ ٣٩٤) ، (٩/ ٤٢٣) ، (١٠/ ٢٥) ، (١٠/ ٥٤) ، (١٠/ ١٤٨) ، (١١/ ٢٤٢) ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

وقال ابن باز : " أهل مصر كفَّار ، لأنَّهم يعبدون أحمد البدوي ، وأهل العراق ومن حولهم كأهل عُمان كفَّار ، لأنَّهم يعبدون الجيلاني ، وأهل الشَّام كفَّار ، لأنَّهم يعبدون ابن عربي ، وكذلك أهل نجد والحجاز ، قبل ظهور دعوة الوهَّابيَّة ، وأهل اليمن " . انظر : فتح المجيد من كلام وتعليق ابن باز (ص٩١) ، (ص٢١٦) ، طبعه مكتبه دار السَّلام ، دار أولي النهى .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :" السُّؤال التَّاسع من الفتوىٰ رقم (٦٢٥٠) :

س٩ : في الحيِّ الذي أسكن فيه يوجد مسجد ، وتوجد زاوية تابعة لطريقة صوفيَّة ، هل تجوز الصَّلاة في هذه الزَّاوية ؟

ج٩ : لا تصلِّ مع هؤلاء الصُّوفيَّة في زاويتهم !!! واحذر صحبتهم والاختلاط بهم !!! لئلَّا يصيبك ما أصابهم !!! وتحرَّ الصَّلاة في مسجد جماعة يتحرَّون السنَّة ويحرصون عليها .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٣٠١) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ... وما عرف التَّخذيل عن طلب العلم بهذه الحجَّة الدَّاحضة إلَّا من قبل الصُّوفيَّة الضُّلَّال !!! فالواجب عدم الالتفات لهذا التَّخذيل ، والإقبال علىٰ طلب العلم النَّافع . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٢/ ٩٧ من الفتوىٰ رقم (١٧٨١١) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

هذا هو ما قالته اللجنة الدَّائمة ... وقد نسيت أو تناست اللجنة الدَّائمة أنَّ أشهر علماء الأمَّة كانوا من الصُّوفيَّة ... وقد ترجم الإمام الذَّهبي لعشرات منهم ، كما صنَّف الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السُّلمي المتوفَّىٰ سنة (٤١٢هـ) مصنَّفاً سمَّاه : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام المُناوي كتاباً بعنوان : " الكواكب الدُّريَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام أبو سعيد النقّاش الحنبلي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام الحكيم التِّرمذي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة ، وصنَّف الإمام ابن الملقّن الشَّافعي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وما هذا المصنَّف إلَّا سبيل من سُبُل الردِّ المُفحم المُبين لكلِّ من تمادىٰ في التَّعدِّي علىٰ علمائنا وساداتنا الصُّوفيَّة ... وصدق الله العظيم **أُقحَ قمَ كجَ كحَ كخَ كلَا كمَ** لج لح لخَ [الحج: ٤٦] .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :" ... وأمَّا الأذكار التي وضعها أئمَّة الصُّوفيَّة ، فالغالب عليها أنَّها تشتمل علىٰ أذكار غير مشروعة ، أو أذكار شركيَّة !!! مثل : التَّوسُّل بالمخلوقين !!! أو الاستعانة بهم من دون الله عزَّ وجلَّ ... " . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٤/ ٢٩٠) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش.

فالتَّوسُّل بالمخلوقين سواء أكانوا أنبياء أو أولياء ... !!! وكذا الاستعانة عند المتسلِّفة سبيل للشِّرك ... مع العلم أنَّ القائلين بالتَّوسُّل بهم هُم مجموع الأمَّة ... فالمتوسِّلون بالأنبياء والصَّالحين يؤمنون :

أوَّلاً : أنَّ التَّوسُّل هو أحد طرق الدُّعاء ، وباب من أبواب التَّوجُّه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالىٰ ، والمتوسَّل به إنَّما هو واسطة ووسيلة للتقرُّب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك .

ثَانِيَـاً : أنَّ المتوسِّل ما توسَّل بهذه الواسطة إلَّا لمحبَّته لها ، واعتقاده أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يحبُّها ، ولو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد النَّاس عنها وأشدّ النَّاس كراهة لها .

ثَالِـثَاً : أنَّ المتوسِّل لو اعتقد أنَّ من توسَّل به إلىٰ الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك

رَابِعَـاً : أنَّ التَّوسُّل ليس أمراً لازماً أو ضروريَّاً ، وليست الإجابة متوقِّفة عليه ، بل الأصل دعاء الله تعالىٰ مطلقاً ، كما قال تعالىٰ : **ﭐﱡﭐ ضم طح ظم عج عم غجغمﱠ** [البقرة: ١٨٦] ، وكما قال تعالىٰ : **ﱡﭐ في قى قي كا كل كمكى كي لم لى لي ما ممنرﱠ** [الإسراء : ١١٠] " . انظر : مفاهيم يجب أن تصحح ، محمَّد بن علوي المالكي (ص١١٦) ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٥م.

وعليه ، فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنَّ الله تعالىٰ هو وحده المسؤول ، لا فاعل في الوجود إلَّا هو ، ولا خالق ولا رازق سواه ، وإنَّما يسأله المؤمنون بوسيلة محبوبة لديه ، من دعاء صالح ، أو عمل صالح ، أو جاه نبي ...

فإنَّ للأنبياء والأولياء عند الله تعالىٰ قدرٌ عليٌّ ، ومرتبة رفيعة ، وجاه عظيم ، لا يزول بالانتقال من دار الدُّنيا إلىٰ دار البرزخ ، ولذلك فإنَّ البون واسع بين من يدعو اللات أو هُبل ... وبين من يدعو الله تعالىٰ وحده بوسيلة محبَّبة لديه من نبيٍّ أو وليٍّ ، لأنَّه سبحانه وتعالىٰ الضَّارُّ النَّافع ، والمقدِّم والمؤخِّر ، ربُّ كلِّ شيء ومليكة ، لا إله إلَّا هو ، ولا ربَّ سواه ... فالآيات السَّابقة كلُّها نزلت في الكفرة والمشركين الذين اتَّخذوا من دون الله تعالىٰ آلهة أشركوهم مع الله تعالىٰ ، في الوقت الذي لم نجد فيه مؤمناً عَبَدَ نبيَّاً أو وليَّاً أو دعاه استقلالاً من دون الله تعالىٰ . فدعاء المشركين لأصنامهم التي عبدوها من دون الله تعالىٰ دعاء تعبُّد وخضوع وخنوع وتذلُّل واعتقاد الضرِّ والنَّفع فيهم ومن جهتهم ، وتوسُّل المؤمنين دعاء إلىٰ الله تعالىٰ بتقديم وسيلة محبَّبة لديه نتوسَّل إليه بها ، لا يعتقد المتوسِّل فيها النَّفع والضّر لنفسها فضلاً عن غيرها .

ولذلك فمن الإجحاف والظُّلم الشَّنيع أن نعمِّم ما يصدر عن بعض الجهلة فنجعله حُكماً يعمُّ جميع الموحِّدين ، عالمين ومتعلِّمين ، وجهَّال وأميِّين ، كما فعل مدَّعو السَّلفيَّة الذين كفَّروا أمَّة محمَّد !!! علماء وغير علماء ، ولم يستثنوا من التَّكفير إلَّا من كان علىٰ منهجهم وشاكلتهم ، – كما بيَّنت ذلك بالتَّفصيل في كتابي : إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوعِيَّةِ التَّوسُّل إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالأَنْبِيَاءِ والصَّالحين .

ومن المعلوم لكلِّ ناظر في كتب أهل العلم من الربَّانيين المخلصين يجد أنَّهم في كتبهم التي سطَّروها لا يتردَّدون عن افتتاحها بالتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي يعينهم الله تعالىٰ علىٰ

الإخلاص فيها وتحقُّق النَّفع بها لعموم الأُمَّة ، وكذا يختمونها متوسِّلين به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الله تعالىٰ كي يتقبَّلها منهم بقبول حسن ، ولكن جاء في القرون المتأخِّرة من أشاح بوجهه وأدار ظهره لعموم الأمَّة ، وزعم أنَّه الوحيد الذي يفهم التَّوحيد ، فسطَّر في كتبه مسائل تُضحك الثَّكلىٰ ، فسال به السَّيل وهو لا يدري ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف بها عموم الأمَّة : قوله بعدم جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا بغيره من عباد الله الصَّالحين ، واتَّهم هو وشيعته من بعده عموم الأمَّة التي اعتادت علىٰ التَّوسُّل بالشرك والإلحاد والخروج من ربقة التَّكليف ، مع أنَّ الإجماع معقود في هذه المسألة ، وقد ذكر ذلك كبار العلماء كتقي الدِّين السُّبكي وغيره من أساطين العلم ، وظل المسلمون مجمعون علىٰ التَّوسُّل حتىٰ جاء ابن تيمية في القرن الثامن ، فقال بحرمته وبالإغلاظ علىٰ المتوسِّلين حتىٰ رماهم بالشرك ، فأمات العلماء دعوته ، وانتهت فتنته ، حتىٰ أحياها محمَّد بن عبد الوهَّاب في القرن الثاني عشر ، فقام بدعوته وسطوته ، التي جرَّت علىٰ الأمة الإحن والمحن وما زالت ، فكفَّر وبدَّع عموم الأمة ، واستحلَّ دماء الموحِّدين ، فقتل عشرات الألوف منهم ، وسلب ونهب أموالهم ، وسبىٰ نسائهم ... بحجَّة المحافظة علىٰ التوحيد ، وما زال أتباعه حجر عثرة أمام تقدُّم الأمة ، لأنه هكذا أُريد لهم ... علىٰ أننا معاشر الموحِّدين مطالبون باتِّباع الإجماع ، لأنَّه حجَّة من الحجج ...

ولذا فعلىٰ العلماء أن ينبِّهوا ويوضِّحوا للنَّاس الحقَّ من الباطل في هذه المسألة وغيرها ، وقد أوضحت في كتابي : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالأَنْبِيَاءِ والصَّالحين " بأنَّ جمهور بل عموم العلماء الربَّانيين المخلصين يقولون بجواز التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بالأنبياء والصَّالحين ، وهذه باقة من أقوالهم ...

قال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) : " وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس ، وكان من السابقين والمتقدِّمين بإيمانهم في الإسلام وصاحب الهجرتين جميعاً ، قال : شهدتُ قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهدت المشاهد مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر ، وفي أحد ، وفي حنين ، وقُلْتُ : إنِّي لا أشهد مثلها ، فلما قُبض رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنتُ عليه ولم أستطع أن أُقيم بالمدينة بعد فقْده ، فقدمت مكَّة ، فأقمتُ بها ، فعوتبتُ في منامي من التخلُّف عن الجهاد ، فخرجتُ إلىٰ الشَّام ، وشهدتُ أجنادين والشَّام وسرية خالد خلف توما وهربيس ، وشهدت سرية عبد الله بن جعفر ، وكنت معه علىٰ دير أبي القدس ... فألجأ إلىٰ الله تعالىٰ أَمْره ، وفوَّضَ إلىٰ صاحب السَّماء شأنه ، ورفع يده إلىٰ السَّماء ، وقال في دعائه : يا من

خلق خلقه ، وأبلىٰ بعضهم ببعض ، وجعل ذلك محنة لهم ، أسألك بجاه محمَّد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ما جعلت لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً " . انظر : فتوح الشام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني، أبو عبد الله ، الواقدي (١/ ٩٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله الواقدي أيضاً : " ... فأرسل الكتاب لعمر رضي الله عنه ، فقرأه علىٰ المسلمين ، واستشارهم في الأمر ، فقال علي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين مُر صاحبك أن يصير إلىٰ بيت المقدس ، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها ، فهو خير الرأي وأكبره ، وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه إلىٰ قيسارية ، فإنَّها تفتح بعد أن شاء الله تعالىٰ ، كذا أخبرني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : صدقت يا أبا الحسن ، فكتب إليه : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من عبد الله عمر بن الخطاب إلىٰ عامله بالشام أبي عبيدة ، أمَّا بعد : فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلَّا هو ، وأصلِّي علىٰ نبيِّه ، وقد ورد عليَّ كتابك ، وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه إليها ، وقد أشار ابن عمّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّير إلىٰ بيت المقدس ، فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يفتحها علىٰ يديك ، والسَّلام عليك ، ثُمَّ طوىٰ الكتاب ودفعه إلىٰ عرفجة ، وأمره أن يعجِّل بالمسير فسار حتىٰ قدمَ علىٰ أبي عبيدة ، فوجده علىٰ الجابية ، فدفع الكتاب إليه ، فقرأ علىٰ المسلمين ، ففرحوا بمسيرهم إلىٰ بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد ، وعقد له راية ، وضمَّ إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزَّحف ، وسرَّحه إلىٰ بيت المقدس ثُمَّ دعا بيزيد بن أبي سفيان ، وعقد له راية علىٰ خمسة آلاف ، وأمره أن يلحق بخالد إلىٰ بيت المقدس ، وقال له : يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلَّا ناصحاً ، فإذا أشرفت علىٰ بلد إيلياء ، فارفعوا أصواتكم بالتَّهليل والتَّكبير ، واسألوا الله بجاه نبيِّه ومن سكنها من الأنبياء والصَّالحين ، أن يسهِّل فتحها علىٰ أيدي المسلمين ... " .

انظر : فتوح الشام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله، الواقدي (١/ ٩٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي أيضاً : " ... ثُمَّ أنَّ المغيرة رضي الله عنه دخل إلىٰ خيمته ، ولبس درعه ، وشدَّ وسطه بمنطقته ، وهي من الادم ، وفيها خنجران : واحد عن اليمين ، وواحد عن الشمال ، وتقلَّد بسيف من جوهر ، واعتقل برمح أسمر ، وركب جواده الأدهم ، وأخذ كل واحد منهم عبده راكباً علىٰ بغلة ، وودَّعهم ، فالتفت الأمير عياض ، وقال للمغيرة : اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون ، فما عرفتك إلَّا مفلح الحجَّة ، فادعه إلىٰ الإسلام ، وما فرض عليه من الصَّلاة ، والزَّكاة ، والصِّيام ، والحجِّ ، والجهاد ، وما أبيح من الحلال ، وما حرم من

الحرام ، فإن أبىٰ فالجزية في كلِّ عام ، فإن أبىٰ فالقتال بحدِّ الحُسام ، ونرجو النّصر من الملك الديَّان بجاه محمَّد خير الأنام " . انظر : : فتوح الشام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (١/ ٢٢٠)

وقال الإمام عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) : " ... لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ربّ الْأَوَّلين والآخرين ، وَسَلام علىٰ عباده الَّذين اصْطفىٰ ، توسلنا إِلَيْك يَا الله بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفىٰ وَأَصْحَابه الْخُلَفَاء أَن يرزقنا تَوْبَة وَحسن الْوَفَاء وَالْهِدَايَة " . انظر : (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان (ص١٢١) .

وجاء في الصَّفحة الأخيرة من مسند أحمد ما نصّه : تمَّ المجلَّد الثَّاني من مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ويليه المجلد الثَّالث ، أوله : مسند جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنه ، وقد تمَّ بقلم الحقير الفقير ، أفقر العباد وأذلهم وأدناهم محمَّد بن علي بن ملا أحمد سبتة ، غفر الله له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات ، وأسأل الله تعالىٰ أن يوفِّقنا لتتمة كمال المسند بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٠٧) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

وجاء فيه أيضاً : " ... جعل الله ذلك في حيِّز القبول بجاه أفضل رسول ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله أجمعين " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، (١/ ١٠٨) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ محمَّد بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْأُمَوِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ الْعَامِرِيِّ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (١٠٥هـ) ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً ، كُنَّا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ أَنَا وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ (٧٣هـ) ، وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ (٣هـ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ : لِيَقُمْ رَجُلٌ رَجُلٌ فَلْيَأْخُذْ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَىٰ حَاجَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِي مِنْ سَعَتِهِ ، قُمْ يَا عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْهِجْرَةِ ، فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ثُمَّ قَالَ : اللهُمَّ إِنَّكَ عَظِيمٌ تُرْجَىٰ لِكُلِّ عَظِيمٍ ، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَحُرْمَةِ عَرْشِكَ ، وَحُرْمَةِ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّىٰ تُوَلِّيَنِي الْحِجَازَ وَيُسَلَّمُ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ ، وَجَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا مُصْعَبُ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَامَ

حَتَّىٰ أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ، فَقَالَ : اللهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّىٰ تُوَلِّيَنِي الْعِرَاقَ وَتُزَوِّجَنِي سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ ، وَجَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ، فَقَالَ : اللهُمَّ رَبَّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَعْدَ الْقَفْرِ ، أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الْمُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّىٰ تُوَلِّيَنِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا ، وَلَا يُنَازِعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أُتِيتُ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَقَامَ حَتَّىٰ أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ثُمَّ قَالَ : اللهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّىٰ تُوجِبَ لِيَ الجنَّة ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَمَا ذَهَبَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدُّنيا حَتَّىٰ رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ ، وَبُشِّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ " . انظر : أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي (١/ ١٤٠) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدّينوري (٢٧٦هـ) : " ... أعادها الله تعالىٰ للإسلام بجاه النَّبي عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ السَّلام " . انظر : أدب الكاتب ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، (ص١) ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبدالحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ، الطبعة : الرابعة ، ١٩٦٣م .

وقال الإمام ابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ ، سَمِعْتُ عَنَ كَثِيرِ بْنِ محمَّد بْنِ كَثِيرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بِكَ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ الدُّبَيْلَةُ ، فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : اللهُ ، اللهُ ، رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ وَرَبِّي أَنْ يَرْحَمَنِي مِمَّا بِي رَحْمَةً يُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ دَعَا إِلَىٰ ابْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بَرَأْتَ ، مَا بِكَ عِلَّةٌ " . انظر : مجموعة رسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة ، ابن أبي الدُّنيا ، (١/ ٨٥) ، تحقيق : المهندس الشَّيخ زياد حمدان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " فَهَذَا الدُّعاء وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّه دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعاء " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٦٤)

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " أحسن الله عاقبتها بمحمَّد وآله " . انظر : بحر العلوم ، السمرقندي (٣/ ٦١٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " وَبِاللهَّ أستعين ، وَعَلِيهِ أتوكل ، وعَلىٰ نبيه أُصَلِّي ، وَبِه أتوسَّل ، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللهَّ الْعلي الْعَظِيم " . انظر : التعرُّف لمذهب أهل التصوف (ص٢١) .

وقال الإمام أبو حيَّان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) : " قال أبو العيناء : حدَّثني حجَّاج بن نصير ، قال : سمعت إبراهيم بن عبد الله بن حسن في يوم عيد يخطب ، فقال : اللهمَّ إنَّ هذا يوم أنت ذاكر فيه آباء بأبناء بآباء ، فاذكرنا عندك بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي (٤/ ٢٠) .

وقال الإمام منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) : " قَالَ إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن حسن : وجدت جَمِيع مَا يطْلب الْعباد من جسيم الْخَيْر عِنْد الله فِي ثَلَاث : فِي الْمنطق وَالنَّظَر وَالسُّكُوت ؛ فَكل منطقٍ لَيْسَ فِيهِ ذكرٌ فَهُوَ لَغْو ، وكل سكوتٍ لَيْسَ فِيهِ تفكرٌ فَهُوَ سهوٌ ، وكل نظر لَيْسَ فِيهِ عِبْرَة فَهُوَ غفلةٌ .

فطوبىٰ لمن كَانَ مَنْطِقه ذكراً ، وَنَظره عبراً ، وسكوته تفكُّراً ، ووسعه بَيته ، وَبكىٰ علىٰ خطيئته ، وَسلم الْمُسلمُونَ مِنْهُ. وَقَالَ فِي خطبَته يَوْم الْفطر : اللَّهُمَّ إِنَّك ذاكرٌ الْيَوْم آبَاءَنَا بأبنائهم وَأَبْنَاءَنَا بآبائهم ؛ فاذكرنا عنْدك بمحمَّد – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَا حَافظ الْآبَاء فِي الْأَبْنَاء احفظ ذُرِّيَّة نبيِّك . قَالَ : فَبكىٰ النَّاس بكاء شَدِيداً " . انظر : نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (١/ ٢٥٩) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الله ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الطُّوسِيُّ ، ثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَبْدِيُّ ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، ثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : اسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِحِمْصَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ الْجُمَحِيُّ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِمْصَ ، قَالَ : يَا أَهْلَ حِمْصَ ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ ؟ فَشَكَوْهُ إِلَيْهِ – وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ حِمْصَ : الْكُوَيْفَةُ الصُّغْرَىٰ لِشِكَايَتِهِمُ الْعُمَّالَ – قَالُوا : نَشْكُو أَرْبَعاً : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ يَتَعَالَىٰ النَّهَارُ ، قَالَ : أَعْظِمْ بِهَا ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً بِلَيْلٍ ، قَالَ : وَعَظِيمَةٌ ، قَالَ: وَمَاذَا ؟ قَالُوا : وَلَهُ يَوْمٌ فِي الشَّهْرِ لَا يَخْرُجُ فِيهِ إِلَيْنَا ، قَالَ : عَظِيمَةٌ ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : يَغْنَظُ الْغُنْظَةَ بَيْنَ الأَيَّام – يَعْنِي تَأْخُذُهُ مَوْتَةٌ – قَالَ : فَجَمَعَ عُمَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالَ : اللهُمَّ لَا تُقْبَلْ رَأْيِي فِيهِ الْيَوْمَ ، مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ يَتَعَالَىٰ النَّهَارُ ، قَالَ : وَالله إِنْ كُنْتُ لَأَكْرَهُ ذِكْرَهُ ، لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَعْجِنُ عَجِينِي ثُمَّ أَجْلِسُ حَتَّىٰ يَخْتَمِرَ ثُمَّ أَخْبِزُ خُبْزِي ، ثُمَّ أَتَوَضَّأُ ثُمَّ أَخْرَجُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟

قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِيكَ بِشَوْكَةٍ ، ثُمَّ نَادَىٰ : يَا محمَّد ، فَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتَرْكِي نُصْرَتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ لَا أُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَغْفِرُ لِي بِذَلِكَ الذَّنْبِ أَبَداً ، قَالَ : فَتُصِيبُنِي تِلْكَ الْغِنْظَةُ ... " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٤٦) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو محمَّد الْحَسَن بْن الحسين بْن محمَّد بْن رامين الإستراباذي ، قَال : أَخبرنا أَحْمَد بْن جعفر بْن حمدان القطيعي ، قَالَ : سمعت الْحَسَن بْن إِبْرَاهِيمَ أبا عَلِيّ الخلال ، يقول : ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ مُوسَىٰ بْن جعفر ، فتوسَّلت به إلا سهَّل الله تعالىٰ لي ما أحب " . انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، (١/ ٤٤٢) ، وانظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي (٩/ ٨٩) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحمن إسماعيل بْن أَحْمَد الحيري الضرير ، قَالَ : أَخبرنا أَبُو عَبْد الرَّحمن محمَّد بْن الحسين السلمي ، بنيسابور ، قَالَ : سمعت أبا بكر الرَّازي ، يقول : سمعت عَبْد الله بْن مُوسَىٰ الطلحي ، يقول : سمعت أَحْمَد بْن العبَّاس ، يقول : خرجت من بغداد ، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة ، فقال لي : من أين خرجت؟ قُلْتُ : من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد ، خفت أن يخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف ، فإنَّ فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا . قُلْتُ : من هم ؟ قَالَ : ثُمَّ الإمام أَحْمَد بْن حَنْبَل (٢٤١هـ) ، ومعروف الكرخي (٢٠٠هـ) ، وبشر الحافي (٢٢٧هـ) ، ومنصور بْن عمار (٢٢٥هـ) . فرجعت وزرت القبور ، ولم أخرج تلك السنة " . انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي (١/ ٤٤٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن محمَّد الصيمري ، قَالَ : أَخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مكرم بْن أَحْمَد ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ميمون ، قَالَ : سمعت الشَّافعي (٢٠٤هـ) ، يقول : إني لأتبرَّك بأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وأجيء إِلَىٰ قبره في كل يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين ، وجئت إِلَىٰ قبره وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتَّىٰ تقضىٰ " . انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي (١/ ٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة ، الإمام الموفق بن أحمد المكي (٥٦٨هـ) ، (ص٤٥٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : "أَخْبَرَنِي أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الفضل عبيد الله بْن عَبْد الرَّحمن بْن محمَّد الزُّهري ، قَالَ : سمعت أَبِي يقول : قبر معروف الكرخي (٢٠٠هـ) مجرَّب لقضاء الحوائج ، ويقال : أنَّه من قرأ عنده مائة مرَّة قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، وسأل الله تعالىٰ ما يريد ، قضىٰ الله له حاجته " . انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي (١/ ٤٤٥) ، طبقات الأولياء ، ابن الملقن (ص٢٨١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي: " حَدَّثَني أَبُو عَبْد الله محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللهِ الصّوري ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع ، يقول : سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي ، يقول : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهمومٌ إلَّا فرَّج الله همَّه " . انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي (١/ ٤٤٥) .

وقال الإمام أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) : " ... ودعوت الله تَعَالَىٰ أَن يوفقني لطاعته وَأَن يغْفر ذَنبي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهدي عباده جَمِيعًا لما يرضاه وَيغْفر لَهُم ذنوبهم بِحَق محمَّد وَآله الطاهرين " . انظر : سفر نامه ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (ص٦٠) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) : " غفر اللهُ لكاتبه ، ونفع به صاحبه ، وألهمه لما فيه ، واستعمله بما يرضيه بمحمَّد وآله الطَّاهرين" . انظر : الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة (ص٢٠٠) .

وقال الإمام شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) : " ... إِذا شجاك شَيْطَان أَو سُلْطَان ، فَقل : يَا من يَكْفِي من كلِّ أحد وَلَا يَكْفِي مِنْهُ أحد ، يَا أحد من لَا أحد لَهُ ، يَا سَنَد من لا سند لَهُ ، انْقَطع الرَّجَاء إِلَّا مِنْك ، فَاكْفِنِي مِمَّا أَنا فِيهِ ، وأعنِّي علىٰ مَا أَنا عَلَيْهِ مِمَّا قد نزل بِي ، بجاه وَجهك الْكَرِيم ، وبحقِّ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْك آمين " . انظر : الفردوس بمأثور الخطاب ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (ص٣٢٤ برقم ١٢٨٢) .

وقال الإمام أمين الدولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (المتوفىٰ: بعد ٥١٥هـ) : " نسأل الله توفيقاً لما أغرب عن ذلك المقام ، وأعفىٰ من ذلك الغرام ، ونتوجَّه إليه بمحمَّد وآله عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : المجموع اللفيف ، أمين الدولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (ص٢٩) .

وقال الإمام أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) : " فقدْ مدَدْنا إليْكَ يدَ المسْألَةِ ، وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ ، واستَنْزَلْنا كرَمَك الجَمّ ، وفضْلَكَ الذي عمّ ، بضَراعَةِ الطّلَبِ ، وبِضاعَةِ الأمَلِ ، بالتّوسّلِ بمحمَّد سيِّد البشَرِ ، والشّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ ، الذي ختَمْتَ بهِ النّبيّينَ ، وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ " . انظر : مقامات الحريري ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري(ص١٢) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حكىٰ لي أبو المغيث منقذ بن مرشد الكناني ، قال : كنت عند والدي رحمه الله تعالىٰ وهو ينسخ مصحفاً ، ونحن نتذاكر خروج الرُّوم ، فرفع المصحف ، وقال : اللهمَّ بحقِّ من أنزلته عليه ، إن قضيت بخروج الروم فخذ روحي ولا أراهم ، فمات يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان سنة إحدىٰ وثلاثين وخمسمائة بشيزر ، ودفن في داره ، وخرجت الروم ونزلوا علىٰ شيزر في نصف شعبان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، فحاصروها أربعة وعشرين يوماً ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً ، ثُمَّ رحلوا عنها يوم السَّبت تاسع شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، والله تعالىٰ أعلم " . انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٥٧/ ٢١٩) ، وانظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١١/ ٥٥٦) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر : " أخبرنا أبو الفضائل بن محمود ، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير ، أنبأنا علي بن محمَّد بن شجاع ، أنبأنا تمام أخبرنا الحارث بن عمارة ، حدثني أبي ، أنبأنا محمَّد بن إبراهيم ، أنبأنا هشام يعني ابن خالد ، وقال : سمعت الوليد يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، وقال : حدَّثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ موضع الدَّم يسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يسقينا ، فسقانا ، قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون إلىٰ موضع الدَّم يستسقون ، فلم يزل فلم يبرحوا حتىٰ سالت الأودية . أخبرنا أبو محمَّد بن الأكفاني فيما قرئ عليه عن عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا عبد الوهاب بن جعفر بن علي ، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمَّد بن عمارة الليثي ، حدثني أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني ، أنبأنا أحمد بن محمَّد بن إبراهيم ، قال : قال هشام بن عمار : سمعت الوليد ، يقول : قال سعيد : وحدثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ موضع الدم يسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يسقينا ، فسقانا . قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون يستسقون فلم يبرحوا حتىٰ سالت الأودية .

قال مكحول : وسمعت كعب الأحبار يذكر أنَّه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك وتعالىٰ ، وأنَّه لا يزال سائلاً في ذلك الموضع . قال هشام : وسمعت الوليد ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، قال : صعدنا في خلافة هشام إلىٰ موضع قتل ابن آدم أخاه ، فسأل الله تعالىٰ أن يسقينا ، فسقانا ، فأتىٰ مطر فأقمنا في الغار الذي تحت الدَّم ثلاثة أيَّام . قال : وحدَّثني سعيد ، حدَّثنا محمَّد ، قال : قال هشام بن عمَّار : وصعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالىٰ سقيانا إلىٰ موضع قتل ابن آدم أخاه ، فأرسل الله تبارك وتعالىٰ علينا مطراً غزيراً حتىٰ أقمنا في الغار تحت الدَّم ، فدعونا الله تبارك وتعالىٰ فارتفع عنا ، وقد رويت الأرض .

قرأت علىٰ أبي محمَّد عبد الكريم بن حمزة ، عن أبي محمَّد عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا تمام الرَّازي ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج ، حدَّثني محمَّد بن يوسف الهروي ، قال : سمعت أبا زرعة عبد الرَّحمن بن عمرو ، يقول : سألت أبا مسهر عن مغارة الدم ، فقال : مغارة الدم موضع الحمرة ، موضع الحوائج ، يعني بذلك الدُّعاء فيها والصَّلاة ، قال : وأنبأنا محمَّد بن يوسف ، قال : سمعت يزيد بن محمَّد ، وأبا زرعة وأحمد بن المعلَّىٰ ، وسليمان بن أيُّوب بن حذلم ، ومحمَّد بن إسحاق ، ومحمَّد بن إبراهيم ، ومحمَّد بن يزيد ، ومحمَّد بن هارون ، وغيرهم من مشايخنا يقولون : سمعنا هشام بن عمَّار ، يقول : وهشام بن خالد ، وأحمد بن أبي الحواري ، وسليمان بن مسلم يقول : سمعت ابن عبَّاس ، يقول : كان أهل دمشق إذا احتبس عليهم المطر أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطان أو كانت لأحدهم حاجة صعد إلىٰ موضع ابن آدم المقتول ، فيسألون الله تبارك وتعالىٰ ، فيعطيهم ما سألوا .

قال هشام : ولقد صعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالىٰ سقيا ، فأرسل عليهم المطر مطراً غزيراً ، حتىٰ أقمنا في الغار الذي تحت الدَّم ثلاثة أيَّام ثُمَّ دعونا أن يرفع فرفع ، وقد رويت الأرض .

قال هشام : سمعت الوليد بن مسلم ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، يقول : صعدنا في خلافة هشام بن عبد الملك إلىٰ موضع دم ابن آدم نسأل الله تعالىٰ سقيا فسقانا ، فأتانا مطر فأقمنا في الغار ستَّة أيَّام .

وقال ابن مكحول : صعدت مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ موضع الدم يسألون الله تعالىٰ سقيا فسقاهم . وقال : إن معاوية خرج إلىٰ موضع الدم يستسقون الله تعالىٰ سقيا فسقاهم ، فلم يبرحوا حتىٰ جرت الأودية . وروي عن أحمد بن كثير ، قال : صعدت إلىٰ موضع دم ابن آدم عليه السَّلام في جبل قاسيون بدمشق نسأل الله تبارك وتعالىٰ الحج فحججت ، وسألته الجهاد فجاهدت ، وسألته الزِّيارة والصَّلاة في بيت

المقدس وعسقلان وعكَّا والرباط في جميع الَّسواحل ، فرزقت ذلك كلّه ، وسألته يغنيني عن الأسواق والبيع ، فرزقت ذلك . ولقد رأيت النَّبي ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وهابيل بن آدم ، فقُلْتُ له : أسألك بحقِّ الواحد الصَّمد وبحقِّ أبيك آدم النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام هذا دمك ، فقال : أي والواحد الصَّمد ، هذا دمي جعله الله تعالىٰ آية للنَّاس ، وإنِّي دعوت الله عزَّ وجلَّ ، فقُلْتُ : اللهمَّ ربّ أبي آدم وأمي حواء وهذا النَّبي المصطفىٰ الأمي اجعل دمي مستغاثاً لكلِّ نبي وصدِّيق ، ومن دعا فيه فتجيبه ، وسألك فتعطيه ، فاستجاب الله تبارك وتعالىٰ دعائي وجعله طاهراً آمناً ، وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السَّماء يحفظونه ، من أتاه لا يرد إلَّا الصَّلاة فيه ، فقال رسول الله ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قد فعل وزاد كرماً وإحساناً ، وإنِّي آتيه كلّ خميس وصاحباي وهابيل نصلي فيه . ، فقُلْتُ : يا رسول الله ادع الله تعالىٰ أن أكون مستجاب الدعوة وعلمني دعاء لكلِّ ملمَّة وحاجة ، فقال لي : افتح فاك ففتحته فتفل فيه ، فقال لي : رزقت فالزم رزقت فالزم " . انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٢/ ٣٣٣-٣٣٥) .

وقال الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، في ترجمة نصر بن الحسن بن أبي القاسم بن أبي حاتم بن الأشعث التنكتي الشَّاشي : " أخبرنا القاضي الشَّهيد أبو عبد الله محمَّد بن أحمد رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : قرأت علىٰ أبي علىٰ حسين بن محمَّد الغساني ، قال : أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز والمعافري ، قال : أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التّنكتي المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستين وأربع مائة . قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، قال : فاستسقىٰ النَّاس مراراً فلم يُسقوا . قال : فأتىٰ رجل من الصَّالحين معروف بالصَّلاح مشهور به إلىٰ قاضي سمرقند ، فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرىٰ أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلىٰ قبر الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده فعسىٰ الله أن يسقينا ، قال : فقال القاضي :نعم ما رأيت . فخرج القاضي وخرج النَّاس معه واستسقىٰ القاضي بالنَّاس ، وبكىٰ النَّاس عند القبر وتشفعوا بصاحبه ، فأرسل الله السَّماء بماءٍ عظيم غزير أقام النَّاس من أجله بخرتنك سبعة أيَّام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلىٰ سمرقند من كثرة المطر وغزارته ، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها " . انظر : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (١/ ٦٠٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٩) .

وقال الإمام عبد الحقّ بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخراط (٥٨١هـ) : " ... وَيسْتَحب لَك رَحِمك الله أَن تقصد بميتك قُبُور الصَّالحين ، ومدافن أهل الْخَيْر ، فتدفنه مَعَهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه فِي جوارهم ، تبركاً بهم ، وتوسُّلاً إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ بقربهم ، وَأَن تجتنب بِهِ قُبُور من سواهُم مِمَّن يخَاف التأذي بمجاورته ، والتألم بمشاهدته ، فقد روىٰ عَن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ : " إِن الْميِّت يتَأَذَّىٰ بالجار السوء كَمَا يتَأَذَّىٰ بِهِ الْحَيّ ... " . انظر : العاقبة في ذكر الموت ، ابن الخراط (١/ ٢١٩-٢٢٠) ، وحديث تأذي الميت بجار السوء ذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وقال : " ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال في المقاصد : رواه أبو نعيم والخَليلي من حديث سليمان بن عيسىٰ عن أبي هريرة مرفوعاً ، وسليمان متروك بل اتهم بالوضع ، ولكن لم يزل عمل السلف والخلف علىٰ هذا انتهىٰ ، ومما يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي أمرنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإن الموتىٰ يتأذون بالجار السوء كما يتأذىٰ به الأحياء " . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة النَّاس ، إسماعيل بن محمَّد العجلوني الجراحي (١/ ٧٢) . قُلْتُ : وقد رواه الطبراني في : جزء فيه ما انتقىٰ أبوبكر أحمد بن موسىٰ ابن مردويه علىٰ أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة ، أبو القاسم الطبراني (ص٢٩٩ برقم ١٣٨) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " عن أبي عبد الله احمد بن يحيىٰ الجلاء ، قال : سمعت أبي يقول : كنت عند معروف في مجلسه ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أبا محفوظ : رأيت في هذه الليلة عجباً ، قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال : اشتهىٰ عليَّ أهلي سمكاً ، فذهبت إلىٰ السُّوق ، فاشتريت لهم سمكة ، وحملتها مع حمال ، فمشي معي ، فلما سمعنا آذان الظُّهر ، قال الحمَّال : يا عم ، هل لك أن نصلِّي ؟! فكأنَّه أيقظني من غفلة ، فقُلْتُ له : نعم نصلي .

فوضع الطَّبق والسَّمكة عليه علىٰ مستراح ، ودخل المسجد ، فقُلْتُ في نفسي : الغلام قد جاد بالطَّبق أجود أنا أيضاً بالسَّمكة ، فلم يزل يركع حتىٰ أُقيمت الصَّلاة ، فصلينا جماعة ، وركع بعد الصَّلاة ، وخرجنا ، فإذا الطَّبق علىٰ حاله موضوع ، فجئت إلىٰ البيت وحدَّثت أهلي بهذا ، فقالوا لي : قل له يأكل معنا من هذا السَّمك ، فقُلْتُ له : تأكل معنا من هذا السَّمك ، فقال أنا صائم ، فقُلْتُ له : فأفطر عندنا ، قال : نعم ، أروني طريق المسجد ، فأريته ، فدخل المسجد وجلس إلىٰ أن صلَّينا المغرب . فجئت إليه وقُلْتُ له : تقوم رحمك الله ، فقال : أو نصلي عشاء الآخرة ؟! فقُلْتُ في نفسي هذه ثانية يريد أنَّ فيه خيراً ، فلمَّا صلينا جئت به إلىٰ منزلي ولنا ثلاثة أبيات : بيت فيه أنا وأهلي ، وبيت فيه صبيَّة مقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة ، وبيت كان فيه ضيفنا .

فبينا أنا مع أهلي إذ دقَّ داقٌ الباب في آخر الليل ، فقُلْتُ : من يدقُّ الباب ، فقالت : أنا فلانة ، فقُلْتُ : فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت ، كيف يستوي لها أن تمشي ؟!! فقالت : أنا هي افتحوا لي ، ففتحنا لها ، فإذا هي ، فقُلْتُ : أي شيء الخبر ؟ فقالت : سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير ، فوقع في نفسي أن أتوسَّل إلىٰ الله عزَّ وجلَّ به ، فقُلْتُ : اللهم بحقِّ ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلَّا أطلقت أسري ، فاستويت وقمت وأنا في عافية كما تروني .

فقمت إليه أطلبه في البيت ، فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد ، فجئت إلىٰ الباب فوجدته مغلقاً بحاله ، فقال معروف : نعم فيهم صغار وكبار يعني الأولياء " . انظر : صفة الصفوة ، ابن الجوزي (١/ ٥٦٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " فَالْوَاجِب علينا ان نستغيث بمراحم الْعَزِيز الرَّحِيم ، ونستشفع إِلَيْهِ بجاه نبيه الْكَرِيم الَّذِي أذن لَهُ فِي إِخْرَاج النَّاس من الظُّلُمَات إِلَىٰ النُّور " . انظر : التذكرة في الوعظ ، ابن الجوزي (ص١٦٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " اللهم إنَّا نتوسَّل إليك بالخليل في منزلته ، والحبيب في رتبته ، وكلّ مخلص في طاعته ، أن تغفر لكلٍّ منا زلَّته ، يا كريم برحمتك يا أرحم الرَّاحمين " . انظر : التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٢٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " أنبأنا يحيىٰ بن الحسن ، قال : أنبأنا محمَّد بن الحسين ، قال : أخبرنا أبو الحسن علىٰ بن محمَّد الحِنائى ، قال : أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عيسىٰ ، قال : حدثنا العبَّاس ، قال : وحدثنى اللَّكّاف ، قال : حدثني عبد الله بن موسىٰ – وكان من أهل السُّنَّة – قال : خرجتُ أنا وأبي في لَيلة مُظلمة نزور أحمد ، فاشتدَّت الظلمة ، فقال أبي : يا بُني ، تعال حتَّىٰ نتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهذا العبد الصالح حَتىٰ يُضىء لنا الطَّريق ، فإني مُنذ ثلاثين سَنة ما توسَّلتُ به إلا قُضيت حاجَتي ، فدعا أبي وأمَّنْتُ أنا علىٰ دُعائه ، فأضاءت السَّماء كأنها ليلة مُقمرة حتىٰ وَصلنا إليه " . انظر : مناقب الإمام أحمد ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، (ص٤٠٠) ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ].

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " أَخْبَرَنَا زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بن الحسين البيهقي ، أخبرنا أبو عبد الله الحاكم ، قَالَ : سمعت أبا العبَّاس محمَّد بْن أحمد القاضي ، يقول : سمعت أبا عبد الله محمَّد بْن جعفر الزَّاهد ، يقول : سمعت زكريَّا بْن أبي دلويه ، يقول :

رأيت أحمد بْن حرب بعد وفاته بشهر فِي المنام ، فقُلْتُ : مَا فعل بك ربك ؟ قَالَ : غفر لي وفوق المغفرة . قُلْتُ : ومَا فوق المغفرة ؟ قال : أكرمني بأن يستجيب دعوات المسلمين إذا توسَّلوا بقبري... " . انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١١/ ٢١١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " ... وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طلب نفسي ، فلجأت إلىٰ قبور الصَّالحين ، وتوسَّلت في صلاحي ... " . انظر : صيد الخاطر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، (ص٩٣) ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

قُلْتُ : وعلىٰ الدَّوام ... يأبىٰ مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا العبث بكتب أهل العلم بالتَّزوير والتَّحوير والتَّبديل والتَّغيير ... وهنا حرَّفوا قول الإمام ابن الجوزي (قبور الصَّالحين) لتصبح بعبثهم وكذبهم (قبول الصَّالحين) ، وذلك في كتاب صيد الخاطر الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، مع أنَّ التحريف الذي أوقعوه وأحدثوه لا يستقيم معه النَّص ... ولم أستطع الحصول علىٰ نسخة دار القلم التي نقُلْتُ عنها من المكتبة الشَّاملة ، ولذلك لا أدري : هل وقع التَّحريف والتَّزييف في طبعة دار القلم أم كان من المشرفين علىٰ المكتبة الشاملة ، وهذا ما أعتقدهُ وأَميلُ إليه ، فإلىٰ الله تعالىٰ المشتكىٰ . انظر النصَّ غير المحرَّف في كتاب : صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، (ص٧٩) ، المكتبة العلمية ، بيروت.

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " لم يزل ذكر نبيِّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منشوراً وَهُوَ فِي طي الْعَدَم ، توسَّل بِهِ آدم وَأخذ لَهُ مِيثَاق الْأَنْبِيَاء علىٰ تَصْدِيقه " . انظر : المدهش ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي(ص١٤١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " قوله تعالىٰ : **ﭐﻟﻜﻢ ﻛﻰ ﻛﻲ** [يوسف : ٦٦] ، أي : أعطَوْه العهد ، وفيه قولان : أحدهما : أنَّهم حلفوا له بحقّ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنزلته من ربه ، قاله الضحَّاك (١٠٢هـ) عن ابن عبَّاس " . انظر : زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٥٥) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي :

بجــاه محمَّد خير البرايا   تشفعنا لكم وبه اعتصمنا

عليه تحيّة ما لاح برق   وتاق لحبّـــــه قلب المعنّىٰ

انظر : بحر الدموع ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، (ص٥٨) ، تحقيق : جمال محمود مصطفىٰ ، دار الفجر للتراث ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

وقال الإمام عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله : " ... والله سبحانه يتقبَّل من الخادم فيه صالح دعائه، وينصره على جاحدي نعمائه، بمحمَّد وآله " .
انظر : خريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله ، (٢/ ٣٥٤) .

وقال الإمام علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) : " وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته ، بمحمَّد وآله وعترته " . انظر : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن ، (ص١٣) .

وقال الإمام شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ الْمُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ الْمَقْدِسِيُّ (٦١١هـ) : " ... أحسن الله عافيتها بمحمَّد وآله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " . انظر : أربعون حديثا لعلي بن المفضل المقدسي ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ الْمُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ الْمَقْدِسِيُّ ، (ص٤٣) ، مخطوط .

وقال الإمام موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) : " واقض حوائجنا في الدُّنيا والآخرة بمحمَّد وآله وصحبه أجمعين " . انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرحمن، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشَّافعي ، (١/ ١٨٨) .

وقال الإمام موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) في ترجمة الإمام العالم القاسم الطيِّب بن محمَّد المأمون ابن جعفر الصَّادق بن محمَّد الباقر بن زين العابدين (٩٤هـ) : " وقد كتب على قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير :

يا من إذا سأل المقصّر عفـــــوه　　فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالي سوى فقري إليـــك وسيلة　　وتشفّعي بمحمَّد وبآلــــــه

انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرحمن، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشَّافعي ، (١/ ١٩٦) .

وقال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " ولا بأس بالتَّوسُّل إلى الله تعالى في الاستسقاء بالشُّيوخ والزهَّاد وأهل العلم والفضل والدِّين من المسلمين " . انظر : المستوعب ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السامري الحنبلي ، (١/ ٢٩٣) .

وقال الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) : " قَالَ الشَّيخ الإِمَام الْعَالم محب الدِّين أَبُو الْبَقَاء عبد الله بن الْحُسَيْن بن عبد الله العكبرىُ رَحمَه الله تَعَالَىٰ ورحم أسلافه بمحمَّد واله وَأَصْحَابه وأنصاره " . انظر : التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (١/ ١) .

وقال الإمام أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) : " والله سبحانه وتعالىٰ المسؤول في أن يوفِّقنا للإقبال علىٰ امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقر من أجره وثوابه ، ويباعد من سخطه وعقابه بمحمَّد وآله " . انظر : عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي ، (٣/ ١٣١٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " وَيُرْوَىٰ عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : ﭐ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم [النساء : ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَىٰ رَبِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُـــهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي ، فَنِمْت ، فَرَأَيْت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " . انظر : المغني ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٥/ ٤٦٥-٤٦٦) .

وقال الإمام عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) في ترجمة محمَّد بْن علي بْن حسول أَبُو العلاء الوزير الصّفي معروف بالفضل وحسن النّظم والنَّثر ثُمَّ بالوزارة ورفعة القدر والجاه وقد ورد قزوين كتب إِلَىٰ الإمام أبي حفص هبة اللهَّ بْن محمَّد بْن زاذان :

زرت الإمام بْن الإمام بلا مراء أو ريـــــاء

بل قاضياً حقّاً عَلَي له جديراً بالقضـــــــاء

ومراعياً فرضاً وما أنا فِي الفروص من البطـاء

متوسِّلاً بشفـاعة من عنده يوم الجـــــزاء

انظر : التدوين في أخبار قزوين ، عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (٢/ ٧٦) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) : " فأحسن الله عنا جزاءه ، وأدام عزّه وعلاءه ، بمحمَّد وآله الكرام " . انظر : معجم البلدان ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (١/ ١٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي : " وسألت الله أن لا يحرمنا ثواب التَّعب فيه ، ولا يكلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه ، بمحمَّد وآله وأصحابه الكرام البررة " . انظر : معجم البلدان ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٥/ ٤٥٧) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : " والله يحسن لنا العافية ولا يحرمنا ثواب حسن النيَّة في الإفادة والاستفادة بحقِّ محمَّد وآله " . انظر : معجم البلدان ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٥/ ٨٧) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) : " الرَّاجي الْعَفو بمحمَّد وَآله وَصَحبه وإجزال الثَّوَاب من إلهه ، وَهُوَ غَايَة إربه " . انظر : بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (٥/ ٨٣٤) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نسأل الله تعالى أن ينفعنا به في الدُّنيا والآخرة وأن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه بمحمَّد وآله " . انظر : أسد الغابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدِّين ابن الأثير (٥/ ٤٤٩) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير : " نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَخْتِمَ أَعْمَالَنَا بِالْحُسْنَى، وَيَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ بمحمَّد وَآلِهِ" .

وقال أيضاً : " فَاللَّهُ يُعِيدُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيُقِرُّ أَعْيُنَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِهِ، بمحمَّد وَآلِهِ" .

وقال أيضاً : " نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْعُقْبَى بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَيَسَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِهِمْ وَحَفِظَ بِلَادِهِمْ بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْذُلُهُ وَيَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدِّين ابن الأثير ، (٨/ ٦٦٥) ، (٨/ ٦٩٤) ، (٩/ ٢٤٥) ، (١٠/ ٣٧٦) ، (١٠/ ٤٣٠) بالترتيب .

وألَّف الإمام سليمان بن موسىٰ الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، كتاباً بعنوان : " مصباح الظَّلام ، في المستغيثين بخير الأنام ، في اليقظة والمنام " . انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفىٰ بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (٢/ ١٧٠٦) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدبيثي (٦٣٧هـ) : " فالله يمتع الإسلام وأهله بدوام أيَّام مولانا أمير المؤمنين النَّاصر لدين الله، ويثبت دعوته وينشر في الخافقين ألويته ويعزّ به دين الإسلام علىٰ ممرّ السِّنين والأعوام، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " . انظر : ذيل تاريخ مدينة السَّلام ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدبيثي (٢/ ٢٣٥) .

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) : " بمحمَّد وآله وصحبه أولي الحمد والتَّمجيد " . انظر : تاريخ إربل ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (١/ ٩٧) .

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي : " وإياه أسأل التَوْفِيق لما يُرضيه ، والهداية إِلَىٰ مَا يُحبه ويُزلف إليه ، (بمحمَّد وآله وصحبه" . انظر : تاريخ إربل ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (١/ ٣٢٢) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " رَضِي الله عَنهُ وأرضاه ، وَجعل الجنَّة مَأْوَاه بمحمَّد وَآله " . انظر : طبقات الفقهاء الشافعية ، عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح (١/ ٢٦٤) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، وهو يتكلَّم عن معجزات النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... وَأي فنٍّ أخزىٰ من فنٍّ يُعمي صَاحبه أظلم قلبه عَن نبوَّة نبيِّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما ذكره ذَاكر ، وَكلما غفل عَن ذكره غافل ، مَعَ انتشار آيَاته المستبينة ومعجزاته المستنيرة ، حَتَّىٰ لقد انتدب بعض الْعلمَاء لاستقصائها ، فَجمع مِنْهَا ألف معْجزَة وعددناه مقصراً إِذا فَوق ذَلِك بأضعاف لَا تحصىٰ فَإِنَّهَا لَيست محصورة علىٰ مَا وجد مِنْهَا فِي عصره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل لم تزل تتجدد بعده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ تعاقب العصور ، وَذَلِكَ أَنَّ كرامات الْأَوْلِيَاء من أمته وإجابات المتوسلين بِهِ فِي حوائجهم ومغوثاتهم عقيب توسلهم بِهِ فِي شدائدهم براهين لَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قواطع ومعجزات لَهُ سواطع وَلَا يعدها عد وَلَا يحصرها حد ، أعاذنا الله من الزيغ عَن مِلَّته وَجَعَلنَا من المهتدين

الهادين بهديه وسنته " . انظر : فتاوىٰ ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح (١/ ٢١٤)
.

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبوعمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " فَاللهَّ الْعَظِيمَ الَّذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَالْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ أَسْأَلُ ، وَإِلَيْهِ أَضْرَعُ وَأَبْتَهِلُ ، مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ، مُتَشَفِّعاً إِلَيْهِ بِكُلِّ شَفِيعٍ ، أَنْ يَجْعَلَهُ مَلِيّاً بِذَلِكَ وَأَمْلَىٰ وَفِيّاً بِكُلِّ ذَلِكَ وَأَوْفَىٰ . وَأَنْ يُعَظِّمَ الْأَجْرَ وَالنَّفْعَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ ، أَنَّه قَرِيبٌ مُجِيبٌ " . انظر : معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ، عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبوعمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح (ص٦-٧) .

وقال الإمام محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) : " ... أعانني الله وإياه علىٰ ما يقربنا منه ، ويزلفنا لديه بجاه سيِّدنا محمَّد وآله الطاهرين " . انظر : الجمل في المنطق ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدِّين (ص٤) .

وألَّف الإمام عبد الْعَظِيم بن عبد القوىٰ بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكىٰ الدِّين أَبُو محمَّد المنذرىٰ القيرواني ثُمَّ المصرىٰ الشَّافعي (٦٥٦هـ) كتاباً بعنوان : " زَوَال الظمأ فِي ذكر من اسْتَغَاثَ بِرَسُول الله صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشدَّة والعما " . انظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمَّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (١/ ٥٨٦) .

وقال الإمام ابن الأبَّار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، في ترجمة : عَبْد اللهَّ بْن محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد اللهَّ بْن عُبَيْد اللهَّ بْن سَعِيد بْن محمَّد بْن ذِي النُّون الحَجْري (٥٩١هـ) : " ... وَدفن بجبل المينا مِنْهَا وصادف وقتُ وَفَاته بسبتة قحطًا أضرّ بِأَهْلِهَا ، فَلَمَّا وُضعت جنَازَته عَلَىٰ شَفير قَبره توسَّلوا بِهِ إِلَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ فِي إغاثتهم وتداركهم بالسُّقيا ، فسقوا من تِلْكَ اللَّيْلَة مَطَراً وابلًا ، وَمَا اخْتلف النَّاس إِلَىٰ قَبره مدَّة الْأُسْبُوع ... " . انظر : التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٢/ ٢٨١) .

وقال الإمام ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) في ترجمة أَبي عَليّ عمر ابْن الشَّيخ المكرّم أبي مُوسَىٰ : " وَشعر أبي عليّ أعزَّه الله كثير ، وَقد وقفت علىٰ ديوانه وَسمعت مِنْهُ غير قصيدة وَقطعَة بِلَفْظِهِ ، وَمن ذَلِك كلمة بعث بهَا إِلَىٰ قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُحْبَة الْحَاج أبي بكر بن الْعَرَبِيّ الإشبيلي أوّلها وأنشدني جَمِيعهَا ...

يَا خير من تعْمـــــــل المطيّ لَهُ   عُذْري فِي اللّبْث غير متَّهم

عَبدك لَو يَسْتَطِيع جـــاب إِلَيْك القفر فِي غيهب من الظّلـــم

يمسح مَا بَين حمص مِنْهُ إِلَىٰ يثرب مرّاً بوجنـــــــة وفم

ولي ذنُوب وقصننـــــي ثقلاً لَوْلَا أَذَىٰ ثقلهن لم أقِـــــم

يرجوك يَا شَافِع الْبَرِيَّــــة أَن تشفع فِيهَا لبارئ النّســـم

عَسىٰ قبُول لديك يلحقنــــي بقبرك المستنير وَالْحـرم

وصاحبيك اللَّذين خصّهمـــا بِنِعْمَة الْقرب مِنْك ذُو النعم

فقـــد توسلت بِالَّذِي لَك عِنْد الله من رفْعَة وَمن عظـــم

صلىٰ عَلَيْهِ الْإِلَـــه مَا اتصفت أَوْصَافه بالجلال وَالْكـــرَم

انظر : الحلة السيراء ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٢/ ٢٨٤) .

وقال الإمام أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) في ترجمة الصاحب نجم الدِّين أَبُو زكريًّا يحيىٰ بن الْحَكِيم الامام شمس الدِّين محمَّد بن عَبْدَانِ بن عَبْدَانِ بن عبد الْوَاحِد أوحد فِي الصِّنَاعَة الطبية ندرة فِي الْعُلُوم الْحِكمِيَّة : " وَمن شعره وَهُوَ مِمَّا انشدني لنَفسِهِ فَمن ذَلِك : قَالَ فِي الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام وَهُوَ مُتَوَجّه الىٰ خدمته عِنْد عودته من الدِّيار المصرية وأنشدها عِنْد بَاب السِّرداب وَهُوَ قَائِم فِي ذِي الْقعدَة سنة إحدىٰ وَسِتِّينَ وستمِائَة :

هذي المهابة والجلال الهائـــل بهرا فَمَاذَا أن يَقُول الْقَائِـل

لَو أَن قسا حَاضراً متمثـلاً يَوْماً لديك حسبته هُوَ بَاقِـــل

هَل تقدر الفصحاء يَوْماً أن يروا وبيانهم عَن ذِي الْجَلَال يناضــــل

وَبِك اقْتدىٰ جلّ النَّبيين الأُولــىٰ ولديك أضحت حجَّة وَدَلَائِـــل

أظهرت إبراهيم أسباب الْهــدىٰ وَالْخَيْر وَالْمَعْرُوف انت الْعَامِــــل

شيدت أركـان الشَّرِيعَة مُعْلناً ومقرراً أنَّ الإلــــــــه الْفَاعِل

مَا زَالَ بَيْتك مهبط الْوَحْــي الَّذِي لجلاله مقفر ربعــــــك آهل

وبهرت فِي كل الامــور بمعجز مَا أَن يُخَالف فِيهِ يَوْماً عَــــــاقل

وَكَفـــاك يَوْم الْفَخر أَن مُحَمَّداً يَوْم التنـاسب فِي النجار مواصل

مَا زلت تنقل للنبوءة سرَّهـــــا حَتَّىٰ غدا لُمحَمد هُوَ حَاصِـــــل

فعليكما صلوَات ربٍّ لـــم يزل | يأتيكما مِنْهُ ثَنَا وفواضــــل
وَقد التجأت إِلىٰ جنابك خاضعـــاً | متوسلاً وَأَنا الْفَقِير السَّائِـــــل
أرجوك تسْأَل لي لَدَىٰ رب الْعــلَا | غفران مَـــا قد كنت فِيهِ أُزاول
وَأرىٰ وَقد غفرت لَدَيْهِ خطيتـــي | وَبَلغت مقصودي وَمَا أَنا آمــل
ورجعت مُنْقَطِعاً الىٰ أبوابـه | لَا أَلتقي عَن غَيره أَنا سَائــل
وَلَقَد سَأَلت لكامل فِي جـــوده | يُعْطي بِلَا منٍّ وَلَا هُوَ باخــــل
فحقيقة أَنِّي بلغت إرادتـــــــي | سِيمَا وَأَنت لما سَأَلت الْحَامِـــــــل

انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (ص٦٦٤) .

وقال أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) أيضاً : " ... وهذا فرار التَّبري ، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحقِّ محمَّد نبي الرَّحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا ممَّن حشر في زمرتهم ، ولا خالف بنا علىٰ طريقهم ومذهبهم بمنه وكرمه آمين ، وصلىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم " . انظر : التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (١/ ٥٧٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " رَوَىٰ أَبُو صَادِقٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَدِمَ علينا أعرابي بعد ما دَفَنَّا رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَيَّام ، فَرَمَىٰ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَثَا عَلَىٰ رَأْسِهِ مِنْ تُرَابِهِ ، فَقَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللهَّ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُّ عَلَيْكَ ٱبج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نفسي وجئتك تَسْتَغْفِرُ لِي . فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ : أَنَّه قَدْ غُفِرَ لَكَ " . انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي أيضاً : " ... وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَدِدْتُ أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ... " . الْحَدِيثَ . فَجَعَلَنَا إِخْوَانَهُ ، إِنِ اتَّقَيْنَا اللهَّ وَاقْتَفَيْنَا آثَارَهُ حَشَرَنَا اللهُّ فِي زُمْرَتِهِ وَلَا حَادَ بِنَا عن طريقته وملته بحق ، وفي رواية بجاه – كما قال المحقق – محمَّد وآله . انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٨/ ٢٤٠) .

وقال الإمام ابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) : " ... بلَّغه الله الآمال فِي الدُّنيا والمآل ، وأدام دولته ، وَحفظ مهجته ، وأعزَّ أنصاره ، وضاعف اقتداره وَأحسن إِلَيْهِ بإحسانه إِلَيْنَا ، وأنعم عَلَيْهِ بإنعامه علينا بمحمَّد وَآله الطاهرين" . انظر : الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، ابن الحداد محمَّد بن منصور بن حبيش ، (ص١٢٠) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " فصل في زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذكارها : اعلم أنَّه ينبغي لكل من حجّ أن يتوجَّه إلىٰ زيارة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإن زيارته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهمّ القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات ، فإذا توجَّه للزيارة أكثرَ من الصَّلاة عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه ، فإذا وقعَ بصرُه علىٰ أشجار المدينة وحَرمِها وما يَعرفُ بها ، زاد من الصَّلاة والتسليم عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسأَلَ الله تعالىٰ أن ينفعَه بزيارته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يُسعدَه بها في الدارين ، وليقلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ عَليَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَارْزُقْنِي في زِيارَةِ قَبْرِ نبيِّك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رزقْتَهُ أَوْلِياءَكَ وأهْلَ طَاعَتِكَ ، واغْفِرْ لي وارْحمنِي يا خَيْرَ مَسْؤُول ... فإذا صلّىٰ تحية المسجد أتىٰ القبر الكريم فاستقبله واستدبر القبلة علىٰ نحو أربع أذرع من جدار القبر ، وسلَّم مقتصداً لا يرفع صوته ، فيقول : السَّلام عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله ، السَّلام عَلَيْكَ يا خِيرَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهَّ ... ثُمَّ يرجعُ إلىٰ موقفه الأوّل قُبالة وجهِ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتوسَّلُ به في حقّ نفسه ، ويتشفعُ به إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسنَ إليه وسائر المسلمين ، وأن يَجتهدَ في إكثار الدُّعاء ، ويغتنم هذا الموقف الشَّريف " . انظر : الأذكار ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي (ص٢٠٤-٢٠٥) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي : " ... ويُستحبّ إذا كان فيهم رجلٌ مشهورٌ بالصلاح أن يستسقوا به ، فيقولوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِي وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بعبدك فُلانٍ ... " . انظر : الأذكار للنووي ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النووي (ص٣٠٩) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " ... اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلغنا في معاليه ، ما نؤمله ونرتجيه ، بمحمَّد النَّبي وصحبه وذويه " . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦/ ١٣٢) .

وقال الإمام عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) : " ... ونسأل الله الكريم ، بالآيات والِّذكر الحكيم ، وبرسوله عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم ، أن تجمع بيننا وبين أحبابنا في جنَّات النَّعيم ، أنَّه الجواد المنَّان ، ذو الفضل العظيم ، آمين آمين آمين يا ربَّ العالمين " . انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٤/ ٢٦٨) .

وقال الإمام أبو طالب عبد الرَّحمن بن عمر البصري العبدلياني (٦٨٤هـ) : " ويُباح التَّوسُّل بالصُّلحاء " . انظر : كتاب الحاوي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، أبي طالب عبد الرَّحمن بن عمر البصري العبدلياني ، تحقيق : د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش (ص٤٤٣) .

وقال الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) : " رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين بمحمَّد وآله " . انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطبري (١/ ٣١) .

وقال الإمام محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري (٦٩٤هـ) : " أحسن الله خاتمتها بمحمَّد وآله وصحبه آمين وحسبنا الله وكفى " . انظر : ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ، محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطبري ، (ص٢٦١) .

وقال الإمام شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) في قصيدته المسمّاة : " الكواكب الدريَّة في مدح خير البريَّة " والمشهورة بـ" البردة " أو " البُرأة " :

قال العلَّامة الصَّفدي بعد أن ذكرها في كتابيه :

ما سامني الدَّهرُ ضيماً واستجَرْتُ به	إلَّا ونِلْتُ جِواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غِنَى الدَّارين مِن يَده	إلَّا استلمتُ النَّدى مِن خير مُستَلَمِ

ولم أقف للشَّيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة ؛ لقصدها الصَّالح اهـ.

وقال الإمام محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٧هـ) :

خدمته بمديح أستقيل به	ذنوب عمر مضى في الشّعر والخدم
فإنّ لي ذمّة منه بتسميتي	محمدا وهو أوفى الخلق بالذّمم
حاشاه أن يحرم الرّاجي مكارمه	أو يرجع الجار منه غير محترم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
يا ربّ بالمصطفى بلّغ مقاصدنا	واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر إلهي لكلّ المسلمين بمـــا يتلوه في المسجد الأقصىٰ وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبـــــــة حرم وإسمه قسم من أعظــــــــــم القسم

انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، محمَّد أحمد درنيقة ، (ص٣٥٦).

وللإمام أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرِّفعة (٧١٠) ردٌّ علىٰ ابن تيمية ، وهو الذي ناظره في التَّوسُّل والزِّيارة ، وكان أحد أسباب سجنه .

وقال الإمام محمَّد بن مكرم بن علىٰ ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) : " والذي نقول نَحْنُ فِي يَوْمِنَا هَذَا : إِنا نَرْغَبُ إِلىٰ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَنَتَضَرَّعُ إِليه فِي نُصْرَةِ مِلَّتِهِ وإِعْزاز أُمته وإِظهار شَرِيعَتِهِ ، وأَن يُبْقِي لَهُمْ هِبَة تأْويل هَذَا الْمَنَامِ ، وأَن يُعِيدَ عَلَيْهِمْ بِقُوَّتِهِ مَا عَدَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ للإِسلام بمحمَّد وَآلِهِ ، عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : لسان العرب ، محمَّد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (١١/ ٧٨) .

وقال الإمام سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾ [القصص:١٥] احتج بها الشَّيخ شمس الدِّين الجزري شارح المنهاج في أصول الفقه علىٰ الشَّيخ تقي الدِّين ابن تيمية فيما قيل عنه أنَّه قال : لا يُستغاث برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الاستغاثة بالله عزَّ وجلَّ من خصائصه وحقوقه الخاصَّة به ، فلا تكون لغيره كالعبادة .

وتقرير الحجَّة المذكورة : أنَّه قال : يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ماهي وهي الاستنصار والاستصراخ ثُمَّ قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسىٰ واستنصره واستصرخه بنصِّ هذه الآيات وهي استغاثة مخلوق بمخلوق ، وقد أقرَّ موسىٰ عليها الإسرائيلي ، وقد أقرَّ الله عزَّ وجلَّ موسىٰ علىٰ ذلك ، ولم ينكر محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لَّما نزلت هذه الآيات ، أي : فكان هذا إقراراً من الله عزَّ وجلّ ورسوله علىٰ استغاثة المخلوق بالمخلوق ، وإذا جاز أن يُستغاث بموسىٰ فبمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولىٰ لأنَّه أفضل بإجماع .

وممَّا يحتجُّ به علىٰ ذلك : حديث هاجر أم إسماعيل حيث التمست الماء لابنها فلم تجد ، فسمعت حساً في بطن الوادي ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، وهذا في معنىٰ الاستغاثة منها بجبريل ، وقد أقرَّها علىٰ ذلك ولم ينكره النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عليها لَّما حكاه عنها.

ولأنَّ اعتقاد التَّوحيد من لوازم الإسلام ، فإذا رأينا مسلماً يستغيث بمخلوق ، علمنا قطعاً أنَّه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزَّ وجلَّ ، وإنَّما ذلك منه طلب مساعدة أو توجه إلىٰ الله ببركة ذلك المخلوق ، وإذا استصرخ النَّاس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التَّخفيف عنهم ، جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام . وقد صنَّف الشَّيخ أبو عبدالله النُّعمان كتاباً سمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " ، واشتهر هذا الكتاب ، وأجمع أهل عصره علىٰ تلقِّيه منه بالقبول ، وإجماع أهل كلّ عصر حجَّة ، فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع .

فإن قيل : الآية المذكورة في قصَّة موسىٰ والإسرائيلي ليست في محلِّ النِّزاع من وجهين :

أحدهما : أنَّ موسىٰ حينئذ كان حيَّاً ، ونحن إنَّما نمنع الاستغاثة بميِّت .

الثَّاني : أنَّ استغاثة صاحب موسىٰ به كان في أمر يمكن موسىٰ فعله ، وهو إعانته علىٰ خصمه ، وهو أمر معتاد ، ونحن إنَّما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختصّ فعله بالله عزَّ وجلَّ ، كالرَّحمة ، والمغفرة ، والرِّزق ، والحياة ، ونحو ذلك ، فلا يقال : يا محمَّد اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو أجبني ، وفي نسخة أخرىٰ : أحيني بدل أجبني ، أو أعطني مالاً وولداً ، لأنَّ ذلك شرك بإجماع .

وأُجيب عن الأوَّل : بأنَّ الاستغاثة إذا جازت بالحيِّ فبالميت المساوي فضلاً عن الأفضل أولىٰ ، لأنَّه أقرب إلىٰ الله عزَّ وجلَّ من الحي لوجوه :

أحدها : أنَّه في دار الكرامة والجزاء والحي في دار التَّكليف .

الثَّاني : أنَّ الميت تجرَّد عن عالم الطَّبيعة القاطعة عن الوصول إلىٰ عالم الآخرة والحي متلبس بها .

الثَّالث : أنَّ الشهداء في حياتهم محجوبون ، وبعد موتهم أحياء عند ربهم يُرزقون .

وعن الثاني : أنَّ ما ذكرتموه أمرٌ مجمعٌ عليه ، معلوم عند صغير المسلمين فضلاً عن كبيرهم أنَّ المخلوق علىٰ الإطلاق لا يُطلب منه ولا يُنسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهيَّة به . وقد رأينا أغمار النَّاس وعامَّتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يزيدون علىٰ أن يسألوا الشَّفاعة والوسيلة يارسول الله ، وفي نسخة أخرىٰ : برسول الله ، اشفع لنا يا الله ببركة نبيِّك اغفر لنا ، فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلاً لا حاجة بأحد من المسلمين إليه .

وإذا لم يكن بدّ من التَّعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد فليكن بعبارة لا توهم نقصاً في النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غضَّاً من منصبه ، مثل أن يقال : ما استأثر الله عزَّ وجلّ بالقدرة عليه ، فلا يطلب من

مخلوق على الإطلاق أو نحو هذا ، ولا يتعرَّض للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بسلب الاستغاثة عنه مطلقاً ولا مقيَّداً ، ولا يذكر إلَّا بالصَّلاة والسَّلام عليه والرِّواية عنه ونحو ذلك .

هذا حاصل ما وقع في هذه المسألة سؤالاً وجواباً ذكرته بمعناه وزيادات من عندي " . انظر : الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدِّين الطوفي (٣/ ٨٩-٩٣) .

وقال الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (٧٢٤هـ) وهو أحد تلاميذ الإمام النَّووي : " ... وَقَدۡ أَمَرَنَا اللهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيۡهِ وَحَثَّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ – عَلَىٰ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِسُؤَالِ الۡوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ ..." . انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) .

وقال الإمام الشَّمۡس كَمَال الدِّين الزملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الۡوَاحِد الشَّيخ الإِمَام الۡعَلامَة الۡمُفۡتِي قَاضِي الۡقُضَاة ذُو الۡفُنُون جمال الۡإِسۡلَام كَمَال الدِّين أَبُو الۡمَعَالِي ابۡن الزملكاني الۡأَنۡصَارِيّ السماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧هـ) :

يَا صَاحب الجاه عِنۡد الله خالقه ... مَا ردَّ جاهك إِلَّا كلُّ أفَّاك
أَنۡت الۡوَجِيه على رغم العدىٰ ... أبداً أَنۡت الشَّفِيع لفتاكٍ ونسَّاك
يَا فرقة الزَّيغ لَا لقِيت صَالِحَة ... وَلَا شفى الله يَوۡمًا قلب مرضاك
وَلَا حظيت بجاه الۡمُصۡطَفى أبداً ... وَمن أعانك فِي الدُّنيا ووالاك
يَا أفضل الرُّسل يَا مولى الۡأَنَام ... وَيَا خير الۡخَلَائق من إنسٍ وأملاك
هَا قد قصدتك أشكو بعض مَا صنعت ... بِي الذُّنُوب وَهَذَا ملۡجأ الشَّاكي
قد قيَّدتني ذنوبٌ عَن بُلُوغ مدىً ... قصدي إِلَى الۡفَوۡز مِنۡهَا من غير إِمۡسَاك

انظر : الوافي بالوفيات ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٤/ ١٥٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) : " وفي منسك المروذي الذي نقله عن أحمد أنَّه قال في السَّلام على النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ : ولا تستقبل الحائط ، وخذ ممَّا يلي صحن المسجد فسلِّم على أبي بكر وعمر .

وقال : فإذا أردت الخروج فأتِ المسجد وصل ركعتين وودع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل سلامك الأوَّل ، وسلم علىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحول ، وسل الله حاجتك متوسِّلاً إليه بنبيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقض من الله عزَّ وجلَّ " . انظر : الإخنائية (أو الرد علىٰ الإخنائي) ، ابن تيمية الحراني (ص٤١٠) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) : " وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ لَمَّا " قِيلَ لَهُ متىٰ كُنْت نَبِيًّا ؟ قَالَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ} وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي (الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثنا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَىٰ كُنْت نَبِيًّا ؟ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْض وَاسْتَوَىٰ إلَىٰ السَّماء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَىٰ سَاقِ الْعَرْشِ محمَّد رَسُولُ اللهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَلَقَ اللهُ الجنَّة الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ فَكَتَبَ اسْمِي عَلَىٰ الْأَبْوَابِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْقِبَابِ وَالْخِيَامِ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ : نَظَرَ إلَىٰ الْعَرْشِ ، فَرَأَىٰ اسْمِي فَأَخْبَرَهُ اللهُ أَنَّه سيِّد وَلَدِك ، فَلَمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إلَيْهِ .

وَرَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ محمَّد إلَّا غَفَرْت لِي ، فَأَوْحَىٰ إلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إنَّك لَمَّا أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إلَىٰ عَرْشِك فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إلَهَ إلَّا اللهُ محمَّد رَسُولُ اللهِ ، فَعَلِمْت أَنَّه أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ قَدْ غَفَرْت لَك ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ ، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٢/ ١٥٠-١٥١) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي : " ... ورُوي في ذلك أثر عن بعض السَّلف ، مثل ما رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب مجابي الدُّعاء ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمعت كثير ابن محمَّد ابن كثير بن رفاعة ، يقول :

جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد ابن أبجر ، فجسَّ بطنه فقال : بك داء لا يبرأ . قال : ما هو ؟ قال : الدُّبَيْلة . قال : فتحوَّل الرجل ، فقال : الله الله ، الله ربي ، لا أشرك به شيئاً ، اللهم إني أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبي الرَّحمة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً ، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّك وربي يرحمني ممَّا بي . قال : فجسَّ بطنه ، فقال : قد برئت ما بك علَّة .

قُلْتُ : فهذا الدُّعاء ونحوه قد روي أنَّه دعا به السَّلف ، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّعاء " . انظر : قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة ، ابن تيمية الحراني (ص٢٠١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) : " والله تعالى يُعِزُّ أنصاره ، ويوالي مباره ، بمحمَّد وآله " . انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٥/ ١٣٩) .

وألَّف الإمام عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي (٧٣٤هـ) كتاباً بعنوان : " التُّحفة المختارة في الردِّ على منكر الزِّيارة " .

وقال الإمام أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) : " نسأل اللهَّ العظيم أن يجعلنا من أهل الخير ، ولا يجعلَنا من أهل الشر، بمنِّه وكرمه ، آمين ، بمحمَّد وآله أجمعين " . انظر : رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٣/ ٢٣٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... فَإِذَا زَارَهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَإِنْ قَدَرَ أَنْ لَا يَجْلِسَ فَهُوَ بِهِ أَوْلَى ، فَإِنْ عَجَزَ ، فَلَهُ أَنْ يَجْلِسَ بِالْأَدَبِ ، وَالِاحْتِرَامِ ، وَالتَّعْظِيمِ ، وَقَدْ لَا يَحْتَاجُ الزَّائِرُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ أَنْ يَذْكُرَهَا بِلِسَانِهِ ، بَلْ يُحْضِرُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ لِأَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – أَعْلَمُ مِنْهُ بِحَوَائِجِهِ وَمَصَالِحِهِ وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَقَدْ قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – : " إِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْفَرَاشِ تَقَعُونَ فِي النَّارِ وَأَنَا آخُذُ بِحُجُزِكُمْ عَنْهَا " .

أَوْ كَمَا قَالَ ، وَهَذَا فِي حَقِّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ أَعْنِي فِي التَّوسُّل بِهِ وَطَلَبِ الْحَوَائِجِ بِجَاهِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ زِيَارَتُهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِجِسْمِهِ ، فَلْيَنْوِهَا كُلَّ

وَقْتٍ بِقَلْبِهِ ، وَلْيُحْضِرْ قَلْبَهُ أَنَّه حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَشَفِّعاً بِهِ إِلَى مَنْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو محمَّد بْنُ السَّيِّدِ الْبَطَلْيُوسِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي رُقْعَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ أَبْيَاتٍ :

إِلَيْك أَفِرُّ مِنْ زَلَلِي وَذَنْبِـــــي ... وَأَنْتَ إِذَا لَقِيت اللهَ حَسْبِي

وَزَوْرَةُ قَبْرِك الْمَحْجُوجُ قِدَماً ... مُنَايَ وَبُغْيَتِي لَوْ شَاءَ رَبِّي

فَإِنْ أُحْرَمْ زِيَارَتَه بِجِسْمِي ... فَلَمْ أُحْرَمْ زِيَارَتَهُ بِقَلْبِــــي

إِلَيْك غَدَتْ رَسُولَ اللهِ مِنِّــي ... تَحِيَّـــــةُ مُؤْمِنٍ دَنِفٍ مُحِبِّ

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا شَفَاعَتَهُ وَلَا عِنَايَتَهُ فِي الدُّنيا ، وَالْآخِرَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِك فِي زُمْرَةِ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين بِجَاهِهِ عِنْدَك ، فَإِنَّ جَاهَهُ عِنْدَك عَظِيمٌ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ " . انظر : المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (١/ ٢٦٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج : " قَالَ الْبَاجِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ –: وَذَكَرَ الْعُتْبِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْتُ اللهَّ – تَعَالَى – يَقُولُ : [illegible] [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي، ثُمَّ أَنْشَأَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْظُمُهُ ... فَطَـــابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـــــودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ . قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " . انظر : المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج ، (٣/ ٢٢٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري المالكي الشَّهير بابن الحاج : " وَكَذَلِكَ يَدْعُو عِنْدَ هَذِهِ الْقُبُورِ عِنْدَ نَازِلَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى فِي زَوَالِهَا وَكَشْفِهَا عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، وَهَذِهِ صِفَةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عُمُوماً .

فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُزَارُ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ فَيَتَوَسَّلُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى بِهِ ، وَكَذَلِكَ يتوسَّل الزَّائِرُ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَيِّتُ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ إِلَى النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَلْ يَبْدَأُ بِالتَّوَسُّلِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، إِذْ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي التَّوَسُّل ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ ، وَالْمُشَرِّعُ لَهُ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَبِمَنْ

تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين ، وَقَدْ رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِنَبِيِّك – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِعَمِّ نبيِّك فَاسْقِنَا فَيُسْقَوْنَ " انْتَهَىٰ .

ثُمَّ يتوسَّل بِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ أَعْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدِيهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِأَقَارِبِهِ وَلِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ وَلِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَلِأَحْيَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين وَلِمَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَيَجْأَرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ وَيُكْثِرُ التَّوسُّل بِهِمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اجْتَبَاهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَكَرَّمَهُمْ فَكَمَا نَفَعَ بِهِمْ فِي الدُّنيا فَفِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ ، فَمَنْ أَرَادَ حَاجَةً فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهِمْ ويتوسَّل بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَخَلْقِهِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الشَّرْعِ وَعُلِمَ مَا للهِ تَعَالَىٰ بِهِمْ مِنْ الِاعْتِنَاءِ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ ، وَمَا زَالَ النَّاس مِنْ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَكَابِرِ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ مَشْرِقاً وَمَغْرِباً يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ وَيَجِدُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ حِسّاً وَمَعْنًىٰ ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيخ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ النُّعْمَانِ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ بِسَفِينَةِ النَّجَاءِ لِأَهْلِ الِالْتِجَاءِ فِي كَرَامَاتِ الشَّيخ أَبِي النَّجَاءِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا هَذَا لَفْظُهُ : تَحَقَّقَ لِذَوِي الْبَصَائِرِ ، وَالِاعْتِبَارِ أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الصَّالحين مَحْبُوبَةٌ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ مَعَ الِاعْتِبَارِ ، فَإِنَّ بَرَكَةَ الصَّالحين جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ الْجَلِيلُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ – فِي كِتَابِ آدَابِ السَّفَرِ مِنْ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ لَهُ مَا هَذَا نَصُّهُ : الْقِسْمُ الثَّانِي : وَهُوَ أَنْ يُسَافِرَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ إِمَّا لِجِهَادٍ ، أَوْ حَجٍّ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهِ زِيَارَةُ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَقُبُورِ الصَّحَابَةِ ، وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَكُلُّ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِمُشَاهَدَتِهِ فِي حَيَاتِهِ يُتَبَرَّكُ بِزِيَارَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَيَجُوزُ شَدُّ الرِّحَالِ لِهَذَا الْغَرَضِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا لِثَلَاثِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ " .

لِأَنَّ ذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ زِيَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ فِي أَصْلِ الْفَضْلِ ، وَإِنْ كَانَ يَتَفَاوَتُ فِي الدَّرَجَاتِ تَفَاوُتاً عَظِيماً بِحَسَبِ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " . انظر : المدخل ، ابن الحاج (١/ ٢٥٤-٢٥٦) .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ السَّلامة وحسن العاقبة ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالىٰ السَّلامة بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله العصمة في القول والعمل ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " والله سبحانه وتعالىٰ المسئول في التجاوز والعفو عما مضىٰ والتدارك واللطف والإقالة مما بقي ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله الكريم من فضله أن يمنَّ علينا بما من به عليهم ، فإنه أهل لذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنِّه آمين ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " والله تعالىٰ يوفقنا وإياك لما فيه رضاه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " سلك الله بنا الطريق الأرشد ، أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهم لا تحرمنا ذلك ، فإنك وليه والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنِّك ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم تسليماً كثيراً " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهم مُنَّ علينا بذلك ، ولا تجعل حظنا منه الكلام ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالىٰ أن لا يحرمنا ذلك ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهم لا تحرمنا ذلك يا رب العالمين ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن يمن علينا بالاتباع وترك الابتداع ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن لا يحرمنا ذلك بكرمه أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهم لا تحرمنا ذلك بمنِّك وكرمك إنك علىٰ كل شيء قدير ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله السلامة بمنِّه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم ورأيهم ونظرهم أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ أن يرينا الحقَّ حقَّاً ويرزقنا اتِّباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، بمحمَّد وآله وصحبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم وَسَلَّم " . انظر : المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج ، (١/ ٢١) ، (١/ ٤٦) ، (١/ ٤٩) ، (١/ ٧٦) ، (١/ ١٩٦) ، (٢/ ١٣٠) ، (٢/ ١٤٤) ، (٢/ ١٦٤) ، (٣/ ١٢٢) ، (٣/ ١٣٢) ، (٣/ ١٣٨) ، (٣/ ١٥٢) ، (٣/ ١٨٣) ، (٣/ ٢٨٣) ، (٣/ ٢٩١) ، (٤/ ١٨) ، (٤/ ٢٧) ، (٤/ ٤٣) ، (٤/ ٥٧) ، (٤/ ١٥٤-١٥٥) بالترتيب .

وقال الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : " يَنْبَغِي لمن حج أَن يقْصد الْمَدِينَة فَيدْخل مَسْجِد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيصَلي فِيهِ وَيسلم علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلىٰ ضجيعيه أبي بكر وَعمر رَضِي الله عَنْهُمَا ويتشفع بِهِ إِلَىٰ الله وَيُصلي بَين الْقَبْر والمنبر ويودع النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا خرج من الْمَدِينَة " . انظر : القوانين الفقهية ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ، (ص٩٥) .

وقال الإمام يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزَّكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزّي (٧٤٢هـ) : " وقال أبو عبد الله الأردبيلي : سمعت أبا بكر بن أبي الخصيب يقول : ذُكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال : هذا رجل يستسقىٰ بحديثه ، وينزل القطر من السَّماء بذكره " . انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزي (١٣/ ١٨٦) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " هَذَا مَا ظَهَرَ لِكَاتِبِهِ بَلَّغَهُ اللهُ مَقَاصِدَهُ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدِّين الزيلعي الحنفي (٥/ ١٤٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) : " أعاذنا الله تَعَالَىٰ من غوائل الْحَسَد وعصمنا من مخائل النكد بمحمَّد وَآله الطيبين الطاهرين وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين " . انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (ص٣٦٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) :

فارج الْإِلَـه وَلَا تخف من غَيره | تَجِد الْإِلَه لضيق صدرك قد شــــرح
وارغب إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفىٰ | فِي كشف ضرك عل يأسو مَـــا انجــــرح
تالله مَا يَرْجُـو نداه مخلص | لسؤالــه إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَـهُ | جاه علا وعلو قدر قد رجـــــــح
وَهُوَ النَّعيم لمن توقىٰ وَاتَّقَىٰ | وَهُوَ الْجَحِيم لمن تكبر واتقـــــح
هُوَ وابل الدُّنيا إِذا شح الحيــــا | وَمُشَفَّع الْأُخْرَىٰ إِذا عرق رشــــــح

انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٩/ ١٨١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) : " أحسن الله تفخيمه فِي خير وعافية بمحمَّد وَآله " . انظر : سلاح المؤمن في الدُّعاء والذكر ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح، تقيّ الدين، المعروف بابن الإِمَام (ص٥٢٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وقال مجالد ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : ما سألت عليَّاً – رضي الله عنه – شيئاً بحقِّ جعفر إِلَّا أعطانيه " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١/ ٢٠٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة سَلمان بْن ربيعة الباهليّ : " يقال: له صُحبَة ، وقد سمع من عُمَر . رَوَىٰ عَنْهُ : أَبُو وائل ، والصُّبَيّ بْن مَعبّد ، وعمرو بْن ميمون . وكان بطلًا شجاعاً فاضلاً عابداً ، ولّاه عُمَر قضاء الكوفة ، ثُمَّ وُلِّيَ زمنَ عثمان غزو أرمينية فقُتِل ببَلَنْجَر ، وقيل : بل الَّذِي قُتِل بها أخوه عبد الرَّحمن ، وقيل : إنّ التُّرْك إذا قحطوا يستسقون بقبر سَلْمان ، وهو مدفون عندهم ، وقد جعلوا عظامه في تابوت " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (٢/ ١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٩) ، وانظر : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي (٥/ ٤٣٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " وَنَفَعَ الْمُسْلِمِيْنَ بِبَرَكَتِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، (٢/ ٦٣٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ الحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ ذَلِيْلاً ، مُسْلِماً ، مُصَلِيّاً عَلَىٰ نَبِيِّهِ ، فَيَا طُوْبَىٰ لَهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ الزِّيارة ، وَأَجْمَلَ فِي التَّذَلُّلِ

وَالحُبِّ ، وَقَدْ أَتَىٰ بِعِبَادَةٍ زَائِدَةٍ عَلَىٰ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ فِي أَرْضِهِ ، أَوْ فِي صَلاَتِهِ ، إِذِ الزَّائِرُ لَهُ أَجْرُ الزِّيارة ، وَأَجْرُ الصَّلاة عَلَيْهِ ، وَالمُصَلِّي عَلَيْهِ فِي سَائِرِ البِلاَدِ لَهُ أَجْرُ الصَّلاة فَقَطْ ، فَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَاحِدَةً ، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْراً ، وَلَكِنْ مَنْ زَارَهُ – صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ – وَأَسَاءَ أَدَبَ الزِّيارة ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ ، أَوْ فَعَلَ مَا لاَ يُشْرَعُ ، فَهَذَا فَعَلَ حَسَناً وَسَيِّئاً ، فَيُعَلَّمُ بِرِفْقٍ ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ .

فَوَاللهِ مَا يَحْصَلُ الانْزِعَاجُ لِمُسْلمٍ ، وَالصِّيَاحُ وَتَقْبِيْلُ الجُدْرَانِ ، وَكَثْرَةِ البُكَاءِ ، إِلاَّ وَهُوَ مُحِبٌّ للهِ وَلِرَسُوْلِهِ ، فَحُبُّهُ المِعْيَارُ وَالفَارِقُ بَيْنَ أَهْلِ الجنَّة وَأَهْلِ النَّارِ ، فَزِيَارَةُ قَبْرِهِ مِنْ أَفْضَلِ القُرَبِ ، وَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَىٰ قُبُوْرِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ ، لَئِنْ سَلَّمْنَا أَنَّه غَيْرُ مَأْذُوْنٍ فِيْهِ لِعُمُوْمِ قَوْلِهِ – صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ –: " لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ " .

فَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَىٰ نبيِّنا – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُسْتَلْزِمٌ لِشَدِّ الرَّحْلِ إِلَىٰ مَسْجِدِهِ ، وَذَلِكَ مَشْرُوْعٌ بِلاَ نِزَاعٍ ، إِذْ لاَ وُصُوْلَ إِلَىٰ حُجْرَتِهِ إِلاَّ بَعْدَ الدُّخُوْلِ إِلَىٰ مَسْجِدِهِ ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحِيَّةِ المَسْجِدِ ، ثُمَّ بِتَحِيَّةِ صَاحِبِ المَسْجِدِ – رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ذَلِكَ آمِيْنَ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي (٤/ ٤٨٤– ٤٨٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " قَالَ عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعرةً مِن شَعرِ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَيَضَعُهَا عَلَىٰ فِيْهِ يُقبِّلُهَا . وَأَحسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ ، وَيَغْمِسُهَا فِي المَاءِ وَيَشرَبُه يَسْتَشفِي بِهِ . ورَأَيْتُهُ أَخذَ قَصْعَةَ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَغَسلَهَا فِي حُبِّ المَاءِ ، ثُمَّ شَرِبَ فِيْهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشفِي بِهِ ، وَيَمسحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجهَه .

قُلْتُ : أَيْنَ المُتَنَطِّعُ المُنْكِرُ عَلَىٰ أَحْمَدَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ الله سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلمَسُ رُمَّانَةَ مِنبَرِ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَمَسُّ الحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، فَقَالَ : لاَ أَرَىٰ بِذَلِكَ بَأْساً ، أَعَاذنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ وَمِنَ البِدَعِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي(١١/ ٢١٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ : " أَبُو بَكْرٍ بنُ شَاذَانَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِيْسَىٰ أَحْمَدُ بنُ يَعْقُوْبَ، حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، قَالَتْ : وَقَعَ الحَرِيْقُ فِي بَيْتِ أَخِي صَالِحٍ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِفَتِيَّةٍ ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ جِهَازاً شَبِيهاً بِأَرْبَعَةِ آلاَفِ دِيْنَارٍ ، فَأَكَلَتْه النَّارُ، فَجَعَلَ صَالِحٌ يَقُوْلُ : مَا غَمَّنِي مَا ذَهَبَ إِلاَّ ثَوْبٌ لأَبِي كَانَ يُصَلِّي فِيْهِ أَتَبَرَّكُ بِهِ وَأُصَلِّي فِيْهِ . قَالَتْ: فَطُفِئَ الحَرِيْقُ، وَدَخَلُوا، فَوَجَدُوا الثَّوْبَ عَلَىٰ سَرِيرٍ قَدْ أَكلتِ النَّارُ مَا حَوْلَهُ وَسَلِمَ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١١/ ٢٣٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " ... وَقَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غداةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيكُوْنُ عندَكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إِلَى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بنِ إِسْمَاعِيْلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يتوسَّل بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٢/ ٤٣٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " وَقَالَ محمَّد بن أحمد البلخي ورَّاق البخاري : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غدَاةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيكُوْنُ عندَكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إِلَى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بنِ إِسْمَاعِيْلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يتوسَّل بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٢/ ٤٧٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي السَّرَّاجُ أَبُو الحَسَنِ محمَّد بنُ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ : " حَدَّثَ أَبُو الحَسَنِ - رَحِمَهُ اللهُ - مِنْ أُصولٍ صحيحَةٍ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ : رَأَيْتُ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي المَنَامِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَحْيَى بنِ يَحْيَى ، وَتَقَدَّمَ وَصَفَّ خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : هَذَا القَبْرُ أَمَانٌ لأَهْلِ هَذِهِ المَدِيْنَةِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٦/ ١٦٢) .

وقال شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة ابن فورك : " قَالَ عَبْدُ الغَافِرِ فِي (سيَاق التَّارِيْخ) : الأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ قَبْرُهُ بِالحِيرَة يُسْتَسقَى بِهِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٧/ ٢١٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ أَحْمَدَ الأَرْدَسْتَانِيُّ : " قَالَ شِيْرَوَيْه : كَانَ ثِقَةً يُحْسِنُ هَذَا الشَّأْن ، سَمِعْتُ عِدَّةً يَقُوْلُوْنَ : مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا وَالآخِرَة يَزُوْرُ قَبْره وَيدعُوهُ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ . قَالَ : وَجَرَّبْتُ أَنَا ذَلِكَ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٧/ ٤٢٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة ابْنُ زِيْرَكَ محمَّد بنُ عُثْمَانَ بنِ أَحْمَدَ القُوْمَسَانِيُّ : " وَقَبرُهُ يُزَار ، وَيُتَبَرَّكُ بِهِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٨/ ٤٣٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، في ترجمة أَبُي الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ حُمَيْدِ بنِ عَلِيٍّ الذُّهْلِيُّ : " وَكَانَ وَرِعاً ، تَقيّاً ، مُحْتَشِماً ، يُتَبَرَّك بِقَبرِهِ " . انظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (١٨/ ١٠١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة صالح بن أحمد بن محمَّد أبو الفضل التَّميمي الهمذاني السّمسار : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : تذكرة الحفاظ ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ،(٣/ ١٢٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " قال أبو الرَّبيع بن سالم الحافظ : كان وقت وفاة أبي محمَّد بن عبيد الله قحط مضر ، فلمَّا وضع على شفير القبر توسَّلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطراً وابلاً ، وما اختلف النَّاس إلى قبره مدَّة الأسبوع إلَّا في الوحل والطِّين " . انظر : تذكرة الحفاظ ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٤/ ١١١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة صالح بن يونس أَبُو شُعَيْب الواسطي الزَّاهد : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٦/ ٧٥٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة القاسم بْن محمَّد بْن محمَّد بْن عَبْدُوَيْه ، أَبُو أَحْمَد الهَمَذَانيّ الصَّيْرفيّ السّرّاج المتوفَّى (٣٤٧هـ) : " وكان أحد الصَّالحين يُتبرَّك بقبره " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي ، (٧/ ٨٥٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، (٨/ ٧٨٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة محمَّد بْن الحَسَن بْن فُورَك ، أبو بَكْر الإصبهانيّ الفقيه المتكلِّم : " قَالَ عَبْد الغافر بْن إسماعيل : قبرهُ بالحِيرة يُسْتَسْقى بِهِ " .

انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (٩/ ١٠٩) ، سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي (١٣/ ٢٤) ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٤/ ١٣٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " فالله يمتع ببقائه أهل المصرين ، ويجمع له ولمواليه خير الدَّارين ، بمحمَّد وآله " . انظر : العبر في خبر من غبر ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٤/ ٢٠٠) .

وقال الإمام محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) : " والله أسأل أن ينفع به ، بمحمَّد وآله " . انظر : نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (ص١) .

وقال الإمام أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) : " أدام الله أيَّام مولاي ، وجعلها موشحة بالخلود منسمة بالإقبال والسُّعود ما لاحت ذكاء ، وطلعت الجوزاء ، بمحمَّد وآله " . انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧/ ١٥٥) .

وقال الإمام تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حيًّا قبل ٧٤٩ هـ) : " ويُبَاحُ التَّوسُّل بالصُلَحَاء " . انظر : كتاب المنور في راجح المحرر علىٰ مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أحمد بن محمَّد بن حنبل ، تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (ص١٩٠) .

وقال الإمام عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) : " وجعل أعمارهم أطول الأعمار ، بمحمَّد وآله الطيِّبين الطَّاهرين وصحبه الكرام المنتجبين " . انظر : مشيخة القزويني ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (ص٧٩) .

وقال الإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " اعلم أنَّه يجوز ويحسن التَّوسُّل والاستعانة والتَّشفُّع بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربِّه سبحانه وتعالىٰ ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكلِّ ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السَّلف الصَّالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتىٰ جاء ابن تيمية فتكلَّم في ذلك بكلام يُلبِّس فيه علىٰ الضُّعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار " . انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (ص١٣٣) .

وقال الإمام تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي : " وليس المراد نسبة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إلىٰ الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم ، فصرفُ الكلام إليه ومنْعُهُ من باب التَّلبيسِ في

الدِّين ، والتَّشويشِ علىٰ عوام الموحِّدين ، وإذْ قد تحرَّرت هذه الأنواع والأحوال في الطَّلب من النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وظهر المعنىٰ ، فلا عليك في تسميته توسُّلاً ، أو تشفُّعاً ، أو استغاثة ، أو تجَوُّهاً – أي : توسُّلاً بالجاه- ، أو تَوَجُّهاً ؛ لأنَّ المعنىٰ في جميع ذلك سواء...

وأمَّا الاستغاثة : فهي طلب الغوث ، وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالىٰ وحده ، كقوله تعالىٰ : أُلخ لم لىٌّ [الأنفال : ٩] ، وتارة يطلب ممَّن يصح إسناده إليه علىٰ سبيل الكسب ، ومن هذا النوع : الاستغاثة بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي هذين القسمين تعدّىٰ الفعل تارة بنفسه كقوله تعالىٰ : أأ [القصص:١٥] ، وتارة بحرف الجر ، كما في كلام النُّحاة في المُستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالىٰ فاستغاث بهم ليشتروا له كليبا ، فيصح أن يقال : استغثتُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واسْتغيث بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنىٰ واحد ، وهو طلب الغوث منه بالدُّعاء ونحوه علىٰ النَّوعين السَّابقين في التَّوسُّل من غير فرق ، وذلك في حياته وبعد موته ، ويقول : استغثت الله وأستغيث بالله ، بمعنىٰ : طلب خلق الغوث منه ، فالله تعالىٰ مُسْتَغَاثٌ ، فالغوث منه خَلْقاً وإيجاداً ، والنَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مستغاثٌ ، والغوث منه تسبُّباً وكَسْباً ، ولا فرق في هذا المعنىٰ بين أن يُستعمل الفعل متعدِّياً بنفسه أو لازماً أو تعدَّىٰ بالباء .

وقد تكون الاستغاثة بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ وجه آخر ، وهو أن يُقال : استغثتُ الله بالنَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما تقول : سألت الله بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيرجع إلىٰ النَّوع الأوَّل من أنواع التَّوسُّل ، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده ، وقد يُحذفُ المفعول به ، ويقال : استغثت بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنىٰ ، فصار لفظ الاستغاثة بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له معنيان :

أحدهما : أن يكون مستغاثاً ، والثَّاني : أن يكون مستغاثاً به ، والباء للاستعانة .

فقد ظهر جواز إطلاق الاستغاثة والتَّوسُّل جميعاً ، وهذا أمر لا يُشَكُّ فيه ، فإنَّ الاستغاثة في اللغة طلب الغوث ، وهذا جائزٌ لغةً وشرعاً من كلِّ من يقدر عليه ، بأي لفظ عبر عنه ، كما قالت أمُّ إسماعيل : " أغث إن كان عندك غواث " . انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (ص١٤٦-١٤٧) .

وألَّف الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي كتاباً سمَّاه : " شفاء السّقام في زيارة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام " .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي : " أَمْتَعَنِي اللهُ بِحَيَاتِهِ وَزَادَ فِي حَسَنَاتِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي ، أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (١/ ٢٥٥) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي : " ... وَاَللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي ، أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٢/ ٣٠٩) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " وَاَللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيه ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي ، أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (١/ ٣٠٠) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي (٧٥٦هـ) وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب (٧٧١هـ) : " أسأل الله تعالىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موجباً للفوز لديه وأن يعمّ النَّفع به ، بمحمَّد وآله وصحبه " . انظر : الإبهاج في شرح المنهاج ، تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهاب (٣/ ٢٧٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطّرسوسي ، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) : " رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنَّة مثواه ، بمحمَّد وآله آمين " . انظر : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدِّين الحنفي (ص١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزَّيلعي (٧٦٢هـ) : " أحسن الله عَاقبَتهَا بمحمَّد وَآله وَصَحبه وَسلم تَسْلِيماً دَائِماً أبداً إِلَى يَوْم الدِّين " . انظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزيلعي (٤/ ٣٤٧) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّاميني ثُمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : أَنَّه يتوسَّل بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينىٰ ثُمَّ الصالحي الحنبلي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام العلَّامة الفقيه أبو عبدالله شمس الدِّين محمَّد بن مفلح بن محمَّد المقدسي ، ثُمَّ الصَّالحي الرَّاميني ، شيخ الحنابلة في وقته : " وَرَوَىٰ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي كِتَابِهِ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهَّ احْبِسُوا ، فَإِنَّ للهَّ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ " . قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ إمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ : حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثاً مَاشِياً فضللت الطَّريق في حجَّة وكنت ماشياً فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهَّ دُلُّونَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَعْت عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " . انظر : الآداب الشرعية ، أبو عبدالله شمس الدِّين محمَّد بن مفلح بن محمَّد المقدسي ، ثُمَّ الصالحي الراميني(١/ ٤٥٧-٤٥٨) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثُمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : أَنَّه يتوسَّل بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَهَا شَيْخُنَا كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : والتَّوسُّل بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، والصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ مَشْرُوعٌ ، فِي قَوْله تَعَالَى: ﭐﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ [المائدة : ٣٥] . وَقَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ : فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلام : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " : الِاسْتِعَاذَةُ لَا تَكُونُ بِمَخْلُوقٍ ، قَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ . وَقَالَ شَيْخُنَا : قَصْدُهُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ بِدْعَةٌ لَا قُرْبَةٌ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ ، وَقَالَ أَيْضًا: يحرم بلا نزاع بين الأئمة " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينى ثُمَّ الصالحي الحنبلي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ) : " قَالَ الشَّيخ شمس الدِّين الذَّهبي وَمن خطه نقلْتُ : حَدثنِي الإِمَام محمَّد بن منتاب أَنَّ عز الدِّين يُوسُف الْموصِلِي كتب إِلَيْهِ وَأرَانِي كِتَابه ، قَالَ : كَانَ لنا رَفِيق يشْهد مَعنا فِي سوق الطَّعَام ، يُقَال لَهُ : الشَّمْس بن الحشيشي ، كَانَ يسبُّ أَبَا بكر وَعمر رضى الله عَنْهُمَا ، ويبالغ ، فَلَمَّا ورد شَأْن تَغْيِير الْخطْبَة إِذْ ترفض القان خربندا افترى وَسَب ، فَقُلْتُ : يَا شمس قَبِيح عَلَيْك أَن تسبَّ وَقد شبت ، مَالك وَلَهُم ، وَقد درجوا من سبع مَاية سنة ، وَالله يَقُول : " تِلْكَ أمة قد خلت " فَكَانَ جَوَابه : وَالله إِنَّ أَبَا بكر وَعمر وَعُثْمَان فِي النَّار . قَالَ ذَلِك فِي مَلأ من النَّاس ، فَقَامَ شعر جَسَدِي ، فَرفعت يَدي إِلَى السَّمَاء ، وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ يَا قاهر فَوق عباده ، يَا من لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء ، أَسأَلك بنبيك إِن كَانَ هَذَا الْكَلْب على الْحق فَأنْزل بِي آيَة ، وَإِن كَانَ ظَالِماً ، فَأنْزل بِهِ مَا يعلم هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَة أَنَّه على الْبَاطِل فِي الْحَال ، فورمت عَيناهُ حَتَّى كَادَت تخرج من وَجهه ، واسودَّ جِسْمه حَتَّى بَقِي كالقبر ، وانتفخ وَخرج من حلقه شَيْء يصرع الطُّيُور ، فَحمل إِلَى بَيته ، فَمَا جَاوز ثلاثة أَيَّام حَتَّى مَاتَ ، وَلم يتَمَكَّن أحد من غسله مِمَّا يجْرِي من جِسْمه وَعَيْنَيْهِ ، وَدفن . وَقَالَ ابْن منتاب : جَاءَ إِلَى بَغْدَاد أَصْحَابنَا وَحَدثُوا بِهَذِهِ الْوَاقِعَة ، وَهِي صَحِيحَة ، وَتُوفِّي سنة عشر وَسبع مَاية " . انظر : الوافي بالوفيات ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٣/ ١٨-١٩) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي : " لا زال جابراً بقبوله وإقباله ، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمَّد وآله إن شاء الله تعالىٰ " . انظر : أعيان العصر وأعوان النصر ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصفدي (٤/ ٦٦٩) .

وقال الإمام محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) في ترجمة يحيىٰ بن يوسف بن يحيىٰ بن منصور بن المعمر بن عبد السَّلام ، جمال الدِّين الشَّيخ العلَّامة الزَّاهد الضَّرير، أبو زكريَّا الصّرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب النَّاظم : " وقال أيضاً يمدح سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فاق البسيطة عزَّة ومهابـــــــة فسما وعزّ من البرية جـــــاره

حفت بجاه المصطفىٰ أقطـــــاره يحمي النَّزيـــــل وكيف لا يحمي وقد

انظر : فوات الوفيات ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدِّين (٤/ ٣٠١-٣٠٢) .

وقال الإمام خالد بن عيسىٰ بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفىٰ: بعد ٧٦٧هـ) : " ... وها أنا أقف موقف الخجل والتَّقصير ، وأسأل الله العلي الكبير ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد رسوله البشير النَّذير ، أن يجعله حجّاً مبروراً ، وسعياً مباركاً مشكوراً ، وعملاً صالحاً متقبلَّاً مذخوراً " . انظر : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، خالد بن عيسىٰ بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء، (ص١٤٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) : " اللهمَّ إنَّا نسألك التَّوفيق ، ونعوذ بك من الخذلان والتَّعويق ، بجاه نبيِّك الكريم ، عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم " .
انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٢/ ١٧٥) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

ووفق لما ترضى بجاه محمَّد وواصل له أزكىٰ الصَّلاة مديماً

انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٢/ ٦٨) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

قصور وحور لا تطاق صفاتهـــــا وكلّ نعيم ما لـــه العقل يعقل

إلهي بجاه المصطفىٰ لا حرمتنـــــا نعيماً بها يا نعم مولىٰ مؤمل

وصلِّ علىٰ تاج العلـــىٰ سيِّد الورىٰ   رسول كريم لا يساويه مرســـــل

انظر أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٢/ ٣٢٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : " نسأل الله الكريم الاستقامة علىٰ الدِّين القويم ، بجاه نبيِّه عليه أفضل الصلوات والتسليم " . انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٣/ ٧٧) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) : " وأسأله أن يتقبَّل ما ذكرت من دعائه ، وأن يغفر لنا جميع الذُّنوب ، ويبلغنا من الخيرات كلّ مطلوب ، بجاه نبيه المصطفىٰ المكرَّم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم " . انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٤/ ٢٤١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

إلهي بجاه المصطفىٰ سيِّد الورىٰ   وملجأهم من كلِّ ما منه يهرب

وتاج العلي بدر الهدىٰ معدن النَّدىٰ   طراز جمال الكـــــون أبهج مذهب

أنلني منائي منك يا غاية المنـــــىٰ   لا ضحىٰ ولي شغـــل بحبك مذهب

انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٤/ ٢٤٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي الفيُّومي ثُمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) : " وَنَسْأَلُ اللهَّ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ طَالِبَهُ وَالنَّاظِرَ فِيهِ ، وَأَنْ يُعَامِلَنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، بمحمَّد وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ " . انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثُمَّ الحموي، أبو العبَّاس (٢/ ٧١٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : "

فاسأل إلهك بالنَّبي محمَّد   متوسِّلاً تظفر بِكُلِّ أَمَان

انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٣/ ٣٨٢) .

وفي كتابه معجم الشُّيوخ ذكر الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي قصيدة الإمام الأديب جمال الدِّين بن نُباتة الفارقي (٧٦٨هـ) المسمَّاة بالقصيدة اللاميَّة ، وهي في ديوانه ، وذكر أنَّه سمعها منه ، وفيها :

يا خـــاتم الرُّسل لي في المذنبين	غداً على شـــفاعتك الغرَّاء تعويل
صلَّى عليك الذي أعطــاك منزلةً	شفيعها في مقام الحشر مقبـــــول
أنت المَــــلاذُ لنا دنيا وآخِـــــرةً	فباب قصدك في الدَّارين مأهــــــول

انظر : معجم الشيوخ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (ص٤٦٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة الإمام محمَّد بن عبد اللَّطِيف بن يحيى بن عَليّ بن تَمام السُّبكي الْفَقِيه الْمُحدث الأديب المتفنِّن تقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح : " وَمن شعر الشَّيخ تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح :

فارج الْإِلَه وَلَا تخف من غَيره	تَجِد الْإِلَـه لضيق صدرك قد شرح
وارغب إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفى	فِي كشف ضرك عل يأسو مَا انجـــــرح
تالله مَا يَرْجُو نداه مخلص	لسؤالــــه إِلَّا تهلل وانشـــــــرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَــــهُ	جاه علا وعلو قدر قد رجـــح
وَهُوَ النَّعيــــم لمن توقى وَاتَّقى	وَهُوَ الْجَحِيم لمن تكبر واتقـــح
هُوَ وابل الدُّنيا إِذا شح الحيـــــا	وَمُشَفَّع الْأُخْرَى إِذا عرق رشـــــح

انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٩/ ١٨١) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَى بن أبي نصر الْكرْدِي الشهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ـ وقبره على الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يزار ويتبرَّك بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْد قَبره مستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، (٨/ ٣٢٨) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة أَحْمد بن على بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٣/ ٢٠) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي ، في ترجمة محمَّد بن الْحسن بن فورك الْأُسْتَاذ أَبُو بكر الْأَنْصَارِيّ الْأَصْبَهَانِيّ : " ... ودعي إِلَىٰ مَدِينَة غزنة وَجَرت لَهُ بهَا مناظرات ، وَلما عَاد مِنْهَا سم فِي الطَّرِيق ، فَتوفي سنة سِتّ وَأَرْبَعمِائَة حميداً شَهِيداً ، وَنقل إِلَىٰ نيسابور وَدفن بِالْحيرَةِ وقبره ظَاهر ، قَالَ عبد الغافر : يُستسقىٰ بِهِ ويُستجاب الدُّعاء عِنْده " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٤/ ١٣٠) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة حسَّان بن محمَّد بن أَحْمد بن هَارُون بن حسان بن عبد الله بن عبد الرَّحمن ابْن عَنْبَسَة بن سعيد بن الْعَاصِ القرشي الأموي الإِمَام الْجَلِيل أحد أَئِمَّة الدُّنيا أَبُو الْوَلِيد النَّيسابوري : " ... قَالَ وَسمعت أَبَا الْحسن عبد الله بن محمَّد الْفَقِيه يَقُول مَا وَقعت فِي ورطة قطّ وَلَا وَقع لي أَمر مُهِمّ فقصدت قبر أَبِىٰ الْوَلِيد وتوسَّلت بِهِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ إِلَّا اسْتَجَابَ الله لي " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٣/ ٢٢٨) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي : " وأنا أسأل الله تعالىٰ وأتضرَّع إليه ، وأتوسَّل إليه بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّه أكرم خلقه عليه ، أن يسكنه وإيَّاىٰ وسائر ذريته فىٰ الجنَّة مكاناً مرفوعاً " . انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (١/ ٣٠) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) :

بجاه رسول الله قد نلت كلّ ما ... أتىٰ وسيأتىٰ دائمـــاً بأمان

فصلّىٰ عليه الله ما ذرّ شـــــارق ... وسلّم ما دامت لـــه الملوان

انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (١/ ٢٧٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَدْ رُوِّينَا أَنَّ عُمَرَ عَسَّ الْمَدِينَةَ ذات ليلة عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً يَضْحَكُ ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاس فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَىٰ الْعَادَةِ ، وَلَمْ ير سَائِلاً يَسْأَلُ ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ السُّؤَّالَ سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ ، وَالنَّاسُ فِي هَمٍّ وَضِيقٍ فَهُمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . وَكَتَبَ إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . فَبَعَثَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَسَائِرَ الْأَطْعِمَاتِ ، وَوَصَلَتْ مِيرَةُ عَمْرٍو فِي الْبَحْرِ إِلَىٰ جُدَّةَ وَمِنْ جُدَّةَ إِلَىٰ مكَّة .

وَهَذَا الْأَثَرُ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ ، لَكِنَّ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ مُشْكِلٌ ، فَإِنَّ مِصْرَ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامُ الرَّمَادَةِ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، أَوْ يَكُونَ ذِكْرُ عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " . انظر : البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٧/ ٩٠) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدمشقي: " وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : لَمَّا افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي مَالِ بَيْتِ الْهُرْمُزَانِ سَرِيراً ، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَعَا لَهُ كَعْباً فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا . فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ (٩٠هـ) : مَا كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : سِيَرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ . قُلْتُ : فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْراً مُتَفَرِّقَةً ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا ؛ لِنُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاس فَلَا يَنْبِشُونَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَرْجُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَانَتِ السَّماء إِذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ . قُلْتُ : مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دَانْيَالُ . قُلْتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . قُلْتُ : مَا تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا شَعَرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ ؛ إِنَّ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السِّبَاعُ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مَحْفُوظاً مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ لِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ وَالْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ: سِتُّمِائَةٍ . وَقِيلَ : سِتُّمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَدْ يَكُونُ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَقْتِ دَانْيَالَ إِنْ كَانَ كَوْنُهُ دَانْيَالَ هُوَ الْمُطَابِقَ لِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَجُلاً آخَرَ ؛ إِمَّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الصَّالحين ، وَلَكِنْ قَرُبَتِ الظُّنُونُ أَنَّه دَانْيَالُ ، لِأَنَّ دَانْيَالَ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَسْجُوناً ، كَمَا تَقَدَّمَ " .
انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (٢/ ٣٧٦-٣٧٧) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي ، في ترجمة سَعْدُ بْنُ علي ابن محمَّد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّنْجَانِيُّ (٤٧١هـ) : " رَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ إِمَاماً حَافِظاً مُتَعَبِّداً ، ثُمَّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ النَّاس يَتَبَرَّكُونَ بِهِ . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧هـ) : وَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُقَبِّلُونَ الحجر الأسود " . انظر : البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (١٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، في ترجمة مُحَمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو شُجَاعٍ، الْمُلَقَّبُ ظَهِيرَ الدِّينِ، الرُّوذَرَاوِرِيُّ الْأَصْلِ الْأَهْوَازِيُّ (٤٨٨هـ) : " وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاس ، خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ ، ثُمَّ عُزِلَ عَنِ الْوَزَارَةِ فَسَارَ إِلَى الْحَجِّ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ مَرِضَ ، فَلَمَّا ثَقُلَ فِي الْمَرَضِ جاءَ إِلَى الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٦٤] ، وَهَا أَنَا قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِي وَأَرْجُو شَفَاعَتَكَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ رَحِمَهُ اللهُ ، ودفن في البقيع " . انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (١٢/ ١٨٥) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي : " ثُمَّ ظَهَرَتْ عِنْدَنَا بِالْحَرَّةِ وَرَاءَ قُرَيْظَةَ عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِقِيَّةِ بِالْمَقَاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الظُّهْرِ نَارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفَجِرُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَارْتَاعَ لَهَا النَّاس رَوْعَةً عَظِيمَةً ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّماء يَنْعَقِدُ حَتَّى يَبْقَى كَالسَّحَابِ الأبيض ، فيصل إِلَى قَبْلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ ظَهَرَتِ النَّارُ لَهَا أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الهواء إلى السَّماء حمراء كأنها القلعة ، وَعَظُمَتْ وَفَزِعَ النَّاس إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبوي وَإِلَى الْحُجْرَةِ الشَّريفة ، وَاسْتَجَارَ النَّاس بِهَا وَأَحَاطُوا بِالْحُجْرَةِ وكشفوا رؤوسهم وَأَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَجَارُوا بِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام ، وَأَتَى النَّاس إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمِنَ النَّخْلِ ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالصِّبْيَانُ ، وَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ وَأَخْلَصُوا إِلَى اللَّهِ " . انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (١٣/ ٢٢٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي في ترجمة ابن تيمية : " ... تَقَدَّمَ فِي الصَّلاة عَلَيْهِ أولاً الشَّيخ محمَّد بْنُ تَمَّامٍ ، ثُمَّ صُلِّيَ عَلَيْهِ بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع النَّاس على ما تقدَّم ذكره ، ثُمَّ تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثُمَّ حمل بعد أن يصلِّي عليه على الرؤوس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدُّعاء له ، وألقى النَّاس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل النَّاس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة ، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر النَّاس ، وَخَرَجَ النَّاس مِنَ الْجَامِعِ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّهَا وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثُمَّ خرج النَّاس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام مِنَ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ : بَابِ الْفَرَجِ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ الْجِنَازَةُ ، وَبَابِ الْفَرَادِيسِ ، وَبَابِ النَّصْرِ ، وَبَابِ الجابية .

وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر النَّاس ، ووضعت الجنازة هناك وَتَقَدَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّين عبد الرَّحمن ، فلم قُضيت الصَّلاة حمل إِلَى مَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّين عَبْدِ اللهَّ رَحِمَهُمَا اللهُّ ، وَكَانَ دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلِّي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرىٰ وغيرهم ، وأغلق النَّاس حَوَانِيتَهُمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْحُضُورِ إِلَّا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحُّم والدُّعاء له ، وأنَّه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كنَّ علىٰ الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحَّمن ويبكين عليه فيما قيل .

وأمَّا الرجال فحرزوا بستِّين ألفاً إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ إلىٰ أكثر من ذلك إلىٰ مائتي ألف ، وشرب جماع الْمَاءَ الَّذِي فَضَلَ مِنْ غُسْلِهِ ، وَاقْتَسَمَ جَمَاعَةٌ بقية السِّدر الذي غسل به ، ودفع في الْخَيْطَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الزِّئْبَقُ الَّذِي كَانَ في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وَقِيلَ إِنَّ الطَّاقِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ دفع فيها خمسمائة درهماً .

وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرُّع ، وختمت له ختمات كثيرة بالصَّالحيَّة وبالبلد ، وَتَرَدَّدَ النَّاس إِلَى قَبْرِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً لَيْلاً ونهاراً يبيتون عنده ويُصبحون ... " . انظر : البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (١٤/ ١٥٦-١٥٧) .

فما رأيكم يا من تدَّعون السَّلفيَّة بصنيع أتباع ابن تيمية الذي نقله تلميذه ابن كثير بتقرير ومن غير نكير ؟!!! فهل تكفِّرون أتباع ابن تيمية علىٰ ما صنعوا من التَّبرُّك به أثناء تشييع جنازته ؟!!! أم أنَّ هذا الصَّنيع عندكم حتمٌ لازم بحقِّ من نعتُّموه بشيخ الإسلام مع أنَّه (شَرْخُ الإِسْلَام) لا شَيْخه ... أفيدونا ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدمشقي: " أجزل الله ثوابه ، وأحسن مآبه بمحمَّد وآله والصَّحابة آمين " . انظر : طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (ص٩٤) .

وقال الإمام ابن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي ، في حديثه عن النار التي ظهرت في الحجاز : " ... وَهَذِهِ النَّارُ فِي أَرْضٍ ذَاتِ حَجَرٍ لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا نَبْتَ ، وَهِيَ تَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ ، وَهِيَ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، حَتَّىٰ تَعُودَ كَالطِّينِ الْمَبْلُولِ ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ الْهَوَاءُ حَتَّىٰ يَعُودَ كَخَبَثِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْكِيرِ ، فَاللهُّ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، بمحمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ " . انظر : البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (١٣/ ٢٢٤-٢٢٥) .

وفي كتابه : " البداية والنِّهاية " أثبت الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) أنَّ الإمام ابن تيمية قال : " لا يُستغاث إلَّا بالله ، لا يُستغاث بالنَّبي استغاثة بمعنىٰ العبارة ، وَلَكِنْ يتوسَّل بِهِ وَيُتَشَفَّعُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ " . انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير (١٤/ ٥١٢) .

وقال الإمام عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) : " ... وأسأل الله الْعَظِيم بجاه رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِتْمَامه في خير وعافية " .

وقال أيضاً : " ... رزقنا الله مَا رزقه بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي ، (١/ ٣٥٣) ، (٢/ ٤٢) ، بالترتيب .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسىٰ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) : " أسألك بجاه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيشة سوية ، وميتة نقية " . انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ، خليل بن إسحاق بن موسىٰ ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٨/ ٦٢٠) .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسىٰ ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري: " ونسأل الله العظيم بجاه النَّبي الكريم أن يعصمنا منها، وأن يميتنا علىٰ الإسلام وهو راض عنا " . انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ، خليل بن إسحاق بن موسىٰ ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٨/ ٢١٥) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، في ترجمة علي بن أحمد بن خلف بن محمَّد بن الباذش الأنصاري : " ... ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم النَّاس علىٰ نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجّع النَّاس علىٰ قبره .

وقبره مشهور ، يتبرّك به النَّاس " . انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٤/ ٧٨) .

وقال الإمام لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله : " ... اللهمَّ الإعانة علىٰ التَّمام بجاه سيِّد الأنام ، عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ السَّلام " . انظر : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله (١/ ٢٥) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) :

بجاه رَسُول الله نسْأَل فاكفنا   عَلَيْهِ صَلَاة الله نوفي بهَا النَّظما

انظر : نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشَّريف والرد علىٰ ماقتهم السخيف ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (ص٩٠) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن أحمد بن موسىٰ ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) : " وأسأله متوسلاً بهذا الرَّسول الكريم عليه أن يصلِّي عليه في كلِّ وقت ويسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه" . انظر : تخريج الدلالات السمعية علىٰ ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسىٰ ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (ص٧٩٨) .

وقال الإمام سعد الدِّين التفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) : " ... ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخبرات واستدفاع الملمَّات ، فإنَّ للنَّفس بعد المفارقة تعلقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفنت فيها ، فإذا زار الحيُّ تلك التربة ، وتوجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النَّفسين ملاقاة وإفاضات ..." . انظر : شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٢/ ٤٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري (٧٩٩هـ) : " وأخبرني جمال الدِّين : عبد الله بن محمَّد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري المحدث : أحد الصوفية بخانقاه سعيد السعيداء في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، قال : رحلنا مع شيخنا تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) إلىٰ دمشق فقصد زيارة نعل سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بدار الحديث الأشرفيَّة بدمشق ، وكنت معه ، فلمَّا رأىٰ النَّعل المكرَّمة حسر عن رأسه وجعل يقبِّله ويمرِّغ وجهه عليه ودموعه تسيل ، وأنشد :

فلو قيل للمجنون ليلىٰ ووصلها ... تريد أم الدُّنيا وما في طواياها

لقال غبار من تراب نعالها ... أحبُّ إلىٰ نفسي وأشفىٰ لبلواها

انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري (٢/ ٨١) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) : " نفع الله بالجميع بمحمَّد وآله وجعلهم مقرَّبين من رضوانه مبعدين من سخطه وحرمانه نافعين لكاتبهم وسامعهم نفعاً شاملاً في الحال والمآل ... " . انظر : خلاصة البدر المُنير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (١/ ٥) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري : " أسألُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَىٰ أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمِّها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله "

. انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري : " جعل الله ذَلِكَ خَالِصا لوجهه ، بمحمَّد وَآله " . انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٢/ ١٨٥) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري : " ... أسأَلُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَىٰ أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله " . انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري في ترجمة يحيىٰ بن معاذ الرَّازي الواعظ أبو زكريَّا (٢٥٨هـ) : " أحد الأوتاد ، وكان أوحد وقته في فنه .

مات سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقبره بنيسابور يُستسقىٰ به ، ويُتبرَّك بزيارته " . انظر : طبقات الأولياء ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، (ص٣٢١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري : " أسال الله الكريم إتمامه والنَّفع به بمحمَّد وآله " . انظر : الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، (١/ ١٣٢) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري : " أدام الله النَّفْع بِعُلُومِهِ بمحمَّد وَآله آمين " . انظر : غاية السول في خصائص الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، (ص٦٧) .

وقال الإمام أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، في كلامه علىٰ حديث : " أُدْنُنِي مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ " : " ... وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالحين لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَام بِحَقِّهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِقَبْرِ السَّيِّدِ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلام - عَلَامَةً مَوْجُودَةً فِي قَبْرٍ مَشْهُورٍ عِنْدَ النَّاس الْآنَ بِأَنَّهُ قَبْرُهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَوْضِعَ الْمَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إلَيْهِ النَّبي - عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام - ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حِكَايَاتٌ وَمَنَامَاتٌ . وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ : حَدَّثَنِي الشَّيخ سَالِمٌ التَّلُّ ، قَالَ : مَا رَأَيت اسْتِجَابَةُ الدُّعاء أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ ، وَحَدَّثَنِي الشَّيخ عَبْدُ

اللهَّ بْنُ يُونُسَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَرْمَنِيِّ أَنَّه زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وأَنَّه نَامَ فَرَأَىٰ فِي مَنَامِهِ قُبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللهَّ أَوْ قَالَ نَبِيُّ اللهَّ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : قُلْ لِي شَيْئاً فَأَوْمَىٰ إلَيَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ وَوَصَفَ طُولَهُنَّ ، فَانْتَبَهْت فَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ ، فَأَخْبَرْت الشَّيخ ذَيَّالَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : يُولَدُ لَك أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ ، فَقُلْتُ : أَنَا قَدْ تَزَوَّجْت امْرَأَةً فَلَمْ أَقْرَبهَا ، فَقَالَ : تَكُونُ غَيْرَ هَذِهِ فَتَزَوَّجْت أُخْرَىٰ فَوَلَدَتْ لِي أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ " . انظر : طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، (٣/ ٣٠٣) .

وقال الإمام كمال الدِّين ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) : " نسأل الله تعالىٰ الثَّبات عند المات ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : النجم الوهاج في شرح المنهاج ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٣/ ١٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي : " ... نسأله سبحانه وتعالىٰ من فيض فضله العميم ، ونتوسَّل إليه بجاه نبيِّه الكريم ، أن يرزقنا إيماناً دائماً ، وقلباً خاشعاً ، وعلماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قيِّماً والعافية من كلِّ بليَّة ، وتمام العافية ، ودوام العافية ، والشُّكر علىٰ العافية ... " . انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون (٦/ ٤٩) .

وقال الإمام محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي : " وكان رجل من عباد الله الصَّالحين الموحِّدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالىٰ عنه ، فقال له : علِّمني اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطىٰ ، فقال : قل هذه الكلمات صباحاً ومساء ، فإنَّه ما دعا بهنَّ خائف ، إلَّا أمن ، ولا سائل إَلَّا أعطاه الله مسألته ، وهي هذه الكلمات : يا من له وجه لا يبلىٰ ونور لا يطفىٰ ، واسم لا ينسىٰ ، وباب لا يغلق ، وستر لا يهتك ، وملك لا يفنىٰ ، أسألك وأتوسَّل إليك بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدِّين الشَّافعي (١/ ٥٩) .

وقال الإمام محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي : " ... نصره الله نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحمد لله وحده " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي ، (١/ ١٥١) .

وقال الإمام محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي : " ... فنسأل الله التَّوفيق والهداية والأمانة علىٰ الإيمان به وبرسوله ، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه ، بمحمَّد وآله " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي (١/ ١٥١).

وقال الإمام محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي : " ... أسألك وأتوسل إليك بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي ، بمحمَّد وآله " .انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي (١/ ٣١٧) .

وقال الإمام محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي : " نسأل الله تعالىٰ السَّلامة ، وحسن الخاتمة ، بجاه سيِّدنا محمَّد وآله " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري ، أبو البقاء، كمال الدِّين الشَّافعي (١/ ٣١٧) .

وقال الإمام أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) : " وَمن توسَّل إِلَيْهِ بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجاه ونفعه " . انظر : وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ ، تحقيق : سليمان العيد المحامي (ص٣١) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفَّق الدِّين (٨١٢هـ) : " خلَّد الله ملكه ، وأبقىٰ عدله وزاد كل يوم دولته بمحمَّد وآله" . انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن موفق الدِّين (٢/ ٢٠٥) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين : " ... وفي هذه الواقعة يقول القسم بن علي بن هُتَيْملٍ يمدح السُّلطان الملك المظفَّر : ...

أحيتهُ بالعفو ثُمَّ لقيتـــــــهُ ... ببشاشةٍ وسكينةٍ ووقـــــار

ووهبتهُ دمهُ بجـــــاه محمَّد ... ورضى عليّ وجعفر الطيـــــار

لو أنَّ غيرك يا مظفَّر صـــــادهُ ... لكساهُ ثوبي ذلَّة وصَغـــــار

انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين (١/ ١٧٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثُمَّ القاهري (٨٢١هـ) : " وأما الكتب التي تكتب إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، فقد جرت عادة الأمّة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته بالسلام والتحيّة والتَّوسُّل والتَّشفّع به إلىٰ الله تعالىٰ في المقاصد الدّنيويّة والأخرويّة ،

وتسييرها إلىٰ تربته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأكثر النَّاس معاطاة لذلك أهل المغرب لبعد بلادهم ، ونزوح أقطارهم " . انظر : صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثُمَّ القاهري (٦/ ٤٥٨) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثُمَّ القاهري (٨٢١هـ) : " ... تقبّلها الله تعالىٰ من المملوك ومن كلّ داع مخلص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيَّام مولانا ملك الأمراء ، وخلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلوّ درجاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " ... وهو من أكرم فريق ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " والله تعالىٰ يكمّل توفيقه ، ويسهّل إلىٰ نجح المقاصد طريقه ، بمحمَّد وآله "

وقال القلقشندي أيضاً : " أدام الله تعالىٰ النّفع به وببركته ، وأشركنا والمسلمين في صالح أدعيته ، بمحمَّد وآله وصحبه وعترته " .

وقال القلقشندي أيضاً : " أشكر الله وأحمد ، بمحمَّد وآله " . انظر : صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثُمَّ القاهري ، (٨/ ١٧٨) ، (١١/ ٣٠٢) ، (١٢/ ٣٦١) ، (١٤/ ٣٦٧) (١٤/ ٣٧٢) بالترتيب .

وقال الإمام الفقيه تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) : " والمراد أنَّ الاستغاثة بالنبي ، واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير علىٰ اختلاف الحاجات ، وقد عقد الأئمَّة لذلك باباً ، وقالوا : إنَّ استغاثة من لاذ بقبره ، وشكىٰ إليه فقره وضرَّه ، توجب كشف ذلك الضرِّ بإذن الله تعالىٰ" . انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ، تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (ص٨٩) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " فالله تعالىٰ يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيراً بمحمَّد وآله أجمعين " . انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (١/ ٤٥١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكِّي الحسني الفاسي : " وأسال الله أن يوفِّقني في ذلك للسَّداد ، وأن يسعفني ومن أصلح فيه خللاً نيل المراد ، بمحمَّد سيِّد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين " . انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (١/ ٣٣) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي : " ... ونسأل الله أن يسعفه بمطلوبه بمحمَّد سيِّد المرسلين وأله وصحبة الصفوة الأكرمين " . انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (١/ ٦٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك : " ... وتوفي في شهر رمضان سنة إحدىٰ وثمانين ومائة ، وقبره بهيت معروف يُزار ، زرته ، وتبرَّكت به " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (١/ ٤٤٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مُستجاب ، ولما زرته قُلْتُ :

زرتُ الإمام الشَّافعي لأنَّ ذلك نافعـي

لأنال منه شفاعــة أكرم به من شافع

انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٢/ ٩٦-٩٧) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ، في ترجمة إسماعيل بن محمَّد بن عبد الله التّستري (٧٤٨هـ) : " ... شيخ القرَّاء ، العلَّامة الأوحد ، الأستاذ ، المقرئ ، النَّحوي ، الأصولي ، الشَّافعي ، برع في القراءات ، والأصول ، والعربيَّة ، وكان شيخ القراءات بالمدرسة الفاضليَّة ، مشهوراً بحسن القراءة ، وجودة الأداء ، انتفع به جماعة ، قرأ القراءات وأجادها علىٰ الشّطنوفي والصَّايغ وجماعة ، وأخذ العربيَّة عن جماعة ، وصحب القونوي ، وأخذ عنه العربيَّة والأصول وغير ذلك ، وكان والده من كبار الأولياء مدفون بتستر ينعت بالشَّيخ تاج الدِّين البناكتي ، يُزار ويتبرَّك به " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (١/ ١٦٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن بالقُرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يُقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرَّات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبيَّة عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٢/ ٢٣) .

وقال الإمام ابن حجّة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) : " ... وأعاد علينا من بركاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " . انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، (١/ ٢٢٧) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " وابتدأت من ذَلِك بالمحمَّدين تبرُّكاً باسم سيِّد المُرسلين صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " . انظر : الرد الوافر ، محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (ص٢٥) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي، شمس الدِّين، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " فرغ مِنْهَا كِتَابَة بعد أَن تشرف بهَا مطالعة ، متوسلاً بِمن ألفت فِيهِ صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ إِلَى الله تَعَالَى أَن يغْفر ذنُوبه " . انظر : سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، محمَّد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشافعي، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (ص٢٠٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) : " ... كما أنشدني بلفظه بالثغر المحروس الإسكندريَّة عام واحد وتسعين وسبعمائة شيخنا الرّحلة والمعمّر بهاء الدِّين عبد الله المخزومي الدّماميني من قصيدة يمدح فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشكو له من ظَلَمَه مطلعها :

فؤاد لأطلال المحصَّب شـــــائقٌ	ونفس لها منه شهيد وســــــائق

إلى أن قال :

وقمت بجـــاه القبر يسمعني الذي	له نسب في ذروة المجد شـــــاهق
وقُلْتُ أغثني يا أماني فإننـــــــي	بنصرك قلبي في البرية واثـــــقُ
وقد ذهب الأعداء إلَّا بما لـــــــه	وباطلها في جنب حقك زاهـــقُ
جعلتك قصدي والمهيمن حـــاكمٌ	وأنت شفيـــع الخلق والله رازقُ
وقُلْتُ لخصمي إذ تجردت شاكياً	تأنَّى فقد حقت لدينا الحقائـقُ
تأنَّى فهذا منزلٌ منزلٌ فيــه حاكمٌ	عن الله عن جبريل بالحق ناطقُ
شكـــوت ولا شك بانك نـــاصرٌ	ولا شك بين النَّاس أني صـــادقُ
ومن يك بالباب المعظـــــم لائذٌ	يدور عليه من حلاه المناطــــق

انظر : مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمار (ص٤٦٩) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " ... تم ذلك علىٰ يد جامعه ومنشئه أحمد بن عبد القادر بن محمَّد المقريزىٰ الشَّافعي – غفر الله ذنبه وستر عيبه بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه " . انظر : رسائل المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي، تقي الدِّين المقريزي (ص٢٥١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) :

بجاه عريض الجاه والعالي الشَّأن محمَّد المُخْتَار من آل عدنان . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٤/ ١٤٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) :

يا سيدي يا رســــــولَ الله خُذ بِيَدي ... فأنتَ قَصْدي وأنتَ السُّـــــؤلُ والأرَبُ

يا صاحبَ النجدةِ العُظمَـــىٰ لِمُعْتَلِقٍ ... بِجـــــاهِه ولذاكَ اليـــــومِ أرتَقِـبُ

انظر : المجموعة النبهانية (١/ ٤٨٤) .

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (١/ ١٥٥) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... بخير بمحمَّد وآله وصحبه وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم " . انظر : العجاب في بيان الأسباب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٢/ ٩٢١) .

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي في شرحه لحديث الشَّفاعة : " فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ ، ثُمَّ بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ": " وَفِيهِ : أَنَّ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَصْحِبُونَ حَالَهُمْ فِي الدُّنيا مِنَ التَّوسُّل إِلَىٰ اللهَّ تَعَالَىٰ فِي حَوَائِجِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (١١/ ٤٤١) .

وهذا صريحٌ منه بأنَّ الاستغاثة هي نوع من أنواع التَّوسل...

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي : " ... وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ آثَارِ الصَّالحين وَلِبَاسُ ملابسهم علىٰ جِهَة التَّبَرُّك والتَّيمُّن بهَا " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (١٠/ ٣٣٠) .

وذكر الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، في ترجمة هَارُون بن عِيسَىٰ بن مُوسَىٰ الْأَزْرَقِيّ زين الدِّين أَبُو محمَّد ، من شعره :

رَجَوْت الله فِي عسري ويســـري	يفرج كربتـــي ويشد أزري
ويعتقني وشيبي من جحـــــــيم	بجـــــاه محمَّد ويفك أسرِي

انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٦/ ١٦٦) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " ... وأحدث من يومئذ عقب صلاة الصُّبح التَّوسُّل بجاه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أمر القاضي الشَّافعي بذلك المؤذِّنين ففعلوه " . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١/ ٢٦٠)

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " وقال الحاكم سمعت أبا علي النَّيسابوري ، يقول : كنت في غمٍّ شديد ، فرأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ، كأنَّه يقول لي : صِرْ إلىٰ قبر يحيىٰ بن يحيىٰ ، واستغفر ، وسلْ تُقض حاجتك ، فأصبحت ، ففعلت ذلك ، فقُضيت حاجتي " . انظر : تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١١/ ٢٩٩) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " أَحْسَنَ اَللهُ عَاقِبَتَهَا بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ ، ابن حجر العسقلاني (ص٦٠٧) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " . انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، ابن حجر العسقلاني (٢/ ١٢٤) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وكبت أعداءه بمحمَّد وآله " . انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، ابن حجر العسقلاني (٢/ ١٣٠) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " أبقاه الله تعالىٰ ، وأدام النَّفع بعلومه بمحمَّد وآله آمين " . انظر : التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ص٩١) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " وقال الحاكم في تاريخ نيسابور ... وسمعت أبا بكر محمَّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسىٰ يقول : خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلىٰ زيارة قبر علي بن موسىٰ الرضي بطوس . قال فرأيت من تعظيمه يعني بن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا " . انظر : تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٧/ ٣٨٧–٣٨٨) نشر : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٣٢٦هـ.

قُلْتُ : وقد قامت الأيدي العابثة الأثيمة المجرمة الضالَّة المضلَّة بشطب الفقرة السَّابقة من كتاب تهذيب التَّهذيب الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وقد عُدتُ للنُّسخة الورقيَّة من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، نشر : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٣٢٦هـ النسخة الورقية ، وفيها النص السابق ، وقد نقُلْتُ عنها النصَّ السابق الذي فُقد من النسخة الموجودة في الشاملة ، وهذا يثبت بلا مِرية أنّ في الأمر إنَّ ، ولكنَّ ... وأنَّ الحذف مقصودٌ ، وأنَّه أمر دبِّر بليل ... وهذه هي أخلاق من يدَّعون السَّلفيَّة ...غش ، وكذب ، وتدليس ، وعبث بكتب أهل العلم ...فإلىٰ الله تعالىٰ وحده المشتكىٰ من أخلاق هذه الشِّرذمة القليلون الذين ما فتئوا يعبثون بكتب علماء الأمة وجهابيذها وأساطينها ... كما تمَّ شطبة من نسخة تاريخ نيسابور الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... فتأمَّل يا رعاك الله ...

وقال الإمام الحافظ مخاطباً الحبيب المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراً :

فاشفع لمادِحك الذي بِكَ يتَّقي ... أهـــوالَ يوم الدِّين والتَّعذيبِ
فلأحمـــدَ بنِ عليٍّ الأثَريِّ في ... مَأهُـــولِ مَدحِك نَظْمُ كلِّ غريبِ
قد صحَّ أن ضَـــناه زاد، وذنبُه ... أصلُ السِّقَام وأنتَ خيرُ طبيبِ
صلَّىٰ عليـــك وسلَّم اللهُ الـــذي ... أعطـــاك فضلًا ليس بالَمحسوبِ

وقال أيضاً :

يا سيِّدي يا رســولَ الله قد شَرُفَتْ ... قصائدي بمديحٍ فيك قد رُصِـــفا
مدحتُك اليوم أرجو الفضل منك غداً ... من الشفاعة فالْحَـظْني بهـــا طرفـا
ببـــــابِ جـــودِك عبدٌ مذنِـــبٌ ... يا أحســـنَ النَّاس وجهًا مشرقًا
كَلِـفٌ بكُم توسَّلَ يرجو العفوَ عن زلـــلٍ ... وقفا

مِن خَوفه جَفْنُه الهامي لقد ذَرَفا

وقال أيضاً :

يا سيِّد الرُّسل الذي فاق الورىٰ   بأْسًا سمَا كلَّ الوُجودِ وَجُودا

هذي ضراعةُ مُذنِبٍ مُتمسِّكٍ   بولائكم مِن يومِ كان وليدا

يرجو بك المحيا السَّعيد وبعثه   بعد الممات إلىٰ النَّعيم شهودا

صلَّىٰ عليك وسلَّم اللهُ الذي   أحيا بك الإيمان والتَّوحيدا

وقال أيضاً :

نبيَّ الله يا خيرَ البرايا   بجاهك أتَّقي فصلَ القضاء

وأرجو يا كريم العفو عما   جنَتْه يدايَ يا ربَّ الحِبَاء

فقل يا أحمدُ بنَ عليٍّ اذْهَبْ   إلىٰ دار النعيم بلا شقاءِ

عليك سلامُ ربِّ النَّاس يتلو   صلاةً في الصَّباح وفي المساء

وقال أيضاً :

وكم مُذنبٍ وَافَاه يطلب نجدةً   تُنَجِّيه في الأُخرىٰ فأنجَىٰ وأَنْجَدَا

أيا خيرَ خلقِ الله دعوةُ مذنبٍ   تَخَوَّفَ مِن نار الجحيم تَوَقُّدا

له سندٌ عالٍ بمدحِك نَيِّرٌ   وبابُك أمسىٰ منه أَسْنَىٰ وأَسْندا

وأنت الذي جنَّبْتَنا طارقَ الرَّدَىٰ   وأنت الذي عرَّفْتَنا طرق الهُدَىٰ

انظر : ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني (ص١٠) ، (ص١٦)، (ص٢٠) ، (ص٢٦) ، (ص٢٩) بالترتيب .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) : " حكي أنَّ غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد ، فوقعت الأكرة علىٰ صدره ، فأخذها ، فجعلوا يطلبونها منه فأبىٰ ، فقال غلام منهم : سألتك بحقِّ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا رددتها علينا ، فأبىٰ لعنه الله وسبَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأقبلوا عليه بصوالجهم ، فما زالوا يخبطوا حتىٰ مات لعنة الله عليه ، فرفع ذلك إلىٰ عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، فو الله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عزَّ الإسلام ، إنَّ أطفالاً صغاراً شُتم نبيُّهم فغضبوا له وانتصروا ، وأهدر دم الأسقف " . انظر : المستطرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ص٤٧١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح : " ولما حججت وزرته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تطفَّلت علىٰ جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطوَّلة ، وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشَّريفة تجاه الصّندوق الشَّريف وأنا مكشوف الرَّأس ، وأبكي من جملتها :

يا سيِّد الســـَّادات جئتك قاصداً	أرجو رضاك وأحتمي بحماكـــــا
والله يـــا خير الخلائق إنّ لـــي	قلباً مشوقاً لا يروم سواكـــــا
ووحق جاهك إنَّنـــي بك مغرم	والله يعلم إنني أهواكـــــــا
أنت الذي من نـــورك البدر اكتسىٰ	والشَّمس مشرقة بنور بهاكـــــا
أنت الذي لمّا رُفعت إلىٰ السَّمـــا	بك قد سمت وتزيَّنت لسراكـــا
أنت الذي ناداك ربّك مرحبـــــاً	ولقد دعاك لقربه وحباكـا
أنت الذي فينا سألت شفاعـــــة	ناداك ربُّك لم تكن لسواكـــــا
أنت الذي لمّـــــــا توسَّل آدم	من ذنبه بك فاز وهو أبـــــاك
لك معجزات أعجزت كلَّ الـــورىٰ	وفضائل جلّت فليـس تحاكىٰ
نطق الذراع بسمّه لك معلنـــــاً	والضب قد لبّاك حين أتاكـــا
والذِّئب جاءك والغزالـــة قد أتت	بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت إليك وسلّمت	وشكا البعير إليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعـــــة	وسعت إليك مجيبة لنداكـــــا
والماء فاض براحتيك وسبّحت	صمّ الحصىٰ بالفضل في يمناكا
وعليك ظلّلت الغمامة في الورىٰ	والجذع حنّ إلىٰ كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك في الثرىٰ	والصَّخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه	وملأت كلّ الأرض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمىٰ	وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما	جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلي من رمد به داويته	في خيبر فشفي بطيب لماكا
وسألت ربّك في ابن جابر بعدما	قد مات أحياه وقد أرضاكا

ومسست شاة لأمّ معبد بعدما نشفت فدرّت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربّك معلناً فانهلّ قطر السّحب عند دعاكا
ودعوت كلّ الخلق فانقادوا إلىٰ دعواك طوعاً سامعين نداكا
وخفضت دينَ الكفر يا علم الهدىٰ ورفعت دينك فاستقام هناكا
أعداك عادوا في القليب بجهلهم صرعىٰ وقد حرموا الرِّضا بجفاكا
في يوم بدر قد أتتك ملائك من عند ربّك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكَّة والنَّصر في الأحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجمّلاً وجمال يوسف من ضياء سناكا
قد فقت يا طه جميع الأنبيا نوراً فسبحان الذي سوّاكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن في العالمين وحقّ من نبّاكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر عجزوا وكلّوا عن صفات علاكا
إنجيل عيسىٰ قد أتىٰ بك مخبراً وأتىٰ الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسىٰ أن يجمع الكتّاب من معناكا
والله لو أنّ البحار مدادهم والعشب أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثَّقلان تجمع ذرة أبداً وما اسطاعوا له إدراكا
لي فيك قلب مغرم يا سيِّدي وحشاشة محشوة بهواكا
فإذا سكتّ ففيك صمتي كلّه وإذا نطقت فمادح علياكا
وإذا سمعت فعنك قولاً طيباً وإذا نظرت فلا أرىٰ إلّاكا
يا مالكي كن شافعي من فاقتي إنّي فقير في الورىٰ لغناكا
يا أكرم الثَّقلين يا كنز الورىٰ جد لي بجودك وارضني برضاكا
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لابن الخطيب من الأنام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه فلقد غدا مستمسكاً بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفّع ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراي شفاعة لي في غد فعسىٰ أرىٰ في الحشر تحت لواكـــــا

صلّىٰ عليك الله يا خير الورىٰ ما حنّ مشتاق إلىٰ مثواكا
وعلىٰ صحابتك الكرام جميعهـــــم والتَّابعيـــــــن وكل من والاكا

انظر : المستطرف في كل فن مستطرف ، الأبشيهي(ص٢٣٧-٢٣٨) .

وجاء في كتاب المعيار لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الوانشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ما نصه : " وسُئل بعض القرويين عمن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي فأجاب : يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي . ابن عبد البر : كلّ عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطَّاعة غير الصَّلاة فيلزمه الإتيان إليه ، وحديث : " لا تُعْمَل المطي " مخصوص بالصَّلاة ، وأما زيارة الأحياء من الإخوان والمشيخة ونذر ذلك والرّباط ونحوه فلا خلاف في ذلك ، والسُّنَّة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله والرّباط في الأماكن التي يرابط بها وتوقف بعض النَّاس في زيارة القبور وءاثار الصَّالحين ، ولا يتوقَّف في ذلك لأنه من العبادات غير الصَّلاة ، ولأنه من باب الزِّيارة والتَّذكير لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " زوروا القبور فإنَّها تذكِّركم الموت " ، وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي حراء وهو بمكة ويأتي قباء وهو بالمدينة ، والخير في اتّباعه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاء آثاره قولاً وفعلاً لا سيما فيمن ظهرت الطَّاعة فيه " . انظر : المعيار المعرب ، أبو العبَّاس أحمد بن يحي الوانشريسي المالكي (٢/ ٨١-٨٢) .

وقد تضمَّن كلام الإمام الوانشريسي أنَّ التبرُّك بزيارة القبور قد قام عليه عمل المسلمين ، بعكس ما يراه من يدَّعون السَّلفيَّة الذي خالفوا مجموع الأمَّة التي لم يرَ علماؤها مانعاً يمنع من التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ...

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " وَقَالَ شَيخنَا زين الدِّين : وَأما قَول الشَّافعي : وَمهما قبل من الْبَيْت فَحسن ، فَإِنَّهُ لم يرد بِالْحسنِ مَشْرُوعِيَّة ذَلِك ، بل أَرَادَ إِبَاحَة ذَلِك ، والمباح من جملَة الْحسن ، كَمَا ذكره الأصوليون . قُلْتُ : فِيهِ نظر لَا يخفىٰ ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأما تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّريفة علىٰ قصد التَّبَرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالحين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سرته ، فَقبله تبركاً بآثاره وَذريته ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنهُ ، حَتَّىٰ يقبلهَا ، وَيَقُول : يَد مست يَد رَسُول الله ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي ، قَالَ :

رَأَيت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَنَّ الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجب من ذَلِك ، وَيَقُول : عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك وَقد روينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنَّه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحَابَة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلاة والسَّلام ؟ وَلَقَد أحسن مَجْنُون ليلى حَيْثُ يَقُول :

أَمرُّ على الدِّيار ديار ليلى ... أقبل ذَا الْجِدَار وَذَا الْجِدَار

وَمَا حبُّ الدَّار شغفن قلبِي ... وَلَكِن حبُّ من سكن الديارا

وَقَالَ الْمُحب الطَّبَرِيّ (٦٩٤هـ) : وَيُمكن أَن يستنبط من تَقْبِيل الْحجر واستلام الْأَركان جَوَاز تَقْبِيل مَا فِي تقبيله تَعْظِيم الله تَعَالَى ، فَإِنَّهُ إِن لم يرد فِيهِ خبر بالندب لم يرد بِالْكَرَاهَةِ . قَالَ : وَقد رَأَيْت فِي بعض تعاليق جدي مُحَمَّد بن أبي بكر ، عَن الإِمَام أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي الصَّيف (٦٠٩هـ) : أَن بَعضهم كَانَ إِذا رأى الْمَصَاحِف قبلهَا، وَإِذا رأى أَجزَاء الحَدِيث قبلهَا ، وَإِذا رأى قُبُور الصَّالحين قبلهَا ، قَالَ : وَلَا يبعد هَذَا ، وَالله أعلم فِي كل مَا فِيهِ تَعْظِيم لله تَعَالَى " . انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (٩/ ٢٤١) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (٨٥٥هـ) : " فنسأل الله العظيم متوسّلين بنبيه الكريم أن يحرسنا من شر كل ذي شرّ وحسد ، ومن عداوة كل ذي حقد ونكد " . انظر : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (ص٢٠٨) .

وقال الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) : " الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ : فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمْ اللهُ تَعَالَى: مِنْ أَفْضَلِ الْمَنْدُوبَاتِ وَفِي مَنَاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرْحِ الْمُخْتَارِ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوُجُوبِ لِمَنْ لَهُ سِعَةٌ ... ثُمَّ يَقُولُ فِي مَوْقِفِهِ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا خِيرَةِ اللهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، السَّلام عَلَيْك أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، إنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّك عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّك يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ بَلَّغْت الرِّسَالَةَ

وَأَدَّيت الْأَمَانَةَ وَنَصَحْت الْأُمَّةَ وَكَشَفْت الْغُمَّةَ، فَجَزَاك اللهُ عَنَّا خَيْرًا، جَازَاك اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَىٰ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ... وَيَسْأَلُ اللهَّ تَعَالَىٰ حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلاً إلَىٰ اللهَّ بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –. وَأَعْظَمُ الْمَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا سُؤَالُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّبِي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الشَّفَاعَةَ فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَسْأَلُك الشَّفَاعَةَ ، يَا رَسُولَ اللهَّ أَسْأَلُك الشَّفَاعَةَ وَأَتَوَسَّلُ بِك إلَىٰ اللهَّ فِي أَنْ أَمُوتَ مُسْلِماً عَلَىٰ مِلَّتِك وَسُنَّتِك ، وَيَذْكُرُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الِاسْتِعْطَافِ وَالرِّفْقِ بِهِ ... " . انظر : فتح القدير ، ابن الهمام (٣/ ١٧٩– ١٨١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) : " فالله تعالىٰ يبقيه ويمتع الإسلام ويديم النفع به الأنام بجاه المصطفىٰ سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي (ص٢٠٥) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) : " ونعمة شاملة وأفراح بلا كدر كاملة بمحمَّد وآله " . انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، محمَّد بن محمَّد بن محمد، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي (ص٢٠٩) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي : " تغمده الله تعالىٰ برحمته وأسكنه فسيح جنَّته بمحمَّد وآله " . انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، محمَّد بن محمَّد بن محمد، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثُمَّ المكيّ الشَّافعي (ص٢٢٠) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) : " ولما كثر فساد المماليك الأجلاب عمل بعض الظرفاء بلّيقا ، ذكر فيه أفعال الأجلاب ومساوئهم ، واستطرد إلىٰ أن قال في آخره :

فالله بجاه سيِّد عدنان   عوّض لنا منك بإحسان

انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين (١٦/ ١٦١) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) : " عامله الله بعدله وألحق به من بقي من ذريته ليستريح كل أحد من هذه السلالة الملعونة. بمحمَّد وآله " . انظر : المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين (٧/ ٤٢٨) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن ، جمال الدِّين : " أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمَّد وآله وصحبه وسلم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين ، (١/ ٤٥١) ، (١١/ ١٠٣) ، (١٥/ ٢٥٥) (١٦/ ٥٦) بالترتيب .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين : " ... فالله تعالىٰ يحسن العاقبة بمحمَّد وآله " . انظر : حوادث الدهور في مدىٰ الأيَّام والشهور ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٢/ ٣٢٩) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين : " ... أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمَّد وآله وصحبه وسلم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين ، (٢/ ٣٤٣) ، (١١/ ١٠٣) ، (١٥/ ٢٥٥) (١٦/ ٥٦) بالترتيب .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) : " لطف الله تعالىٰ به وبلغه إلىٰ مأموله وعفا عنه وعن فروعه وأصوله بجاه مصطفاه ورسوله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وصحبه الكرام " .

وقال أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي أيضاً :

سألتك الله بالمختـــار سيِّدنا ... محمَّد ذي التُّقىٰ والطُّهر والحسب

أن لا ترينـــــــا سرَّ حمنا ... ولا تعاملنـــــا بالمقت والغضب

بجـــــاه هذا النَّبي السيِّد السَّند ... الهادي الشَّفيع الرَّفيع القدر والرُّتب

انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي (١/ ٤٥) ، (٢/ ١٠٨) ، بالترتيب .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " ... قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب " . انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (١/ ٢٧٩) .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) : " جعل الفردوس مقره ومأواه بمحمَّد وآله " . انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٢/ ٣٨٤) .

وفي ذكره لمجموعة من الفوائد قال الإمام علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) : " ... وَمِنْهَا : يَجُوزُ التَّوسُّل بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ ، عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ الْمَذْهَبِ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : الْمَرُّوذِيُّ يتوسَّل بِالنَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَهُ الشَّيخ تَقِيُّ الدِّين كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : والتَّوسُّل بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ والصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ ، وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ أَوْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ : مَشْرُوعٌ إجْمَاعاً ، وَهُوَ مِنْ الْوَسِيلَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ : ﴿ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [المائدة : ٣٥] . انظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصالحي الحنبلي (٢/ ٤٥٦) .

وقال الإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) : " والمسؤول من الله تعالىٰ أن ينفع بذلك ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين " . انظر : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ، زين الدِّين الزبيدي (ص١٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفُّوري (٨٩٤هـ) : " فنسأل اللهم بجاه هذا النَّبي الكريم ، وبما كان بينك وبينه ليلة الحلوة والحلوة ، والتقريب والتعظيم ، أن تغفر لنا كلَّ ذنب عظيم ، وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم ، وارزقنا شفاعته بفضلك وعلمك ورضاك يا أرحم الرَّاحمين ، يا ربَّ العالمين ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم " . انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفوري (٢/ ١٢٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة الإمام إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد البرهان أبو

إسحاق بن الشَّمس الخجندي المدني الحنفي (٨٩٧هـ) : " وسمعته ينشد ممَّا قاله وهو بالقاهرة لمَّا بلغه ما وقع من الحريق بالمسجد النَّبوي :

قُلْتُ بمصر جـــاءنا خبر	وقد جرىٰ بطيبة أمر مهـــول
خافت النَّـــــار إلهاً فانتحت	تتشفع لائذة بالرَّســـــــــول

انظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشَّريفة ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (١/ ٨٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) : " وأن ينفع به الخاص والعام ، بجاه محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام " . انظر : شرح زروق علىٰ متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (١/ ١٠) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي الناجي (٩٠٠هـ) : " وبالله نستعين وعليه نتوكل ، وإليه بنبينا أشرف مرسل نتوسل في سلوك السبيل الأعدل ، والطريق الأمثل فهو سبحانه ذو الجلال الأكمل " . انظر : عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب عَلىٰ ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه الترغيب والترهيب ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر، برهان الدين، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي الناجي (١/ ١٤٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثُمَّ الْمصْرِيّ الشَّافعي (٧٦٦هـ) : " وَيُقَال أَن الدُّعاء عِنْد قَبره مستجاب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٥/ ١٦٤).

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس بن الشمس المسوفي الأصل المدني المالكي (٨٨٥هـ) أنَّه أنشد بحضرة السَّخاوي قصيدة مطلعها :

بجـــــاه النَّبي الْمُصْطَفَـــىٰ أتوسَّل	إِلَىٰ الله فِيمَـــــا أَبْتَغِـــي وأؤمل
وأقصد بَـــــــاب الْهَــاشِمِي مُحَمَّد	وَفِي كل حــــــاجاتي عَلَيْهِ أعول
حللت حمىٰ من لَا يضـــام نزيله	فَعَنْهُ مدىٰ مَـــــا دمت لَا أتحول
أَقُول حَبِيبِي يَـــــــا محمَّد سَيِّدي	ملاذي عيــــــاذي من بِهِ أتوسل

عَسىٰ نفحة يَا سيِّد الْخلق أهتدي ... بهَا من ضلالي إِنَّنِـــــــــي متعطل

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩/ ١١٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن إِسْمَاعِيل المغربي الأندلسي ثُمَّ القاهري الْمَالِكِي وَيعرف بالرَّاعي : " ... أنْشد قبيل مَوته بِشَهْر فِي حَال صِحَّته بعض أَصْحَابه من نظمه :

أفكر فِي موتِـــــي وَبعد فَضِيحَتِي ... فيحزن قلبِي من عَظِيم خطيئتـــي

وتبكي دَماً عَيْني وَحقّ لَهَا البكا ... علىٰ سوء أفعــــــالي وَقلة حيلتي

وَقد ذَابَتْ أكبـادي عناء وحسرة ... علىٰ بعد أوطـــاني وفقد محبتـي

فَمَالِي إِلَّا الله أرجــوه دَائِماً ... وَلَا سِيمَا عِنْد اقتراب منيتــــــــي

فأَسَأَل رَبِّي فِي وفاتـــــي مُؤمنـــاً ... بجاه رَسُول الله خير الْبَرِيَّـــــــــة

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩/ ٢٠٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد السَّخاوي : " وذكر الدَّيلمي أنَّ علي بن موسىٰ المذكور لَمَّا دخل نيسابور وهو في عمارته علىٰ بغلة شهباء ، خرج علماء البلد في طلبه : يحيىٰ بن يحيىٰ ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن حرب ، ومحمَّد بن رافع ، فتعلَّقوا بلجامه ، فقال له إسحاق : بحقِّ آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك ؟ فقال : حدثنا العبد الصالح أبي موسىٰ بن جعفر ، وذكره " . انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة ، السَّخاوي (ص٢٢٩.

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، في ترجمة علي بن ناصر بن محمَّد بن أحمد النور أبو الحسن البلبيسي ثُمَّ المكي الشَّافعي (ت:بعد ٩١٦هـ) : " سَائِلًا الله بجاه أَحْمد أَن يصلح الشَّأْن " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٦/ ٤٧) .

وذكر الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، في ترجمة عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ ، من شعره :

بجاه عريض الجاه والعالي الشان محمَّد المُخْتَار من آل عدنان

وقال السَّخاوي أيضاً في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إِبْرَاهِيم الشَّمْس بن الشَّمْس المسوفي الأَصْل المْدنِي الْمَالِكِي : " وَمن نظمه مِمَّا كتبه إِلَى أَبِيه بِخَطِّهِ وأنشده بحضرتي من لَفظه :

بجاه النَّبي الْمُصْطَفَى أتوسَّل — إِلَى الله فِيمَا أَبْتَغِي وأؤمل

وأقصد بَاب الْهَاشِمِي محمَّد — وَفِي كل حاجاتي عَلَيْهِ أعول

حللت حمى من لَا يضام نزيله — فَعَنْهُ مدى مَا دمت لَا أتحول

أَقُول حَبِيبِي يَا محمَّد سَيِّدي — ملاذي عياذي من بِهِ أتوسل

عَسى نفحة يَا سيِّد الْخلق أهتدي — بهَا من ضلالي إِنَّنِي متعطل

وقال السَّخاوي في ترجمة فَاطِمَة المدعوة ستيتة وَرُبمَا يُقَال لَهَا نَاجِية ابْنة القَاضِي كَمَال الدِّين مَحْمُود ابْن ابْن شيراين الْحَنَفِيّ : " قَالَه وَكتبه السَّخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجيا السّتْر والغفران متوسلا بِسَيِّد ولد عدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيراً ، ثُمَّ كتبت الى سَائِلَة أَيْضا بقولهَا :

أَنْتُم وَمن لَاذَ بكم فِي الورى — بِحَق رب بالخفايا عليم

بجاه من أسرى بِهِ فِي الدّجى — وَكَانَ للْمولى كليم نديم

مُحَمَّد الْمُخْتَار من هَاشم — سيد سَادَات النقا والحطيم

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٤/ ١٤٠) ، (٩/ ١١٥) ، (١٢/ ١٠٩-١١٠) بالترتيب .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " ... ومنهم : الشَّيخ زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن محمَّد بن أحمد البكري القاضي . فأنشدني مِنْ لفظه بحضرة الممدَّح عند عوده للقضاء قوله :

رعاهُ اللهَّ ما غَنَّت حمامٌ — علىٰ عُودٍ بشَجوٍ مُستطابِ

وقلَّدَ حاسديه طوقَ ذُلٍّ — وصَيَّرهم بقلبٍ في انقلابِ

بجاهِ محمَّد خيرِ البرايا — وأفضلِ مَنْ مَشَىٰ فوق التُّرابِ

صلاةُ اللهَّ يتلوها سلامٌ — عليه وآلِه ثُمَّ الصِّحابِ

انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (١/ ٤٦٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " وأمَّا الصَّلاة في الأحوال كلّها ومن تشفع بجاهه - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتوسَّل بالصَّلاة عليه بلغ مراده وأنجح قصده ، وقد أفردوا ذلك بالتَّصنيف ، ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف الماضي ، وغيره ، وهذه من المعجزات الباقية علىٰ ممرِّ الدُّهور والأعوام ، وتعاقب العصور والأيَّام ، ولو قيل : إنَّ إجابات المتوسِّلين بجاهه عقب توسُّلهم يتضمَّن معجزات كثيرة بعدد توسُّلاتهم ، لكان أحسن ، فلا يطمع حينئذ في عدِّ معجزاته حاصر ، فإنه لو بلغ ما بلغ منها حاسر قاصر ، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام فبلغ ألفاً ، وايم الله أنَّه لو أنعم النَّظر زاد منها آلافا تلفىٰ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تسليماً كثيراً " . انظر : القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاة عَلَىٰ الحَبيبِ الشَّفِيعِ ، السَّخاوي (ص٢٤٠-٢٤١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " فاللهَّ تعالىٰ يُبقيه ليُنتفع به ، بمحمَّد وآله " . انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (١/ ٢٨٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " أدام اللهَّ به النَّفع بمحمَّد وآله " . انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٢/ ٨٩٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " ... وروينا في جزء " تمثال النعال " لابن عساكر ؛ أن مثالَّ النّعال الشَّريف إذا امسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطَّلق تيسر أمرها بحول الله وقوته " . انظر : ذكره الحافظ السَّخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السَّخاوي عنه من الأحاديث النبوية ، محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (١/ ٣٨٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " سيِّدنا محمَّد سيِّد الْأَنَام كُلِّهِمْ ، وَوَسِيلَتِنَا وَسَنَدِنَا وَذُخْرِنَا فِي الشَّدَائِدِ وَالنَّوَازِلِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ " . انظر : فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٤/ ٤٠٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي في ترجمة محمَّد بن محمَّد النصاري الزنوري المغربي الْمَالِكِي : " ثُمَّ استوطن الْمَدِينَة منشدا قَوْله :

ببابكم حطَّ الْفَقِيرُ رحاله   وَمَا خَابَ عبدٌ أمكُم متوسلاً

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (١٠/ ٤٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " قَالَه وَكتبه السَّخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجياً السّتْر والغفران ، متوسلاً بِسَيِّد ولد عدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (١٢/ ١٠٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي : " ويبوئه من الفردوس الْأَعْلَى أَعلَى درجاته بمحمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه وذرياته " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٨/ ٢٤) .

وقال الإمام الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) :

يا مليح الوجه يا خير الورى   أنت بعد الله نعم المعتمـــد

ربّ جنّبنا بجاه المصطفـــى   كلّ كدّ وبلاء ونكــــــد

انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، محمَّد أحمد درنيقة (ص١٢٨) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) : " قُم فَاسْتَفْتَحَ بَاب الْفرج ... بمحمَّد الْبَدْر البهج " .

وقال أيضاً : " نفع الله بهما وَأَعَاد على الْجَمِيع من بركتهما بمحمَّد وَآله آمين " انظر : طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرَّحمن البريهي السكسكي اليمني (ص١١٣) ، (ص٢٤٨) ، بالترتيب .

وقال الإمام علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) : " اللَّهُمَّ قرب الْفرج بمحمَّد وَصَحبه " . انظر : تاريخ البصروي ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (ص١٥٧) .

وقال الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) : " نسأل الله التَّوفيقَ والهدايةَ والإماتة على الإيمان بالله وبرسوله، والإعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمَّد وآله " . انظر : صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصَّالحين من أولياء الله (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المِبْرَد الحنبلي (ص١٠٠) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السّمهودي (٩١١هـ) : " ... وعن إسماعيل التيميّ ، قال : كان أبن المنكدر يصيبه الصمات ، فكان يقوم فيضع خده على قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعوتب في ذلك ، فقال : أنَّه يستشفي بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (١/ ٤٥٨) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السّمهودي : " الفصل الثالث في توسّل الزَّائر وتشفُّعه به صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربَّه تعالى ، واستقباله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سلامه وتوسّله ودعائه : اعلم أنَّ الاستغاثة والتَّشفُّع بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبجاهه وبركته إلى ربّه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السَّلف الصَّالحين ، واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد خلقه ، في حياته الدُّنيويَّة ومدَّة البرزخ وعرصات القيامة " . وقال أيضاً : " وقد يكون التَّوسُّل به صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلب ذلك الأمر منه ، بمعنى أنَّه صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادر على التَّسبُّب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك مرافقتك في الجنَّة الحديث ، ولا يقصد به إلَّا كونه صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً وشافعاً " . انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (٤/ ١٩٣) ، (٤/ ١٩٥-١٩٦) ، بالترتيب .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي : " ... وفي كتاب " العلل والسُّؤالات " لعبد الله ابن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرَّجل يمسّ منبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبرَّك بمسَّه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، فقال : لا بأس به .

قال العز بن جماعة : وهذا يبطل ما نقل عن النَّووي من الإجماع .

وقال السُّبكي : عدم المسح بالقبر ليس ممَّا قام الإجماع عليه ، وأستدلَّ في ذلك بما رواه يحيي بن الحسن عن عمر بن خالد عن أبي نباتة عن كثير بن يزيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : أقبل مروان بن

الحكم فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ، قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، إنِّي لم آت الحجر ولم آت اللبن ، وإنَّما جئت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد ، لكن لم يصرِّح فيه برفعه في نسخة يحيي التي وقعت للسُّبكي ، وصرَّح برفعه في غيرها ، ثُمَّ قال المطلب : وذلك الرَّجل أبو أيُّوب الأنصاري .

قال السُّبكي : وعمر بن خالد لم أعرفه ، وأبو نباتة ومن فوقه ثقات ، فإن صحَّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر .

قُلْتُ : رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : أقبل مروان يوما فوجد رجلاً واضعاً وجهه علىٰ القبر ، فأخذ مروان برقبته ثُمَّ قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، أنِّي لم آت الحجر ، إنَّما جئت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " لا تبكوا علىٰ الدِّين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا علىٰ الدِّين إذا وليه غير أهله " . انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (١/ ٤٥٦-٤٥٧) .

وذكر الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السّمهودي ، ، أخبار النَّار التي أضاءت لها أعناق الإبل في بصرىٰ الشَّام ، فقال : " ، فتلك النار نعمة في صورة نقمة ، ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت ، وأيقن النَّاس أنَّ العذاب قد أحاط بهم .

قال القاضي سنان : وطلعت إلىٰ الأمير- وكان عز الدِّين منيف بن شيحة - وقُلْتُ له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلىٰ الله ، فأعتق كلَّ مماليكه ، وردَّ علىٰ النَّاس مظالمهم - زاد القاشاني : وأبطل المكس - ثُمَّ هبط الأمير للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السَّبت ، ومعه جميع أهل المدينة حتىٰ النِّساء والصّغار ، ولم يبق أحد في النَّخل إلَّا جاء إلىٰ الحرم الشَّريف ، وبات النَّاس يتضرَّعون ويبكون ، وأحاطوا بالحجرة الشَّريفة كاشفين رؤوسهم ، مقرّين بذنوبهم ، مبتهلين ، مستجيرين بنبيِّهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال القطب : ولَمَّا عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة ، واعتبر ، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر ، وأظهر التَّوبة والإنابة ، وأعتق جميع مماليكه ، وشرع في ردِّ المظالم ، وعزم أهل المدينة علىٰ الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفزعوا إلىٰ التَّضرُّع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشَّريف سنان وأعيان البلد ، والتجؤوا إلىٰ الحجرة الشَّريفة ، وباتوا بالمسجد الشَّريف بأجمعهم حتَّىٰ النِّساء والأطفال ؛ فصرف الله تعالىٰ عنهم تلك النَّار العظيمة ذات الشَّمال ، ونجوا من الأوجال ... "

. انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (١/ ١١٦-١١٧)

.

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السّمهودي : " وتقدَّم أيضاً أنَّ بلالاً رضي الله تعالىٰ عنه لما قدم من الشَّام لزيارة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتىٰ القبر ، فجعل يبكي عنده ، ويمرِّغ وجهه عليه ، وإسناده جيِّد كما سبق .

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيىٰ الحسيني ، قال : حدَّثني أبي ، عن جدِّي ، عن جعفر بن محمَّد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : لَّما رمس رسول الله صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ، فوقفت علىٰ قبره صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت علىٰ عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا علىٰ من شمَّ تربة أحمد   أن لا يشمَّ مدىٰ الزَّمان غواليا

صبَّت عليَّ مصائب لو أنَّها   صبَّت علىٰ الأيَّام عُدنَ لياليا

انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (٤/ ٢١٧-٢١٨)

.

ولم ينكر عليها أحد من الصَّحابة صنيعها ...

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في ترجمة الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن عمر بن عمران بن نجيب الأنصاري السَّعدي الدّنجاوي (٩٠٣هـ) : " ومن نظمه وإنشاده عندي في الإملاء :

وإنَّ الفقير القادري لعاجز   عن المدح في علياه إذ يتقصد

وقاه إله العرش من كلِّ محنة   وما أضمرت يوماً عداه وحسد

بجاه رسول الله أحمد مرسل   بأمداحه جاء الكتاب الممجَّد

عليه مع الآل الكرام وصحبه   صلاة علىٰ طول المدىٰ تتجدَّد

انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٥٧٧) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي: " أعادنا الله إِلَىٰ الاِنْتِفَاع مِنْهَا كَمَا كُنَّا قَرِيبا بمحمَّد وَآله " . انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٣٢٧) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي : " وأسال الله تعالىٰ أن يقبضنا إلىٰ رحمته قبل وقوع فتنة المائة التَّاسعة !! بجاه محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وصحبه أجمعين ، آمين" . انظر : تاريخ الخلفاء ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (ص٣٦٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي في ترجمة إِبْرَاهِيم بن محمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عَليّ بن محمَّد التنوخي (٧٢٦هـ) : " وَأَلقىٰ الله عَلَيْهِ من الْقبُول والتعظيم مَا لم يعْهَد مثله ؛ وَكَانَ صادعاً بِالْحَقِّ ، غيوراً علىٰ الدِّين ، كثير الْخُشُوع ، ساعياً فِي حوائج النَّاس ... مولده فِي حُدُود سنة سبع وَسبعين وسِتمِائَة ، وَمَات يَوْم السبت سَابع الْمحرم سنة سِتّ وَعشْرين وَسَبْعمائة ، وقبره بِبَاب البيرة من غرناطة ، يَستسقي النَّاس بِهِ " . انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السُّيوطي (١/ ٤٢٥) .

وقال الإمام السُّيوطي : " وأسال الله تعالىٰ أن يقبضنا إلىٰ رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة !! بجاه محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وصحبه أجمعين ، آمين " . انظر : تاريخ الخلفاء ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (ص٣٦٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " أحسن الله عقباها بمحمَّد وآله آمين " . انظر : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (ص٢٢٦) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ حُمَاةِ السُّنَّةِ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٥٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " أَحْسَنَ اللهُ خِتَامَهَا بمحمَّد وَآلِهِ أَجْمَعِينَ" . انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٣٠٧) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ... طالباً ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابةٍ أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم بجاه نبيه عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ التسليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٦١)

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " اخلع علينا بُرد حزن ، حتىٰ أقوم علىٰ ساق سبق توبة تكابد الحزن إلىٰ يوم ألقاك بجاه مَنْ أنزلت عليه هذا الكتاب الشافع المشفّع ، الماحل المصدق ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٣٨٧) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي : " فلا تُزغْ قلوبنا بعد إذْ هَدَيْتَنَا علىٰ صراطك القويم ، بجاه سيِّدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٣٩٠) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " عصمنا الله منها بجاه نَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ١٥٦) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " اللهم اغفر لنا ولا تؤاخذنا بجاه نبيِّنا وشفيعنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٣٩٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي : " ... جعل الله لنا منها أَوْفَر نصيب بجاه النَّبي الحبيب " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٤٢٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّاتِهِ كَرَمًا ... بِجَاهِ خَيْرِ الْبَرَايَا أَشْرَفِ الرُّسل " . انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ١٢٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " وَنِلْتَ جَنَّةَ عَدْنٍ يَوْمَ مَبْعَثِنَا ... بِجَاهِ خَيْرِ الْأَنَامِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ " . انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٤٥٠) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّاتِهِ كَرَمًا ... بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَىٰ الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرِ " . انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٤٥١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : "

أَثَابَكَ اللهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ بِمَا ... أَبَنْتَ مَنْ غُرَرٍ يُشْرِقْنَ كَالـــدُّرَرِ

بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَىٰ الْهَادِي لِأُمَّتِهِ ... مِنَ الضَّلَالِ وَحَامِيهِمْ مِنَ الضَّرَرِ

انظر : الحاوي للفتاوي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٤٠٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ... اللهم إنا نستودعكها فأَحْينا عليها ، وأَمِتْنا عليها ، وثبِّتْنا عند الحاجة إليها بجاه كلامك ونبيك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٤٨٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " فلا تؤاخذنا بذنوبنا ، وعامِلْنا بفضلك وكرامتك بجاه أكرم الخلق عندك ، وخيرتك صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٤٩٦) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ولا تؤاخذنا بأفعالنا ، لأنَّا علمنا أنك عفوٌّ تحبُّ العفو ، فاعْف عنا بجاهِ سيِّدنا ومولانا ومنقذنا من الهول العظيم صلىٰ اللهَ عليه وعلىٰ آله أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٥٧٠) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " وَاللهَّ أَسْأَلُ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ إِكْمَالِهِ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٤/ ٢٤٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ويا منجّي الهلْكَىٰ بعد أن يئسوا ، أنقذْنا من هذا الوحل العظيم بجاه نبيِّك الكريم ، عليه أفضل صلاةٍ وأزكىٰ تسليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٢/ ٦٣١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " نسأله سبحانه السلامة والعافيةَ في ديننا ودنيانا ، بجاه نبيِّنا وحبيبنا " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٣٧) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ... ويا مَنْ رآني علىٰ الخطايا فلم يفْضَحْني ، أَقِلْ عثرتي بِجَاهِ نبيِّك الكريم عليك صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي(٣/ ٣٤٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " فقيِّضْ لي مَنْ يشفع عندك ، أقسم عليك بجاهِ نبيِّك الكريم ، واسمك العظيم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٣٧١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي : " اللهم إني لم أسْتح منك ، وبارزتُ بالعظائم ، لكن رجائي فيك قويٌّ ، وتوسلتُ إليك بجاهِ النَّبي الأميّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٤١٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " لكنَّا نرجو من كرم الكريم العفْوَ عن اللئيم بجاهِ نبيِّه الكريم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٤١٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " فهَبْ لي توبةً منك باقية ، واصرف أزمةَ الشَّ هوات عني ، وامْحِ زينتها من قلبي بزينة الإيمان بجاه سيِّد الثَّقلين عليه أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم" . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٤٢٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي : " ... أن يجعله نافعاً ولا يذهب ضَبعاً لَبَعاً ، وأن يعصمنا والنَّاظر فيه ، ومَنْ دعا لنا من شرور أنفسنا ، ومِنْ سيِّئات أعمالنا بجاهِ سيِّدنا ومولانا محمَّد صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسَّلم تسليماً ما دامت أشهراً وجُمعاً ... تمَّ الكتابُ المباركُ الميمون المُسَمَّىٰ بمعترك الأقران ، في إعجاز القرآن للإمام الحافظ السُّيوطي نفعنا الله به وبعلومه وسائرِ العلماء بجاهِ المفضَّل علىٰ أهل الأرض والسَّماء سيِّدنا ونبيِّنا ومولانا محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، علىٰ يَدِ كاتبه لنفسه ثُمَّ لمن شاء المولىٰ بعده الحاج أحمد بن محمَّد المستغانمي منشأ ، الجزائري وطناً ، أصلح الله أحوالَه وسدَّد أقوالَه وأفعاله وَعقبه إلىٰ يوم القيامة بجاه المدفون في تهامة ، لثمانية وعشرين يوماً مضت من شهر الله المعظم ذي القعدة عام ١١٠٦ هـ. " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٣/ ٥٢٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي كما نقله العلَّامة النَّبهاني في " شواهد الحق" :

يا أكرمَ الرُّسل يا من في إشارته ... حَوْزُ المُنَىٰ وبلوغُ القصد مِن أَمَمِ
ومن غدا في الورىٰ توشيحُ مِلَّتِه ... يزهو علىٰ الزاهِرَيْن الرَّوضِ والنُّجُمِ
تَعَطُّفًا لِمُحِبٍّ فيك ليس له ... تَعَطُّفٌ عنك معدود مِن الخَدَمِ
يا صاحبَ العَلَمِ الهادي لِقاصده ... حسنَ البيان أَجِرْني في حِمَىٰ العَلَمِ
فمطلَبي أنتَ أَوْلَىٰ في النَّجاح له ... وأنت أَدْرَىٰ به يا مُسْبِغَ النِّعَمِ
من كان فيما غدا تجريد مقصده ... له رأىٰ منك حبلاً غير مُنفَصم

ومَن يَلُذْ بحِمَـاه وهــو مَلْجَـؤُنا	فلا اعتـراض بما يخــشاه مِن نِقَــم
عليه منا صـلاةٌ ما لها عــــــــــددٌ	تفصيــلُ مُجْمَـلها يربو على الدِّيَـم

انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيِّد الخلق ، يوسف بن إبراهيم النبهاني (ص٢٩٩) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السّمهودي (٩١١هـ) ، في كتابه وفاء الوفا : " خاتمة : في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنَّبي ص أو طلب منه شيئاً عند قبره ، فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه ، مما ذكره الإمام محمَّد بن موسى بن النُّعمان في كتابة : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " .

فمن ذلك ما قال : اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمَّة من أئمَّة المحدّثين والصُّوفيَّة والعلماء بالله المحقِّقين ، قال محمَّد بن المنكدر : أودع رجل أبى ثمانين ديناراً وخرج للجهاد ، وقال لأبي : إن احتجت أنفقها إلى أن أعود ، وأصاب النَّاس جهد من الغلاء ، فأنفق أبي الدَّنانير ، فقدم الرَّجل وطلب ماله ، فقال له أبي : عد إليَّ غداً ، وبات في المسجد يلوذ بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم مرَّة وبمنبره مرَّة، حتى كاد أن يصبح ، يستغيث بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص في الظَّلام يقول : دونكها يا أبا محمَّد ، فمد أبي يده فإذا هو بصرّة فيها ثمانون ديناراً ، فلمَّا أصبح جاء الرَّجل فدفعها إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن المقرئ : كنت أنا والطَّبراني وأبو الشَّيخ في حرم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وكنَّا على حالة ، وأثّر فينا الجوع ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقُلْتُ : يا رسول الله الجوع ، وانصرفت ، فقال لي أبو القاسم : اجلس ، فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت ، قال أبو بكر : فقمت أنا وأبو الشَّيخ والطَّبراني جالس ينظر في شيء ، فحضر بالباب علوى ، فدقّ ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كلِّ واحد زنبيل فيه شيء كثير ، فجلسنا وأكلنا وظننا أنَّ الباقي يأخذه الغلام ، فولَّى وترك عندنا الباقي ، فلمَّا فرغنا من الطَّعام ، قال العلوي : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فإني رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فأمرين أن أحمل بشيء إليكم .

وقال ابن الجلَّاد : دخلت مدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبي فاقة ، فتقدَّمت إلى القبر وقُلْتُ : ضيفك ، فغفوت فرأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فأعطاني رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت وبيدي النصف الآخر .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلت مدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأنا بفاقة ، فأقمت خمسة أيَّام ما ذقت ذواقاً ، فتقدَّمت إلىٰ القبر ، وسلَّمت علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعلىٰ أبي بكر وعمر ، وقُلْتُ : أنا ضيفك يا رسول الله ، وتنحّيت ونمت خلف القبر ، فرأيت في المنام النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بن أبي طالب بين يديه ، فحرَّكني عليّ وقال : قم ، قد جاء رسول الله صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقمت إليه وقبلت بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف .

وقال أبو عبد الله محمَّد بن أبي زرعة الصُّوفي : سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلىٰ مكَّة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وبتنا طاوين ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجئ إلىٰ أبي غير دفعة وأقول : أنا جائع ، فأتىٰ أبي الحظيرة ، وقال : يا رسول الله أنا ضيفك الليلة ، وجلس علىٰ المراقبة ، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه ، فقال : رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّم فوضع في يدي دراهم ، وفتح يده ، فإذا فيها دراهم ، وبارك الله فيها إلىٰ أن رجعنا إلىٰ شيراز ، وكنَّا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمَّد الصُّوفي : تهت في البادية ثلاثة أشهر ، فانسلخ جلدي ، فدخلت المدينة ، وجئت إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه وعلىٰ صاحبيه ثُمَّ نمت فرأيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال لي : يا أحمد ، جئت ؟ قُلْتُ : نعم ، وأنا جائع وأنا في ضيافتك ، قال : افتح كفَّيك ، ففتحتهما فملأهما دراهم ، فانتهت وهما مملوءتان ، وقمت فاشتريت خبزاً حوارياً وفالوذجاً ، وأكلت ، وقمت للوقت ودخلت البادية .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بسنده إلىٰ أبي القاسم ثابت بن أحمد البغدادي ، قال : أنَّه رأىٰ رجلاً بمدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن للصبح عند قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال فيه : الصَّلاة خير من النَّوم ، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكىٰ الرَّجل ، وقال : يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل ؟ ففلج الخادم ، وحمل إلىٰ داره فمكث ثلاثة أيَّام ومات .

قُلْتُ : والواقعة التي نقلها ابن النُّعمان عن أبي بكر المقرئ رواها ابن الجوزي في كتابه الوفاء بإسناده إلىٰ أبي بكر المقري ، وبقية الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضاً

ومن ذلك ما ذكر ابن النعمان أنَّه سمعه ممن وقع له أو عنه بواسطة ، فقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد ، يقول : كنت بمدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعي ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة ، فجئت إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ، فقُلْتُ : يا رسول الله ليس لنا شيء ، ويكفينا ثلاثة أمداد من أي شيء كان ، فتلقاني رجل فدفع إليّ ثلاثة أمداد من التمر الطيب .

وسمعت الشَّريف أبا محمَّد عبد السَّلام بن عبد الرَّحمن الحسيني الفاسي يقول : أقمت بمدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيَّام لم أستطعم فيها ، فأتيت عند منبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فركعت ركعتين ، وقُلْتُ : يا جدِّي جُعتُ وأتمنَّىٰ عليك ثردة ، ثُمَّ غلبتني عيني فنمت ، فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظني ، فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه ، فقال لي : كُلْ ، فقُلْتُ له : من أين هذا ؟ فقال : إنَّ صغاري لهم ثلاثة أيَّام يتمنَّون هذا الطَّعام ، فلمَّا كان اليوم فتح الله لي بشيء عملت به هذا ، ثُمَّ نمت فرأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم وهو يقول : إنَّ أحد إخوانك تمنىٰ علىٰ هذا الطَّعام فأطعمه منه .

وسمعت الشَّيخ أبا عبد الله محمَّد بن أبي الأمان ، يقول : كنت بمدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف محراب فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ، وكان الشَّريف مكثر القاسمي قائماً خلف المحراب المذكور ، فانتبه فجاء إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاد علينا متبسِّماً ، فقال له شمس الدِّين صواب خادم الضَّريح النَّبوي : فيم تبسَّمت ؟ فقال : كانت بي فاقة ، فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ، فاستغثت بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقُلْتُ : إني جائع ، فنمت فرأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاني قدح لبن فشربت حتىٰ رويت ، وهذا هو فبصق اللبن من فيه في كفِّي ، وشاهدناه من فيه .

وسمعت عبد الله بن الحسن الدمياطي ، يقول : حكىٰ لي الشَّيخ الصَّالح عبد القادر التِّنيسي بثغر دمياط ، قال : كنت أمشي علىٰ قاعدة الفقير ، فدخلت إلىٰ مدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلمت علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشكوت له ضرري من الجوع ، واشتهيت عليه الطَّعام من البر واللحم والتَّمر ، وتقدَّمت بعد الزِّيارة للرَّوضة فصليت فيها ، وبتُّ فيها ، فإذا شخص يوقظني من النَّوم ، فانتبهت ومضيت معه ، وكان شاباً جميلاً خَلقاً وخُلقاً ، فقدم إلىٰ جفنة تريد وعليها شاة وأطباق من أنواع التَّمر صيحاني وغيره وخبزاً كثيراً من جملته خبز أقراص سويق النَّبق ، فأكلت فملأ لي جرابي لحماً وخبزاً وتمراً ،

وقال : كنت نائماً بعد صلاة الضُّحىٰ فرأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا ، ودلّني عليك ، وعرفني مكانك بالرَّوضة ، وقال لي : إنَّك اشتهيت هذا وأردته .

وسمعت صديقي علي بن إبراهيم البوصيري ، يقول : سمعت عبد السَّلام بن أبي القاسم الصقلي ، يقول : حدثني رجل ثقة نسي اسمه ، قال : كنت بمدينة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يكن لي شيء ، فضعفت ، فأتيت إلىٰ الحجرة وقُلْتُ : يا سيِّد الأوَّلين والآخرين ، أنا رجل من أهل مصر ولي خمسة أشهر في جوارك ، وقد ضعفت ، فقُلْتُ : أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لي من يشبعني أو يخرجني ، ثُمَّ دعوت عند الحجرة بدعوات ، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلَّم بكلام ، ويقول : يا جداه يا جداه ، ثُمَّ جاء إليَّ وقبض علىٰ يدي وقال لي : قم ، فقمت وصحبته ، فخرج بي من باب جبريل ، وعدا إلىٰ البقيع وخرج منه فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد ، فقال لهما : قوما فاصنعا لضيفكما عيشه ، فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النَّار ، وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة ، وشاغلني بالحديث حتىٰ أتت الجارية بالملَّة فقسمها نصفين وأتت الجارية بعكّة فيهما سمن فصبّ علىٰ الملَّة ، وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيداً ، وقال لي : كُل ، فأكلت شيئاً قليلاً ، فصدرت ، فقال لي : كُل ، فأكلت ، ثُمَّ قال لي : كُل ، فقُلْتُ : يا سيِّدي لي أشهر لم آكل فيها حنطة ، ولا أريد شيئاً ، فأخذ النِّصف الثَّاني وضمَّ ما فضل منِّي من الملّة وأتىٰ بمزود وصاعين من تمر فوضعهما في المزود ، وقال لي : ما اسمك ؟ فقُلْتُ : فلان ، فقال : بالله عليك لا تعد تشكو إلىٰ جدِّي فإنَّه يعزُّ عليه ذلك ، ومن السَّاعة متىٰ جعت يأتيك رزقك حتَّىٰ يسبب الله لك من يخرجك ، وقال للغلام : خذه وأوصله إلىٰ حجرة جدِّي ، فغدوت مع الغلام إلىٰ البقيع ، فقُلْتُ له : ارجع قد وصلت ، فقال : يا سيِّدي الله الأحد ما أقدر أفارقك حتىٰ أوصلك إلىٰ الحجرة لئلا يعلم النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّدي بذلك ، فأوصلني إلىٰ الحجرة ، وودعني ورجع ، فمكثت آكل من الذي أعطاني أربعة أيَّام ، ثُمَّ جعت بعد ذلك ، فإذا بالغلام قد أتاني بطعام ، ثُمَّ لم أزل كذلك كلَّما جعت أتاني بطعام حتىٰ سبب الله لي جماعة خرجت معهم إلىٰ ينبع .

وروىٰ ابن النُّعمان أيضاً بسنده إلىٰ أبي العبَّاس بن نفيس المقرئ الضرير قال : جعت بالمدينة ثلاثة أيَّام ، فجئت إلىٰ القبر ، وقُلْتُ : يا رسول الله ، جعت ، ثُمَّ نمت ضعيفاً ، فركضتني جارية برجلها ، فقمت إليها ، فقالت : أعزم ، فقمت معها إلىٰ دارها ، فقدمت إليَّ خبز برّ وتمراً وسمناً ، وقالت : كُل يا أبا العبَّاس ، قد أمرني بهذا جدي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومتىٰ جعت فأت إلينا .

قال أبو سليمان داود في مصنفه في الزِّيارة بعد روايته لذلك كله : أنَّه قد وقع في كثير مما ذكر وأمثاله أنَّ الذي يأمره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك إنَّما يكون من الذرية الشَّريفة ، لا سيما إذا كان المتناول طعاماً ؛ لأنَّ من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القرىٰ البداءة بأنفسهم ، ثُمَّ بمن يكون منهم ، فاقتضىٰ خلقه الكريم أنَّ إعطاء سائل القرىٰ يكون منه ومن ذريَّته الكريمة .

قُلْتُ : والحكايات في هذا الباب كثيرة ، بل وقع لي شيء منها : أنِّي كنت بالمسجد النَّبوي عند قدوم الحاج المصري للزِّيارة ، وفي يدي مفتاح الخلوة التي فيها كتبي بالمسجد : فمرَّ بي بعض علماء المصريين ممَّن كان يقرأ علىٰ بعض مشايخي ، فسلَّمت عليه ، فسألني أن أمشي معه إلىٰ الرَّوضة الشَّريفة وأقف معه بين يدي النَّبي صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففعلت ، ثُمَّ رجعت فلم أجد المفتاح ، وتطلَّبته في الأماكن التي مشيت إليها فلم أجده ، وشقَّ عليَّ ذهابه في ذلك الوقت الضيِّق مع حاجتي إليه ، فجئت إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقُلْتُ : يا سيِّدي يا رسول الله، ذهب مفتاح الخلوة ، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك ، ثُمَّ رجعت فرأيت شخصاً قاصداً الخلوة ، فظننته بعض من أعرفه ، فمشيت إليه، فلم أجده إيَّاه ، ووجدت صغيراً لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح ، فقُلْتُ له : من أين لك هذا ؟ فقال : وجدته عند الوجه الشَّريف ، فأخذته منه .

ومن هذا النَّوع ما اتَّفق لي في سكناي تلك الخلوة في ابتداء الأمر وغير ذلك ممَّا يطول ذكره .

وأنشدتُ مرَّة بين يديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قضيَّة أوذيت فيها قصيدة أولها :

يضام بحيِّكم يا عرب رامه ... نزيل أنتم صرتم مرامه

بحقِّكم وذاك أجل حقّ ... له انتصروا فأنتم من تهامه

وهي طويلة تزيد علىٰ ستين بيتاً ، ومنها :

له حرم به كرم مفاض ... لساكنه فقد حاز الكرامه

به قد صار عندكم نزيلاً ... ويرجو نصركم فيما أضامه

جواركم عدت فيه الأعادي ... عليه إذ رأوا منه الإقامة

بحضرتكم فلا يبغي انتقالاً ... ولكن قد أطال لها التزمه

وكادوه بما لم يخف عنكم ... ليقصوا عن عراصكم خيامه

فأنجز لي رسول الله نصري ... لتهنأ لي بذا الحرم الإقامه

ويكبت من عداتي شامتوهم / وتعظم في قلوبهم الندامة

فقد أملت جاهك يا ملاذي / لذا ولكل هول في القيامة

وحاشا أن تخيب لي رجاء / وأنت الغوث من عرب برامه

كريم إن أضيم له نزيل / فنصر الله يقدمه أمامه

ومن عاداته نصري وجبري / وعادة مثله أبدا مدامه

فرأيت عقب ذلك مناماً يؤذن بالنَّصر العظيم ، ثُمَّ رأيته في اليقظة ، ولله الحمد والمنَّة

وقال الفقيه أبو محمَّد الإشبيلي في مؤلفه في فضل الحج : أنَّه نزل برجل من أهل غرناطة علة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برتها ، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمَّد بن أبي الخصال كتاباً إلى النَّبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به ، وضمنه شعراً ، وهو:

كتاب وقيذ من زمانة مستشف / بقبر رسول الله أحمد يستشفي

لقد قدم قد قيّد الدّهر خطوها / فلم يستطع إلا الإشارة بالكف

ولَمَّا رأى الزوَّار يبتدرونه / وقد عاقه عن ظعنه عائق الضَّعف

بكى أسفاً واستودع الرَّكب إذ غدا / تحية صدق تفعم الرَّكب بالعرف

فيا خاتم الرُّسل الشَّفيع لربِّه / دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

عتيقك عبد الله ناداك ضارعاً / وقد أخلص النَّجوى وأيقن بالعطف

رجاك لضرّ أعجز النَّاس كشفه / ليصدر داعيه بما جاء من كشف

لرجل رمى فيها الزَّمان فقصرت / خطاه عن الصَّف المقدّم في الزَّحف

وإني لأرجو أن تعود سوّية / بقدرة من يحيي العظام ومن يشفي

فأنت الذي نرجو حياً وميتاً / لصرف خطوب لا تريم إلى صرف

عليك سلام الله عدة خلقه / وما يقتضيه من مزيد ومن ضعف

قال : فما هو إلا أن وصل الركب إلى المدينة ، وقرئ على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشعر ، وبرأ الرجل في مكانه ، فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط " . انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (٤/ ٢٠٠- ٢٠٥ باختصار)

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) : " أدام الله بهجته ، وحرس للأنام مهجته بمحمَّد وآله " . انظر : شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٢/ ٧٨٧) .

وقال الإمام محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) : " ... ونسأل الله الكريم المنان الموتَ علىٰ الإسلام والإيمان بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيين " . انظر : فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (ص٣٥٠) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) : " عرفنا الله خيره وبركته بجاه سيِّدنا محمَّد النَّبي الأمين سيِّد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين ، صلىٰ الله وسلم عَلَىٰ آله وصحبه الطيبين الطاهرين المنتخبين ، والحمد لله ربّ العالمين " . انظر : شفاء الغليل في حل مقفل خليل ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٢/ ١١٧٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثُمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) : " ... رحمه الله ، وتغمّده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ، بجاه سيِّدنا محمَّد آمين " . انظر : نيل الأمل في ذيل الدول ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثُمَّ القاهري الحنفيّ (٥/ ٩) .

وقال الإمام إبراهيم بن موسىٰ بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) : " نسأل الله الثبات علىٰ الدِّين والموت علىٰ الإسلام بجاه النَّبي محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأتم السَّلام وعلىٰ آله وأصحابه الأئمة العظام البرره الكرام والحمد لله علىٰ التمام " . انظر : الإسعاف في أحكام الأوقاف ، إبراهيم بن موسىٰ بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطرابلسي ، الحنفي (ص١٤٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم علىٰ قبره – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال : يا ربّ ، إنا زرنا قبر نبيِّك فلا تردَّنا خائبين ، فنودي : يا هذا ، ما أذنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي (١٢/ ٢٠٠) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) : " ... وينبغي للزَّائر أن يكثر من الدُّعاء والتَّضرُّع والاستغاثة والتَّشفُّع والتَّوسُّل به - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالىٰ فيه .

واعلم أنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ : الاستغاثة أو التَّوسُّل أو التشفع أو التجوّه أو التَّوجُّه ، لأنهما من الجاه والوجاهة ، ومعناه : علو القدر والمنزلة .

وقد يتوسَّل بصاحب الجاه إلىٰ من هو أعلىٰ منه ، ثُمَّ إنَّ كلا من الاستغاثة والتَّوسُّل والتَّشفُّع والتَّوجُّه بالنَّبي- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما ذكره في " تحقيق النُّصرة " و " مصباح الظَّلام " - واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدَّة حياته في الدُّنيا وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة .
انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٤-٦٠٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وأما التَّوسُّل به - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصىٰ أو يدرك باستقصاء وفي كتاب " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " للشَّيخ أبي عبد الله بن النُّعمان طرف من ذلك .

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء ، وأقمت به سنين، فاستغثت به- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الثَّامن والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا، ومنّ عليّ بالعود في عافية بلا محنة ، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشَّريفة بعد الإذن الشَّريف النَّبوي ، ثُمَّ استيقظت فلم أجد بي – والله - شيئاً ممَّا كنت أجده ، وحصل الشِّفاء ببركة النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -" . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٦-٦٠٧)

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) أثناء حديثه عن زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... ويجدِّد التَّوبة في حضرته الكريمة ، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحاً ، ويكثر من الصَّلاة والسَّلام علىٰ النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بحضرته الشَّريفة حيث يسمعه ويردُّ عليه " . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٨) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي (٩٢٦هـ) : " تغمده الله برحمته ورضوانه وَأَسْكَنَهُ فسيح جنانه بمحمَّد وَآله وعترته وَأَصْحَابه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمين " . انظر : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السنيكي (ص٦٣) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي : " تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (١/ ٢) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي : " وَأَحَلَّ كُلًّا مِنْهُمَا أَعْلَىٰ الْفِرْدَوْسِ وَالرِّضْوَانِ بمحمَّد وَآلِهِ الْكِرَام" . انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٥/ ٣٣٤) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي : " ... ثُمَّ وَقَفَ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، مُسْتَقْبِلَ رَأْسِ الْقَبْرِ الشَّريف ، وَيَبْعُدُ مِنْهُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ، نَاظِراً لِأَسْفَلَ مَا يَسْتَقْبِلُهُ فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ علق الدُّنيا ، ويسلم بلا رفع صوت وَأَقَلُّهُ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَتَأَخَّرُ صَوْبَ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ يَتَأَخَّرُ قَدْرَ ذراع فيسلِّم عَلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَىٰ مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتوسَّل بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلَىٰ رَبِّهِ ... " . انظر : فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف علىٰ كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي) ، زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيىٰ السنيكي (١/ ١٧٦) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي : " متَّع الله بوجوده الأنام ، وحرسه بعينه التي لا تنام ، بجاه سيِّدنا محمَّد أشرف الأنام ، وآله وصحبه البررة الكرام " . انظر : المقصد لتلخيص ما في المرشد ، زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السنيكي (ص٨) ، مطبوع بهامش منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " متوسِّلاً إلىٰ الله تعالىٰ بصاحب الحضرة النّبويّة خير الأنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (ص٥٠) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) : " ... لطف الله بِهِ ونفع الْجَمِيع بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الشَّفِيع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً " . انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي ، (ص١٣٧) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي : " ... وتجعلنا من المتبعين لآثارهم بجاه أكْرم الْخلق عَلَيْهِ صلىٰ الله عَلَيْهِ وعَلىٰ آله وَصَحبه وَسلم تَسْلِيماً " . انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ص٢٠٥) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي : " ... ولطف بِالْجَمِيعِ بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلىٰ آله وَصَحبه وَسلم تَسْلِيماً " . انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ص٣١٧) .

وقال الإمام علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) : " ... والله سبحانه وتعالىٰ المسؤول أن يوفقنا للإقبال علىٰ امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقرب من أجره وثوابه ، ويباعدنا من سخطه وعقابه بمحمَّد وآله وصحبه وصلىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد النَّبي الأمي وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدِّين " . انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٢/ ٦٧٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (٩٤٢هـ) : " الّلهم إنا نسألك ، ونتوجه إليك بنبيك محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن تحسن عاقبتنا في الأمور كلّها " . انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (٩٤٢هـ) : " جماع أبواب التَّوسُّل به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الباب الأول : في مشروعيَّة التَّوسُّل به– صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ : قال الإمام السُّبكي– رحمه الله تعالىٰ– : أعلم أنَّ الاستعانة والتشفع بالنبي– صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبجاهه وبركته إلىٰ ربه تبارك وتعالىٰ من فعل الأنبياء – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وسير السَّلف الصَّالحين واقع في كل حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدَّة حياته الدنيوية ، ومدَّة البرزخ ، وبعد البعث وعرصات القيامة ، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار ، وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح ، وهي مخلوقة ، فالسؤال بالنبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أولىٰ ، وفي العادة أن من له عند شخص قدر يتوسَّل به إليه في غيبته ، فإنه يجيب إكراماً للمتوسل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظّم سبباً للإجابة ، ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسّل ، أو الاستعانة ، أو لتشفع أو السّجود ، ومعناه : التوجه بذي الحاجة ، وقد يتوجّه بمن له جاه إلىٰ من هو أعلىٰ منه ، وكيف لا يتشفَّع ويتوسَّل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه ، بل يجوز

التَّوسُّل بسائر الصَّالحين ، كما قاله السُّبكي " . انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) : " ... وَسُئِلَ الشَّيخ عِمَادُ الدِّين بْنُ الْعَطَّارِ (٧٢٤هـ) ، تِلْمِيذُ النَّوَوِيِّ – رَحِمَهُمَا اللهُ : هَلْ تَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَإِهْدَاءُ الثَّوَابِ إلَيْهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَثَّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَىٰ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ " . انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٥٤٥) .

وجاء في فتاوىٰ الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَمَّا يَقَعُ مِنْ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ : يَا شَيْخُ فُلَانٌ ، يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ والصَّالحين ، فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ والصَّالحين وَالْمَشَايِخِ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَمَاذَا يُرَجِّحُ ذَلِكَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ والصَّالحين جَائِزَةٌ ، وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ والصَّالحين إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مُعْجِزَةً لَهُمْ . وَالشُّهَدَاءُ أَيْضاً أَحْيَاءٌ شُوهِدُوا نَهَاراً جِهَاراً يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ.

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهِيَ كَرَامَةٌ لَهُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَىٰ أَنَّه يَقَعُ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، يُجْرِيهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِسَبَبِهِمْ ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ جَوَازِهَا : أَنَّهَا أُمُورٌ مُمْكِنَةٌ ، لَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ وُقُوعِهَا مُحَالٌ ، وَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُهُ فَهُوَ جَائِزُ الْوُقُوعِ ، وَعَلَىٰ الْوُقُوعِ : قِصَّةُ مَرْيَمَ وَرِزْقُهَا الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللهَّ عَلَىٰ مَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ ، وَقِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَضْيَافِهِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ ... " . انظر : فتاوىٰ الرملي ، شهاب الدِّين الرملي الشَّافعي (٤/ ٣٨٢)

وقال الإمام موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ بن سالم بن عيسىٰ بن سالم الحجاوي المقدسي، ثُمَّ الصَّالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) : " ولا بأس بالتوسل بالصالحين " . انظر : الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ بن سالم بن عيسىٰ بن سالم الحجاوي المقدسي ، ثُمَّ الصالحي ، شرف الدِّين ، أبو النجا (١/ ٢٠٨) .

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) عن الشَّيخ العارف بالله قره جه أحمد : " ... أتىٰ بلاد الرُّوم وتوطَّن في موضع قريب من اقحصار ، وقبره هناك مشهور يُتبرَّك به ويُزار ، ويُستجاب عنده الدُّعاء ،

ويستشفي به المريض ، وذلك مشهور في بلادنا عند الخواص والعوام ، قدَّس الله سره " . انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاش كبري زادة ، (١/ ١٢) .

وقال الإمام طاش كبري زادة : " ... اللهم ارحمه وارحم والدي كما ربَّياني صغيراً ، واجمع بيني وبينهما في مستقرِّ رحمتك بحرمة نبيِّك محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال أيضاً : " وارحم والدي كما ربَّياني صغيراً ، واجمع بيني وبين والديَّ بلطفك إنَّك مولى الإجابة ، في مستقر رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيِّك الكريم " . انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاشكبري زادة ، (١/ ٢٣٣) ، (١/ ٣١٤) ، بالترتيب.

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) : " وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُتَوَسِّلاً إلَيْهِ بِمَنْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ تَتَوَالَىٰ أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوَابَ " . انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري ، (١/ ٣) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ) ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) : " ... قَالَ الرَّمْلِيُّ أَمَّا النِّسَاءُ إذَا أَرَدْنَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ إنْ كَانَ ذَلِكَ لِتَجْدِيدِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّدْبِ عَلَىٰ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُنَّ فَلَا تَجُوزُ لَهُنَّ الزِّيارة ، وَعَلَيْهِ حُمِلَ الْحَدِيثُ " لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ " ، وَإِنْ كَانَ لِلِاعْتِبَارِ وَالتَّرَحُّمِ وَالتَّبَرُّكِ بِزِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالحين فَلَا بَأْسَ إذَا كُنَّ عَجَائِزَ وَيُكْرَهُ إذَا كُنَّ شَوَابَّ كَحُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ " . انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري ، (٢/ ٢١٠) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ) ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) داعياً : " ... ختم الله لنا ولمن رأىٰ في هذا الكتاب بالسَّعادة والخير ورفعنا وإيَّاهم في الجنَّة إلىٰ المقام الأسنىٰ ، بجاه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، من له علينا وعليهم الفضل والمنَّة ، ومن له في الآخرة المقام المحمود في الجنَّة ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرِّف ومجِّد وكرِّم وعظِّم " . انظر : تحفة الزوار إلىٰ قبر النَّبي المختار ، ابن حجر الهيتمي ، (ص٢١٠) .

وذكر الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس في كتابه الصَّواعق ، بيتين للإمام الشَّافعي يتوسَّل بهما بآل بيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهما :

آل النَّبي ذريعتـــــي   وهم إِلَيْهِ وسيـــــــــــلتي

أَرْجُو بهـم أعْطى غَدا   يُبْدِي الْيَمين صحيـــــفتي

انظر : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٢/ ٥٢٤-٥٢٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس : " أَثَابَكُمْ اللهُ الجنَّة وَفَسَّحَ فِي مُدَّتِكُمْ بِبَلَدِهِ الْحَرَامِ وَبَلَّغَكُمْ جَمِيعَ الْمَرَامِ بِجَاهِ محمَّد عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٣/ ٨٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس : " سائلاً من ذي الجلال والإكرام بجاه من جعلت هذا خدمة لجنابه الرَّفيع : أن يتقبَّله منِّي بفضله ، ويجعله متكفّلاً لي بجميع ما أؤمّله من جُوده الوسيع " . انظر : الدر المنضود في الصَّلاة والسَّلام على صاحب المقام المحمود ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (ص٣٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس: " لَا زِلْتُمْ مَصَابِيحَ الظَّلَامِ وَهُدَاةَ الْأَنَامِ بمحمَّد وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٤/ ٢٠١) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثُمَّ المدني فالمكِّي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) : " إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل : يا من يكفي من كلِّ أحد ، يا أحد من لا أحد له ، يا سند من لا سند له ، انقطع الرَّجاء إلَّا منك ، فَكني ممَّا أنا فيه ، وأعنِّي على ما أنا عليه ، ممَّا قد نزل بي ، بجاه وجهك الكريم ، وبحقِّ محمَّد عليك آمين " . الدَّيلمي عن عمر وعلي معاً " . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثُمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتقي الهندي (٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " ... فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، اللهمّ بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهله " . انظر :

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٢/ ٥٧٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " لا زال ملحوظاً بعين العناية الإلهيَّة ، موفقاً لسائر الآراء الخيريَّة محفوظ الجناب ، مقصود الأعتاب ، مسروراً بسائر الأنجال بجاه خاتم رسل ذي الجلال " . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٤/ ٦١٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " متوسِّلاً إليه بسيِّد الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وبالتَّوبة الممحِّصة للآثام " . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي ،(٤/ ٦١٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " جمعني الله وإيَّاهم والمسلمين في مستقرِّ رحمته بمحمَّد وآله وصحابته " . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (١/ ٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بمحمَّد وآله ، وفعل ذلك بوالدينا وأحبابنا" . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٢/ ١٩٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " جعلنا الله تعالى وأحبابنا معهم بمحمَّد وآله " . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٣/ ١٠٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " نسأل الله الكريم الفتَّاح أن يوفِّقنا للعمل الصَّالح ، وأن يفعل ذلك بأهلينا وذريَّتنا ومحبِّينا بمحمَّد وآله " . انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٣/ ١٢٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " خَاتِمَةٌ : سُئِلَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللهَّ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ وَالْوَلِيِّ ؟ فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبي – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّه عَلَّمَ بَعْضَ النَّاس : اللَّهُمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إلَخْ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لِأَنَّهُ سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ

وَالْمَلَائِكَةِ ؛ لأَنَّهم لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ . اهـ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّه لَا يُكْرَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ " . انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (١/ ٣٩٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي : " فَأَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ الَّذِي بِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، وَمِنْهُ الْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ ، أَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصاً ، وَأَنْ يَتَدَارَكَنِي بِأَلْطَافِهِ إذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصاً ، وَأَنْ يُخَفِّفَ عَنِّي كُلَّ تَعَبٍ وَمُؤْنَةٍ ، وَأَنْ يَمُدَّنِي بِحُسْنِ الْمَعُونَةِ ، وَأَنْ يَرْحَمَ ضَعْفِي كَمَا عَلِمَهُ، وَأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ رَحِمَهُ ، أَنَا وَوَالِدَيَّ ، وَأَوْلَادِي ، وَأَقَارِبِي ، وَمَشَايِخِي ، وَأَحْبَابِي ، وَأَحِبَّائِي ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بمحمَّد وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ " . انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٦/ ٥٢٤) .

وقال الإمام عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثُمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ) : " علقه مختصراً لنفسه ، ثُمَّ لمن شاء الله من بعده ، المفتقر إلى رحمة ربِّه القوي ، عبد الباسط بن موسى العلموي ، ثُمَّ الموقت الواعظ بالجامع الأموي ، لطف الله به بجاه النَّبي المصطفوي " . انظر : العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) ، عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثُمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (ص٢٨٨) .

وقال الإمام أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) : " طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الجنَّة مَثْوَاهُ ، بِجَاهِ سيِّدنا محمَّد خَيْرِ أَنْبِيَاهُ " . انظر : حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١٠/ ٤٢٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) : " ... وَالله أسأَل وبنبيه أتوسل أَن يَجعله خَالِصاً لوجهه الْكَرِيم ، مُوجباً للفوز بجنات النَّعيم " . انظر : غاية البيان شرح زبد ابن رسلان ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي (١/ ٢) ، (٥/ ٤٨١) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي : " ... شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِلَا نِزَاعٍ وَبَرَكَةُ الْأَنَامِ بِلَا دِفَاعٍ الْقُطْبُ الرَّبَّانِيُّ وَالْعَالِمُ الصَّمَدَانِيُّ مُحْيِي الدِّين النَّوَوِيُّ ، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بِجَاهِ محمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ ... " . انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي (١/ ١٠) .

وقال الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) في ترجمة تغري برمش ، سيف الدِّين الجلالي ، النَّاصري ثُمَّ المؤيّدي (٨٥٢هـ) : " وقد مدحه محمَّد بن حسن بن علي النّواجي ، بقصيدة فريدة ، منها :

ويا رَبِّ فاحْرُسْهُ بجَاهِ محمَّد   وأيِّدْهُ بالمَأْمُونِ من حادِثِ الدَّهْرِ

انظر : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدِّين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ، (ص٢٠٠) .

وقال الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ناقلاً كلام الإمام أبو حنيفة في وصيَّته للقاضي أبي يوسف : " ... وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة ، واقبل من العامَّة ما يقصُّون عليك من رؤياهم للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورؤيا الصَّالحين في المنازل ، والمساجد ، والمقابر ... " . انظر : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدِّين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ص٥٣) .

وقال الإمام أبو السَّعد زين الدِّين منصور بن أبي النَّصر بن محمَّد الطَّبلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) : " وَالله المُوفق للصَّوَاب والسَّداد ، وَنرْجُو من كرمه وفضله تبييض وُجُوهنَا يَوْم المْعَاد ، وَأَن يُؤمن فزعنا يَوْم التَّناد بجاه محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أفضل الْعباد والعُبّاد " . انظر : كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية ، أبو السعد زين الدِّين منصور بن أبي النصر بن محمَّد الطَّبلاوي، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (٢/ ٦٧٩) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " وَقِيلَ : أَنَّه – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ عِنْدَ الْجَدْبِ فَتَمْطُرُ السَّماء ، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – بِكَشْفِ قَبْرِهِ مُبَالَغَةً فِي الِاسْتِشْفَاعِ بِهِ ، فَلَا يَبْقَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماء حِجَابٌ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (٩/ ٣٨٣٩) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري : " قَالَ شَيْخُ مَشَايِخِنَا عَلَّامَةُ الْعُلَماءِ الْمُتَبَحِّرِينَ شَمْسُ الدِّين محمَّد الْجَزَرِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ لِلْمَصَابِيحِ الْمُسَمَّىٰ بِتَصْحِيحِ الْمَصَابِيحِ : إِنِّي زُرْتُ قَبْرَهُ بِنَيْسَابُورَ ، وَقَرَأْتُ بَعْضَ صَحِيحِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّيَمُّنِ ، وَالتَّبَرُّكِ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَرَأَيْتُ آثَارَ الْبَرَكَةِ ، وَرَجَاءَ الْإِجَابَةِ فِي تُرْبَتِهِ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١/ ١٩) .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ... أنَّ التَّصوُّف نِحلة مبتدعة في الإسلام !!! وكلّ بدعة ضلالة ، وقد يؤول بأصحابه إلىٰ الشِّرك والكفر بالله !!! إذا وصل إلىٰ الغلوِّ في المشائخ ، وأنَّهم ينفعون أو يضرُّون من دون الله ، أو الاستعانة بالأموات والذَّبح لهم ، أو اعتقاد أنَّ أصحاب الطُّرق الصُّوفيَّة يتلقّون دينهم من الله مباشرة ، فلا حاجة بهم إلىٰ اتِّباع الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويشرعون لأتباعهم عبادات وأذكاراً ما أنزل الله بها من سلطان ، وقد قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ،

فلا تجوز مصاحبة الصُّوفيَّة ، ولا حضور مجالسهم ، ولا يجوز إكرامهم وتشجيعهم ، بل يجب الإنكار عليهم ، ومنعهم من مزاولة أعمالهم الصُّوفيَّة ونشرها بين النَّاس !!! ويجب هجرهم والتَّحذير منهم .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (١/ ٤٦٢ من الفتوى رقم (٢٠٢٣٥) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... ومن اعتنق مذهب الصُّوفيَّة فقد فارق مذهب أهل السُّنَّة والجماعة !!! ... " . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٧٨ الفتوى رقم (١٦٠١١) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... الطُّرق الصُّوفيَّة طرقٌ مخالفةٌ لهدي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والواجب الاقتداء بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنَّته ، والابتعاد عمَّا خالف هديه وسنَّته ؛ لأنَّه بدعة وكلُّ بدعة ضلالة ... " . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٨٥ الفتوى رقم (١٦٨٦٢) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... الغالب على الصُّوفيَّة في هذا الزَّمان أنَّها طائفة ضالَّة ، لها منهج في العبادة يخالف ما جاء به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٨٦ الفتوى رقم (١٧٥٥٨) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... والطُّرق الصُّوفيَّة جميعها أو ما يُسمَّى بالتَّصوُّف الآن يغلب عليها العمل بالبدع الشِّركيَّة !!! والذَّرائع الموصلة إليها ، والمعتقدات الفاسدة ، ومخالفة الكتاب والسُّنَّة ، كالاستغاثة بالأموات ... " . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٨٩ الفتوى رقم (١٩٥٢١) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش.

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... اعتقاد أنَّ الدُّعاء يُستجاب عند القبور بدعة لا أصل لها في الشَّرع المطهَّر ، وقد تؤول بصاحبها إلى الشِّرك الأكبر إذا دعا المقبور من دون الله أو معه ، أو اعتقد النَّفع والضُّرَّ في المقبور ، فإنَّ النَّافع الضَّارَّ هو الله سبحانه . وكذلك اعتقاد أنَّ الزَّاهد العابد لا يموت بل ينتقل من مكان إلى مكان أخر ، وأنَّه يقضي حاجات النَّاس في قبره ، كما كان يقضي حاجاتهم في حياته ، اعتقاد فاسد من معتقدات الصُّوفيَّة المنحرفة !!! ولا دليل على ذلك ، بل دلَّت الآيات والأحاديث الصَّحيحة على أنَّ كلَّ إنسان في هذه الدُّنيا يموت ، قال الله تعالى : ٱمخ مم نجنحٱ [الزمر: ٣٠] ، وقال تعالى : ٱ ٱغم فج فح فخ فم

قحقم كج كح كخ كلَ[الأنبياء: ٣٤] ، ٱُّني ني ىٰ يريزَّ[آل عمران: ١٨٥] . كما دلَّت الأحاديث الصَّحيحة أنَّ الإنسان إذا مات انقطع عمله إلَّا من ثلاث : علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية ، وأنِّ الميِّت في قبره لا يملك لنفسه ضرَّاً ولا نفعاً ، ومن كانت هذه حاله فإنَّه لا يملك ذلك لغيره من باب أولىٰ ، ولا يجوز طلب قضاء الحاجات إلا من الله وحده فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وطلبها من الأموات شركٌ أكبر ، ومن اعتقد غير ذلك فقد كفر كفراً أكبر يُخرجه من الملَّة ، والعياذ بالله " . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ١٠٠ الفتوىٰ رقم (٢٠٢٣٤) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

قُلْتُ : بل إنَّ الميِّت بموته لا يفنىٰ ، بل ينتقل من مكان إلىٰ مكان آخر ، لأنَّ الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنَّما هو انتقال من دار إلىٰ دار ، قال الإمام القرطبي : " الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنَّما هو انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدّل حال وانتقال من دار إلىٰ دار ... " . انظر : كتاب التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، القرطبي ، (١/ ١١١-١١٢) .

وقال الإمام المُناوي : " إنَّ الميِّت ولو أعمىٰ ، يعرفُ من يحمله من محلِّ موته إلىٰ مغتسله ، ومن يغسِّله ، ومن يكفِّنه ، ومن يُدليه في قبره ، ومن يُلحده فيه ، وغير ذلك ... وذلك لأنَّ الموت ليس بعدم محض ، والشُّعور باق حتَّىٰ تمام الدَّفن ، حتَّىٰ أنَّه يعرف زائره ... وإنَّما يغلط أكثر النَّاس في هذا ، وأمثاله ، حيث يعتقد أنَّ الرُّوح من جنس ما يعهد من الأجسام ، الذي إذا شغلت مكاناً ، لا يمكن أن تكون بغيره ، بل الرُّوح لها اتِّصال بالبدن ، والقبر ، وجِرمها في السَّماء كشعاع الشَّمس ، ساقط بالأرض ، وأصله متَّصل بالشَّمس " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (٢/ ٣٩٨) .

وأمَّا عن نفي اللجنة الدَّائمة استجابة الدُّعاء عند القبور ... فهذا ممَّا علَّمهم إيَّاه ابن تيمية في معرض كلامه عن زيارة قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث زعم أنَّ الدُّعاء غير مُستجاب عند قبره صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي ذلك يقول : " إذا كانت قبور الأنبياء عليهم السَّلام ليست ترياقاً مجرَّباً ، فكيف تكون قبور الشُّيوخ ترياقاً مجرباً " . انظر : الرد علىٰ البكري ، ابن تيمية الحراني (٢/ ٤٦٩) .

ويقول ابن تيمية أيضاً : " ... وَمَعَ هَذَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ : إنَّ الدُّعاء مُسْتَجَابٌ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَلَا أَنَّه يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَحَرَّىٰ الدُّعاء مُتَوَجِّهاً إلَىٰ قَبْرِهِ ، بَلْ نَصُّوا عَلَىٰ نَقِيضِ ذَلِكَ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١١٧) ، الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٢/ ٤٢٧) .

ويتمادىٰ ابن تيمية في هذه المسألة ، فيزعم أنَّ اعتقاد استجابة الدُّعاء عند قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزيارته لتلك الغاية من المحرَّمات والمنكرات المبتدعة !!! ، ويزعم أنَّ ما ذهب إليه في هذه المسألة محط اتِّفاق بين أئمَّة الدِّين ... وفي ذلك يقول : " المرتبة الثَّانية : أن يظن أنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب أو أنَّه أفضل من الدُّعاء في المساجد والبيوت ، فيقصد زيارته لذلك أو للصَّلاة عنده أو لأجل طلب حوائجه منه ، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين ، وهي محرَّمة ، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمَّة الدِّين !!! " . انظر : الرد علىٰ البكري ، ابن تيمية الحراني (١/ ١٤٦) .

وكلام ابن تيمية محض افتراء وتقوُّل ، ويُردُّ عليه بما روىٰ ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَىٰ الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاس قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَىٰ الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلام ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَىٰ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَىٰ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

فَإتيَانُ هذا الصَّحَابي الجليل لقبرِ النَّبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسَلَمَ ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبُهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل علىٰ أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الإستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي علىٰ صِّحةِ التَّوسُّل بِهِ صلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسَلمَ سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر علىٰ صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت ...

وقد اعترض المتسلِّفون علىٰ هذا الأثر بعدَّة اعتراضات ، هي :

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه علىٰ هذا الأثر : " ... هذا الأثر _ علىٰ فرض صحَّته كما قال الشَّارح _ ليس بحجَّة علىٰ جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم علىٰ خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلىٰ قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلىٰ الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحق ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلىٰ الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " . انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) ، دار الفكر ، بيروت .

وذكر الألباني من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّاً علىٰ جهالة مالك الدَّار . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣١) .

والردُّ علىٰ هذا سهل جداً ، ويكفي في الردِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد استعمله علىٰ بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلَّا الثقة أو فوق الثقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هنيّ بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر علىٰ الحمىٰ ، فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَىٰ هُنَيّاً عَلَىٰ الحِمَىٰ ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " . أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولىٰ لم أَرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روىٰ عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفين مع معاوية ثُمَّ تحوَّل إلىٰ علي لمَّا قتل عمَّار... ولولا أنَّه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " . انظر : فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١٧٦) .

وعليه فما ينطبق علىٰ هنيّ ينطبق علىٰ مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علة توثيق هنيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدَّار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المال ، وما ولَّاه إلَّا لفرط في دينه وأمانته .

ومن جهة أخرىٰ فقد نصَّ غير واحد من العلماء علىٰ توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في الثقات . انظر : الثقات (٥/ ٣٨٤) .

وقال أبو يعلىٰ الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَىٰ عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ ، رَوَىٰ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " . انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، أبو يعلىٰ الخليلي ، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (١/ ٣١٣) .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لقبره ، والسَّائل فيها مجهول ...

وممَّا يردُّ افتراء وزعم ابن تيمية أنَّ الدُّعاء لا يُستجاب عند القبر الشَّريف : ما رواه الدَّارمي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّماء حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماء سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " . أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قُلْتُ : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصَّواب "

. انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزِّيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص٢٥٣-٢٦١) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوى ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّديقة هو توسُّلٌ بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع على وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً ...

فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص على سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به ؟!!! نبِّئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ...

وعن سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في شرح المشكاة : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجاب " .

انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري (ص١٩٦) .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوَّة في أسفل قبة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قُلْتُ - أي : السَّمهُودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " . انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (٢/ ١٢٣) .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلَّا للتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ به صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسَلَّمَ وبِجَاهِهِ ...
قُلْتُ : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة علىٰ هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف ...
فقد ضعَّف الألباني هذا الأثر بثلاث علل :
١-ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني علىٰ النَّقل من بعض كتب التَّراجم . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤٠) .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيىٰ بن معين ، وقال ابن عدي هو عندي في جملة من ينسب إلىٰ الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : كان صدوقاً حافظاً . انظر : تهذيب الكمال ، المزي (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٩) .

وقد ذكره الذَّهبي في جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة . انظر : جزء من تكلم فيه (ص ٨٥) .

وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

٢-اختلاط أبي النُّعمان . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثِّر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه ، ردَّه الذَّهبي ، فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً .

والقول فيه ما قاله الدَّارقطني ، وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال ، الذَّهبي (٤/ ٧-٨) .

٣-أنَّه موقوف علىٰ عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

والجواب علىٰ ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :
- أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيِّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها .

– أنَّه اتِّفاق من حضر من الصَّحابة والتَّابعين على التَّوسُّل برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته . انظر : هامش ارغام المبتدع ، عبد الله الغماري (ص٢٤ بتصرُّف) .

ثمَّ إنَّ جمهور العلماء ذكروا في كتبهم أنَّ الدُّعاء عند الصَّالحين مُستجاب ، فقد جاء في كتاب الفروع للمرداوي : " قَالَ إبراهيم الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرٍ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينى ثُمَّ الصالحي الحنبلي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَىٰ بن أبي نصر الْكرْدِي الشّهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ، وقبره على الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يُزار ويُتبرَّك بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، (٨/ ٣٢٨) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة أَحْمد بن على بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٣/ ٢٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه ، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٨/ ٧٨٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبية عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٢/ ٢٣) .

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (١/ ١٥٥) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفَّق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (١/ ٢٧٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثُمَّ الْمصْرِيّ الشَّافعي (٧٦٦هـ) : " ... وَيُقَال أَنَّ الدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٥/ ١٦٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (١٠٨٩هـ) ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروي أَنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصَّالحي (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) ، بالترتيب .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويُتبرَّك به ، والمشهور أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٣٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) عن نفيسة بنت الْحسن بن زيد بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب : " ... وَلأَهل مصر بهَا اعْتِقَاد عَظِيم ، وَكَانَت وفاتها بِشَهْر رَمَضَان من سنة ثَمَان ومئتين ، وَأَرَادَ زَوجهَا أَن ينقلها إِلَى مَدِينَة يثرب ، فَتعلَّق بِهِ المصريُّون ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ أَن يقبرها مَعَهم للتبرُّك ، فأجابهم ، ودفنها بِالدَّار الَّتِي كَانَت تسكنها عِنْد الْمشَاهد بَين الْقَاهِرَة ومصر ، وقبرها مَشْهُور يُزار كثيراً ، ويُستجاب عِنْده الدُّعاء " . انظر : السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ١٦١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مُستجاب ، ولمَّا زرته قُلْتُ :

زرتُ الإمام الشَّافعي لأنَّ ذلك نافعـــي

لأنال منه شفاعـــة أكرم به من شافعِ

انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري (٢/ ٩٦-٩٧) .

فإذا كان الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مُستجاب كما نصَّ عليه أساطين العلم وجهابيذه ، فما بالك بقبر سيِّد الخلق ، وحبيب الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!!

ويستمرُّ هجوم المتسلِّفة على السَّادة الصُّوفيَّة ...

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... هذه الضَّلالات المذكورة ليست صادرة عن المدَّعين للتَّصوُّف ، بل هي صادرة عن أئمَّة الصُّوفيَّة المنحرفين ، كابن عربي ، والحلَّاج ، والرِّفاعي ، وابن الفارض ، والشَّعراني في (طبقاته) ، والسَّهروردي في (عوارفه) ، وعبد الكريم الجيلي في (الإنسان الكامل) ، وغيرهم من أقطاب الصُّوفيَّة ، كما هو موجود في كتبهم . ودعوى أنَّها مدسوسة عليهم دعوى بلا دليل ، وكيف تكون مدسوسة عليهم ، وأتباعهم الآن يطبعون هذه الكتب ويتداولونها ويطبِّقونها في أعمالهم التَّعبديَّة ليلاً ونهاراً " . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ١١٠ الفتوى رقم (٢١١١٩) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب : " الطُّرق الصُّوفيَّة وبيان ما فيها من البدع :

س: هنالك طرق كثيرة جداً ، مثل الطَّريقة البرهانيَّة ، والطَّريقة الشَّاذلية ، والطَّريقة الدَّسوقيَّة ، والطَّريقة التِّيجانيَّة إلى آخر هذه الطُّرق . ومن بينها جماعة أنصار السنَّة المحمَّديَّة ، وهي جماعة التَّوحيد التي

تقتدي بسنَّة المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أرجو من سماحة الشَّيخ أن يتفضَّل بنصيحة مطوَّلة إلىٰ مشايخ وعوامِّ هذه الطُّرق ، لكي يسيروا في درب المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما جاء في حديث الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ستفترق أمَّتي إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلُّها في النَّار إلَّا واحدة " .

ج : الطُّرق الصُّوفيَّة كثيرة لا تحصىٰ ، وهي تزيد علىٰ طول الزَّمان ، وأكثرها فيه من الشرِّ والفساد والبدع ما لا يحصيه إلَّا الله عزَّ وجلَّ ، وكلُّ طريقة فيها قسط من الباطل ، وقسط من البدع ، لكنَّها متفاوتة ، بعضها شرّ من بعض ، وبعضها أخبث من بعض ، والواجب علىٰ جميع المتصوِّفة أن يرجعوا إلىٰ الله !!! وأن يتبعوا طريق محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام ، وأن يأخذوا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة ، ويسيروا علىٰ نهج سلف الأمَّة من أصحاب النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بإحسان ، بطاعة الأوامر وترك النواهي ، والوقوف عند حدود الله ، وعدم إحداث أشياء ما شرعها الله ، ليس لهم أن يوجدوا طرقاً يتعبَّدون بها لم يفعلها الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه ، بل يجب أن يحاسبوا أنفسهم ، وأن يدعوا كلَّ ما خالف الشَّرع المطهَّر ، من طقوسهم وأذكارهم الاجتماعيَّة ، وغير هذا ممَّا أحدثوه في الدِّين ، سواء كانوا من القدامىٰ في القرن الثَّالث والرَّابع أو من المحدَثين ، الواجب علىٰ جميع المسلمين أن يلتزموا الطَّريق الذي بعث الله به نبيّه عليه الصَّلاة والسَّلام ، وهو توحيد الله والإخلاص له ، وطاعة الأوامر وترك النَّواهي ظاهراً وباطناً ، وأن يلتزموا بذلك ، وأن يحذروا البدع والخرافات التي أحدثها النَّاس ، وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث الصَّحيح : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " . أخرجه مسلم ، (٣/ ١٣٤٣ برقم ١٧١٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨ برقم ٥٢) ، أحمد في المسند (٦/ ١٤٦ برقم ٢٥٦٤١) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٧١ برقم ٦٤١٠) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٦ برقم ٤٥٣٧) ، البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (١/ ١٨٠ برقم ١٩٢) ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري في المسند (١/ ٣٩ برقم ٤٩) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١/ ٣١١ برقم ١٤٧) .

وقال في خطبة الجمعة : " إنَّ خير الحديث كتاب الله ، وإنَّ خير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة " . أخرجه أحمد بلفظ : " إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ محمَّد ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ " . انظر : مسند أحمد (٢٣/ ٢٣٤ برقم ١٤٩٨٤ ،) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير جعفر - وهو ابن محمَّد الصادقُ - فقد روىٰ له البخاري في " الأدب " ، واحتج به مسلم . وكيع : هو ابن الجراح ، وسفيان : هو ابن سعيد الثوري ، وأبو جعفر : هو محمَّد بن علي الباقر .

وأخرجه مسلم (٨٦٧) (٤٥) ، وابن ماجه (٢٤١٦) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (٢٤) و (٢٥٩) ، والبيهقي في " السنن " ٣/ ٢١٤، وفي "الأسماء والصفات" ص ٨٢ من طريق وكيع، بهذا الإسناد. والحديث عند ابن ماجه وابن أبي عاصم مختصر وزاد فيه

البيهقي في " الأسماء " بعد قوله " وكل محدثة بدعة " : " وكل ضلالة في النَّار " . وليست هذه الزيادة في طريق وكيع ، فإن البيهقي قد قرن بإسناد وكيع إسنادَ عبد الله بن المبارك عن سفيان، وأورد لفظه .

وأخرجه النسائي في الصَّلاة من " المجتبى " ٣/ ١٨٨-١٨٩، وفي العلم من " الكبرى " (٥٨٩٢) ، وابن خزيمة (١٧٨٥) ، وأبو نعيم في " الحلية " ٣/ ١٨٩ من طريق عتبة بن عبد الله اليحمدي، والآجري في " الشريعة " ص ٤٥ ، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٨٢ من طريق حبان بن موسى ، كلاهما عن عبد الله ابن المبارك ، عن سفيان ، به . وزادوا جميعاً فيه : "وكل ضلالة في النار". وعتبة ابن عبد الله وحبان بن موسى ثقتان .

قلنا: وهذا الحرف "كل ضلالة في النار" لم يُرْوَ في هذا الحديث إلا من طريق عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري، وأما من غير حديث جابر فقد روي عن ابن مسعود موقوفاً عند اللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٨٥) ، والبيهقي ص ١٨٩، وإسناد البيهقي ضعيف، أما إسناد اللالكائي ففيه أيوب بن الوليد، وهو مترجم في " تاريخ بغداد " ٧/ ١٠، ولم يأثر الخطيب فيه جرحاً ولا تعديلاً " .

سواء كانت الطُّرق التي أحدثها النَّاس قديمة أو جديدة الواجب تركها ، واعتماد الطَّريق الذي سلكه المسلمون في عهده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلى يومنا هذا ، وهو اتباع كتاب الله والسُّنَّة والاستقامة على دين الله ، كما جاء عن الله وعن رسوله ، من غير زيادة ولا نقصان .

وأمَّا إحداث طقوس أو طوائف جديدة ، لم يفعلها الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أصحابه ، فهذا لا يجوز ، وهذا هو الذي يسمَّى البدعة ، وأنصار السنَّة المحمَّديَّة من خيرة النَّاس في مصر وفي السُّودان ، أنصار السنَّة هم الذين يدعون إلى التَّمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وليسوا من الفرق الضَّالة ، بل هم من فرقة أتباع الكتاب والسُّنَّة ، ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام في الفرق : " وستفترق أمَّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلُّها في النَّار إلا واحدة ، قيل من هي يا رسول الله ؟ قال : الجماعة " ، الذين اجتمعوا على الحقِّ ، وساروا على نهج النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم الصَّحابة ومن سلك سبيلهم ، وفي رواية أخرى : " هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي " ، يعني الذين تمسَّكوا بطريق النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريق أصحابه ، وساروا عليه . فالواجب على المسلمين أن يلزموا هذا الطَّريق ، وهو طريق النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، باتباع الأوامر وترك النَّواهي ، وعدم إحداث أيّ شيء من الحوادث ، لا في الأذكار ولا في الصَّلوات ، ولا في الصَّوم ولا في غير ذلك ، بل يجب السَّير على ما سار عليه الصَّحابة رضي الله عنهم ، وأتباعهم بإحسان ، هذا هو الحقُّ ، ولمَّا تفرق النَّاس كثرت بينهم البدع والأهواء ، وكلٌّ اخترع لنفسه طريقة من كيسه ، لم يشرعها الله له ، ولهذا تعدَّدت الطُّرق حتى وصلت إلى ثنتين وسبعين فرقة غير الفرقة النَّاجية !!! ومنهم : الجهميَّة ، والمعتزلة ، والرَّوافض ، وجماعات أخرى كثيرة ، كلُّها داخلة في هذه الفرق الضَّالَّة .

فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر كلَّ بدعة أحدثها النَّاس ، وأن يلزم طريق النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وطريق أصحابه وما سار عليه صحابته رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان ، في طاعة الأوامر وترك النَّواهي ، والوقوف عند حدود الله ، وعدم إحداث شيء ليس له أصل في الشَّرع ، والله المستعان " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ١٦٤-١٦٧) .

قُلْتُ : لقد استمرأ المتسلِّفة علىٰ وصف كلّ جديد بالبدعة حتىٰ لو لم يُصادم النُّصوص الشَّرعيَّة ، وهذه مجافاة للحقيقة ، وخروج عمَّا ذهب إليه جمهور أهل العلم في تعريف البدعة ...

ولعلَّ من أفضل التَّعريفات التي عرَّف بها العلماء البدعة ، ما عرَّفها به الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) ، قال : " ... فكم من مُحدث حسن ، كما قيل في إقامة الجماعات في التَّراويح : إنَّها من مُحدثات عمر رضي الله عنه ، وأنَّها بدعة حسنة ، إنَّما البدعة المذمومة ما يصادم السُّنَّة القديمة أو يكاد يفضي إلىٰ تغييرها " . انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٧٦) .

" فليس كُلُّ مَا أُبْدِعَ مَنْهِيّاً ، بَلِ الْمَنْهِيُّ بِدْعَةٌ تُضَادُّ سُنَّةً ثَابِتَةً ، وَتَرْفَعُ أَمْراً مِنَ الشَّرْعِ مع بقاء علَّته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيَّرت الأسباب " . انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٣) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) في تعريفه للبدعة : " البِدعة في الدِّين : هي ما لم يَشرَعه الله ورسولُه ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب . فأمَّا ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعُلم الأمر به بالأدلَّة الشرعيَّة ، فهو من الدِّين الذي شرَعه الله ، وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك ، وسواء كان هذا مفعولاً علىٰ عهد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لم يكن ؛ فما فُعِل بعده بأمْره مِن قتال المرتدِّين والخوارج المارقين ... وغير ذلك ، هو من سُنَّته " . انظر : مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٤/ ١٠٧-١٠٨) .

قُلْتُ : وقد أقدم المتسلِّفة علىٰ شطب هذه الفقرة من نسخة الفتاوىٰ الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم ، وإليه وحده تعالىٰ المُشتكىٰ من أُناس استمرأوا العبث بكتب أهل العلم ... وهم بعملهم هذا يعبِّرون عن منهجهم القائم علىٰ التَّلبيس والتَّدليس ، وطمس الحقائق ...

وقال الإمام سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التَّفتازاني (٧٩١هـ) : " أنَّ البدعة المذمومة هو : المُحدَث في الدِّين من غير أن يكون في عهد الصَّحابة والتَّابعين ، ولا دلَّ عليه الدَّليل الشَّرعي ، ومن الجهلة من يجعل كلّ أمر لم يكن في زمن الصَّحابة بدعة مذمومة وإن لم يقم دليل علىٰ قبحه ، تمسُّكاً بقوله عليه

الصَّلاة والسَّلام : " إيَّاكم ومحدثات الأمور " ، ولا يعلمون أنَّ المراد بذلك هو : أن يجعل في الدِّين ما ليس منه " . انظر : شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٢/ ٢٧١) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَّلامي ، البغدادي ، ثُمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعاً ، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً " . انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٧) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن علي الزّين الشَّريف الجرجاني (٨١٦هـ) : " البدعة : هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصَّحابة والتَّابعون ، ولم يكن ممَّا اقتضاه الدَّليل الشَّرعي " . انظر : كتاب التعريفات ، الشَّريف الجرجاني (ص٤٣) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " هي اعتقادُ ما أُحْدِثَ على خِلاف المعروف عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا بمعاندةٍ، بل بنوعِ شُبْهَةٍ " . انظر : نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، ابن حجر العسقلاني (ص١٠٧) .

وقال الإمام جمال الدِّين ، محمَّد طاهر بن علي الصِّدِّيقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) : " هي نوعان : بدعة هدى ، وبدعة ضلالة ، فمن الأوَّل : ما كان تحت عموم ما ندب الشَّارع إليه ، وحضَّ عليه ، فلا يذمّ ، لوعد الأجر عليه بحديث : " من سنَّ سنة حسنة " ، وفي ضدّه : " من سنَّ سنَّة سيِّئة " ، ومن الثَّاني : ما كان بخلاف ما أمر به ، فيذمّ وينكر عليه ، والتَّراويح من الأوَّل ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسنّها لهم ، وإنَّما صلَّاها ليالي ثُمَّ تركها ، ولا كان في زمن الصِّدِّيق ، وهي على الحقيقة سنَّة ، لحديث : " عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين " ، " واقتدوا باللذين من بعدي " . أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٣٨ برقم ٢٩٤) ، المسند (٥/ ٣٨٢ برقم ٢٣٦٣٤) ، الترمذي (٦/ ٥٠ برقم ٣٦٦٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ) ، البزار (٧/ ٢٤٨ برقم ٢٨٢٧) ، الآجري في الشريعة (٤/ ١٧٣٦ برقم ١١٩٩) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٤٠ برقم ٣٨١٦) ، المعجم الكبير (٩/ ٧٢ برقم ٨٤٢٦) ، مسند الشاميين (٢/ ٥٧ برقم ٩١٣) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٧٩ برقم ٤٤٥١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٩٥ برقم ٢٤٩٩) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٣٤٠) ، معرفة السنن والآثار (٧/ ٤٧٦ برقم ١٠٧٥٦) ، السنن الكبرى (٥/ ٣٤٧ برقم ١٠٠٥٦) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٦٦ برقم ٢٣٠٨) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٢٠٨) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٠ برقم ٣١٩٤٢) .

وعلى الآخر يحمل حديث : " كل محدثة بدعة " ، والمبتدع أكثر ما يستعمل عرفاً في الذَّم " . انظر : مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، محمَّد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (١/ ١٤٨) .

وقد فهم العلماء من قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " . أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم ، (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

أنَّ البدعة تنقسم : بدعة حسنة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة سيِّئة ، وهي ما خالف الشَّرع ...

والحديث السَّابق نصٌّ صريحٌ وواضحٌ في أنَّ العمل لا يكون مردوداً إلا إذا كان علىٰ خلاف الشَّريعة ، أمَّا إذا كان موافقاً للشَّريعة أو لا يتعارض معها فليس مردوداً ، بل هو من الشَّريعة ، بدليل قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " . أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨) ...

فقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وكلُّ محدثَةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ " ، لا يدخُلُ فيه البدعةُ الحسنةُ ، لأنَّ هذا الحديثَ من العامّ المخصوصِ ، بمعنىٰ : أنَّ لفظَهُ عامٌّ ، إلا أنَّه خاصٌّ ، لا يتعلَّق إلا بالبدعَةِ المضادَّة للشَّريعةِ ، بدليلِ قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : "من سَنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً ... " .

وبناء علىٰ ذلك الفهم الصَّحيح للحديث قال الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) : " " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : بِدْعَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ . فَمَا وَافَقَ السُّنَّةَ فَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَمَا خَالَفَ السُّنَّةَ فَهُوَ مَذْمُومٌ " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) .

وأكَّد النقل السَّابق عن الإمام الشَّافعي الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) فنقل " عن حَرْمَلَة ابْن يحيىٰ (٢٤٣هـ) : سَمِعت

الشَّافعي رَحمَه الله تَعَالَىٰ يَقُول : الْبِدْعَة بدعتان : بِدعَة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فَمَا وَافق السّنَّة فَهُوَ مَحْمُود ، وَمَا خَالف السّنَّة فَهُوَ مَذْمُوم " . انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث ، أبو شام، (ص٢٢) .

وأخرج البيهقي بسنده عن الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : قَالَ الشَّافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الْمُحْدَثَاتُ مِنَ الْأُمُورِ ضِرْبَانِ : أَحَدُهُمَا : مَا أُحْدِثَ يُخَالِفُ كِتَاباً أَوْ سَنَةً أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعاً ، فَهَذِهِ لَبِدْعَةُ الضَّلَالَةِ . وَالثَّانِيَةُ : مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ لَا خِلَافَ فِيهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا ، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ : نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، يَعْنِي : أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ لَمْ تَكُنْ ، وَإِنْ كَانَتْ فَلَيْسَ فِيهَا رَدٌّ لِمَا مَضَىٰ . انظر : المدخل إلى السنن الكبرىٰ (ص٢٠٦) .

قال الإمام ابن تيمية : "هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصَّحيح في المدخل " . انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩) .

قُلْتُ : وقد أقدم المتمسِّحون بالسَّلف علىٰ شطب كلام البيهقي ، وكذا حكم ابن تيمية عليه بالصِّحَّة من نسخة درء تعارض العقل والنقل الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فتبّاً لهم وتعساً ... وهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي ، خيانةٌ ، وغشٌّ ، وتدليسٌ ، وتلبيسٌ ، وتشويهٌ ، وعبثٌ ...

فالبدعَة الحَسنَة هيَ المُحدَثُ الذي يُوافِقُ القُرءانَ والسُّنَّة ، والبِدعَة السيِّئة هي المُحْدَثُ الذي يُخَالِفُ القُرءانَ والسُّنَّة ...

قال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) ، قال : " والبدعة كلّ ما قيل أو فعل ممَّا ليس له أصل فيما نُسب إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو في الدِّين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنَّ منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هذه " ، وهو ما كان فعل خير جاء النَّصُّ بعموم استحبابه ، وإن لم يقرّر عمله في النصِّ . ومنها ما يكون مذموماً ، ولا يعذر صاحبه ، وهو ما قامت به الحجَّة علىٰ فساده ، فتمادىٰ عليه القائل به " . انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤٧) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن محمَّد المعافري ، أبو بكر ابن العربي (٥٤٣هـ) : " اعلموا علَّمكم الله أنَّ المُحْدَث علىٰ قسمين : مُحدَث ليس له أصل إلَّا الشَّهوة والعمل بمقتضىٰ الإرادة ، فهذا باطل قطعاً ، ومُحْدَث يحمل النَّظير علىٰ النَّظير ، فهذه سنَّة الخلفاء والائمَّة الفضلاء ، وليس المُحْدث والبدعة مذموماً

للفظ مُحْدَث وبدعة ، ولا لمعناها ، فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ﱡﭐ مى مي نج نح نخ نم نى ﱠ﴾ [الأنبياء: ٢] ، وقال عمر : " نعمت البدعة هذه " . أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

إنَّما يذمُّ من البدعة ما خالف السنَّة ، ويذُّم من المحدثات ما دعا إلىٰ ضلالة " . انظر : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، ابن العربي (١٠/ ١٠٦-١٠٧) .

فالبدعة بدعتان : بدعة هدىٰ ، وبدعة ضلالة ، فما وافق الشَّرع فهو بدعة هدىٰ ، وما خالف الشَّرع فهو بدعة ضلالة ...

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " والبدعة : عبارة عَنْ فعل لم يكن فابتدع ، والأغلب فِي المبتدعات أنَّها تصادم الشَّريعة بالمخالفة ، وتوجب التَّعاطي عليها بزيادة أَوْ نقصان ، فان ابتدع شيء لا يخالف الشَّريعة ولا يوجب التَّعاطي عليها ، فقد كان جمهور السَّلف يكرهونه ، وكانوا ينفرون من كلِّ مبتدع ، وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وَهُوَ الاتباع . وَقَدْ قَالَ زيد بْن ثابت لأبي بَكْر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حين قالا لَهُ اجمع القرآن : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ " . انظر : تلبيس إبليس ، ابن الجوزي (ص١٦) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَان : بِدْعَةُ هُدًىٰ ، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فِي حَيِّز الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَا كَانَ وَاقِعاً تَحْتَ عُموم مَا نَدب اللهُ إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ اللهُ أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْع مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَردَ الشَّرْعُ بِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَاباً " . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " البِدعة بكسر الباء في الشَّرع هي : إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وهي منقسمة إلىٰ : حسنة ، وقبيحة " . انظر : تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢) .

وفي فتاواه ذكر الإمام ابن تيمية أنَّ البدعة تنقسم إلىٰ قسمين : بدعة حسنة مستحبَّة ، وهي التي وافقت الكتاب أو السنَّة أو الإجماع ، وبدعة سيِّئة مذمومة ، وهي التي خالفت كتاباً أو سنّةً أو إجماعاً وأثراً عن بعض أصحاب رسول اللهّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذه بدعة ضلالةٍ ... قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " وكلُّ بدعة ليست واجبة ولا مستحبَّة ، فهي بدعة سيِّئة ، وهي ضلالة باتِّفاق المسلمين . ومن قال في بعض البدع إنَّها بدعة حسنة ، فإنَّما ذلك إذا قام دليل شرعيٌّ علىٰ أنَّها مستحبَّة ، فأمَّا ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنَّها من الحسنات التي يتقرَّب بها إلىٰ الله " . انظر : مجموع فتاوىٰ شيخ الاسلام ابن تيمية (١/ ١٦٢) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمَّد ، بلا.

قُلْتُ : وقد أقدم المتسلِّفة علىٰ شطب هذه الفقرة من نسخة الفتاوىٰ الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فتبَّاً لهم وتعساً ... وهم بعملهم هذا منهزمون مهزومون أمام ضربات الحقِّ ، وصولته ، وصولجانه ... وإنَّني أُبرِّئ الإمام ابن تيمية من كثير من تخابطاتهم ، وتناقضاتهم ، وفتَنِهم التي عجَّت بها البلاد ، واكتوىٰ بنارها ولظاها العباد ...

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) أيضاً : " ومن هنا يعرف ضلال من ابتدع طريقاً أو اعتقاداً زعم أنَّ الإيمان لا يتمُّ إلا به ، مع العلم بأنَّ الرَّسول لم يذكره ، وما خالف النُّصوص فهو بدعة باتِّفاق المسلمين ، وما لم يعلم أنَّه خالفها ، فقد لا يسمَّىٰ بدعة ، قال الشَّافعي – رحمه اللهّ –: البدعة بدعتان : بدعة خالفت كتاباً وسنّةً وإجماعاً وأثراً عن بعض أصحاب رسول اللهّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه بدعة ضلالةٍ . وبدعة لم تخالف شيئاً من ذلك ، فهذه قد تكون حسنةً لقول عمر : " نعمت البدعة هذه " .. هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصَّحيح في المدخل " . انظر : مجموع فتاوىٰ شيخ الاسلام ابن تيمية ، ابن تيمية ، (٢٠/ ١٦٣) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمَّد .

قُلْتُ : وهذه الفقرة كسابقتها ، قام المتسلِّفون بشطبها من نسخة الفتاوىٰ الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... ولذا فالمنهج الوهَّابيُّ منهجٌ قائمٌ علىٰ الكذب والغشِّ والدَّجل والتَّلاعب ... من أوَّل يوم إلىٰ الآن ... فإلىٰ الله المشتكىٰ .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " إذاً البدعة الحسنة – عند من يقسِّم البدع إلىٰ حسنةٍ وسيِّئةٍ – لا بدَّ أن يستحبَّها أحدٌ من أهل العلم الَّذين يُقتدىٰ بهم ، ويقوم دليلٌ شرعيٌّ علىٰ استحبابها ، وكذلك من يقول : البدعة الشَّرعيَّة كلُّها مذمومة لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح : " كلُّ بدعةٍ ضلالة " ،

ويقول قول عمر في التَّراويح : " نعمت البدعة هذه " إنَّما أسماها بدعةً : باعتبار وضع اللّغة . فالبدعة في الشَّرع عند هؤلاء ما لم يقم دليل شرعيٌّ على استحبابه " . انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ابن تيمية ، (٢٧/ ١٥٢) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمَّد .

قُلْتُ : وهذه الفقرة كسابقتيها ، قام المتسلِّفة بشطبها من نسخة الفتاوى الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس .....

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " قال الشَّافعي " البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السّنَّة فهو محمود ، وما خالفها فهو مذموم . أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشَّافعي . وجاء عن الشَّافعي أيضاً ما أخرجه البيهقي في مناقبه ، قال : " المحدثات ضربان : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلال ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة " انتهى . وقسَّم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة ، وهو واضح " . انظر : الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان (١/ ١٦٢) .

قُلْتُ : وهذه الفقرة كسابقاتها ، قام المتسلِّفة بشطبها من نسخة الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ...

وقال الإمام ابن تيمية في استحبابه الاحتفال بميلاد سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ من يفعله يكون له منه أجر عظيم لحسن مقصده النَّابع عن محبَّته للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " فتعظيم المولد ، واتِّخاذه موسماً ، قد يفعله بعض النَّاس ، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما قدَّمته لك أنَّه يحسن من بعض النَّاس ، ما يستقبح من المؤمن المسدّد " . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٢٩٧) .

قُلْتُ : وهذه كسابقاتها ... قام المتسلِّفة بشطبها من نسخة كتاب : " اقتضاء الصِّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم " ، لابن تيمية ، والموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم .

وقد دأب أغلب الحنابلة على موافقة جمهور العلماء في تعريف البدعة ، وأنَّها تتعلَّق بموافقة أو عدم موافقة الشَّرع ، فما وافق الشَّرع فهو بدعة حسنة ، وما خالف الشَّرع فهو بدعة ضلالة ...

قال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثُمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعاً ، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً " . انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٢/ ١٢٧) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " والبدعة فِي الأَصْل إِحْدَاث أَمر لم يكن فِي زمن رَسُول الله ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الْبِدْعَة علىٰ نَوْعَيْنِ : إِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستحسن فِي الشَّرْع ، فَهِيَ بِدعَة حَسَنَة ، وَإِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستقبح فِي الشَّرْع ، فَهِيَ بِدعَة مستقبحة " . انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٢٦) .

وذهب بعض العلماء إلىٰ تقسيم البدعة إلىٰ الأحكام الخمسة : وهي الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام ، منهم : الإمام العز بن عبد السَّلام ، والإمام النَّووي ، والإمام الكرماني ، والإمام ابن حجر العسقلاني ، والإمام الزَّرقاني ، والإمام الأمير الصَّنعاني ، والإمام التَّهانوي ، والإمام ابن عابدين ...

قال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلَىٰ : بِدْعَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَنْدُوبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُبَاحَةٌ ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَلِلْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثِلَةٌ .

أَحَدُهَا : الِاشْتِغَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللهَّ وَكَلَامُ رَسُولِهِ – صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأَتَّىٰ حِفْظُهَا إلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .

الْمِثَالُ الثَّانِي : حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ والسُّنَّة مِنْ اللُّغَةِ .

الْمِثَالُ الثَّالِثُ : تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ .

الْمِثَالُ الرَّابِعُ : الْكَلَامُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ السَّقِيمِ ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرْضُ كِفَايَةٍ فِيمَا زَادَ عَلَىٰ الْقَدْرِ الْمُتَعَيِّنِ ، وَلَا يَتَأَتَّىٰ حِفْظُ الشَّرِيعَةِ إلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنَ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : إِحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاطِرِ ، وَمِنْهَا كُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، وَمِنْهَا : صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصَوُّفِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمَحَافِلِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ الْمَسَائِلِ إذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ .

وَمِنْهَا : تَزْوِيقُ الْمَصَاحِفِ ، وَأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ أَلْفَاظُهُ عَنْ الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ ، فَالْأَصَحُّ أَنَّه مِنْ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ .

وَمِنْهَا : التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ ، وَلُبْسِ الطَّيَالِسَةِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ .

وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنْ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلاة وَالْبَسْمَلَةِ " . انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السَّلام (٢/ ٢٠٤–٢٠٥) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي في كلامه علىٰ قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " : " هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ ، وَالْمُرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُحَرَّمَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ . فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلَّة المتكلِّمين لِلرَّدِّ عَلَىٰ الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ ، وَشِبْهُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ : تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ ، وَبِنَاءُ الْمَدَارِسِ ، وَالرُّبُطِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمُبَاحِ : التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ .

وَقَدْ أَوْضَحْتُ الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي : " تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ " ، فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ ، وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ ، وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ : قَوْلُ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في التَّرَاوِيحِ : " نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ " وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامّاً مَخْصُوصاً قَوْلُهُ : " كُلُّ بِدْعَةٍ " ، مُؤَكَّداً بِكُلِّ بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ أنم نن نيَّ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٥٤–١٥٥) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي أيضاً في كلامه علىٰ قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا " : " ... فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّه قَالَ فِي أَوَّلِهِ : فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجزُ عَنْهَا ، فَتَتَابَعَ النَّاس ، وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ ، وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ ، وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ . وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ الْبِدَعَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٌ " . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي (٧/ ١٠٤) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني أيضاً : " والبدعة كلُّ شيء عمل علىٰ غير مثال سابق ، وهي خمسة أقسام : واجبة ، ومندوبة ، ومحرَّمة ، ومكروهة ، ومباحة ، وحديث : " كلُّ بدعة ضلالة " من العامِّ المخصوص " . انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، الكرماني (٩/ ١٥٤) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وَالْبِدْعَةُ أَصْلُهَا مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَتُطْلَقُ فِي الشَّرْعِ فِي مُقَابِلِ السُّنَّةِ ، فتَكُونُ مَذْمُومَةً . وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَحْسَنٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ حَسَنَة ، وَأَن كَانَت مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَقْبَحٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ مُسْتَقْبَحَةٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ ، وَقَدْ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ ... " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٥٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) في شرحه لقول عمر : " نَعِمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ " : " ... فَسَمَّاهَا بِدْعَةً لِأَنَّهُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَسُنَّ الِاجْتِمَاعَ لَهَا ، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَانِ الصِّدِّيقِ . وَهُوَ لُغَةً مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ، وَتُطْلَقُ شَرْعاً عَلَىٰ مُقَابِلِ السُّنَّةِ وَهِيَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ " . انظر : شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك (١/ ٤١٨) .

وقال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثُمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) : " الْبِدْعَةُ لُغَةً : مَا عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَا عُمِلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ شَرْعِيَّةٌ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ :

وَاجِبَةٌ : كَحِفْظِ الْعُلُومِ بِالتَّدْوِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الْمَلاحِدَةِ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ .

وَمَنْدُوبَةٌ : كَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ .

وَمُبَاحَةٌ : كَالتَّوْسِعَةِ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَفَاخِرِ الثِّيَابِ .

وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ : وَهُمَا ظَاهِرَانِ .

فَقَوْلُهُ : كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ عَامٌّ مَخْصُوصٌ " . انظر : سبل السَّلام ، الصنعاني (١/ ٤٠٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علي ابن القاضي محمَّد حامد بن محمَّد صابر الفاروقي الحنفي التَّهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) : " وقد فصّل الشَّيخ عبد الحق الدِّهلوي في شرح المشكاة في باب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، فقال : اعلم بأنَّ كلّ ما ظهر بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو بدعة . وكلّ ما وافق الأصول والقواعد أو القياس فتلك البدعة الحسنة . وما لم يوافق ذلك فهو البدعة السِّيئة والضَّلالة. ومفتاح كلّ بدعة ضلالة محمول على هذا .

هذا وإنّ بعض البدع واجبة شرعاً ، مثل : تعلُّم وتعليم الصَّرف ، والنَّحو ، واللغة التي بها تُعرف الآيات والأحاديث ، وحفظ غريب الكتاب والسُّنَّة يصير ممكناً ، وبقيَّة الأشياء التي يتوقَّف عليها حفظ الدِّين والأمَّة .

وثمَّة بدع مستحسنة ومستحبّة ، مثل : بناء الرّباط ، والمدارس ، وأمثال ذلك ؛ وبعض البدع مكروهة ، مثل : تزيين المساجد بالنقوش والمصاحف على حدِّ قول بعضهم ، وبعض البدع مباحة ، مثل : الرَّفاهيَّة في المطاعم اللذيذة والملابس الفاخرة ، بشروط منها : أن تكون حلالاً وأن لا تدعو إلى الطُّغيان والتكبُّر والمفاخرة ، وكذلك المباحثات التي لم تكن في عصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وبعض البدع حرام ، كما هي حال مذاهب أهل البدع والأهواء المخالفة للسّنَّة والجماعة ، وما فعله الخلفاء الرَّاشدون ، وإن لم يكن موجوداً في عصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو بدعة ، ولكن من قسم البدعة الحسنة ، بل هو في الحقيقة سنَّة ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حضَّ على التَّمسُّك بسنَّته وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين من بعده رضي الله عنهم " . انظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي (١/ ٣١٣-٣١٤) .

وتحت عنوان : " التَّصوُّف عين البدعة ... والتَّوحيد دين الأنبياء والرُّسل " ، نشرت صحيفة المدينة (ملحق الرِّسالة) مقالاً للشَّيخ عبد الرَّحمن بن صالح محيي الدِّين ، أستاذ الحديث الشَّريف ، المدينة المنوَّرة

، جاء فيه : " الصُّوفيَّة عين البدعة ، والبدعة ضلالة ، والتَّوحيد هو طريق الأنبياء والرُّسل ومن تبعهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهم خلاصة البشريَّة ، وهم أهل الجنَّة ، وهو طريق النَّجاة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتىٰ الله بقلب سليم ، والقلب السَّليم الخالي من الشِّرك (أي خالص التَّوحيد) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :ٱُّٱ ئرئز ئمَّ [الشعراء: ٨٩] ، أي : سالم من الدَّنس والشِّرك ، ثُمَّ ذكر أقوال السَّلف في ذلك ، ومنهم أبو عثمان النَّيسابوري ، حيث قال : هو القلب السَّالم من البدعة ، المطمئنُّ إلىٰ السنَّة ، وأيضاً قول سعيد ابن المسيّب ، حيث قال : القلب السَّليم هو القلب الصَّحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأنَّ قلب الكافر والمنافق مريض ، قال الله تعالىٰ : ٱُّٱ تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي َّ [البقرة: ١٠] .

والتَّوحيد شفاء القلوب المريضة بالبدعة ، والبدع ما أكثرها في زماننا هذا ، يزيِّنها أصحابها ، ويلبِّسونها بالحقّ لتقبل عند النَّاس ، ولكن يأبىٰ الله إلَّا أن يجعل عند كلّ بدعة من يردّها علىٰ أصحابها .

ومن البدع التي أكل عليها الدَّهر وشرب هي بدعة التَّصوُّف بأنواعه وأشكاله حيث دخل إلىٰ الإسلام عن طريق العجمة ، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول : كلّ نقص جاء في الإسلام عن طريق العجمة ... أقول : العجمة ها هنا هي عدم الفهم عن الله مراده ، وليست عجمة النَّسب ، فقد يكون الإنسان أعجمياً ، ويفهم عن الله مراده ، وقد يكون عربيَّاً ولا يفهم عن الله مراده ، فالقسمة هاهنا رباعيَّة ، كما قال شيخ الإسلام ، عربي يفهم وعربي لا يفهم ، وأعجمي يفهم وأعجمي لا يفهم ، فأفضلهم العربي الذي يفهم ، ثُمَّ بعده الأعجمي الذي يفهم ، وأسوأهم الذي لا يفهم ، وضابط ذلك كلّه : العلم النَّافع ، والعمل الصَّالح ، وهو الذي علىٰ منهاج النُّبوَّة ٱُّٱ ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى َّ [الحجرات: ١٣] ، والتَّصوُّف أصلاً ليس من الإسلام في شيء !!! ولم يتعبَّد الله عبادة إلَّا بالإسلام الصَّحيح ، وهو الاستسلام لله بالتَّوحيد ، وهو عين التَّوحيد .

لم يقل الله : كونوا صُوفيَّة ، وإنَّما قال كونوا ربَّانيِّين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، بل قال جلَّ وعلا ٱُّٱ تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه َّ [الحديد : ٢٧] ، ووالله إنَّ الصُّوفيَّة الآن ابتدعها إخواننا المسلمون ، ما كتبها الله علينا ، فيكفينا ما كان عليه سيِّد البشر صلوات الله وسلامه عليه .

والصُّوفيَّة والتَّصوُّف هي طريقة تربويَّة تعبُّديَّة ، ابتدعها كلُّ إنسان على مزاجه وفهمه للإسلام ، فكلما كان فهمه قاصراً أو أشدّ قصوراً ، كان طريقته أبعد في الضّلال ، وهلم جرَّاً حتى ينتهي إلى الإسلام الصَّحيح الذي كان عليه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتكون تربيته وتعبُّده بعد ذلك على منهاج النُّبوَّة .

ولذا لا نعجب إذا رأينا كثرة الطُّرق الصُّوفيَّة ، وبعضها أعمق في الضَّلالة من بعض ، هذا كلّه لبعدهم عن المنهج الصَّحيح كتاب الله وسنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وانظر إلى المثال الواضح أمامك في شخصيتين تاريخيتين في الإسلام شتَّان بينهما :

الأوَّل : شيخ الإسلام الإمام أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله تعالى جدَّد دين الله بدعوته الصَّادقة إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فهم السَّلف الصَّالح ، والذي يقرأ فتاواه يجد العجب في كيفيَّة استحضاره الشَّواهد من الآيات والأحاديث على أقواله وفتاواه حيث ربط نفسه بالوحيين .

والثَّاني : الإمام الغزالي رحمه الله ، صاحب الإحياء ، شغل وقته كلَّه في التَّصوُّف والخرافات !!! فجاء كتابه العجب العجاب في التَّربية الصُّوفيَّة ، خلط فيه الحقّ بالباطل ، والسُّنَّة بالبدعة ، حتى تندَّم آخر عمره أنَّه أضاعه في هذه الطُّرق المتشعِّبة ، لا أن نزيدها فرقة بإحياء طرق التَّصوُّف ، والزَّعم أنَّ هناك تصوُّفاً صحيحاً ، وتصوُّفاً مغلوطاً وضلالاً ، ونريد أن نحيي التَّصوُّف الصَّحيح ، فنرفع علم الصُّوفيَّة والدِّفاع عنها ... " . انظر : صحيفة المدينة (ملحق الرسالة) ، الجمعة ١٧ جماد الأول ١٤٢٦ ، الموافق ٢٤ يونيو ٢٠٠٥ ، العدد ١٥٤٠٢ ، باختصار .

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

مع أنَّنا لو دقَّقنا في كتب ابن تيمية لرأينا أنَّه هو المبتدع بِدَعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السُّنَّة ، فهو من ابتدع : القول بحوادث لا أوَّل لها ، وقال بالقِدَم النَّوعي للعالم ، وقال بالتَّشبيه والتَّجسيم وأنَّه لايوجد شرعاً أو عقلاً ما يمنع من أن يكون الله جسماً ، وقال بعدم تحريف ألفاظ التَّوراة ، وقال بفناء النَّار ، وقال بالحدِّ لله تعالى وكفَّر من ينكر ذلك ، وقال بأنَّ الله تعالى بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر ، وقال بتقسيم التَّوحيد إلى توحيد ألوهيَّة وتوحيد ربوبيَّة ، وتوحيد أسماء وصفات ، حتى غدا التَّوحيد تعديداً ، وقال بأنَّ القرءان محدثٌ في ذاته تعالى ، ومنع التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدّ الرِّحال لزيارة قبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، وصرَّح بأنَّه ليس للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاه ، وقال بأنَّ إنشاء السَّفر لزيارة نبيِّنا

محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وصرَّح بأنَّ الله تعالىٰ يلْمسُ ويُلْمس ويتذوَّق ، وأنَّ الله تعالىٰ مستو علىٰ العرس بمماسَّة واستقرار ، وأنَّ الله تعالىٰ يتحرَّك وينزل بانتقال من وإلىٰ ، وأنَّ الله تعالىٰ يتكلَّم بحرف وصوت وأنَّ صوته يشبه أصوات الصَّواعق ، وقال بقيام الحوادث في ذات الله تعالىٰ ، وأنَّه تعالىٰ مُحيط بذاته بجميع المخلوقات ... هذا عدا عن أخطائه العديده في الفرعيَّات ...

وقال المدعو عمر محمود : " فالصُّوفيَّة مذهبٌ دخيلٌ ليس من الإسلام في شيء !!! وهو ديانة مستقلَّة !!! ليس لها وجه قُربة مع الإسلام !!! لا في أُصولها ، ولا في فروعها ، فهي لها عقائد خاصَّة بها !!! وأركان عبادات كذلك ، وشرح هـذا الامر يطول جداً " . انظر : ملاحظات علىٰ البيجوري في شرحه جوهرة التوحيد ، عمر بن محمود أبو عمر (ص ٧٧) .

فهذا المتعالم ... يكفِّر السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، وهو ومثله من جلب السُّبَّة لدين الله تعالىٰ ، من خلال التَّكفير والتنفير ، والابتعاد عن هدي البشير النَّذير ...

وفي كتابهم المُسمَّىٰ : إعصارُ التَّوحيد " ، كفَّروا الصُّوفيَّة ، وأهل الطُّرق ، وأهل البلاد الإسلاميَّة ، كأهل مصر ، وليبيا ، والمغرب العربي ، والهند ، وفارس ، وآسيا الغربيَّة ، وبلاد الشَّام ، ونيجيريا ، وتركيَّا ، والبلاد الرُّوميَّة ، والأفغانيَّة ، وبلاد تركستان الصِّينيَّة ، والسُّودان ، وتونس ، ومراكش ، والجزائر ... انظر : إعصار التوحيد يحطّم وثن الصُّوفيّة ، عبد العزيز بن باز واللّجنة الدّائمة للإفتاء ، جمع وترتيب : نبيل محمود ، دار القاسم ، ١٤١٨هـ .

وهم بهذا يكفِّرون عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، ولم يُبْقُوا علىٰ التَّوحيد إلَّا هم ومن شايعهم من الهمج الجهَّال الرّعاع ، مع العلم أنَّ تكفيرهم للصُّوفيَّة لم يأتِ من عبث ، فما كان إلَّا لأنَّهم يعلمون يقيناً أنَّ الصُّوفيَّة من أشدِّ النَّاس محبَّة للحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ أغلب العلماء الربَّانيين إن لم نقل كلّهم ، من أهل التَّصوُّف ، الذين اشتهر عنهم التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء والصَّالحين ... كما ستجد ذلك يقيناً في هذه الموسوعة المُباركة بإذن الله تعالىٰ ...

الفَصْلُ الرَّابِعُ

إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّة الذِّكْرُ بِالاسْمِ المُفْرَد

الذِّكرُ بالاسم المُفْرد مشروع ، قال به الكثير من الأئمة ، كالإمام أبو القاسم الجنيد بن محمَّد بن الجنيد النَّهاوندي البغدادي الخزَّاز القواريري (٢٩٧هـ) ، والإمام أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشِّبلي (٣٣٤هـ) ، والإمام أبو يزيد البسطامي (٢٦١هـ) ، والإمام عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) ، والإمام أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ، والإمام فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) ، والإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي (٦٨٦هـ) ، والإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن الحسين بن محمَّد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشَّريف (١٢٢٤هـ) ، وغيرهم كثير ...

ولَمَّا كان ديدن من يدَّعون السَّلفيَّة قائم على مخالفة ومحاربة ومواجهة من لا ينضوي تحت إمرتهم ، ويخرج عن رأيهم ... فقد حاربوا ما يصنعه السَّادة الصُّوفيَّة من الذِّكر بالاسم المُفرد ... وكالوا له العديد من الشُّبهات ...

ومن أهمِّ الشُّبه والتُّهم التي عابها الوهَّابية على السَّادة الصُّوفيَّة : الذِّكْرُ بِالاسْمِ المُفْرَد ...

والذِّكْر لغة : مصدر ذكَر الشَّيء يذكره ذِكْراً وذُكْراً ، قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا (٣٩٥هـ) : " ذَكَرْتُ الشَّيء ، خلافُ نسِيتُه ، ثُمَّ حمل عليه الذِّكر باللِّسان ، ويقولون : اجعلْه منك على ذُكْرٍ ، بضمِّ الذَّال ، أي لا تَنْسَه . والذِّكر : العَلاء والشَّرَف ، وهو قياس الأصل ، ويقال رجلٌ ذَكِرٌ وذكيرٌ ، أي جيِّد الذِّكْر شَهْمٌ " . انظر : معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٥٨) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " الذِّكر تارة يقال ويراد به هيئة للنَّفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ، وهو كالحفظ إلَّا أنَّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه ، والذِّكر يقال اعتباراً باستحضاره ، وتارة يقال لحضور الشَّيء القلب أو القول ، ولذلك قيل : الذِّكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكلٌّ واحد منهما ضربان ، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان ، بل عن إدامة الحفظ . وكل قول يقال له ذكر ، فمن الذِّكر باللسان قوله تعالى : ﭐﱡ سخ سم صح صخ صم ضجضحﱠ[الأنبياء: ١٠] . وقوله تعالى : ﭐﱡ كى كي لم لىﱠ[الأنبياء: ٥٠] ، وقوله وقوله:ﭐﱡ مج مح مخ مم نج نح نخنمﱠ[الأنبياء: ٢٤] ، وقوله: ﭐﱡ ما مم نر نز نم ننﱠ[ص:٨] ، أي: القرآن، وقوله تعالى: ﭐﱡ لخ لم لى لي مجﱠ[ص: ١] ، وقوله: ﭐﱡ ته ثم جح جمحجﱠ[الزخرف:٤٤] ، أي: شرف لك ولقومك، وقوله: ﭐﱡ مي نج نحﱠ [النحل: ٤٣] ، أي: الكتب المتقدّمة ، وقوله : ﭐﱡ ثم جح جم حج حم * خمﱠ[الطلاق: ١٠– ١١] ، فقد قيل: الذِّكر هاهنا وصف للنَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما أنَّ الكلمة وصف لعيسى عليه السَّلام من حيث أنَّه بشّر به في الكتب المتقدّمة، فيكون قوله: ﭐﱡ خمﱠ بدلاً منه .

وقيل: ﭐﱡ خمﱠ منتصب بقوله ﭐﱡ حمﱠ كأنَّه قال: قد أنزلنا إليكم كتابا ذكراً رسولاً يتلو، نحو قوله: ﭐﱡ حم خج خم سج سح سخ * صحﱠ[البلد: ١٤– ١٥] ، فـ ﭐﱡ صحﱠ نصب بقوله : ﭐﱡ خجﱠ .

ومن الذّكر عن النسيان قوله: ﭐﱡ هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰﱠ[الكهف: ٦٣] ، ومن الذِّكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى : ﭐﱡ ير يز يم ين يى يي ئجئحﱠ[البقرة: ٢٠٠] ، وقوله : ﭐﱡ تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثمﱠ[البقرة:١٩٨] . انظر : المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني (ص١٧٩)

وقال الإمام مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) : " الذِّكْرُ ، بالكسر : الحِفْظُ للشيءِ ، كالتَّذْكارِ ، والشَّيءُ يَجْرِي على اللسان ، والصِّيتُ ، كالذُّكْرَةِ ، بالضَّم ، والثَّناءُ ، والشَّرفُ ، والصَّلاة لله تعالى ، والدُّعاء " . انظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (١/ ٣٩٦) .

وفي الاصطلاح يستعمل الذِّكر إمَّا بالإخبار المجرَّد عن ذاته ، أو صفاته ، أو أفعاله ، أو بإنشاء الثَّناء عليه ، من خلال : تنزيهه ، وتقديسه ، وتعظيمه ، وتوحيده ، وشُكره على آلائه وإنعامه ... قال عليه الصَّلاة والسَّلام فيما يرويه التِّرمذي بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ " . أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥ برقم ٢٩٢٦ ، وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) .

والحديث جعل الذِّكر غير تلاوة القرآن ، وغير المسألة وهي الدُّعاء .

قال الإمام ابن عساكر : " خْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، أَيْضاً ، أنا أَبُو محمَّد عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي الْعَجَائِزِ الْقَاضِي ، أنا أَبِي ، أنا أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ يُوسُفَ الرَّبَعِيُّ ، أنا محمَّد بْنُ تَمَّامِ بْنِ صَالِحٍ الْبَهْرَانِيُّ ، نا محمَّد بْنُ قُدَامَةَ ، قَالَ : أَتَيْنَا بَابَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، فَحُجِبْنَا عَنْهُ ، قَالَ : فَجَلَسْنَا عَلَى بَابِهِ ، قَالَ : فَلَمْ نَشْعُرْ إِلا بِخَادِمٍ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ ، يُقَالُ لَهُ : حُسَيْنٌ جَاءَ فِي طَلَبِهِ ، فَأَخْرَجَهُ ، قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ ، قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ أَمَّا أَهْلُ الدُّنيا ، فَيَصِلُونَ إِلَيْكَ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلا نَصِلُ إِلَيْكَ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُمْ مَقَالا ، فَقُولُوا : لا أَفْلَحَ ذُو عِيَالٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : اعْمَلْ بِعِلْمِي وَلا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي يَنْفَعْكَ عِلْمِي وَلا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي قَالَ : ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ تَرَكْتُمُ الطَّوَافَ ، وجئتم ؟ قَالَ : قُلْنَا : أَصْلَحَكَ اللهُ قَدْ طُفْنَا ، وَلَسْنَا نَتْرُكُ حَظَّنَا مِنْكَ ، قَالَ : مَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ إِلا كَمَثَلِ إِخْوَةِ يُوسُفَ ، إِذْ قَالُوا : اقْتُلُوهُ وَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ ، بِمَا تَشْتَهُونَ حَدِيثَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا شَغَلَ عَبْدِي ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي إِلا أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ " ، قَالَ : قُلْنَا لَهُ : تَقُولُ يَرْحَمُكَ اللهُ ، قَالَ : يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَفَتىً خَلا مِنْ مَالِهِ ... وَمِنَ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِـهِ ... وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٣٥/ ٥٦) .

ومن المعلوم أنَّ للذِّكر أهميَّة كبيرة في دين الله تعالىٰ ، وقد جعله الله تعالىٰ مقصداً للعبادات ، فقال سبحانه : ﴿ مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج ﴾ [طه: ١٤] ، أي لتكون لله ذاكراً ، وسمَّىٰ أحكامه ذكراً ، فقال : ﴿ قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم ﴾ [طه: ١٢٤] ، وأهل الذِّكر هم العلماء .

والمداومة علىٰ الذِّكر سبيل لإحياء القلوب ، وبعث السَّكينة والطُّمأنينة فيها ، قال تعالىٰ : ﴿ هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم ﴾ [الرعد: ٢٨] ، وهو بالتَّالي صفة من الصِّفات التي يتميَّز بها المؤمنون ، قال تعالىٰ : ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، وإذا مسَّهم طائف من وسوسة الشَّيطان أو زلُّوا زلَّة تابوا وأنابوا وذكروا الله ، قال سبحانه : ﴿ ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي ﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

وقد ذكر الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) ، ما للذِّكر من فوائد ، فقال : " وفي الذِّكر أكثر من مائة فائدة :

(**إحْدَاهَا**) : أنَّه يطرد الشَّيطان ، ويقمعه ، ويكسره .

(**الثَّانِيَةُ**) : أنَّه يُرضي الرَّحمن عزَّ وجلَّ .

(**الثَّالِثَةُ**) : أنَّه يُزيل الهمَّ والغمَّ عن القلب .

(**الرَّابِعَةُ**) : أنَّه يجلب للقلب الفرح والسُّرور والبسط .

(**الخَامِسَةُ**) : أنَّه يقوِّي القلب والبدن .

(**السَّادِسَةُ**) : أنَّه ينوِّر الوجه والقلب .

(**السَّابِعَةُ**) : أنَّه يجلب الرزق .

(**الثَّامِنَةُ**) : أنَّه يكسو الذَّاكر المهابة والحلاوة والنُّضرة .

(**التَّاسِعَةُ**) : أنَّه يُورِّثه المحبَّة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحىٰ الدِّين ، ومدار السَّعــــــادة والنَّجاة .

(**العَاشِرَةُ**) : أنَّه يورثه المراقبة حتىٰ يدخله في باب الاحسان ، فيعبد الله كأنَّه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلىٰ مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلىٰ الوصول إلىٰ البيت .

(**الحَادِيَةُ عَشْرَة**) : أنَّه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلىٰ الله عزَّ وجلَّ .

(الثَّانِيَةُ عَشْرَة) : أنَّه يورثه القُرب منه ، فعلىٰ قدر ذكره لله عزَّ وجلَّ يكون قُربه منه ، وعلىٰ قدر غفلته يكون بعده منه .

(الثَّالِثَةُ عَشْرَة) : أنَّه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة ، وكلَّما أكثر من الذِّكر ازداد من المعرفة .

(الرَّابِعَةُ عَشْرَة) : أنَّه يورِّثه الهيبة لربِّه عزَّ وجلَّ وإجلاله ، لشدَّة استيلائه علىٰ قلبه وحضوره مع الله تعالىٰ ، بخلاف الغافل ، فإنَّ حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

(الخَامِسَةُ عَشْرَة) : أنَّه يورِّثه ذكر الله تعالىٰ له كما قال تعالىٰ : **ٱضم طحً** [البقرة: ١٥٢] ، ولو لم يكن في الذِّكر إلا هذه وحدها لكفىٰ بها فضلاً وشرفاً ، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالىٰ : " من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " . أخرجه البخاري (٩/ ١٢١ برقم ٧٤٠٥) ، مسلم (٤/ ٢٠٦٧ برقم ٢٦٧٥) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٥١ برقم ٧٤١٦) ، ابن ماجة (٢/ ١٢٥٥ برقم ٣٨٢٢) ، الترمذي (٥/ ٤٧٣ برقم ٣٦٠٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، البزار (١٦/ ٨٣ برقم ٩١٤٢) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٧/ ١٥٣ برقم ٧٦٨٣) ، ابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (١/ ١٥) ، البيهقي في الأسماء والصفات ، (١/ ٥٢٥ برقم ٤٤٩) ، الدعوات الكبير (١/ ٧٩ برقم ١٧) ، شعب الإيمان (٢/ ٨٠ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤ برقم ١٢٥١) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٧/ ٣٣٦ برقم ٢٦٧) .

(السَّادِسَةُ عَشْرَة) : أنَّه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدَّس الله تعالىٰ روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسَّمك فكيف يكون حال السَّمك إذا فارق الماء ؟

(السَّابِعَةُ عَشْرَة) : أنَّه قوت القلب والرُّوح ، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .

(الثَّامِنَةُ عَشْرَة) : أنَّه يورث جلاء القلب من صداه ، كما تقدَّم في الحديث، وكلّ صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوىٰ ، وجلاؤه الذِّكر والتَّوبة والاستغفار .

(التَّاسِعَةُ عَشْرَة) : أنَّه يحطُّ الخطايا ويذهبها . فإنَّه من أعظم الحسنات ، والحسنات يُذهبن السيئات

(العِشْــرُوْن) : أنَّه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربِّه تبارك وتعالىٰ ، فإنَّ الغافل بينه وبين الله عزَّ وجلَّ وحشة لا تزول إلَّا بالذِّكر .

(الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّ ما يذكر به العبد ربِّه عزَّ وجلَّ من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدَّة ، فقد روىٰ الإمام أحمد في المسند عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال " إنَّ ما تذكرون من جلال الله عزَّ وجلَّ من التَّهليل والتَّكبير والتَّحميد يتعاطفن حول العرش لهنَّ دويٌّ كدويِّ النَّحل يذكِّرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به " ؟ هذا الحديث أو معناه . [أخرجه أحمد في المسند بلفظ : "

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ ، وَتَحْمِيدِهِ ، وَتَكْبِيرِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ " . انظر : مسند أحمد (٣٠/ ٣١٢ برقم ١٨٣٦٢) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح ، غير موسى بن مسلم الطحان ، فمن رجال أصحاب السنن عدا الترمذي ، وهو ثقة ، ويُعرف بموسى الصغير . والشك في شيخ عون بن عبد الله- وهو ابن عتبة بن مسعود- لا يضر لأنه انتقال من ثقة إلى ثقة ، فأبوه عبد الله وأخوه عبيد الله كلاهما ثقة ، من رجال الشيخين . ابن نمير : هو عبد الله . وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " ٤/ ٢٦٩ من طريق الإمام أحمد ، بهذا الإسناد . وقال : غريب من حديث عون ، تفرد به عنه موسى وهو أبو عيسى موسى بن مسلم الطحان ، يعرف بالصغير . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٢٨٩ و١٣/ ٤٥٢- ومن طريقه الطبراني في " الدُّعاء " (١٦٩٣) - والحاكم ١/ ٥٠٠ ، وأبو نعيم في " الحلية " ٤/ ٢٦٩ من طريق عبد الله بن نمير ، به . بالشك عن أبيه أو عن أخيه ، وغيَّر محقق مصنف ابن أبي شيبة موسى بن مسلم إلى موسى بن سالم ! ووقع عند الطبراني بدل موسى الطحان : موسى الجهني مع أن روايته من طريق ابن أبي شيبة ! ووقع في مطبوع الحاكم : عن عون بن عبد الله ، عن أبيه دون شك ، مع أن رواية عبد الله بن نمير بالشك ، كما نص عليه الطبراني . قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، لكنه وهم في تعيين موسى الراوي عن عون بن عبد الله ، فسماه موسى بن سالم ، وتابعه على وهمه الذَّهبي ، فقد تعقبه بقوله : موسى بن سالم قال أبو حاتم : منكر الحديث . قلنا : وقد وهم الحاكم في تعيينه وهماً آخر سنذكره في الرواية (١٨٣٨٨) .

وقد سلف في فضل التسبيح والتحميد والتهليل أحاديث كثيرة، منها عن ابن عمر ، وابن عمرو ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس ، سلفت على التوالي بالأرقام : (٤٦٢٧) و (٦٤٧٩) و (٦٧٤٠) و (٧١٦٧) و (٨١٠٢) و (١١٧١٣) و (١١٣٠٤) و (١٢٥٣٤) . قال السندي : قوله : " من جلال الله " أي لأجل جلاله . " من تسبيحه : بيان لمقدر ، أي يذكرون ذكراً من تسبيحه . " يتعاطفون " ، أي : يتعاطف تسبيحهم وتحميدهم ، فهذا الضمير يقوم مقام العائد إلى الموصول الذي هو المبتدأ ، ومثله قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّونَ منكم ويذرون أزواجاً يتربصن) [البقرة: ٢٣٤] ، أي : أزواجهم ، والمراد : تمثيل هذه الكلمات التي هي التسبيح وغيره ، وهذا مبني على تشكل الأعمال والمعاني بأشكال ، وهذا مما يدل عليه أحاديث كثيرة ، " لهن دويّ " بفتح الدال ، وكسر الواو ، وتشديد الياء : هو ما يظهر من الصوت ، ويسمع من شدته وبعده في الهواء ، شبيهاً بصوت النحل . " يذَّكّرون " : من التذكير " .

(الثَانِيَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّ العبد إذا تعرَّف إلى الله تعالى بذكره في الرَّخاء عرفه في الشدَّه .

(الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه ينجي من عذاب الله تعالى ، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً : " ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله عزَّ وجلَّ من ذكر الله تعالى " . أخرجه مرفوعاً : الطبراني في الدُّعاء (ص٥٢٠ برقم ١٨٥٦) ، المعجم الأوسط (٣/ ٥ برقم ٢٢٩٦) ، المعجم الصغير (١/ ١٣٨ برقم ٢٠٩) ، المعجم الكبير (٢٠/ ١٦٦ برقم ٣٥٢) .

(الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه سبب تنزيل السَّكينة ، وغشيان الرَّحمة ، وحفوف الملائكة بالذَّاكر ، كما أخبر به النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة ، والنَّميمة ، والكذب والفحش ، والباطل ، فإنَّ العبد لا بدَّ له من أن يتكلَّم ، فإن لم يتكلَّم بذكر الله تعالىٰ وذكر أوامره ، تكلَّم بهذه المحرَّمات أو بعضها ، ولا سبيل الىٰ السَّلامة منها البتَّة إلا بذكر الله تعالىٰ .

(السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّ مجالس الذِّكر مجالس الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشَّياطين . فليتخيَّر العبد أعجبهما إليه وأولاهما به ، فهو مع أهله في الدُّنيا والآخرة .

(السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه يسعد الذَّاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان ، والغافل واللاغي يشقىٰ بلغوه وغفلته ويشقىٰ به مجالسه .

(الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة ، فإنَّ كلّ مجلس لا يذكر العبد فيه ربَّه تعالىٰ كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

(التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْن) : أنَّه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالىٰ العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه ، والنَّاس في حرِّ الشمس قد صهرتهم في الموقف ، وهذا الذَّاكر مستظلٌّ بظلِّ عرش الرَّحمن عزَّ وجلَّ .

(الثَّلَاثُــوْن) : أنَّ الاشتعال به سبب لعطاء الله للذَّاكر أفضل ما يعطي السَّائلين ، ففي الحديث عن عمر بن الخطَّاب قال : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " قال سبحانه وتعالىٰ : " من شغله ذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السَّائلين " . أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص١٠٩) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣١٣) ، القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٤٠ برقم ٥٨٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٩٣ برقم ٥٦٧) ، فضائل الأوقات (ص٣٧١ برقم ١٩٤) ، أحمد بن حنبل في الزهد (ص١٩٧ برقم ٥٠٤) .

(الحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّه أيسر العبادات ، وهو من أجلِّها وأفضلها ، فإنَّ حركة اللسان أخفّ حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرَّك عضو من الانسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشقَّ عليه غاية المشقَّة ، بل لا يمكنه ذلك .

(الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّه غراس الجنَّة ، فقد روىٰ التِّرمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لقيت ليلة أسرىٰ بي إبراهيم الخليل عليه السَّلام فقال : يا محمَّد أقرئ أمَّتك السَّلام ، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيِّبة التُّربة ، عذبة الماء ، وأنَّها قيعان ، وأنَّ غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر " ، قال التِّرمذي حديث حسن غريب من حديث أبن مسعود ، .

أخرجه الترمذي بلفظ : " لَقِيتُ إبراهيم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ : يَا محمَّد ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلام وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجنَّة طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، (٥/ ٣٨٧ برقم ٣٤٦٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ) .

وفي التِّرمذي من حديث أبي الزُّبير عن جابر عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " من قال : سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة في الجنَّة " ، قال التِّرمذي : حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي بلفظ : " مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجنَّة " ، (٥/ ٣٨٨ برقم ٣٤٦٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ) .

(الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّ العطاء والفضل الذي رتّب عليه لم يرتَّب على غيره من الأعمال .

(الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّ دوام ذكر الربّ تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإنَّ نسيان الربّ سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها ، قال تعالى : ﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ثي بر بز ﴾ [الحشر: ١٩] ، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها ، واشتغل عنها ، فهلكت وفسدت ولا بدّ ، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك وممَّا صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنَّه يفسد ولا بدّ .

(الخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّ الذِّكر يسير العبد هو في فراشه ، وفي سوقه ، وفي حال صحته وسقمه . وفي حال نعيمه ولذَّته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتى يسير العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك الغافل في ساقة الركب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّ الذِّكر نور للذَّاكر في الدُّنيا ، ونورٌ له في قبره ، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصِّراط ، فما استنارت القلوب كلّ الفلاح في النَّور ، والشَّقاء كلّ الشَّقاء في فواته . والقبور بمثل ذكر الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، فالأوَّل هو المؤمن ، استنار بالإيمان بالله ومحبَّته ومعرفته وذكره ، والآخر هو الغافل عن الله تعالى ، المعرض عن ذكره ومحبَّته ، والشَّأن كل الشَّأن ، والفلاح كلُّ الفلاح في النُّور ، والشَّقاء كلُّ الشَّقاء في فواته .

(السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن) : أنَّ الذِّكر رأس الأصول ، وطريق عامَّة الطَّائفة ومنشور الولاية : فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدُّخول على الله عزَّ وجلَّ ، فليتطهَّر وليدخل على ربِّه عزَّ وجلَّ ، يجد عنده كلّ ما يريد ، فإن وجد ربَّه عزَّ وجلَّ وجد كلَّ شيء ، وإن فاته ربّه عزَّ وجلَّ فاته كلّ شيء

(**الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُوْن**) : في القلب خلَّة وفاقه لا يسدُّها شيء البتَّة إلا ذكر الله عزَّ وجلَّ ، فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذَّاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له ، فهذا هو الذِّكر الذي يسدُّ الخلَّة ، ويفني الفاقة ، فيكون صاحبه غنيَّاً بلا مال ، عزيزاً بلا عشيرة ، مهيباً بلا سلطان . فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عزَّ وجلَّ فهو بضدِّ ذلك فقير مع كثرة جدته ، ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

(**التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن**) : أنَّ الذِّكر يجمع المتفرِّق ويفرِّق المجتمع ، ويقرِّب البعيد ويبعد القريب ، فيجمع ما تفرَّق علىٰ العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه ، والعذاب كلُّ العذاب في تفرقتها وتشتُّتها عليه وانفراطها له ، والحياة والنَّعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته . ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات علىٰ فوت حظوظه ومطالبه . ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتىٰ تتساقط عنه وتتلاشىٰ وتضمحل . ويفرق أيضاً ما اجتمع علىٰ حربه من جند الشَّيطان ، فإنَّ إبليس لا يزال يبعث له سريَّة ، وكلَّما كان أقوىٰ طلباً لله سبحانه وتعالىٰ وأمثل تعلُّقاً به وإرادة له كانت السَّريَّة أكثف وأكثر وأعظم شوكة ، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ، ولا سبيل إلىٰ تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذِّكر .

(**الأَرْبَعُوْن**) أنَّ الذِّكر ينبِّه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته . والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران ، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شدَّ المئزر ، وأحيا بقية عمره ، واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذِّكر ، فإنَّ الغفلة نوم ثقيل .

(**الحَادِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ الذِّكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السَّالكون ، فلا سبيل إلىٰ نيل ثمارها إلا من شجرة الذِّكر ، وكلَّما عظمت تلك الشَّجرة ، ورسخ أصلها ، كان أعظم لثمرتها ، فالذِّكر يثمر المقامات كلّها من اليقظة إلىٰ التَّوحيد ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها ، كما يبني الحائط علىٰ رأسه ، وكما يقوم السقف علىٰ حائطه .

وذلك أنَّ العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السَّير ، ولا يستيقظ إلا بالذِّكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

(**الثَّانِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ الذِّكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه . وهذه المعيَّة معيَّة خاصَّة غير معيَّة العلم والإحاطة العامَّة ، فهي معيَّة بالقرب والولاية والمحبَّة والنُّصرة والتَّوفيق ، كقوله تعالىٰ : **ٱُّلهمجمحمخممَّ**[النحل: ١٢٨] ، **ٱُّكحكخكلكمَّ**[البقرة: ١٥٣] ، **ٱُّيي ئج ئح ئخَّ**

[العنكبوت: ٦٩] ، **ٱُّجحجمحجحمخجخمَّ**[التوبة: ٤٠] ، وللذَّاكر من هذه المعيَّة نصيب وافر ...

(**الثَّالِثَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ الذِّكر يعدل عتق الرِّقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل علىٰ الخيل في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، ويعدل الضَّرب بالسَّيف في سبيل الله عزَّ وجلَّ ...

(**الرَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ الذِّكر رأس الشُّكر ، فما شكر الله تعالىٰ من لم يذكره .

وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أنَّ موسىٰ عليه السَّلام قال : يَا رَبِّ ، قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ كَثِيراً فَدُلَّنِي أَنْ أَشْكُرَكَ كَثِيراً ، قَالَ : " اذْكُرْنِي كَثِيراً ، فَإِذَا ذَكَرْتَنِي كَثِيراً ، فَقَدْ شَكَرْتَنِي كَثِيراً ، وَإِذَا نَسِيتَنِي فَقَدْ كَفَرْتَنِي " .

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٨٣ برقم ٦٩٩) .

وقد ذكر البيهقي أيضاً في شعب الإيمان بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ قَالَ : قَالَ : مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : يَا رَبِّ مَا الشُّكْرُ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ ؟ فَأَوْحَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَزَالَ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِي ، قَالَ : " يَا رَبِّ إِنِّي أَكُونُ عَلَىٰ حَالٍ أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ فِيهَا ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَكُونُ جُنُباً أَوْ عَلَىٰ غَائِطٍ أَوْ إِذَا بُلْتُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَالَ : يَا رَبِّ فَمَا أَقُولُ قَالَ : قُلْ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ جَنِّبْنِي الْأَذَىٰ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ قِنِي الْأَذَىٰ " . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧٠ برقم ٦٦٩) .

(**الخَامِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ أكرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ من المتَّقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره ، فإنَّه اتَّقاه في أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره . فالتَّقوىٰ أوجبت له دخول الجنَّة والنَّجاة من النَّار ، وهذا هو الثَّواب والأجر ، والذِّكر يوجب له القرب من الله عزَّ وجلَّ والزُّلفىٰ لديه ، وهذه هي المنزلة .

(**السَّادِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالىٰ ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالىٰ . وذكر حمَّاد بن زيد عن المعلىٰ ابن زياد أنَّ رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلب ، قال : أذبه بالذِّكر . وهذا لأنَّ القلب كلَّما اشتدَّت به الغفلة ، اشتدَّت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالىٰ ذابت تلك القسوة كما يذوب الرَّصاص في النَّار . فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عزَّ وجلَّ .

(**السَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن**) : أنَّ الذِّكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة وشفاؤها دواؤها في ذكر الله تعالىٰ .

قال مكحول : ذكر الله تعالىٰ شفاء ، وذكر النَّاس داء ...

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذِّكر أحياناً فننتكس

(الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُوْن) : أنَّ الذِّكر أصل موالاة الله عزَّ وجلَّ ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإنَّ العبد لا يزال يذكر ربَّه عزَّ وجلَّ حتىٰ يحبّه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتىٰ يبغضه فيعاديه . قال الاوزاعي : قال حسَّان ابن عطيَّة : ما عادىٰ عبدٌ ربَّه بشيء أشدّ عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره .

(التَّاسِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن) : أنَّه ما استجلبت نعم الله عزَّ وجلَّ واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالىٰ ، فالذِّكر جلَّاب للنِّعم ، دافع للنِّقم ، قال سبحانه وتعالىٰ : ﱡﱊ مج مح مخ مم نج نحﱠ [الحج :٣٨] ، ومادَّة الإيمان وقوّته بذكر الله تعالىٰ ، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفع الله تعالىٰ عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ، ذكراً بذكر ونسياناً بنسيان ، قال بعض السَّلف رحمة الله عليهم : ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك .

(الخَمْسُوْن) : أنَّ الذِّكر يوجب صلاة الله عزَّ وجلَّ وملائكته علىٰ الذَّاكر ، ومن صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وملائكته فقد أفلح كلَّ الفلاح ، وفاز كلَّ الفوز ، قال سبحانه وتعالىٰ : ﱡﱊ لج لح لخ لم له مج مح ﱹ مم نج نح ﱹ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم بهﱠ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] ، فهذه الصَّلاة منه تبارك وتعالىٰ ومن ملائكته إنَّما هي سبب الإخراج لهم من الظُّلمات إلىٰ النُّور . فأيّ خير لم يحصل لهم ، وأيّ شرٍّ لم يندفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربِّهم ماذا حرموا من خيره وفضله .

(الحَادِيَةُ وَالخَمْسُوْن) : إنَّ من شاء أن يسكن رياض الجنَّة في الدُّنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله ، قال : " خرج علينا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : " يا أيُّها النَّاس ، ارتعوا في رياض الجنَّة ، قلنا : يا رسول الله وما رياض الجنَّة ؟ قال مجالس الذِّكر ، ثُمَّ قال : اغدوا وروحوا وأذكروا ، فمن كان يحبُّ أن يعلم منزلته عند الله تعالىٰ فلينظر كيف منزلة الله تعالىٰ عنده ، فإنَّ الله تعالىٰ ينزل العمل منه حيث أنزله من نفسه " . لم أجده بهذا اللفظ ، وإنَّما رواه أحمد بلفظ : " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجنَّة ، فَارْتَعُوا " ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الجنَّة ؟ قَالَ : " حِلَقُ الذِّكْرِ " (١٩/ ٤٩٨ برقم ١٢٥٢٣) ،قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده ضعيف لضعف محمَّد : وهو ابن ثابت البُناني . وأخرجه الترمذي (٣٥١٠) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد ، عن أبيه عن عبد الصمد ، بهذا الإسناد . وأخرجه أبو يعلىٰ (٣٤٣٢) ، وابن عدي ٦/ ٢١٤٧ ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٥٢٩) من طريق أبي عبيدة الحداد ، عن محمَّد بن ثابت ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس . وأخرجه الطبراني في " الدُّعاء " (١٨٩٠) ، وأبو نعيم في " الحلية " ٦/ ٢٦٨ ، والخطيب في " الفقيه والمتفقه " ١/ ١٢ من طريق زائدة بن أبي الرقاد ، عن زياد النميري ، عن أنس . وزائدة وزياد ضعيفان . وفي الباب عن ابن عمر عند أبي نعيم في "الحلية" ٦/ ٣٥٤ ، والخطيب في " الفقيه والمتفقه " ١/ ١٢ من طريق محمَّد بن عبد بن عامر ابن

السمرقندي ، عن قتيبة ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر . وابن السمرقندي معروف بالوضع ، كما في " لسان الميزان " ٥/ ٢٧١ ، فلا يفرح بهذا الشاهد . وعن ابن عبَّاس عند الطبراني في " الكبير " (١١١٥٨) بلفظ مجالس العلم ، وفيه راو لم يُسم . وعن أبي هريرة عند الترمذي (٣٥٠٩) . لكن فيه رياض الجنَّة هي المساجد ، وفيه حميد المكي ، وهو مجهول . وعن جابر عند أبي يعلىٰ (١٨٦٥) و (٢١٣٨) ، والطبراني في " الدُّعاء " (١٨٩١) ، والحاكم ١/ ٤٩٤-٤٩٥ ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٥٢٨) ، وصححه الحاكم ! فتعقبه الذَّهبي بقوله : عمر مولىٰ غفرة ضعيف . وعن عبد الله بن عمرو عند الخطيب في " الفقيه والمتفقه " ١/ ١٣ . وإسناده ضعيف .ئ وعن ابن مسعود عند الخطيب أيضاً ١/ ١٣ . وإسناده ضعيف لانقطاعه .

(الثَّانِيَةُ وَالخَمْسُوْن) : إنَّ مجالس الذِّكر مجالس ملائكة ، فليس من مجالس الدُّنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالىٰ فيه ، كما أخرجا في الصَّحيحين من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ للهِّ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَّ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ " قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّماء الدُّنيا " ، قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ، مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، قَالَ : " فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللهِّ مَا رَأَوْكَ ؟ قَالَ : " فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ " قَالَ : " يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً وَتَحْمِيداً ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً ، قَالَ : يَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ " قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الجنَّة ، قَالَ : " يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللهِّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ: مِنَ النَّار ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللهِّ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ : فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّما جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " . أخرجه البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٨) ، مسلم (٤/ ٢٠٦٩ برقم ٢٦٨٩) .

فهذا من بركتهم علىٰ نفوسهم وعلىٰ جليسهم ، فلهم نصيب من قوله : **ﭐﱡﭐ كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نمﱠ** [مريم: ٣١] ، فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشؤوم أين حل .

فمجالس الذِّكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشَّياطين ، وكلّ مضاف إلىٰ شكله وأشباهه ، امرئ يصير إلىٰ ما يناسبه .

(**الثَّالِثَةُ وَالخَمْسُوْن**) : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بالذَّاكرين ملائكته ، كما روىٰ مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : " مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ " قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : " آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ " ، قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : " أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ " .

أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) .

فهذه المباهاة من الربّ تبارك وتعالىٰ دليل علىٰ شرف الذِّكر عنده ومحبَّته له ، وأنَّ له مزيَّة علىٰ غيره من الأعمال .

(**الرَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن**) : إنَّ مدمن الذِّكر يدخل الجنَّة وهو يضحك ، لما ذكر ابن أبي الدُّنيا عن عبد الرَّحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرَّحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدَّرداء ، قال : الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عزَّ وجلَّ يدخل أحدهم الجنَّة وهو يضحك .

(**الخَامِسَةُ وَالخَمْسُوْن**) : إنَّ جميع الأعمال إنَّما شرعت إقامة لذكر الله تعالىٰ ، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالىٰ ، قال سبحانه وتعالىٰ : **ٱٱنى ني هجَّ** [طه: ١٤] . قيل : المصدر مضاف إلىٰ الفاعل ، أي : لأذكرك بها ، وقيل مضاف إلىٰ المذكور ، أي : لتذكروني بها . واللام علىٰ هذا لام التَّعليل ، وقيل : هي اللام الوقتيَّة ، أي : أقم الصَّلاة عند ذكري ، كقوله : **ٱىٌّ** [الإسراء: ٧٨] ، وقوله تعالىٰ : **ٱٱيي ذٰ رٰىٌّ** [الأنبياء: ٤٧] ، وهذا المعنىٰ المراد بالآية لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر ، لأنَّ هذه اللام الوقتيَّة يليها أسماء الزَّمان والظُّروف ، والذِّكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أي : عند وقت ذكري ، وهذا محتمل ، والأظهر : أنَّها لام التَّعليل ، أي : أقم الصَّلاة لأجل ذكري .

ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره ، وإذا ذكر العبد ربَّه فذكر الله تعالىٰ سابق علىٰ ذكره ، فإنَّه لمَّا ذكره ألهمه ذكره ، فالمعاني الثَّلاثة حقٌّ .

(**السَّادِسَةُ وَالخَمْسُوْن**) : أنَّ أفضل أهل كلّ عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عزَّ وجلَّ ، فأفضل الصوَّام أكثرهم ذكراً لله عزَّ وجلَّ في صومهم ، وأفضل المتصدِّقين أكثرهم ذكراً لله عزَّ وجلّ ، وأفضل الحاجّ أكثرهم ذكراً لله عزَّ وجلَّ ، وهكذا سائر الأحوال .

(**السَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن**) : أنَّ إدامته تنوب عن التطوُّعات ، وتقوم مقامها سواء كانت بدنيَّة ، أو ماليَّة كحج التطوُّع ، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة : " أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، فَقَالَ : " وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ " ، قَالُوا : بَلَىٰ ، يَا رَسُولُ اللهِ قَالَ : " تُسَبِّحُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مرَّة " ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ " . الحديث متفق عليه . أخرجه البخاري (٨/ ٧٢ برقم ٦٣٢٩) ، مسلم (١/ ٤١٦ برقم ٥٩٦ ، واللفظ له) .

فجعل الذِّكر عوضاً لهم عمَّا فاتهم من الحجِّ ، والعمرة ، والجهاد ، وأخبر أنَّهم يسبقونهم بهذا الذِّكر ، فلمَّا سمع أهل الدُّثور بذلك عملوا به ، فازدادوا – إلىٰ صدقاتهم وعبادتهم بمالهم – التعبُّد بهذا الذِّكر ، فحازوا الفضيلتين ، فنفسهم الفقراء ، وأخبروا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا لهم بما لا قدرة لهم عليه ، فقال : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " .

(**السِّتُّــوْن**) : أنَّ ذكر الله عزَّ وجلَّ يذهب عن القلب مخاوفه كلّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عزَّ وجلَّ ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتىٰ كأنَّ المخاوف التي يجدها أمان له ، والغافل خائف مع أمنه حتىٰ كأنَّ ما هو فيه من الأمن كلّه مخاوف ، ومن له أدنىٰ حسّ قد جرَّب هذا وهذا .

(**الحَادِيَةُ وَالسِّتُّوْن**) : أنَّ الذِّكر يعطي الذَّاكر قوَّة ، حتىٰ أنَّه ليفعل مع الذِّكر ما لم يظنّ فعله بدونه .

(**الثَّانِيَةُ وَالسِّتُّوْن**) : أنَّ عمّال الآخرة كلّهم في مضمار السِّباق ، والذَّاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار ، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم النَّاس وقد حازوا قصب السَّبق ...

قال أبو هريرة : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَنِ الْمُفَرِّدُونَ ؟ قَالَ : " الَّذِينَ يُهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللهِ " . أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٤٤ برقم ٨٢٩١) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن يعقوب - وهو عبد الرَّحمن بن يعقوب مولى الحرقة كما جاء مصرحاً به عند الحاكم والبيهقي- فمن رجال مسلم . وأخرجه البخاري معلقاً في " التاريخ الكبير " ٨/ ٤٤٨، والحاكم ١/ ٤٩٥ ، وعنه البيهقي في " الشعب " (٥٠٥) من طريق أبي عامر العقدي ، بهذا الإسناد . وأخرجه البخاري معلقاً ٨/ ٤٤٩ ، والبيهقي في " الشعب " (٥٠٦) و (٥٠٧) من طريق محمَّد بن بشر العبدي ، والترمذي (٣٥٩٦) من طريق أبي معاوية محمَّد بن خازم ، كلاهما عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رفعه بلفظ : " سبق المفردون " قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : " المستهترون في ذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافاً " ، قال الترمذي : حسن غريب . قلنا : وعمر بن راشد هذا ضعيف . وسقط من المطبوع من" التاريخ الكبير " أبو سلمة . وأخرجه ابن عدي في " الكامل " ٥/ ١٦٧٥ من طريق الفريابي ، عن عمر بن راشد ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي الدرداء ، مرفوعاً . وهذه الرواية - مع ضعف إسنادها- خطأ ، فالحديث حديث أبي هريرة . وسيأتي الحديث بنحوه برقم (٩٣٣٢) من طريق العلاء بن عبد الرَّحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . قوله : " يُهتَرون " ، قال السندي : على بناء المفعول يقال : أُهتِر - على بناء المفعول- : إذا أولع بالشيء .

(**الثَّالِثَةُ وَالسِّتُّوْن**) : أنَّ الذِّكر سبب لتصديق الربّ عزَّ وجلَّ عبده ، فإنَّه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدّقه ربُّه ، ومن صدَّقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، ورجي له أن يحشر مع الصَّادقين .

وروى أبو إسحاق عن الأغر أبي مسلم أنَّه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنَّهما شهدا على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " إذا قال العبد : لا إله إلَّا الله والله أكبر ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : صدق عبدي ، لا إله إلَّا أنا وأكبر .

وإذا قال : لا إله إلَّا الله وحده ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلَّا أنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلَّا الله لا شريك له ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلَّا أنا لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلَّا الله له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلَّا أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلَّا الله ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلَّا أنا ولا حول ولا قوَّة إلَّا بي " . قال أبو إسحق : ثُمَّ قال : في الآخر شيئاً لم

أفهمه ، قُلْتُ لأبي جعفر : ما قال ؟ قال : " من رزقهن عند موته لم تمسه النَّار " . أخرجه ابن ماجة (٢/١٢٤٦ برقم ٣٧٩٤) ، عبد بن حميد في المسند (ص٢٩٣ برقم ٩٤٣) .

(الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّوْن) : أنَّ دور الجنَّة تبنىٰ بالذِّكر ، فإذا أمسك الذَّاكر عن الذِّكر أمسكت الملائكة عن البناء .

ذكر ابن أبي الدُّنيا في كتابه عن حكيم بن محمَّد الأخنسي ، قال : بلغني أنَّ دور الجنَّة تُبنىٰ بالذِّكر ، فإذا أمسك عن الذِّكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم : فيقولون : حتىٰ تأتينا نفقة .

(الخَامِسَةُ وَالسِّتُّوْن) : إنَّ الذِّكر سدٌّ بين العبد وبين جهنَّم ، فإذا كانت له إلىٰ جهنَّم طريق من عمل من الأعمال كان الذِّكر سدَّاً في تلك الطَّريق ، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً كان سدَّاً محكماً لا منفذ فيه ، وإلا فبحسبه .

(السَّادِسَةُ وَالسِّتُّوْن) : إنَّ الملائكة تستغفر للذَّاكر كما تستغفر للتَّائب .

(السَّابِعَةُ وَالسِّتُّوْن) : إنَّ الجبال والقفار تتباهىٰ وتستبشر بمن يذكر الله عزَّ وجلَّ عليها

قال ابن مسعود : إنَّ الجبل لينادي الجبل باسمه : أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عزَّ وجلَّ ؟ فإذا قال : نعم ، استبشر .

وقال عون بن عبد الله : إنَّ البقاع لينادي بعضها بعضاً : يا جارتاه أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة : نعم ، وقائلة : لا ، فقال الأعمش عن مجاهد : إنَّ الجبل لينادي الجبل باسمه : يا فلان ، هل مرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله عزَّ وجلَّ ؟ فمن قائل : لا ، ومن قائل : نعم .

(الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّوْن) : إنَّ كثرة ذكر الله عزَّ وجلَّ أمانٌ من النِّفاق ، فإنَّ المنافقين قليلو الذِّكر لله عزَّ وجلَّ ، قال الله عزَّ وجلَّ في المنافقين : **ﭐﺛﺮ ﺛﺰ ﺛﻢ ﺛﻦ ﺛﻰ**ﱠ[النساء: ١٤٢] ، وقال كعب : من أكثر ذكر الله عزَّ وجلَّ برئ من النفاق ولهذا – والله أعلم – ختم الله تعالىٰ سورة المنافقين بقوله تعالىٰ : **ﭐﱡﭐﻧﻦ ﻧﻰ ﻧﻲ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳﻰ ﻳﻲ ﻳﻴ ﺌﺠ ﺌﺤ ﺌﺨ ﺌﻢ ﺌﻪ ﺑﺠ ﺑﺢ ﺑﺨ**ﱠ [المنافقون: ٩] . فإنَّ في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عزَّ وجلَّ فوقعوا في النِّفاق .

(التَّاسِعَةُ وَالسِّتُّوْن) : إنَّ للذِّكر من بين الأعمال لذَّة لا يشبهها شيء ، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلَّا اللذَّة الحاصلة للذَّاكر ، والنَّعيم الذي يحصل لقلبه لكفىٰ به ، ولهذا سمِّيت مجالس الذِّكر رياض الجنَّة ، قال مالك

بن دينار : وما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذكر الله عزَّ وجلَّ ، فليس شيء من الأعمال أخفّ مؤنة منه ، ولا أعظم لذة ، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب .

(السَّبْعُوْن) : أنَّه يكسو الوجه نضرة في الدُّنيا ، ونوراً في الآخرة ، فالذَّاكرون أنضر النَّاس وجوهاً في الدُّنيا وأنورهم في الآخرة ، ومن المراسيل عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " من قال كل يوم مائة مرَّة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير ، أتىٰ الله تعالىٰ يوم القيامة ووجهه أشد بياضاً من القمر ليلة البدر " . لم أجده فيما بين يدي من كتب السنة.

(الحَادِيَةُ وَالسَّبْعُوْن) : إنَّ في دوام الذِّكر في الطَّريق ، والبيت ، والحضر ، والسَّفر ، والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فإنَّ البقعة ، والدَّار ، والجبل ، والأرض ، تشهد للذَّاكر يوم القيامة ، قال تعالىٰ : **ﱡﭐ ثر ثز ثم * ثى ثي فى * قى قي كا كل * كى كي لم * لي ما مم نر ﱠ**[الزلزلة: ١ – ٥] ، فروىٰ التِّرمذي في جامعه من حديث سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَرَأَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **ﱡﭐ كى كي لم ﱠ**[الزلزلة: ٤] ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ : عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ : فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا ". قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٧ برقم ٢٤٢٩ ، وقال : ذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ) .

والذَّاكر لله عزَّ وجلَّ في سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلَّهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة ، يوم قيام الأشهاد وأداء الشَّهادات ، فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

(الثَّانِيَةُ وَالسَّبْعُوْن) : إنَّ في الاشتغال بالذِّكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح النَّاس وذمهم وغير ذلك ، فإنَّ الإنسان لا يسكت البتَّة : فإمَّا لسان ذاكر ، وإمَّا لسان لاغ ، ولا بدَّ من أحدهما ، فهي النَّفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وهو القلب إن لم تسكنه محبَّة الله عزَّ وجلَّ سكنه محبَّة المخلوقين ولا بدّ ، وهو اللسان إن لم تشغله بالذَّكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بدّ ، فاختر لنفسك إحدىٰ الخطَّتين ، وأنزلها في إحدىٰ المنزلتين .

(الثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُوْن) : وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها فنذكرها ههنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها ، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها ، وهي أنَّ الشَّياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنَّك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً وأحاطوا به ، وكلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذىٰ ، ولا

سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عزَّ وجلَّ ... " . انظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن قيم الجوزية (ص٤١-٨٢ باختصار) .

ومن أهم أسباب الذِّكر وكثرته : الحبُّ لله تعالى ، ... فمِنْ لازم المحبَّة لله تعالى : الإكثار من ذكره ، فإنَّ المحبَّ لا يغيب عنه محبوبه ... قال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثُمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " الْمُحِبُّ اسْمُ مَحْبُوبه لَا يَغِيبُ عَنْ قَلْبِهِ ، فَلَوْ كُلِّفَ أَنْ يَنْسَى تَذَكُّرَهُ لَمَا قَدرَ ، وَلَوْ كُلِّفَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِهِ لَمَا صَبَرَ .

كَيْفَ يَنْسَى الْمُحِبُّ ذِكْرَ حَبِيبٍ   اسْمُهُ فِي فُؤَادِهِ مَكْتُوبُ

كَانَ بِلَالٌ كُلَّمَا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي الرَّمْضَاءِ عَلَى التَّوْحِيدِ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فَإِذَا قَالُوا لَهُ : قُلْ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، قَالَ : لَا أُحْسِنُهُ .

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

كُلَّمَا قَوِيَتِ الْمَعَرَّفَةُ ، صَارَ الذِّكْرُ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الذَّاكِرِ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ فِي مَنَامِهِ : اللهُ اللهُ ، وَلِهَذَا يُلْهَمُ أَهْلُ الجنَّة التَّسْبِيحَ ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ، وَتَصِيرُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " لَهُمْ ، كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنيا ، كَانَ الثَّوْرِيُّ يَنْشِدُ :

لَا لِأَنِّي أَنْسَاكَ أَكْثَرُ ذِكْرَا   كَ وَلَكِنْ بِذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي

إِذَا سَمِعَ الْمُحِبُّ ذِكْرَ اسْمِ حَبِيبِهِ مِنْ غَيْرِهِ زَادَ طَرَبُهُ ، وَتَضَاعَفَ قَلَقُهُ ، قَالَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِابْنِ مَسْعُودٍ : " اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ ، قَالَ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " .

سَمِعَ الشِّبْلِيُّ قَائِلاً يَقُولُ : يَا أَللهَّ يَا جَوَادُ ، فَاضْطَرَبَ :

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنَى   فَهَيَّجَ أَشْوَاقَ الْفُؤَادَ وَمَا يَدْرِي

دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا   أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي

النَّبْضُ يَنْزَعِجُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ :

إِذَا ذُكِرَ الْمَحْبُوبُ عِنْدَ حَبِيبِهِ   تَرَنَّحَ نَشْوَانٌ وَحَنَّ طَرُوبُ

ذِكْرُ الْمُحِبِّينَ عَلَى خِلَافِ ذِكْرِ الْغَافِلِينَ: أآيخ يم يي يى ذٰ رٰى ٌّ [الأنفال:٢] .

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ   كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : " رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " . قَالَ أَبُو الجَلْدِ : أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : إِذَا ذَكَرْتَنِي ، فَاذْكُرْنِي ، وَأَنْتَ تَنْتَفِضُ أَعْضَاؤُكَ ، وَكُنْ عِنْدَ ذِكْرِي خَاشِعاً مُطْمَئِناً ، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي، فَاجْعَلْ لِسَانَكَ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِكَ . وَصَفَ عَلِيٌّ يَوْماً الصَّحَابَةَ ، فَقَالَ : كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا اللهَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الرِّيحِ ، وَجَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَىٰ ثِيَابِهِمْ . قَالَ زُهَيْرٌ الْبَابِيُّ : إِنَّ للهِ عِبَاداً ذَكَرُوهُ ، فَخَرَجَتْ نُفُوسُهُمْ إِعْظَاماً وَاشْتِيَاقاً ، وَقَوْمٌ ذَكَرُوهُ ، فَوَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فَرَقاً وَهَيْبَةً ، فَلَوْ حُرِّقُوا بِالنَّـــــارِ ، لَمْ يَجِدُوا مَسَّ النَّارِ ، وَآخَرُونَ ذَكَرُوهُ فِي الشِّتَاءِ وَبَرْدِهِ فَارْفَضُّوا عَرَقاً مِنْ خَوْفِـــــهِ ، وَقَوْمٌ ذَكَرُوهُ ، فَحَالَتْ أَلْوَانُهُمْ غُبْراً ، وَقَوْمٌ ذَكَرُوهُ فَجَفَّتْ أَعْيُنُهُمْ سَهَراً .

صَلَّى أَبُو يَزِيدَ الظُّهْرَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُكَبِّرَ ، لَمْ يَقْدِرْ إِجْلَالاً لِاسْمِ اللهِ ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ حَتَّىٰ سُمِعَتْ قَعْقَعَةُ عِظَامِهِ . كَانَ أَبُو حَفْصٍ النَّيْسَابُورِيُّ إِذَا ذَكَرَ اللهَ تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ حَتَّىٰ يَرَىٰ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا أَظُنُّ مُحِقّاً يَذْكُرُ اللهَ عَنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ ، ثُمَّ يَبْقَىٰ حَيّاً إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ ، فَإِنَّهُمْ أُيِّدُوا بِقُوَّةِ النُّبُوَّةِ وَخَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُوَّةِ وِلَايَتِهِمْ .

إِذَا سَمِعْتُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ تَقَعْقَعَتْ   مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلِ مَا تَتَذَكَّرُ

وَقَفَ أَبُو زَيْدٍ لَيْلَةً إِلَىٰ الصَّبَاحِ يَجْتَهِدُ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَا قَدَرَ إِجْلَالاً وَهَيْبَةً، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصَّبَاحِ نَزَلَ، فَبَالَ الدَّمَ .

وَمَا ذَكَرْتُكُمُ إِلَّا نَسِيتُكُمُ نِسْيَانَ   إِجْلَالِ لَا نِسْيَانَ إِهْمَـــــــــالِ

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَنْ أَنْتُم وَكَيْـــفَ أَنَا   أَجْلَلْتُ مِثْلَكُمْ يَخْطُرُ عَلَىٰ بَالِـي

الذِّكْرُ لَذَّةُ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] . قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَعْشَرَ الصِّدِّيقِينَ بِي فَافْرَحُوا ، وَبِذِكْرِي فَتَنَعَّمُوا . وَفِي أَثَرٍ آخَرَ سَبَقَ ذِكْرُهُ : وَيُنِيبُونَ إِلَىٰ الذِّكْرِ كَمَا تُنِيبُ النُّسُورُ إِلَىٰ وُكُورِهَا . وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُحِبُّ الذِّكْرَ كَمَا تُحِبُّ الْحَمَامَةُ وَكْرَهَا ، وَلَهُمْ أَسْرَعُ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَىٰ وِرْدِهَا يَوْمَ ظَمَئِهَا . قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَّا بِذِكْرِهِ ، وَأَرْوَاحُ الْمُشْتَاقِينَ لَا تَسْكُنُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ ، قَالَ ذُو النُّونِ : مَا طَابَتِ الدُّنيا إِلَّا بِذِكْرِهِ ، وَلَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ ، وَلَا طَابَتِ الجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ .

أَبداً نُفوسُ الطَّالِبيـــــ ـــنَ إِلَـــىٰ طُلُولِكُمْ تَحِــــنُّ
وَكَذَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِكُمْ بَعْدَ المَخافَـــــــةِ تَطْمَئِنُّ
جُنَّتْ بِحُبِّكُمْ وَمَــــــنْ يَهْوَىٰ الحَبيبَ وَلَا يُجَنُّ
بِحَيَاتِكُمْ يا سَادَتِـــــــــي جُودُوا بِوَصْلِكُمْ وَمُنُّـــــــوا

قَدْ سَبَقَ حَدِيثُ : " اذْكُرُوا اللهَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : مَجْنُونٌ " ، وَلِبَعْضِهِمْ :

لَقَدْ أَكْثَرْتُ مِنْ ذِكْرَا كَ حَتَّىٰ قِيلَ وَسْوَاسُ

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيُّ كَثِيرَ الذِّكْرِ ، فَرَآهُ بَعْضُ النَّاس فَأَنْكَرَ حَالَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَمَجْنُونٌ صَاحِبُكُمْ ؟ فَسَمِعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ ، فَقَالَ لَا يَا أَخِي ، وَلَكِنَّ هَذَا دَوَاءُ الجُنُونِ .

وَحُرْمَةُ الْوُدِّ مَا لِي عَنْكُمْ عِـوَضٌ وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضُ
وَقَدْ شَرَطْتُ عَلَىٰ قَــوْمٍ صَحِبْتُهُمُ بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُـوا
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالُوا: بِهِ مَرَضٌ فَقُلْتُ لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ المَــرَضُ

المُحِبُّونَ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُ عَنِ الذِّكْرِ ، فَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الخَلْوَةِ بِحَبِيبِهِمْ . قَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : يَا مَعْشَرَ الحَوَارِيِّينَ كَلِّمُوا اللهَ كَثِيراً ، وَكَلِّمُوا النَّاس قَلِيلاً ، قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ اللهَ كَثِيراً ؟ قَالَ : اخْلُوا بِمُنَاجَاتِهِ ، اخْلُوا بِدُعَائِهِ . وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ حَتَّىٰ أُقْعِدَ مِنْ رِجْلَيْهِ ، فَكَانَ يُصَلِّي جَالِساً أَلْفَ رَكْعَةٍ ، فَإِذَا صَلَّىٰ الْعَصْرَ احْتَبَىٰ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَيَقُولُ : عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ أَنِسَتْ بِسِوَاكَ ، بَلْ عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهَا بِذِكْرِ سِوَاكَ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَصُومُ الدَّهْرَ ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْفُطُورِ ، قَالَ : أَحُسُّ نَفْسِي تَخْرُجُ لِاشْتِغَالِي عَنِ الذِّكْرِ بِالْأَكْلِ . قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ : أَمَا تَسْتَوْحِشُ وَحْدَكَ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي .

كَتَمْتُ اسْمَ الحَبِيبِ مِنَ الْعِبَادِ وَرَدَّدْتُ الصَّبَابَةَ فِـــي فُؤَادِي
فَوَاشَوْقاً إِلَىٰ بَلَدٍ خَلِــــــــيٍّ لَعَلِّي بَاسِمِ مَنْ أَهْوَىٰ أُنَـــادِي

فَإِذَا قَوِيَ حَالُ المُحِبِّ وَمَعْرِفَتُهُ ، لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ شَاغِلٌ ، فَهُوَ بَيْنَ الخَلْقِ بِجِسْمِه ، وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَحَلِّ الْأَعْلَىٰ ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي وَصْفِهِمْ : صَحِبُوا الدُّنيا بِأَجْسَادٍ أَوَرَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الْأَعْلَىٰ ، وَفِي هَذَا المَعْنَىٰ قِيلَ :

جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدِّثِي   وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِــــي

فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ   وَحَبِيبُ قَلْبِي فِـي الْفُؤَادِ أَنِيسِــــي

وَهَذِهِ كَانَتْ حَالُ الرُّسل وَالصِّدِّيقِينِ ، قَالَ تَعَالَىٰ : **ٱُّ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخَّ** [الأنفال: ٤٥]

.

وَفِي " التِّرْمِذِيِّ " مَرْفُوعاً : " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ " .

أخرجه الترمذي ، (٥/ ٤٦٢ برقم ٣٥٨٠ ، وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ وَلاَ نَعْرِفُ لِعُمَارَةَ بْنِ زَعْكَرَةَ ، عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ هَذَا الحَدِيثَ الوَاحِدَ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَهُوَ مُلاَقٍ قِرْنَهُ ، إِنَّمَا يَعْنِي عِنْدَ القِتَال : يَعْنِي أَنْ يَذْكُرَ اللهَّ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ) .

وَقَالَ تَعَالَىٰ : **ٱُّ لم** لى لي ما **مم نر نز نم نن نىَّ** [النساء: ١٠٣] ، يَعْنِي الصَّلاة فِي حَال الْخَوْفِ ، وَلِهَذَا قَالَ : **ٱُّ ني ىٰ** ير **يز يم**َّ [النساء: ١٠٣] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي ذِكْرِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ : **ٱُّ يم ين يى ٌّ ٍّ َّ** **ئر ئز ئم**َّ [الجمعة: ١٠] ، فَأَمَرَ بِالْجَمْعِ بَيْنَ الاِبْتِغَاءِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِهِ " . انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، ابن رجب الحنبلي ، (٢/ ٥١٨ –٥٢٣) .

والاسم المفرد هو الأصل في أسماء الله تعالىٰ ، وبقيَّة الأسماء الحسنىٰ راجعة إليه ، ومضافة إليه ، قال تعالىٰ : **ٱُّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي** بر **بز بم بن بى** بي تر **تز تمَّ** [الأعراف: ١٨٠] ، والموصوف قطعاً أشرف من الصِّفة ، قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " فَأَما قَوْله : "الله " ، فَهُوَ اسْم للموجود الْحق الْجَامِع لصفات الإلهيَّة ، المنعوت بنعوت الربوبيَّة ، المتفرِّد بالوجود الْحَقِيقِيّ ، فَإِنَّ كل مَوْجُود سواهُ غير مُسْتَحقّ الْوُجُود بِذَاتِهِ ، وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود مِنْهُ ، فَهُوَ من حَيْثُ ذَاته هَالك ، وَمن الْجِهَة الَّتِي تليه مَوْجُود ، فَكل مَوْجُود هَالك إِلَّا وَجهه ، وَالْأَشْبَه أَنَّه جَار فِي الدّلَالَة علىٰ هَذَا الْمَعْنىٰ مجْرىٰ أَسمَاء الْأَعْلَام ، وكلُّ مَا ذكر فِي اشتقاقه وتعريفه تعسُّف وتكلُّف .

فَائِدَة : اعْلَم أَنَّ هَذَا الاسم أعظم أَسمَاء الله عزَّ وَجلَّ التِّسْعَة وَالتسْعين ، لِأَنَّهُ دَالٌّ علىٰ الذَّات الجامعة لصفات الإلهيَّة كلِّهَا ، حَتَّىٰ لَا يشذ مِنْهَا شَيْء ، وَسَائِر الْأَسْمَاء لَا يدل آحادها إِلَّا علىٰ آحَاد الْمعَانِي من علم أَو قدرَة أَو فعل أَو غَيره ، وَلِأَنَّهُ أخصُّ الْأَسْمَاء ، إِذْ لَا يُطلقهُ أحد علىٰ غَيره لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازاً ، وَسَائِر

ٱلْأَسْمَاء قد يُسمىٰ بِهِ غَيره ، كالقادر ، والعليم ، والرَّحيم ، وَغَيره ، فلهذين ٱلْوَجْهَيْنِ يشبه أَن يكون هَذَا الِاسْم أعظم هَذِه ٱلْأَسْمَاء .

دقيقة : مَعَاني سَائِر ٱلْأَسْمَاء يتَصَوَّر أَن يَتَّصِف العَبْد بِشَيْء مِنْهَا حَتَّىٰ ينْطَلق عَلَيْهِ الاسم ، كالرَّحيم ، والعليم ، والحليم ، والصَّبور ، والشَّكور ، وَغَيره ، وَإِن كَانَ إِطْلَاق الِاسْم عَلَيْهِ علىٰ وَجه آخر يباين إِطْلَاقه علىٰ الله عزَّ وَجلَّ ، وَأَمَّا معنىٰ هَذَا الِاسْم فخاص خُصُوصاً لَا يتَصَوَّر فِيهِ مُشَاركَة لَا بالمجاز وَلَا بِالْحَقِيقَةِ ، وَلأَجل هَذَا الْخُصُوص يُوصف سَائِر ٱلْأَسْمَاء بِأَنَّهَا اسْم الله عزَّ وَجلَّ ، وَيعرف بِٱلْإِضَافَة إِلَيْهِ فَيُقَال : الصَّبور ، والشَّكور ، وَالْملك ، والجبَّار من أَسمَاء الله عزَّ وَجلَّ ، وَلَا يُقَال : الله من أَسمَاء الشَّكُور ، والصَّبور ، لِأَنَّ ذَلِك من حَيْثُ هُوَ أدلّ علىٰ كنْه الْمَعَانِي الإلهيَّة وأخصّ بهَا ، فَكَانَ أشهر وَأظْهر ، فاستغني عَن التَّعْرِيف بِغَيْرِهِ ، وَعرف غَيره بِٱلْإِضَافَة إِلَيْهِ " . انظر : المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ ، الغزالي (ص٦١) .

فالله تعالىٰ حين يقول : ﴿ﱡ لح لخ لم له مج مح ﱠ﴾ [الأحزاب: ٤١] ، لا يتبادر إلىٰ الذِّهن إلَّا الاسم المجرد ﴿ﱡ نم ﱠ﴾ ، وكذلك حين يقول : ﴿ﱡ ىٰ بم بن بى بي تر تز ﱠ﴾ [المزمل:٨] ، وحين يقول : ﴿ﱡ ثم ثه سم سه شم ﱠ﴾ [الإنسان: ٢٥] .

وقد ورد الاسم المفرد مكرَّراً في الحديث الشَّريف ، من ذلك :

قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي ٱلْأَرْضِ : اللهُ اللهُ " . أخرجه أحمد في المسند ، (١٩/ ١٠٠ برقم ١٢٠٤٣) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م ، قال الأَرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين . وأخرجه الترمذي (٢٢٠٧) عن محمَّد بن بشار ، عن ابن أبي عدي ، بهذا الإسناد . وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن منده في " الإيمان " (٤٤٩) من طريق محمَّد بن عبد الله الأنصاري ، والحاكم ٤/ ٤٩٤ من طريق عبد الأعلىٰ بن عبد الأعلىٰ ، كلاهما عن حميد ، به . ولفظ الحاكم : حتىٰ لا يقال في الأرض : " لا إله إلا الله " ، وقال : صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأخرجه الترمذي باثر الحديث (٢٢٠٧) عن محمَّد بن المثنىٰ ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد ، عن أنس موقوفاً . ورجحه علىٰ المرفوع ! وأخرج الحاكم ٤/ ٤٩٥ ، والخطيب ٣/ ٨٢ من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس ، عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة علىٰ رجل يقول : لا إله إلا الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهىٰ عن المنكر ... ". وقال الحاكم : صحيح علىٰ شرط مسلم ... ، فتعقبه الذَّهبي بقوله : سنان لم يرو له مسلم . قلنا : وحديثه حسن في الشواهد . وسيأتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٣٠٨٢) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٢٦٦٠) ، كلاهما عن أنس . وفي الباب عن ابن مسعود عند الحاكم ٤/ ٤٩٤ ، وصححه علىٰ شرط الشيخين . وعن أبي هريرة عند ابن عدي في " الكامل " ٦/ ٢٠٩٢، والخطيب في تاريخه ٨/ ٢٦٢ .

وقال الإمام أبو عبد الله، شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (٨٧٩هـ) : " رَوَىٰ هِشَامٌ عَنْ محمَّد بْنِ الْحَسَنِ قَالَ سَمِعْت أَبَا حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ : اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ هُوَ اللهُ ، وَبِهِ قَالَ الطَّحَاوِيُّ وَكَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ، وَأَكْثَرُ الْعَارِفِينَ حَتَّىٰ أَنَّه لَا ذِكْرَ عِنْدَهُمْ لِصَاحِبِ مَقَامٍ فَوْقَ الذِّكْرِ بِهِ، وَقَدْ عُلِمَ مِنْ هَذَا وَجْهُ تَخْصِيصِ الْحَمْدِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ . انظر : التقرير والتحبير ، أبو عبد الله، شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي ، (١/ ٥) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القارِّي (١٠١٤هـ) في شرحه للحديث : " أَيْ : لَا يَذْكُرُ اللهَ فَلَا يَبْقَىٰ حِكْمَةٌ فِي بَقَاءِ النَّاس ، وَمِنْ هَذَا يُعْرَفُ أَنَّ بَقَاءَ الْعَالَمِ بِبَرَكَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَالْعُبَّادِ الصَّالحين ، وَعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا قَالَهُ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ، مَعْنَىٰ (حَتَّىٰ لَا يُقَالَ) حَتَّىٰ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهَّ وَلَا يُعْبَدَ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٠٠) .

فإن قيل : إنَّ معنىٰ الحديث : حتىٰ لا يبقىٰ من إنسان يؤمن بالله ... فالجواب : قولكم جائز لو جاء لفظ الجلالة غير مكرَّر ... أما وقد كرِّر لفظ الجلالة ، فتكراره لا يدلُّ إلَّا علىٰ الذِّكر ...

وروىٰ الحاكم في المستدرك ، قال : " أَخْبَرَنِي أَبُو زكريَّا الْعَنْبَرِيُّ ، ثَنَا إبراهيم بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، ثنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ مَهْدِيٍّ ، ثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي يَعْلَىٰ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : رُفِعَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ عُيُوبُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ : " مَا أَدْرِي أَيَّ الْأَمْرَيْنِ أَرَدْتُمْ تَنَاوُلَ سُلْطَانِ قَوْمٍ لَيْسَ لَكُمْ ، أَوْ أَرَدْتُمْ رَدَّ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، فَإِنَّهَا مُرْسَلَةٌ مِنَ اللهَّ تَرْتَعِي فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَطَأَ خِطَامَهَا ، لَيْسَ أَحَدٌ رَادَّهَا وَلَا أَحَدٌ مَانِعَهَا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مَتْرُوكٌ يَقُولُ : اللهَّ اللهَّ إِلَّا قُتِلَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ قَوْماً قُزُعاً كَقَزَعِ الْخَرِيفِ " قَالَ : " الْقَزَعُ الْقِطْعَةُ مِنَ السَّحَابِ الرَّقِيقِ كَأَنَّهَا ظِلٌّ إِذَا مَرَّتْ تَحْتَ السَّحَابِ الْكَبِيرِ " . أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٤/ ٥٤٨ برقم ٨٥٣٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي في التلخيص) .

ومن المعلوم أنَّ ما شتمل عليه الأثر لا يُقال من قبيل الرأي ، ولذا فله حكم الرَّفع ...

وروىٰ معمر بن راشد ، قال : " أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرزَّاق ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، فَذَكَرَ بِلَالاً ، فَقَالَ : كَانَ شَحِيحاً عَلَىٰ دِينِهِ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ فِي اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ عَلَىٰ دِينِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقَارِبَهُمْ قَالَ : اللهَّ اللهَّ ، قَال : فَلَقِيَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : " لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ اشْتَرَيْنَا بِلَالاً " ، فَلَقِيَ أَبُو بَكْرٍ العبَّاس بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ : اشْتَرِ لِي بِلَالاً ، قَالَ : فَانْطَلَقَ العبَّاس فَقَالَ لِسَيِّدِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي عَبْدَكَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ خَيْرُهُ وَتُحْرَمَ ثَمَنَهُ ؟ قَالَ :

وَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ أَنَّه خَبِيثٌ ، أَنَّه إِنَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَاشْتَرَاهُ العبَّاس ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَعْتَقَهُ ، فَكَانَ يُؤَذِّنُ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الشَّامِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلْ عِنْدِي ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِنَفْسِكَ فَاحْبِسْنِي ، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي للهِّ فَذَرْنِي أَذْهَبُ إِلَىٰ اللهَّ ، فَقَالَ : اذْهَبْ ، فَذَهَبَ إِلَىٰ الشَّامِ ، فَكَانَ بِهَا حَتَّىٰ مَاتَ " . أخرجه معمر بن راشد في الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) ، (١١/ ٢٣٤ برقم ٢٠٤١٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٧١ برقم ١٥١٠) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٩/ ٥١٨ برقم ١٢٧) .

وروىٰ أحمد ، قال : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ ، نا أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ أَيُّوبَ أَبُو جَعْفَرٍ ، قثنا إبراهيم بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهُوَ يُعَذَّبُ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ، فَيَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ اللهُّ يَا بِلَالُ ، ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَةُ عَلَىٰ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلَالٍ مِنْ بَنِي جُمَحَ ، فَيَقُولُ : أَحْلِفُ بِاللهَّ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَىٰ هَذَا لَاتَّخَذْتُهُ حَنَاناً ، حَتَّىٰ مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَوْماً ، وَهُمْ يَصْنَعُونَ بِهِ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحَ ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ : أَلَا تَتَّقِي اللهَّ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ ، حَتَّىٰ مَتَىٰ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَىٰ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَفْعَلُ ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَىٰ عَلَىٰ دِينِكَ ، أُعْطِيكَهُ بِهِ ، قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ، قَالَ : هُوَ لَكَ . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ بِلَالاً فَأَعْتَقَهُ ... " . أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١١٨ برقم ٨٩) .

وروىٰ أحمد ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ ، قثنا زَائِدَةُ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، عَنْ زِرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ : رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ ، وَصُهَيْبٌ ، وَبِلَالٌ ، وَالْمِقْدَادُ ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللهُّ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُّ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادُوا ، إِلَّا بِلَالٌ ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهَّ ، وَهَانَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، فَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مكَّة وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ " .

أخرجه أحمد في في فضائل الصحابة (١/ ١٨٢ برقم ١٩١) ، المسند (١/ ٤٠٤ برقم ٣٨٣٢) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للحديث : إسناده حسن من أجل عاصم ، وهو ابن أبي النجود ، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين . زائدة : هو ابن قدامة ، وزر: هو ابن حبيش . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٩ و١٤/ ٣١٣، وابن ماجه (١٥٠) ، والشاشي (٦٤١) ، وابن حبان (٧٠٨٣) ، وأبو نعيم في " الحلية " ١/ ١٤٩ و١٧٢، وابن عبد البر في " الاستيعاب " ١/ ١٤١، من طريق يحيىٰ بن أبي بكير ، بهذا الإسناد . قال البوصيري : هذا إسناد رجاله ثقات . وأخرجه الحاكم ٣/ ٢٨٤، ومن طريقه البيهقي في " الدلائل " ٢/ ٢٨١-٢٨٢، من طريق الحسين بن علي الجعفي ، عن زائدة، به . وقال

الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذَّهبي . قال البزار – كما نقل محقق الشاشي ٢/ ١١٦ – : هذا الحديث لا نعلم رواه عن زائدة موصولاً إلا يحيىٰ بن أبي بكير . وقال الدارقطني في " العلل " ٥/ ٦٣ : تفرد به يحيىٰ بن أبي بكير ، وقال : أنَّه وهم ، وإنما رواه زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد قوله . قلنا : لم يتفرد بوصله يحيىٰ ، بل تابعه الحسين بن علي الجعفي عند الحاكم ٣/ ٢٨٤ كما مر آنفاً . وأخرجه من قول مجاهد ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٩ ، وابن سعد ٣/ ٢٣٣ من طريق جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن مجاهد . وفيه ذكر خباب بدل المقداد . قوله : " أول من أظهر إسلامه " : قال السندي : أي من الرجال والنساء ، وظاهره أن خديجة ما أظهرت إسلامها إلا بعد هؤلاء . والله تعالىٰ أعلم . إلا وقد واتاهم : في " الصحاح " : تقول : آتيته علىٰ الأمر مؤاتاة ، إذا وافقته ، والعامة تقول : واتيته . وفي " المصباح " : آتيته علىٰ الأمر : إذا وافقته ، وفي لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واواً ، فيقال : واتيته علىٰ الأمر مواتاة ، وهي المشهورة علىٰ ألسنة النَّاس . انتهىٰ ، والمعنىٰ : إلا وقد وافقهم علىٰ ما أرادوا من ترك إظهار الإسلام " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (٦/ ٣٨٢ –٣٨٣ برقم ٣٨٣٢) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

وروىٰ أحمد ، قال : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ محمَّد ، قَالَ : عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ : وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْهُ ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَدْعُو ، فَقَالَ : " أَحِّدْ أَحِّدْ ". أخرجه أحمد في المسند (١٥/ ٢٥٨ برقم ٩٤٣٩) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للحديث : " حديث صحيح ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين لكن اختلف فيه علىٰ الأعمش ، كما سيأتي . وهو في " مصنف " ابن أبي شيبة ٢/ ٤٨٤ و١٠/ ٣٨١ ، ومن طريقه الطبراني في " الدُّعاء " (٢١٥) . ولفظه عند ابن أبي شيبة في الموضع : أبصر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعداً وهو يدعو بإصبعيه كلتيهما ، فنهاه ، وقال : " بإصبع واحدة باليمنىٰ " . ورواه أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن سعد بن أبي وقاص نفسه ، أخرجه الدورقي في " مسند سعد " (١٢٦) ، وأبو داود (١٤٩٩) ، والنسائي ٣/ ٣٨ ، وأبو يعلىٰ (٧٩٣) ، والطبراني (٢١٦) ، والحاكم ١/ ٥٣٦، والضياء المقدسي في " المختارة " (٩٤٧) . قال الحاكم عن هذا الإسناد : صحيح علىٰ شرطهما إن كان أبو صالح السمان سمعه من سعد . قلنا : قد ذكر المزي في ترجمة أبي صالح من " تهذيب الكمال " ٨/ ٥١٣ أنَّه سأل سعداً مسألة في الزكاة ، وشهد يوم الدار زمن عثمان ، وصرح الذَّهبي في " السير " ٥/ ٣٦ أنَّه سمع منه ، وذكر أنَّه وُلِدَ في خلافة عمر . وروي الحديث أيضاً عن أبي صالح مرسلاً ، فقد أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٨٥ ، والبيهقي في " الدعوات الكبير " (٢٦٤) من طريق وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : رأىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعداً ... فذكره .

قال الدارقطني في " العلل " ٤/ ٣٩٧ : يرويه الأعمش ، واختلف عنه ، فرواه أبو معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن سعد . وخالفه عقبة بن خالد ، فرواه عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن بعض أصحاب النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بسعد .

وقال حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه رأىٰ سعداً . ولم يتابَعْ حفص علىٰ قوله ، وقول أبي معاوية أشبه بالصواب .

قلنا : رواية عقبة بن خالد التي أشار إليها الدارقطني لم نقع عليها مسندة ، وأما قوله : " لم يتابع حفص علىٰ قوله " فغير مقبول ، فقد تابعه ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، وسيأتي عند المصنف برقم (١٠٧٣٩) ، لكن وقع فيه : أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ رجلاً ... ، ولم يذكر سعداً ، وإسناده قوي .

وقد صحَّ الحديث من طريق آخر عن أبي هريرة ، فقد أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٨٢ ، وابن حبان (٨٨٤) من طريق حفص بن غياث ، والطبراني في " الأوسط " (٣٥٧٤) من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي ، عن مخلد بن الحسين ، كلاهما عن هشام بن حسان ، عن محمَّد بن سيرين ، عن أبي هريرة .

قال الطبراني : لم يروِ هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا مخلد بن الحسين ، تفرد به مسلم الجرمي !! قلنا : ومخلد ثقة ، ومسلم صدوق له ترجمة في " تاريخ بغداد " ١٣/ ١٠٠، و" لسان الميزان " ٦/ ٣٢ ، ثُمَّ لم يتفرد به كما أسلفنا ، فقد رواه عن هشام حفصُ بن غياث ، وإسناده صحيح ، لكن رواية ابن أبي شيبة وحده موقوفة على أبي هريرة ! وعن رجل من الأنصار عن جده عند ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٨٣ . قوله : " أحدْ أحدْ " ، قال السِّندي : أراد وحدْ من التوحيد ، فقلبت الواو همزة ، والمعنى أشر بإصبع واحدة ، لأنَّ الذي تدعوه واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وقَالَ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد، جمال الدِّين (٢١٣هـ) : " وَكَانَ شِعَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ : أَحَدٌ أَحَدٌ " . انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام (١/ ٦٣٤) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، السهيلي (٥/ ٩٦) .

وروى الحاكم ، قال : " حَدَّثَنَا أَبُو العبَّاس محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ الْعَامِرِيُّ ، ثَنَا عَمْرُو بْنُ محمَّد الْعَنْقَزِيُّ ، ثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، أَخْبَرَنِي عَمَّارٌ الدُّهْنِيُّ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ محمَّد بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَيْهَاتَ ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعاً ، فَقَالَ : " ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : اللَّهَ اللَّهَ قُتِلَ ... " . أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين(٤/ ٥٩٦ برقم ٨٦٥٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي في التلخيص) .

وذكر الإمام أبو سعيد عبد الله بن عمر الشِّيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) : عن زين العابدين رضي الله عنه أنَّه قال : سألت الله عزَّ وجلَّ أن يعلِّمني الاسم الأعظم ، فقيل في النَّوم : قل اللهمَّ إنِّي أسألك : الله . الله . الله . الذي لا إله إلَّا هو ربّ العرش العظيم ، فما دعوت إلا رأيت النُّجح . انظر : شرح أسماء الله الحسنى ، البيضاوي ، (ص١٤٧) .

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة ...

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنَّ لفظ الجلالة ﷻ هو الاسم الأعظم ، فقد روى ابن أبي حاتم في التفسير ، قال : " حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ محمَّد بْنِ الصَّبَّاحِ ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّه قَالَ : اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ هُوَ اللَّهُ ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّه يَقُولُ : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحمن الرَّحِيمِ " . انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٢/ ٥٨٥) .

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : "فَاسْمُ اللهَّ دَالٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ ، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا بِالدِّلَالَاتِ الثَّلَاثِ ، فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَىٰ إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ .

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ : هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ ، وَلِهَذَا يُضِيفُ اللهُّ تَعَالَىٰ سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ إِلَىٰ هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، وَيُقَالُ : الرَّحمن وَالرَّحِيمُ ، وَالْقُدُّوسُ ، والسَّلام ، وَالْعَزِيزُ ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهَّ ، وَلَا يُقَالُ : اللهُّ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحمن ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٥-٥٦) .

وهو يعني بالدلالات الثَّلاث : المطابقة ، والتَّضمُّن ، واللزوم ...

وقد نصَّ العلماء في مؤلَّفاتهم علىٰ مشروعيَّة الذِّكر بالاسم المفرد مكرَّراً ...

قال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " والفاني يكون مَحْفُوظاً فِي وظائف الْحق ، كَمَا قَالَ الْجُنَيْد ، وَقيل لَهُ : إِنَّ أَبَا الْحُسَيْن النوري قَائِم فِي مَسْجِد الشونيزي مُنْذُ أَيَّام لَا يَأْكُل وَلَا يشرب وَلَا ينَام ، وَهُوَ يَقُول : الله الله ، وَيُصلي الصَّلَوَات لأوقاتها ، فَقَالَ بعض من حَضَره أَنَّه صَاح ، فَقَالَ الْجُنَيْد : لَا وَلَكِن أَرْبَاب المواجيد محفوظون بَين يَدي الله فِي مواجيدهم ، فَإِن ردّ الفاني إِلَىٰ الْأَوْصَاف لم يرد إِلَىٰ أَوْصَاف نَفسه ، وَلَكِن يُقَام مقَام الْبَقَاء بأوصاف الْحق " . انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي (ص١٣١) .

والرِّواية أخرجها الإمام البيهقي في الشُّعب ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو محمَّد بْنُ يُوسُفَ ، سَمِعْتُ أَبَا العبَّاس عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عُمَرَ الْمَسْعُودِيَّ ، بِدَيْنُورَ ، يَقُولُ : حُكِيَ لَنَا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ الثَّوْرِيِّ ، أَنَّه بَقِيَ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَةَ أَيَّام وَلَيَالِيهَا ، لَا يَأْكُلُ ، وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يَنَامُ ، يَجِيءُ مِنْ أَوَّلِ الْمَسْجِدِ إِلَىٰ آخِرِهِ ، فَأُبْلغَ ذَلِكَ الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ ، وَالشِّبْلِيُّ ، فَجَاءُوا فَوَقَفُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ ، وَالشِّبْلِيُّ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ : مَا أَدْرِي دَهَاكَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، أَخْبِرْنَا ، فَقَالَ الثَّوْرِيُّ : أَنَا أَقُولُ : اللهُ ، تَزِيدُوا عَلَىٰ قَوْلِ الله ؟ ، فَقَالَ الشِّبْلِيُّ : إِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِالله ، فَالْمِنَّةُ للهَّ فِيمَا تَقُولُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِكَ ، فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الله شَيْءٌ ، قَالَ : فَسَجَدَ ، فَقَالَ : أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ : إِنَّ سُيوفَ الشِّبْلِيِّ تَقْطُرُ دَماً " . انظر : شعب الإيمان ، البيهقي (٩/ ٣٩٦ برقم ٦٨٦٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن عطيَّة الحارثي ، أبو طالب المكِّي (٣٨٦هـ) ضمن دعاء طويل : " ... اللهمَّ إنِّي أسألك باسمك الله الله الله الذي لا إله إلَّا هو ، ربّ العرش العظيم ، فتعالىٰ الله الملك الحق لا إله إلَّا هو ربّ العرش الكريم ، أنت الأوَّل الآخر ، الظَّاهر الباطن ، وسعت كلَّ شيء رحمة وعلماً ... " . انظر : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، أبو طالب المكي (١/ ٢٤) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السُّلمي (٤١٢هـ) : وحكي أنَّ أبا الحسين النُّوري بقي في منزله سبعة أيَّام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب ، ويقول في ولهه ودهشه : الله الله ، وهو قائم يدور فأُخبر الجنيد بذلك ، فقال : انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا ؟ فقيل : أنَّه يصلِّي الفرائض فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشَّيطان عليه سبيلاً ثُمَّ قال : قوموا حتىٰ نزوره إمَّا نستفيد منه أو نفيده فدخل عليه وهو في ولهه ، قال : يا أبا الحسين ما الذي دهاك ؟ قال : أقول : الله الله زيدوا عليَّ ... " . انظر : تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرَّحمن السلمي (١/ ٢٩-٣٠) .

وقال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : " سمعت الشَّيخ أبا عَبْد الرَّحمن السلمي يَقُول : دخلت عَلَىٰ أَبِي عُثْمَان المغربي وواحد يستقى الماء من البئر عَلَىٰ بكرة ، فَقَالَ : يا أبا عَبْد الرَّحمن أتدري إيش تقول البكرة ؟ فَقُلْتُ : لا ، فَقَالَ : تقول : اللهَّ اللهَّ " . انظر : الرسالة القشيرية ، القشيري (٢/ ٥١٧) .

وقال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : " سمعت الشَّيخ أبا عَبْد الرَّحمن يَقُول : سمعت الْحُسَيْن بْن يَحْيَي ، يَقُول : سمعت جَعْفَر بْن نصير ، يَقُول : سمعت الجريري ، يَقُول : كَانَ بَيْنَ أَصْحَابنا رجل يكثر أَن يَقُول اللهَّ اللهَّ ، فوقع يوماً عَلَىٰ رأسه جذع فانشجّ رأسه وسقط الدَّم ، فاكتتب عَلَىٰ الأَرْض اللهَّ اللهَّ " . انظر : الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٢/ ٣٧٩) .

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض علىٰ صدورهم النُّور لا بالتعلُّم والدِّراسة والكتابة للكتب ، بل بالزُّهد في الدُّنيا ، والتَّبري من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه الهمَّة علىٰ الله تعالىٰ ، فمن كان لله كان الله له ، وزعموا أنَّ الطَّريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدُّنيا بالكليَّة ، وتفريغ القلب منها ، وبقطع الهمَّة عن الأهل والمال والولد والوطن ، وعن العلم والولاية والجاه ، بل يصير قلبه إلىٰ حالة يستوي فيها وجود كلِّ

شيء وعدمه ، ثُمَّ يخلو بنفسه في زاوية ، مع الاقتصار على الفرائض والرَّواتب ، ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهمّ ولا يفرِّق فكره بقراءة قرآن ، ولا بالتأمُّل في تفسير ، ولا بكتب حديث ، ولا غيره ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى ، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه : الله الله على الدَّوام ، مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأنَّ الكلمة جارية على لسانه ، ثُمَّ يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ، ويصادف قلبه مواظباً على الذِّكر ، ثُمَّ يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، ويبقى معنى الكلمة مجرَّداً في قلبه حاضراً فيه ، كأنَّه لازم له ، لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحدِّ ، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس ، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى ، بل هو بما فعله صار متعرِّضاً لنفحات رحمة الله ، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرَّحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطَّريق ، وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همَّته ، وحسنت مواظبته ، فلم تجاذبه شهواته ، ولم يشغله حديث النَّفس بعلائق الدُّنيا ، تلمع لوامع الحق في قلبه " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٣/ ١٩) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي أيضاً : " فإنَّ أصل طريق الدِّين : القوت الحلال ، وعند ذلك يلقِّنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه ، فيجلس ويقول مثلاً : الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشَّيخ من الكلمات ، فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان ، وتكون الكلمة كأنَّها جارية على اللسان من غير تحريك ، ثُمَّ لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان ، وتبقى صورة اللفظ في القلب ، ثُمَّ لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب ، حاضرة معه ، غالبة عليه ، قد فرغ عن كلِّ ما سواه ، لأنَّ القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان ، فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود ، خلا لا محالة عن غيره " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٣/ ٧٧) ، وانظر : : ميزان العمل ، الغزالي (ص٢٢٢-٢٢٣) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي أيضاً : " فصل متى يطالع القلب عالم الملكوت ؟

ولا تظنَّنَّ أنَّ هذه الطَّاقة تنفتح بالنَّوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرِّياضة ، وتخلَّص من يد الشَّهوة ، والغضب ، والأخلاق القبيحة ، والأعمال الرَّديئة .

فإذا جلس في مكان خال ، وعطَّل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت ، وقال دائماً : الله ، الله ، الله ، بقلبه ، دون لسانه ، إلى أن يصير لا خير معه من نفسه ، ولا من

العالِم ، ويبقىٰ لا يرىٰ شيئاً إلَّا الله سبحانه وتعالىٰ ، انفتحت تلك الطَّاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النَّوم ... وهو طريق الصُّوفيَّة في هذا الزَّمان " . انظر : كيمياء السعادة ، الغزالي (ص١٣٦-١٣٧) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) في ترجمة محمَّد بن يحيىٰ بن علي بن مسلم بن موسىٰ ابن عمران القرشيّ اليمني الزّبيديّ الواعظ (٥٥٥هـ) : " قال ولده إسماعيل : كان أبي في كلِّ يوم وليلة من مرضه يقول : الله الله قريباً من خمسة عشر ألف مرَّة ؛ وفي يوم وفاته أدنىٰ السُّبحة وهو يقول : الله الله قريباً من خمس مئة مرَّة ، رحمه الله " . انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٧٣/ ٢٧٧) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن ثابت الرِّفاعي الحسيني (٥٧٨هـ) : " وعلىٰ هذا تسلسل أمر القوم ، وصحَّ توحيدهم ، وتجرَّدوا عن الأغيار بالكليَّة ، وأسقطوا وهمَ التَّأثير من الآثار ، وردُّوها بيد اعتقادهم الخالص إلىٰ المؤثِّر ، وقاموا علىٰ قدم الاستقامة ، فكمُلت معرفتهم ، وعلت طريقتهم ، فعاملوا الله كما عاملوه ، تحصل لكم المناسبة مع القوم ، ويتمُّ نظام أمركم وراءهم ، فتكون أقدامكم علىٰ أقدامهم ، القوم سمعوا وطابوا ، ولكنهم سمعوا أحسن القول فاتَّبعوه ، وسمعوا غير الحسن فاجتنبوه ، تحلَّقوا وفتحوا مجالس الذِّكر وتواجدوا ، وطابت نفوسهم وصعدت أرواحهم ، لاحت عليهم بوارق الإخلاص حالة ذكرهم وسماعهم ، ترىٰ أنَّ أحدهم كالغائب علىٰ حال الحاضر كالحاضر علىٰ حال الغائب ، يهتزُّون اهتزاز الأغصان التي تحرَّكت بالوارد لا بنفسها ، يقولون : لا إله إلا الله ، ولا تشتغل قلوبهم بسواه ، يقولون : الله ، ولا يعبدون إلا إيَّاه ، يقولون : هو وبه لا بغيره يتباهون ، إذا غناهم الحادي يسمعون منه التذكار فتعلوا همَّتهم في الأذكار " . انظر : البرهان المؤيد ، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني (ص٦٣-٦٤) .

وجاء في بدائع الصنائع للإمام علاء الدِّين ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (٥٨٧هـ) : " وَلِأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ النَّصَّ مَعْلُولٌ بِمَعْنَىٰ التَّعْظِيمِ ، وأنَّه يَحْصُلُ بِالِاسْمِ الْمُجَرَّدِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّه يَصِيرُ شَارِعاً بِقَوْلِهِ : " لَا إلَهَ إلَّا اللهُ " ، وَالشُّرُوعُ إنَّمَا يَحْصُلُ بِقَوْلِهِ : " اللهُ " لَا بِالنَّفْيِ " . انظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، الكاساني الحنفي (١/ ١٣١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " وروي عن أبي ماجد ، قال : كنت أحبُّ الصُّوفيَّة ، فاتَّبعتهم يوماً إلىٰ مجلس عالِم ، فرأيت في المجلس شخصاً تتمنَّىٰ النُّفوس دوام النَّظر إليه ، وهو يبكي كلَّما سمع العالِم والقارئ يقول : الله ، الله ، فلم تنقطع له دمعة .

فتعجَّبت من توكّف عبراته ، وترتداف زفراته ، مع صغر سنه ، وغضّ شبابه ، فسألت بعض الصُّوفيَّة عنه ، فقال : أنَّه تائب غزير الدُّموع ، كثير السُّجود والرُّكوع ، رقيق القلب شفيق الحب . فبينما نحن كذلك ، إذا قرأ القرآن : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة ١٥٢] ، " فقام قائماً على قدميه ، وهو يقول : سيِّدي ، خاب من في قلبه غير ذكرك . وهل في الأكوان غيرك حتى يذكر يا حبيب القلوب ؟! " . انظر : بحر الدموع ، ابن الجوزي (ص٦١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " أَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ الم ﴾ فَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاس أَنِّي أَقُولُ طُولَ حَيَاتِي : اللهُ ، فَإِذَا مِتُّ أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا سُئِلْتُ فِي الْقَبْرِ أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا جِئْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا أَخَذْتُ الْكِتَابَ أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا وُزِنَتْ أَعْمَالِي أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا جُزْتُ الصِّرَاطَ أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا دَخَلْتُ الجنَّة أَقُولُ : اللهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُ اللهَ ، قُلْتُ : اللهُ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، الرَّازي (١/ ١٥٤) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن حسن بن على الخزرجى الأنصاري المرسي (٦٨٦هـ) : " ليكن ذكرك : الله الله ، فإنَّ هذا الاسم سلطان الأسماء ، وله بساط وثمرة ، فبساطه العلم ، وثمرته النُّور ، وليس النُّور مقصوداً لذاته ، بل لما يقع به من الكشف والعيان " . انظر : لطائف المنن في مناقب الشَّيخ أبي العبَّاس المرسي وشيخه أبي الحسن ، ابن عطاء الله السكندري (ص١٦٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة عَبْد الأوّل بْن عِيسَى بْن شُعَيب بْن إبراهيم بْن إسحاق ، مُسْند الوقْت ، أبو الوقْت بْن أبي عَبْد اللهَّ السِّجْزيّ الأصل ، الهَرَوِيّ ، المالينيّ ، الصُّوفي (٥٥٣هـ) : " وَكَانَ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ محمَّد بن القاسم الصُّوفي ، وأكب عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجنَّة " . فَرَفَعَ طرفه إليه ، وتلا هذه الآية : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦ – ٢٧] ، فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب ، ولم يزل يقرأ حتى ختم السُّورة ، وقال : الله الله الله ، ثُمَّ توفِّي وهو جالس على السَّجَّادة " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١٢/ ٦٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي (٢٠/ ٣٠٨-٣٠٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي أيضاً في ترجمة محمَّد بْن يحيى بْن عليّ بْن مُسْلِم بْن مُوسَى بْن عِمْرَانَ ، الْقُرَشِيّ ، اليمنيّ ، الزَّبِيديّ ، الواعظ ، أبو عَبْد اللهَّ (٥٥٥هـ) : " وقال ابن عساكر : قال ولده إِسْمَاعِيل : كان أبي فِي كلّ يومٍ وليلة من أيَّام مرضه يقول : اللهَّ اللهَّ ؛ قريباً من

خمسة عشر ألف مرَّة ، وما زال يقول الله الله حتىٰ طفىءَ " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١٢/ ١٠٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي أيضاً في ترجمة محمَّد بْن عَبْد اللهَّ بْن هبة اللهَّ بن المظفَّر ابن رئيس الرُّؤساء أبي القاسم علي ابْن المسلمة ، أَبُو الفَرَج (٥٧٣هـ) : " وخَرج من بيته حاجَّاً فِي رابع ذي القعدة ، فضربه واحد من الباطنيَّة أربع ضربات علىٰ باب قطُفتا ، فَحُمِل إلىٰ دارٍ هُنَاك ، فلم يتكلَّم ، إلَّا أنَّه كان يقول : اللهَّ ، اللهَّ ، وقال : ادفنوني عند أَبِي ، ثُمَّ مات بعد الظُهْر ، رَحِمَهُ اللهُّ تعالىٰ " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١٢/ ٥٢٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي أيضاً في ترجمة إبراهيم بْن عَبْد الواحد بْن عَلِيّ بْن سُرور ، الشَّيخ العِماد المَقْدِسِيّ الحَنْبَلِيّ الزَّاهد القدوة أَبُو إِسْحَاق (٦١٤هـ) : " قَالَ الضِّيَاءُ : ... وَكَانَ يُفتح عَلَيْهِ من الْأدعية شيء ما سَمِعْتُهُ من غيره قطّ ، وجرىٰ بيننا ذِكر إجابة الدُّعاء ، فَقَالَ : ما رَأَيْت مثل هَذَا الدُّعاء ، أَوْ قَالَ : أسرع إجابة : " يا اللهَّ يا اللهَّ أَنْتَ اللهَّ ، بلىٰ ، واللهَّ أَنْتَ ، لَا إله إِلَّا أَنْتَ ، اللهَّ اللهَّ اللهَّ أَنَّه لَا إله إِلَّا اللهَّ " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (١٣/ ٣٩٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي أيضاً في ترجمة الإمام محمَّد بنُ يَحْيَىٰ بن عَلِيِّ بنِ مُسْلِمِ بنِ مُوْسَىٰ بنِ عِمْرَانَ القُرَشِيُّ، اليَمنِيُّ، الزَّبِيْدِيُّ (٥٥٥هـ) : " قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: قَالَ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيْلُ: كَانَ أَبِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَليلَةٍ مِنْ أَيَّام مرضِهِ يَقُوْلُ: الله الله، نَحْواً مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ مرَّةً، فَمَا زَالَ يَقولُهَا حَتَّىٰ طُفِئَ " . انظر : : سير أعلام النبلاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٢٠/ ٣١٨) .

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " قَالَ الْقُشَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ السُّلَمِيَّ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيِّ وَرَجُلٌ يَسْتَقِي الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ عَلَىٰ بَكَرَةٍ . فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، أَتَدْرِي إِيشُ تَقُولُ هَذِهِ الْبَكَرَةُ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، فَقَالَ تَقُولُ : اللهُّ اللهُّ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية (٢/ ٣٨٧) .

وجاء في فتاوىٰ الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَنْ قَوْلِ الشَّيخ الْعَيْدَرُوسِ السَّيِّدِ الْعَارِفِ بِاَللهَّ تَعَالَىٰ عَبْدِ اللهَّ قَدَّسَ اللهُّ رُوحَهُ وَسَرَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ : أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ مَعَ اللهَّ الْأَنْفَاسُ ، أَعْنِي : أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهَا وَدُخُولُهَا بِذِكْرِ الْجَلَالَةِ ،

وَلَوْ قَوْلَكَ اللهُ اللهُ أَوْ ذِكْرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَمْ تَتَحَرَّكْ بِهِ الشَّفَتَانِ ، أَعْنِي : أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ حِفْظُ الْأَنْفَاسِ كَوْنُهَا الْأَنْفَاسَ الْهَوَائِيَّةَ الْجُسْمَانِيَّةَ يَكُونُ دُخُولُهَا وَخُرُوجُهَا عَلَىٰ أَفْضَلِ الرِّضَا وَالذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهَا جَوَاهِرُ الْأَعْمَارِ الْمُثْمِرَاتُ لِلْأَسْرَارِ وَالْأَنْوَارِ ، وَهَذَا مَعْدُودٌ مِنْ الْمَقَامَاتِ. اهـ كَلَامُهُ . فَهَلْ هَذَا النَّقْلُ عَنْ إجْمَاعِ الْعَارِفِينَ صَحِيحٌ أَوْ لَا ؟ فَإِنْ قُلْتُ مْ : نَعَمْ ، فَقَدْ صَرَّحَ النَّوَوِيُّ فِي أَذْكَارِهِ بِأَنَّ الْأَفْضَلَ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ جَمِيعاً ، ثُمَّ مَا كَانَ بِالْقَلْبِ ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا بِالْقَلْبِ غَيْرُهُ أَيْضاً ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ ، وَهَلْ الْمُرَادُ بِحِفْظِ الْأَنْفُسِ : إعْمَالُ النَّفَسِ فِي الذِّكْرِ عِنْدَ خُرُوجِ النَّفَسِ وَدُخُولِهِ أَوْ مُجَرَّدُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيكِ النَّفَسِ بِذَلِكَ خُرُوجاً وَدُخُولاً ، بَيِّنُوا لَنَا بَيَاناً شَافِياً ، آجَرَكُمْ اللهُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ النَّقْلَ عَنْ إجْمَاعِ الْعَارِفِينَ صَحِيحٌ ، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ ، وَلَكِنْ هَذَا مَقَامُ الْكُمَّلِ ، وَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ هُوَ مَقَامٌ دُونَ هَذَا الْمَقَامِ " . انظر : فتاوىٰ الرملي ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشَّافعي (٤/ ٣٩٢ – ٤٩٣) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشَّافعي المصري المعروف بالشَّعراني (٩٧٣هـ) : " ومنهم شيخ الإسلام الشَّيخ زكريَّا الأنصاري الخزرجي رحمه الله تعالىٰ آمين .

أحد أركان الطَّريقين : الفقه ، والتَّصوُّف ، وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قطُّ في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلاً ، ولا نهاراً ، وكان رضي الله عنه مع كبر سنِّه يصلِّي سنن الفرائض قائماً ، ويقول : لا أعوِّد نفسي الكسل ، وكان إذا جاءه شخص ، وطوَّل في الكلام يقول : بالعجل ضيَّعت علينا الزَّمن ، وكنت إذا أصلحت كلمة في الكتاب الذي أقرؤه عليه أسمعه يقول : بخفض صوته الله الله لا يفتر حتىٰ أفرغ " . انظر : الطبقات الكبرىٰ ، الشَّعراني (٢/ ١٢٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَذكر لَا إِلَه إِلَّا الله أفضل من ذكر الْجَلَالَة مُطلقاً هَذَا بِلِسَان أَئِمَّة الظَّاهِر ، وَأما عِنْد أهل الْبَاطِن فالحال يخْتَلف باخْتلَاف أَحْوَال السَّالك ، فَمن هُوَ فِي ابْتِدَاء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وَعدم انفكاكه عَن التَّعَلُّق بهَا وَعَن إِرَادَته وشهواته وبقائه مَعَ نَفسه يحْتَاج إِلَىٰ إدمان الْإِثْبَات بعد النَّفْي حَتَّىٰ يستولي عَلَيْهِ سُلْطَان الذّكر وجواذب الْحق الْمرتبَة علىٰ ذَلِك ، فَإِذا استولت عَلَيْهِ تِلْكَ الجواذب حَتَّىٰ أخرجته عَن شهواته وإرادته وحظوظه وَجَمِيع أَعْرَاض نَفسه صَار بَعيداً عَن شُهُود الأغيار ، وَاسْتولىٰ عَلَيْهِ مراقبة الْحَقّ أَو شُهُوده ، فحينئذٍ يكون مُسْتَغْرقاً فِي حقائق الْجمع الأحديِّ ، وَالشُّهُود السَّرمدي الفردي ،

فالأنسب بِحَالِهِ الْإِعْرَاض عَمَّا يذكرهُ الأغيار ، والاستغراق فِيمَا يُنَاسب حَاله من ذكر الْجَلالَة فَقَط ، لِأَنَّ ذَلِك فِيهِ تَمام لذّته ، ودوام مسرَّته وَنعمته ، ومنتهى أربه ومحبَّته ، بل إِذا وصل السَّالك لهَذَا الْمقَام وَأَرَادَ قهر نَفسه إِلَى الرُّجُوع إِلَى شُهُود غَيره حَتَّى يَنْفِيه أَو يتَعَلَّق بِهِ خاطر لَا تطاوعه نَفسه المطمئنَّة لما شاهدت من الْحَقَائِق الوهبيَّة ، والمعارف الذَّوقيَّة ، والعوارف اللدنيَّة . وَقد فتحنا لَك بَاباً تستدلُّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي فَتحه على مَا وَرَاءه ، فَافْهَم مَقَاصِد الْقَوْم السالمين من كلِّ مَحْظُور ولوم ، وَسلم لَهُم تَسْلَمْ ، وَلَا تنتقد حَقِيقَة من حقائقهم تندم ، بل قل فِيمَا لم يظْهر لَك : الله أعلم " . انظر: الفتاوىٰ الحديثية ، ابن حجر الهيتمي (ص٥٣) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القارِّي (١٠١٤هـ) في شرح حديث : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهَّ اللهَّ " : " أَيْ : لَا يَذْكُرُ اللهَّ فَلَا يَبْقَىٰ حِكْمَةٌ فِي بَقَاءِ النَّاس ، وَمِنْ هَذَا يُعْرَفُ أَنَّ بَقَاءَ الْعَالَمِ بِبَرَكَةِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَالْعُبَّادِ الصَّالحين ، وَعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، القاري (٨/ ٣٥٠٠) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثُمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) في شرحه لحديث : " إِذا أصابَ أَحَدَكُمْ هَمٌّ أَوْ لأَواءُ فَلْيَقُلْ : الله الله ربِّ لا أشرك به شيئاً " . أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، (٥/ ٢٧١ برقم ٥٢٩٠) .

وكرَّره استلذذاً بذكره ، واستحضاراً لعظمته ، وتأكيداً للتَّوحيد ، فإنَّه الاسم الجامع لجميع الصِّفات الجلاليَّة ، والجماليَّة ، والكماليَّة " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (١/ ٢٨٥) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثُمَّ المناوي القاهري أيضاً : " إنَّ الله تعالىٰ يقول : أنا مع عبدي " ، بالرَّحمة والتَّوفيق والهداية " ما ذكرني " ، أي : مدَّة ذكره لي في نفسه ، فـ " ما " مصدريَّة ظرفيَّة " و " ما تحرَّكت بي " ، أي : بذكري " شفتاه " ، فهو مع من يذكره بقلبه ، ومع من يذكره بلسانه ، لكن معيَّته مع الذِّكر القلبي أتمّ ، وخصَّ اللسان لإفهامه دخول الأعلىٰ بالأولىٰ ، لكن محبَّته وذكره لما استولىٰ علىٰ قلبه وروحه صار معه وجليسه ، ولزوم الذِّكر عند أهل الطَّريق من الأركان الموصلة إلىٰ الله تعالىٰ ، وهو ثلاثة أقسام : ذكر العوام باللسان ، وذكر الخواص بالقلب ، وذكر خواص الخواصِّ بفنائهم عند مشاهدة مذكورهم ، حتىٰ يكون الحقُّ مشهوداً لهم في كلِّ حال ، قالوا : وليس للمسافر إلىٰ الله في سلوكه أنفع من الذِّكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيار ، وهو الله ، وقد

ورد في حقيقة الذِّكر وآثاره وتجلِّياته ما لا يفهمه إلَّا أهل الذَّوق " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (٢/ ٣٠٩) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثُمَّ المناوي القاهري في شرحه لحديث : " أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمالِكُمْ ، وأَزْكاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وأَرْفَعِها فِي دَرَجاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لكمْ مِنْ إِنْفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ ، وخَيْرٍ لكمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكمْ فَتَضْرِبُوا أَعْناقَهُمْ ويَضْرِبوا أَعْناقَكمْ ؟ ذِكْرُ الله " : " قد أخذ الصُّوفيَّة بقضية هذا الحديث ، فذهبوا أنَّه لا طريق إلىٰ الوصول إلَّا الذِّكر ، قالوا : فالطَّريق في ذلك أولاً : أن يقطع علائق الدُّنيا بالكليَّة ، ويفرغ قلبه عن الأهل والمال والولد والوطن والعلم والولاية والجاه ، ويصير قلبه إلىٰ حالة يستوي عنده فيها وجود ذلك وعدمه ، ثُمَّ يخلو بنفسه مع الاقتصار علىٰ الفرض والرَّاتبة ، ويقعد فارغ القلب ، مجموع الهمِّ ، ولا يفرِّق فكره بقراءة ولا غيرها ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوىٰ ذكر الله ، فلا يزال قائلاً بلسانه : الله الله علىٰ الدَّوام مع حضور قلبه إلىٰ أن ينتهي إلىٰ حالة يترك تحريك اللسان ، ويرىٰ كأنَّ الكلمة جارية عليه ثُمَّ يصير إلىٰ أن ينمحي أثره من اللسان فيصادف قلبه مواظباً علىٰ الذِّكر ثُمَّ تنمحي صورة اللفظ ، ويبقىٰ معنىٰ الكلمة مجرَّداً في قلبه لا يفارقه ، وعند ذلك انتظار الفتح " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (٣/ ١١٥) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولىٰ أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " قال الشَّيخ الكبير صدر الدِّين القنوىٰ (٦٧٣هـ) قدِّس سرُّه : أكَّده بالتَّكرار ، ولا شكَّ أن لا يذكر الله ذكراً حقيقيَّاً وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء ، إلا الذي يعرف الحقَّ بالمعرفة التَّامَّة ، وأتمُّ الخلق معرفة بالله في كلِّ عصر خليفة الله ، وهو كامل ذلك العصر " . انظر : روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي (٣/ ٢٨٦) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولىٰ أبو الفداء : " وأمَّا ما قال بعض الكبار من أنَّ الذِّكر بلا إله إلَّا الله أفضل من الذِّكر بكلمة " الله الله " و " هو هو " من حيث أنَّها جامعة بين النَّفي والإثبات ، ومحتوية علىٰ زيادة العلم والمعرفة ، فبالنِّسبة إلىٰ حال المبتدي ، فكلمة التَّوحيد تظهر مرءاة النَّفس بنارها ، فتوصل السَّالك إلىٰ دائرة القلب ، وكلمة الله تنوِّر القلب بنورها ، فتوصل إلىٰ دائرة الرُّوح ، وكلمة هو تجلِّي الرُّوح ، فتوصل من شاء الله إلىٰ دائرة السرّ " . انظر : روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي (٩/ ٤٥٦) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) : " ... كالاشتغال بالأذكار والأوراد (بل يجتهد أن يخطر بباله شيء سوىٰ الله ، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه) مراقباً بقلبه (الله الله علىٰ الدَّوام مع حضور القلب) ، وهو ذكر من غلب عليه الجذب قبل السُّلوك ، وهو اختيار طائفة منهم ، أو يقول : لا إله إلَّا الله ، وهو ذكر من غلب عليه السُّلوك قبل الجذب ، واختاره طائفة منهم ، وكلاهما موصلان ، لكن حضور القلب شرط علىٰ كلِّ حال ... " . انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، الزبيدي (٧/ ٢٤٥) .

وقال العارف بالله ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) : " فالاسم المفرد ﴿الله﴾ هو سلطان الأسماء ، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتزُّ به حتىٰ يمتزج بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كليَّاته وجزئيَّاته...، إلىٰ أن قال : فينتقل الذِّكر إلىٰ القلب ثُمَّ إلىٰ الرُّوح ثُمَّ إلىٰ السرِّ ، فحينئذ يخرس اللسان ، ويصل إلىٰ الشُّهود والعيان " . انظر : معراج التشوف إلىٰ حقائق علم التصوف ، ابن عجيبة (ص٢٤) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٥] ، أي : استغرق أنفاسك في ذكر اسمه الأعظم ، وهو الاسم المفرد ؛ الله الله ، فتكثر منه بكرة وأصيلاً ، وآناء الليل والنَّهار " . انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة الحسني(٧/ ٢٠٥) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : "وَرَوَىٰ هِشَامٌ عَنْ محمَّد عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّه اسْمُ اللهَّ الْأَعْظَمُ ، وَبِهِ قَالَ الطَّحَاوِيُّ وَكَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَأَكْثَرُ الْعَارِفِينَ ، حَتَّىٰ أَنَّه لَا ذِكْرَ عِنْدَهُمْ لِصَاحِبِ مَقَامٍ فَوْقَ الذِّكْرِ بِهِ ، كَمَا فِي شَرْحِ التَّحْرِيرِ لِابْنِ أَمِيرِ حَاجٍّ " . انظر : رد المحتار علىٰ الدر المختار ، ابن عابدين ، (١/ ٧) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (المتوفىٰ بعد ١٣٠٢هـ) : " وقال سيِّدي عبد القادر الجيلاني : الله هو الاسم الأعظم ، وإنَّما يستجاب لك إذا قُلْتُ الله وليس في قلبك غيره .

ولهذا الاسم خواص وعجائب ، منها : أنَّ من داوم عليه في خلوة مجرَّداً بأن يقول الله ، الله ، حتىٰ يغلب عليه منه حال ، شاهد عجائب الملكوت ... " . انظر : إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية علىٰ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياط (١/ ١٦) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) : " عائدة : لا بدَّ للمريد السَّالك إن كان مراده الوصول ، إلىٰ مراتب أهل الحصول ، من الاشتغال بالذِّكر دائماً بأي نوع كان من الأذكار، وأعلاها الاسم الأعظم ، وهو قولك : الله الله ، لا يزيد عليه شيئاً ، لأنَّ الله ما وصف بالكثرة شيئاً إلا الذِّكر ، وما أمر بالكثرة من شيء إلَّا من الذِّكر ، فقال : ﱡﭐ جح جم حج حم خج خم سج سح سخ ﱠ [الأحزاب: ٣٥] ، وما أتىٰ الذِّكر قطُّ إلَّا بالاسم ﱡﭐﱠ خاصَّة معرَّىٰ عن التَّقييد ، فقال: ﱡﭐ لم له مج محﱠ [الأحزاب: ٤١] ، وما قال بكذا وقال : ﱡﭐ حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ ﱠ [العنكبوت: ٤٥] ، ولم يقل بكذا وقال : " واذكروا السَّاعة حتىٰ لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض من يقول : الله الله " ، فما قيَّده بأمر زائد علىٰ هذا اللفظ ، لأنَّه ذكر الخاصَّة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدُّنيا وكلّ دار يكونون فيها ، فإذا لم يبق في الدُّنيا منهم أحد ، لم يبق للدُّنيا سبق حافظ يحفظها الله من أجله ، فتزول وتخرب . وكم من قائل : الله الله باق في ذلك الوقت ، لكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي يستحضره أهل الله ، فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار ، فعلم من ذلك أنَّ المريد لا ينتفع بأيِّ ذكر كان إلَّا مع استحضار المعنىٰ . والأدب الذي ذكره أهل الله في رسائل السُّلوك من التَّقوىٰ والطَّاعة والعبادة والعمل بها في الكتاب والسُّنَّة ، وغير ذلك من المجاهدات " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١/ ٨٧٨) .

وقال الإمام محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (١٣٥٣هـ) : " قوله : " الله الله إلخ " ، قال العلماء : إنَّ روح الدُّنيا لا إله إلَّا الله ، فإذا خرج الرُّوح تفسد الدُّنيا ، وأقول : هذا يدلُّ علىٰ أنَّ (الله الله) مفرد أيضاً ذكر ، وكذلك في القرآن العزيز : ﱡﭐ بر بز بم بن بى بي تر تزﱠ [الأنعام: ٩١] . انظر : العرف الشذي شرح سنن الترمذي ، محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (٣/ ٤١٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " فقد اتَّفق الشَّافعيَّة ، والحنابلة علىٰ أنَّ من عجز عن قراءة الفاتحة في الصَّلاة ، فإن كان يقدر علىٰ أن يأتي بآيات من القرآن بقدر الفاتحة في عدد الحروف والآيات ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذلك . فإن كان يحفظ آية واحدة أو أكثر فإنَّه يفترض عليه أن يكرِّر ما يحفظه بقدر آيات الفاتحة ، بحيث يتعلَّم القدر المطلوب منه تكراره ، فإن عجز عن الإتيان بشيء من القرآن بالمرَّة ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذكر الله ، كأن يقول : الله الله ... مثلاً ، بمقدار الفاتحة " . انظر : الفقه علىٰ المذاهب الأربعة ، عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١/ ٢٠٨) .

فإذا كان الذِّكر بالاسم المفرد جائزاً في الصَّلاة عِوضاً عن الفاتحة لمن لا يحسنها ، فما بالكم به خارجها ؟!!!

وقال الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي : " ... ولكن عامَّة المسلمين من غيرهم – أي : الذين ينكرون الذِّكر بالاسم المفرد – لا يجدون حرجاً من أن يذكروا الله بأيٍّ من أسمائه وصفاته المفردة ، أو يذكروه بشيء من الصِّيغ والجُمل الدالَّة على معنى يتضمَّن حكماً من أحكام التَّوحيد أو التَّنزيه .

ودليلهم على ذلك صريح قول الله عزَّ وجلَّ :ٱثم ثه سم سه شمَّ[الإنسان: ٢٥] .

ومن المعلوم أنَّ أوَّل أسمائه تعالى : الله .

وقوله عزَّ وجلَّ :ٱصح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخَّ[الأعراف: ٢٠٥] .

وذكر الله في النَّفس أعمُّ من أن يقيَّد بمدلول جملة ذات معنى متكامل يتضمَّن حكماً من أحكام التَّوحيد أو التَّنزيه ، فإنَّ الجملة من مستلزمات التَّراكيب اللفظيَّة ، والذِّكر النَّفسي قد لا يعتمد على شيء من هذه التَّراكيب ، وإنَّما يكون المعنيّ به نقيض النِّسيان ، ولا أدلَّ على ذلك من قوله عزَّ وجلّ ، في آخر الآية المذكورة ٱغم فج فح فخَّ [الأعراف: ٢٠٥] ، وهذا الذِّكر يكون بإجراء اسم الجلالة أو أيٍّ صفة من صفات الله تعالى : الخالق ، الرزَّاق ، المصوِّر ، الحكيم ، ... الخ على القلب ، بحيث يكون يقظاً لشهود الله تعالى ، في اسمه الفرد ، أو في أيٍّ صفة من صفاته المعروفة ... " . انظر : السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي (ص١٩٣–١٩٤) .

وقال الأستاذ سعيد حوَّى (١٩٨٩م) : " فصل في ذكر الاسم المفرد : الاسم العلم على الذَّات الإلهيَّة هو لفظ الجلالة ٱنمَّ ، ولذلك أسموه الاسم المفرد ، لأنَّه الاسم الوحيد الذي يدلُّ على الله ذاتاً وصفات وأسماء وأفعالاً ، بينما غيره يدلُّ على ذات وصفـــــــة ثُمَّ هو لا يسمَّى به غير الله ، فهو مفرد من بين الأسماء كلّها . ومن قال ٱنمَّ لا شكَّ أنَّه ذكر الله عزَّ وجلَّ ، وحقَّق الأمر القرآني ٱبم بن بى بي تر تزَّ[المزمل: ٨] . فاسم رِّبنا هو الله ، فمن قال : ٱنمَّ فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ بلا شكٍّ ولا ريب ، ومن نازع في ذلك فإنَّه مخطئ كائناً من كان ، أنَّه عندما نقول : " سبحان الله " نكون قد سبَّحنا الله ونزَّهناه ، وبالتَّالي كذلك ذكرناه ، وعندما نقول : " الحمد الله " نكون قد حمدنا الله وشكرناه ، وبالتَّالي ذكرناه . ولكن عندما نقول : ٱنمَّ نكون قد ذكرناه ، وكما أنَّ التَّنويه في حدِّ ذاته مطلوب ، وكما أنَّ الشُّكر في حدِّ ذاته مطلوب ، فذكر الله كذلك مطلوب ، ومن ذكر أيَّ اسم لله عز وجلَّ فقد ذكر الله .

إنَّ بعضهم يغالط في هذا المقام ، فيقول : لو أنَّك بدأت تذكر اسم إنسان : فلان فلان فلان ، أو يا فلان يا فلان يا فلان ، فإنَّه يتضايق من ذلك ، ولا يكون لفعلك معنى ، وهذا قياس خاطئ ، فإنَّ مجرَّد ذكر الله نحن مطالبون به ، ونفع ذلك لنا كبير وكثير ، إذ أنَّ ذكر الله هو الذي يوقظ قلوبنا ويحييها ، فأن نقول : الله الله ، فذلك ذكر الله ، وذلك نافع لقلوبنا ، لتبقى متذكِّرة ربَّها . إنَّ ذكر الله بذكر أسمائه كلّها هو ذكر ، والإنسان مأجور عليه ، قال تعالى :ﱡﭐ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم ﱠ[الأعراف: ١٨٠] .

وقد رأينا في القرآن كيف أنَّ الله عزَّ وجلَّ يذكِّرنا بأسمائه مرَّات ومرَّات ، وكلّ ذلك لتبقى أسماؤه على ذكر منَّا ، وأن يدخل مع ذكر اسم الله صيغة من صيغ الدُّعاء أو معنى مرافقاً ، كالاستغفار ، والتَّسبيح ، والتَّوحيد ، والحمد ، والتَّكبير ، والتَّعظيم ، فذلك ذكر وزيادة ، ومن خالف في جواز هذا أو هذا أو قطع الطَّريق على هذا أو هذا ، فإنَّه خاطئ ، فمعرفة الله تتعمَّق في قلوبنا من خلال كلِّ الأذكار ، ومن خلال كلِّ الدَّعوات المأثورة ، ومن خلال ذكر أسماء الله عزَّ وجلَّ كلّها . ترى لو قال قائل : الله رحيم ، وكرَّرها ليعمِّق في قلبه الشُّعور برحمة الله ، ولو قال قائل : الله بصير ، وكرَّرها ليعمِّق في قلبه الشُّعور بأنَّ الله يراه ، وهكذا في كلِّ اسم لله عزَّ وجلَّ ليعمِّق في قلبه الشُّعور بالأسماء كلّها ، هل يكون مأجوراً أو مأزوراً ؟ إنَّ من يخالف في مثل هذا من الأفضل ألَّا يدخل الإنسان معه في نقاش ، فإذا استقرَّ هذا ، فإنَّ اسم الله المفرد هو الذي تنطوي فيه كلُّ الأسماء ، فلو أنَّ إنساناً كرَّره ليستقرَّ في قلبه الشُّعور بالذَّات الإلهيَّة ، وصفاتها ، وأسمائها ، فمن أين يكون الإثم ؟ إنَّ الأجر لا شكَّ حاصل بإذن الله ، والأثر في القلب موجود بإذن الله .

قد يقول قائل نحن لا نجد في السنَّة تركيزاً على ذكر اسم الله عزَّ وجلَّ المفرد . ونقول : إنَّ في الكتاب والسُّنَّة حضَّاً عامَّاً على الذِّكر ، وفي حياة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما ذكر الصحابة بصيغ لم يتلقوها من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبذها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشكرها ، فأيّ ذكر لله عزَّ وجلَّ سواء من خلال ذكر اسم أو تسبيح أو من خلال دعاء أو صلاة على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غير ذلك ، فإنَّه داخل تحت العموميَّات العامَّة ، وصاحبه منفِّذ للأمر ومأجور ومشكور ، قال تعالى : ﱡ بم بن بى بي تر تز ﱠ[المزمل: ٨] .

لماذا يعتبر أئمَّة السَّير إلى الله ذكر اسم الله المفرد أقرب طريق للوصول إلى المعرفة الذَّوقيَّة لله ، وللوصول إلى مقام الإحسان ؟ إنَّهم يقولون : إنَّك عندما تسبِّح الله تتعمَّق في قلبك قضية التَّنزيه ، وعندما تحمد الله

تتعمَّق في قلبك قضيَّة الشُّكر، وعندما تقول : لا إله إلا الله ، تتعمَّق في قلبك قضية التَّوحيد ، وهي قضايا كلّها متفرِّعة عن استقرار معرفة الله في القلب ، فإذا قُلْتُ : ﴿ٱللَّهُ﴾ وكرَّرت ذلك حتىٰ استقرَّت معرفة الله فـي القلب ، فإنَّ تسبيحك وشكرك وتوحيدك يكون أكمل بكثير من تسبيح وتحميد دون أن يكون قلبك مستيقظاً علىٰ اسم الله ، ونحن مطالبون بأن نعمِّق في قلوبنا معرفة الله وتنزيهه وشكره وتوحيده ، وهذا كلّه يؤدِّي بشكل كامل إذا ذكرنا لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مع ذكرنا لبقيَّة الأذكار الواردة في السنَّة بل بعضهم يعتبر أنَّ ذكر اسم الله المفرد إنَّما هو ذكر مرحلة لنصل إلىٰ المعرفة الذَّوقيَّة التي نصل فيها إلىٰ أن نؤدِّي العبادات والأذكار والدَّعوات علىٰ كمالها .

دعنا الآن ننظر إلىٰ حكمة صيغ الذِّكر : لقد حضَّنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ملازمة الاستغفار ، وعلىٰ ملازمة الصَّلاة عليه ، وعلىٰ الإكثار من صيغ بعينها . إنَّك لو تأمَّلت في حكمة تكرار صيغة من هذه الصِّيغ ، فإنَّك تجد إحدىٰ جوانب ذلك أن يستقر في القلب معنىٰ معين ، فهذا القلب تحتاج المعاني لكي تتعمَّق فيه إلىٰ تكرار كثير .

إنَّ القلب الذي لم تستقر فيه معرفة الله يحتاج إلىٰ أن يذكر أسماء الله حتىٰ تتعمَّق هذه المعرفة . ويقول أئمَّة السَّير إلىٰ الله : إنَّ الجلوس مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي الإنسان من نورانيَّته ما لا يمكن أن يأخذه هذا الإنسان من أحد ، ومن ثُمَّ فنحن لإيصال القلب إلىٰ قريب من هذه النُّورانيَّة نطالب بمثل هذا النَّوع من الذِّكر ، علىٰ أن من لم يرتح قلبه إلىٰ هذا النَّوع من السَّير ، فأيّ نوع من الذِّكر ، سواء كان قراءة قرآن أو أذكار بأيِّ صيغة يوصله في النِّهاية إلىٰ معرفة الله الذَّوقيَّة وإلىٰ مقام الإحسان ، وإنَّما في هذا اختصار طريق ، وإني بفضل الله عزَّ وجل مع أنِّي مأذون علىٰ طريقة الصُّوفيَّة بتلقين الأوراد عامَّة بتلقين الاسم المفرد أقول : إنَّ الشَّيخ لا ينبغي أن يقيِّد نفسه إلا بالسنَّة ، وأنَّه ينبغي أن يبقىٰ المريد دائماً مرتاحاً إلىٰ العمل الذي يكلِّفه فيه . وأنا إذ عرضت قضيَّة الاسم المفرد هذا العرض المختصر لم أرد أن ألزم المسلمين فيه بل أردت أن أبيِّن وجهات النَّظر في شأنه ، فإذا وجد قلب لا يرتاح الاعتماد إلا ما ورد فيه ندب خاصٌّ عن رسولنا عليه السَّلام في العمل ، فإنِّي أجلُّه وأحترمه ، بل وأدفع فيه في هذا الطَّريق ، ولكنِّي لا أرىٰ له ولا لنفسي الإنكار علىٰ ما ينبغي اعتباره معروفاً .

إنَّ ذكر اسم الله المفرد للوصول في القلب إلى حالة معيَّنة ثُمَّ للاستمرار بهذا القلب على هذه الحالة هو بمثابة الدَّواء والغذاء المركزين للقلب لا أكثر ولا أقل ، على أنَّه في غير الذِّكر بهذا الاسم يوجد الغذاء والدَّواء كذلك ، فإذا اتَّضحت وجهة النَّظر في أصل ذكر الاسم المفرد ، بقي أن نذكر أنَّ هناك من يذهب إلى مندوبيَّة ذكر الاسم المفرد ، ولكنَّه لا يرى جواز القصر في نطقه بأن يحذف حرف المد ، فلا يقال : ٱللَّهَ بدون مد ، وبعضهم لا يرى جواز مدِّه أكثر من ستِّ حركات في الوقف ، ونقول : إنَّ نطق لفظ الجلالة بالقصر في تكبيرة الإحرام خاصَّة يبطل الصَّلاة على رأي أكثر العلماء ، فهم لا يكتفون باعتبار ذلك لحناً في هذا المقام ، بل يجعلونه لحناً مبطلاً للصَّلاة ، لكن في حاشية الشِّهاب على البيضاوي ما يلي : " وقال الأسنوي رحمه الله : أنَّه لغة حكاها ابن الصَّلاح عن الزَّجَّاج ، فلا لحن فيه حنيئذ ، وفي أنَّه التَّيسير لغة جائزة في الوقف دون الوصل ، والأفصح إثباتها ، وإنَّما تملح به المولدون في أشعارهم كثيراً... الخ " .

وأمَّا مدّ لفظ الجلالة ، فقد توسَّع فيه الفقهاء ، حتى إنَّ بعض فقهاء الشَّافعيَّة أجازوا مدَّها في تكبيرة الإحرام حتى الأربع عشرة حركة ، وبعضهم أجاز مدَّها أكثر من ذلك ، ولنكتف بهذا القدر من الكلام عن ذكر الاسم المفرد ، وقد ذكرنا من قبل كثيراً عن الذِّكر بشكل عامّ... " . انظر : تربيتنا الروحية ، سعيد حوى (ص٢٤٦-٢٤٩) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه فقد منع مدَّعو السَّلفيَّة من الذِّكر بالاسم المفرد ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : " فأمَّا الاسم المفرد ، فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السَّماء ، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً أو كان المقصود به تنبيهاً أو إشارة ، كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى ، لا أنَّه يقصد به المعاني التي تقصد بالكلام .

ولهذا عدَّ النَّاس من البدع ما يفعله بعض النُّسَّاك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام ...." . انظر : الرد على المنطقيين ، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدِّمشقي (ص٣٥) .

فقول ابن تيمية : " فأمَّا الاسم المفرد ، فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السَّماء " ، كلام غريب عجيب ، وكم في كلامهم من الغرائب والعجائب ... ويُردُّ عليه بأن خبر المُبتدأ مقدَّر بالمعبود ، الخالق ، العظيم ، ...

ثمَّ إنَّ المبتدئين في العلم الشَّرعي يتعلَّمون معنى اسم ٱللَّهَ ، الذي ذكر غير واحد من العلماء بأنَّه الاسم الأعظم ... فكيف لا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ...

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " فَأَما قَوْله ٱللَّهُ ، فَهُوَ اسْم للموجود الْحق ، الْجَامِع لصفات الإلهيَّة ، المنعوت بنعوت الرُّبوبيَّة ، المتفرِّد بالوجود الْحَقِيقِيّ ، فَإِنَّ كل مَوْجُود سواهُ غير مُسْتَحقّ الْوُجُود بِذَاتِهِ ، وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود مِنْهُ ، فَهُوَ من حَيْثُ ذَاته هَالك ، وَمن الْجِهَة الَّتِي تليه مَوْجُود ، فَكل مَوْجُود هَالك إِلَّا وَجهه ، وَالْأَشْبَه أَنَّه جَار فِي الدّلَالَة على هَذَا الْمَعْنى مجْرى أَسمَاء الْأَعْلَام ، وكلُّ مَا ذكر فِي اشتقاقه وتعريفه تعسُّف وتكلُّف فَائِدَة .

اعْلَم أَنَّ هَذَا الاسم أعظم أَسمَاء الله عزَّ وَجلَّ التِّسْعَة وَالتسْعين ، لِأَنَّهُ دَالٌّ على الذَّات الجامعة لصفات الإلهيَّة كلهَا ، حَتَّى لَا يشذ مِنْهَا شَيْء ، وَسَائِر الْأَسمَاء لَا يدلُّ آحادها إِلَّا على آحَاد الْمعَانِي ، من علم أَو قدرَة أَو فعل أَو غَيره ، وَلِأَنَّهُ أخصُّ الْأَسمَاء ، إِذْ لَا يُطلقهُ أحد على غَيره لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازاً ، وَسَائِر الْأَسمَاء قد يُسمَّى بِهِ غَيره ، كالقادر ، والعليم ، والرَّحيم ، وَغَيره . فلهذين الْوَجْهَيْنِ يشبه أَن يكون هَذَا الِاسْم أعظم هَذِه الْأَسمَاء دقيقة .

مَعَانِي سَائِر الْأَسمَاء يتَصَوَّر أَن يَتَّصِف العَبْد بِشَيْء مِنْهَا ، حَتَّى ينْطَلق عَلَيْهِ الاسم ، كالرَّحيم ، والعليم ، والحليم ، والصَّبور ، والشَّكور ، وَغَيره ، وَإِن كَانَ إِطْلَاق الِاسْم عَلَيْهِ على وَجه آخر يباين إِطْلَاقه على الله عزَّ وَجلَّ ، وَأمَّا معنى هَذَا الِاسْم فخاصٌّ خُصُوصاً لَا يتَصَوَّر فِيهِ مُشَاركَة ، لَا بالمجاز وَلَا بِالْحَقِيقَةِ ، وَلأَجل هَذَا الْخُصُوص يُوصف سَائِر الْأَسمَاء بِأَنَّهَا اسْم الله عزَّ وَجلَّ ، وَيعرف بِالْإِضَافَة إِلَيْهِ ، فَيُقَال : الصَّبور ، والشَّكور ، وَالْملك ، والجبَّار من أَسمَاء الله عزَّ وَجلَّ ، وَلَا يُقَال : الله من أَسمَاء : الشَّكُور ، والصَّبور ، لِأَنَّ ذَلِك من حَيْثُ هُوَ أدلّ على كُنْه الْمعَانِي الإلهيَّة ، وأخص بهَا ، فَكَانَ أشهر وَأظْهر ، فاستغني عَن التَّعْرِيف بِغَيْرِهِ ، وَعرف غَيره بِالْإِضَافَة إِلَيْهِ .

تَنْبِيه :

يَنْبَغِي أَن يكون حَظّ العَبْد من هَذَا الِاسْم : التألُّه ، وأعني بِهِ : أَن يكون مُسْتَغْرق الْقلب والهمَّة بِاللهَّ عزَّ وَجلَّ ، لَا يرى غَيره ، وَلَا يلْتَفت إِلَى سواهُ ، وَلَا يَرْجُو ، وَلَا يخَاف إِلَّا إِيَّاه ، وَكَيف لَا يكون كَذَلِك وَقد فهم من هَذَا الاسم : أَنَّه الْمَوْجُود الْحَقِيقِيّ الْحق ، وكلّ مَا سواهُ فانٍ ، وهالك ، وباطل ، إِلَّا بِهِ ، فَيرى أَولاً نَفسه أوَّل هَالك وباطل ، كَمَا رَآهُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ : أصدق بَيت قالته الْعَرَب قَول لبيد :

أَلا كلُّ شَيْء مَا خلا الله بَاطِل   وكلُّ نعيم لَا محَالة زائل

انظر : المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ ، الغزالي (ص٦١-٦٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) : "أَنم هُوَ عَلَىٰ عَلَمِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ الْمُسْتَحِقِّ لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ لِذَاتِهِ وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ وَلَوْ تَعَنُّتاً فِي الْكُفْرِ بِخِلَافِ الرَّحمن عَلَىٰ نِزَاعٍ فِيهِ ، وَأَصْلُهُ إلَهٌ حُذِفَتْ هَمْزَتُهُ وَعُوِّضَ عَنْهَا أَلْ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ مَعْبُودٍ، ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِي الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ فَقَطْ فَوُصِفَ وَلَمْ يُوصَفْ بِهِ وَعَلَيْهِ فَمَفْهُومُ الْجَلَالَةِ بِالنَّظَرِ لِأَصْلِهِ كُلِّيٌّ وَبِالنَّظَرِ إلَيْهِ جُزْئِيٌّ وَمِنْ ثُمَّ كَانَ مِنْ الْأَعْلَامِ الْخَاصَّةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّه لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ وَمِنْ الْغَالِبَةِ مِنْ حَيْثُ إنَّ أَصْلَهُ الْإِلَهُ بِالنَّظَرِ لِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ فَقَطْ، وَكَانَ قَوْلُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ كَلِمَةَ تَوْحِيدٍ أَيْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ الْحَقُّ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّه اسْمٌ لِمَفْهُومِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ أَوْ الْمُسْتَحِقِّ لِلْمَعْبُودِيَّةِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا كُلِّيٌّ انْحَصَرَ فِي فَرْدٍ فَلَا يَكُونُ عَلَماً لِأَنَّ مَفْهُومَ الْعَلَمِ جُزْئِيٌّ فَقَدْ سَهَا وَلَزِمَهُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ لَا تُفِيدُ تَوْحِيداً كَمَا بَيَّنْتُهُ فِي شَرْحِ الْإِرْشَادِ مِنْ أَلِهِ بِكَسْرِ عَيْنِهِ إذَا تَحَيَّرَ لِتَحَيُّرِ الْخَلْقِ فِي مَعْرِفَتِهِ أَوْ بِفَتْحِهَا إذَا عَبَدَ أَوْ مِنْ لَاهَ إذَا ارْتَفَعَ أَوْ إذَا احْتَجَبَ ، وَهَذَا لِكَوْنِهِ نَظَراً لِأَصْلِهِ قَبْلَ الْعَلَمِيَّةِ لَا يُنَافِي عَلَمِيَّتَهُ وَهُوَ عَرَبِيٌّ وَوُرُودُهُ فِي غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ تَوَافُقِ اللُّغَاتِ كَمَا أَنَّ الْحَقَّ وِفَاقاً لِلشَّافِعِيِّ وَالْأَكْثَرِينَ أَنَّ كُلَّ مَا قِيلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ الْأَعْلَامِ أَنَّه مُعَرَّبٌ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ عَرَبِيٌّ تَوَافَقَتْ فِيهِ اللُّغَاتُ وَلَا بِدَعَ أَنْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ مِثْلِ ابْنِ عبَّاس كَوْنُهُ عَرَبِيّاً كَمَا خَفِيَ عَلَيْهِ مَعْنَىٰ فَاطِرٍ وَفَاتِحٍ، وَقَدْ قَالَ الشَّافعي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لَا يُحِيطُ بِاللُّغَةِ إلَّا نَبِيٌّ وَمُشْتَقٌّ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ وَقَوْلُ أَبِي حَيَّانَ فِي نَهْرِهِ لَيْسَ مُشْتَقّاً عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ لَعَلَّهُ أَرَادَ مِنْ النُّحَاةِ وَأَعْرَفُ الْمَعَارِفِ وَإِنْ كَانَ عَلَماً " . انظر : تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي (١/ ٦-٨) .

وقال الدكتور أحمد الشَّرباصي : " هذا هو رأس الأسماء الربَّانيَّة الحسنىٰ ، التي وصف الله ذاته العليَّة بها ، وحضَّ علىٰ ترديدها ودعائه بها ، فقال سبحانه في سورة الأعراف : ﭐﱡ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم ﱠ [الأعراف: ١٨٠] ، وقال في سورة الإسراء : ﭐﱡ في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين ﱠ [الإسراء: ١١٠] ...

و" الله " هو الاسم الأعظم ، واسم واجب الوجود ، وهو علم علىٰ ذات الحقِّ الجامع لكلِّ صفات الجمال والجلال والكمال ، وفي " محيط المحيط " للبستاني : الله اسم للذَّات الواجب الوجود ، وفي أصل هذا اللفظ عشرون قولاً ، أصحُّها أنَّ أصله إلاه بوزن فعال ، بمعنىٰ مفعول ، أي : مألوه ، أي : معبود . وينادىٰ : " يا الله " أو اللهمَّ ، والميم عوض عن حرف النِّداء . والتألُّه : التَّنسُّك والتَّعبُّد . وقيل : إنَّ أصل

الكلمة : ولاه ، قلبت الواو ألفاً فصارت إله . والمعنىٰ أنَّ الخلق يولهون إليه في حوائجهم ، ويضرعون إليه فيما يصيبهم ، ويفزعون إليه في كلِّ ما ينوبهم ، كما يوله كل طفل إلىٰ أمه " .

والله هو الاسم الذي تفرَّد به الحقُّ سبحانه ، وخصَّ به نفسه ، وجعله أوَّل أسمائه ، وأضافها كلّها إليه ، ولم يضفه إلىٰ اسم منها ، فكلُّ ما يرد بعده يكون نعتاً له وصفة . وهو اسم يدلُّ دلالة العلم علىٰ الإله الحقِّ ، وهو يدلُّ عليه دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنىٰ الإلهيَّة الأحديَّة ... " . انظر : موسوعة له الأسماء الحسنىٰ ، أحمد الشَّرباصي(١/ ١٥-١٦) .

ويستمرُّ ابن تيمية في كلامه القاضي بمنع الذِّكر الاسم المفرد ، فيقول : ... وَكَذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الذَّوْقِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الِاسْمَ وَحْدَهُ لَا يُعْطِي إيمَاناً وَلَا كُفْراً وَلَا هُدىً وَلَا ضَلَالاً وَلَا عِلْماً وَلَا جَهْلاً ... وَلَوْ كَرَّرَ الْإِنْسَانُ اسْمَ " اللهَّ " أَلْفَ أَلْفَ مرَّة لَمْ يَصِرْ بِذَلِكَ مُؤْمِناً وَلَمْ يَسْتَحِقَّ ثَوَابَ اللهَّ وَلَا جَنَّتَهُ؛ فَإِنَّ الْكُفَّارَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ يَذْكُرُونَ الِاسْمَ مُفْرَداً سَوَاءٌ أَقَرُّوا بِهِ وَبِوَحْدَانِيَّتِه أَمْ لَا ... " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٦١-٥٦٢)

قُلْتُ : وهذا كلام يُضحك الثَّكلىٰ ... فإنَّ الإنسان لا يدخل الإسلام بالكثير الكثير من الأذكار المأثورة ... فهل يدخل الكافر الإسلام إذا قال : سبحان الله ... الحمد لله ... والجواب : لا وألف لا ... إذ لا بدَّ للدُّخول في الإسلام من النُّطق بالشَّهادتين ... كما هو معلوم للكبير والصَّغير علىٰ حدٍّ سواء ...

ويقول ابن تيمية أيضاً : " فَأَمَّا " الِاسْمُ الْمُفْرَدُ " مُظْهَراً مِثْلَ : " اللهُّ " " اللهُّ " . أَوْ " مُضْمَراً " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " . فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضاً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ الْمُقْتَدَىٰ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا لَهِجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضُلَّالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٥٦) .

وفي الردِّ علىٰ ما قاله ابن تيمية ، قال الشَّيخ علي محفوظ (١٣٦١هـ) : " قال العلَّامة البناني في شرحه علىٰ صلاة ابن مشيش : " اعلم أنَّ ذكر الاسم المفرد المعظَّم مجرَّداً عن التَّركيب بجمله ، وهو قول : (الله الله) ممَّا تداولته السَّادات الصُّوفيَّة واستعملوه بينهم ...

إلىٰ إن قال : وفي الصَّحيح : " لا تقوم السَّاعة حتىٰ لا يبقىٰ من يقول : (الله الله) ، وهو شاهد في الجملة بذكر هذا الاسم وحده ، لا سيَّما علىٰ رواية النَّصب ، ولا نزاع في جواز التلفُّظ بالاسم الكريم وحده ، فأيّ مانع أن يكرره الإنسان مرَّات كثيرة ، وكونه لم ينقل عن السَّلف لا يقتضي منعه ولا كراهته ، وكم أشياء لم تكن في عهد السَّلف مع أنَّها جائزة " . انظر : الإبداع في مضار الابتداع ، علي محفوظ (ص٣١٨) .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال الأوَّل والثَّالث من الفتوىٰ رقم (١٦٠٩٨) :

س١ : ما حكم الدِّين في الذِّكر الجماعيِّ داخل المسجد واقفين بصوت مرتفع ، مع التَّمايل بالذِّكر وإطفاء الأنوار ، وهل يجوز الذِّكر بالاسم المفرد ، مثل : الله حي ، قيُّوم ، قهَّار ، وهل هناك أحاديث واردة ؟

ج١ : الذِّكر الجماعيُّ بصوت واحد من مجموعة بدعة ، سواء كان في المسجد أو غيره ، مع وجود الأنوار أو إطفائها – كلّه بدعة ؛ لأنَّه لم يرد عن النَّبي – صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذكر بهذه الصِّفة ، وقد قال – صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " . أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣ برقم ١٧١٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨ برقم ٥٢) ، أحمد في المسند (٦/ ١٤٦ برقم ٢٥٦٤١) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٧١ برقم ٦٤١٠) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٦ برقم ٤٥٣٧) ، البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (١/ ١٨٠ برقم ١٩٢) ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري في المسند (١/ ٣٩ برقم ٤٩) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١/ ٣١١ برقم ١٤٧) .

وكذلك الذِّكر بالاسم المفرد بدعة ولا يعدُّ ذكراً ؛ لأنَّه ليس في جملة مفيدة . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢:٢٣٨) .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ... فإنَّه لم يعرف عنه أنَّه ذكر الله بالاسم المفرد ، مثل : حيٌّ أو قيُّوم أو حقٌّ أو الله ، ولا أمر بالذِّكر به أو باتِّخاذه ورداً يردّد كلّ يوم وليلة ... " . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٢٧٧) ، جمع وترتيب : أحمد الدويش .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ... تكثر البدع عند جماعة الطُّرق الصُّوفيَّة عموماً ، كالذِّكر الجماعي في صفوف أو حلقات بصوت واحد ، وذكرهم الله بالاسم المفرد بصوت واحد ، مثل : الله الله ، حي حي ، قيُّوم قيُّوم ... وذكرهم بضمير الغائب ، مثل : هو، هو... وذكرهم بكلمة آه ، وفي نشيدهم علىٰ الأذكار شرٌّ كثير ، مثل : الاستغاثة بغير الله ، وطلب المدد من الأموات " . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٣٦١) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " س١ : ما رأي الدِّين في التَّصوُّف الموجود الآن ؟

ج١ : أولاً : لا يقال : ما رأي الدِّين ، ولكن : ما حكم الإسلام في كذا .

ثانياً : الغالب علىٰ ما يسمَّىٰ بالتَّصوُّف الآن العمل بالبدع الشِّركيَّة !!! مع بدع أخرىٰ كقول بعضهم : مدد يا سيِّد ، وندائهم الأقطاب ، وذكرهم الجماعي فيما لم يسم الله به نفسه مثل : هو هو وآه آه آه ، ومن قرأ كتبهم عرف كثيراً من بدعهم الشِّركيَّة وغيرها من المنكرات .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٢٦٩) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وقال الشَّيخ ابن باز : " أمَّا قول الصُّوفيَّة : (الله الله) ، أو (هو هو) ، فهذا من البدع ، ولا يجوز التقيُّد بذلك ؛ لأنَّه لم ينقل عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم فصار بدعة ؛ لقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (٨/ ٣٩٩) .

والحقّ أنَّ اعتراض مُدَّعي السَّلفيَّة علىٰ الذِّكر باسم الله تعالىٰ المفرد ﭐﱡﭐ هو محض كلام لا دليل عليه ، قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في " الكواكب الدُّريَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة " ، في ترجمة الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد الشَّيخ كريم الدِّين الخلوتي : " ... فأنكر عليه في حياته فقيه الشَّافعيَّة شمس الدِّين الخطيب الشَّربيني في الابتداء بالذِّكر بالجلالة ، وقال : هو مبتدأ ، ولا بدَّ لكل مبتدأ من خبر !! فعمل الشَّيخ في الردِّ عليه رسالة ، حاصلها : أنَّ القوم ما زالوا علىٰ هذا المنوال ، ووجدوا بركته وتأثيره ، وأنَّ الخبر محذوف تقديره المعبود أو المطلوب أو الموجود ، ونحو ذلك ممَّا يلائم حال العامِّي أو مقام السَّالك ، وفي الحقيقة هو اعتراض لا ينبغي جوابه إلَّا بالسُّكوت ، لكونه أوهىٰ من بيت االعنكبوت ، ولو أحبَّ من هو من دون الشَّيخ أن يجمع في ردِّه مجلَّدا ضخماً لأمكنه ذلك " . انظر : الكواكب الدُّريَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة ، عبد الرَّؤوف المناوي (٤/ ١٢٩) .

فالذِّكر بالاسم المفرد لا شيء فيه ، ولا دليل علىٰ حرمته ، بل جاء الدَّليل علىٰ مشروعيَّته ، فقد جاء الأمر بذكر الله تعالىٰ بالاسم المفرد في آيات عديدة ، منها : قوله تعالىٰ : **ﱡنز نم نن ﱠ** [آل عمران:٤١] ، وقوله تعالىٰ : **ﱡبر بز يم ين يى يي ترتز ﱠ** [الأنعام : ٩١] ، وقوله تعالىٰ : **ﱡصح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ ﱠ** [الأعراف: ٢٠٥] ، وقوله تعالىٰ : **ﱡئج ئح ئخ ئم ﱠ** [الكهف: ٢٤] ، وقوله تعالىٰ : **ﱡبم بن بى بي تر تز ﱠ**[المزمل :٨] ، وقوله تعالىٰ : **ﱡثم ثه سم سه شم ﱠ**[الإنسان:٢٥] .

مع العلم أنَّ من أهمِّ الأدلَّة التي ساقوها في اعتراضهم علىٰ الذِّكر باسم الله المفرد : التَّرك ، بمعنىٰ أنَّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها ...

وقد ردَّ علىٰ هذه الشُّبهة الإمام عبد الله الغماري في رسالته الطيِّبة : " حسن التَّفُّهم والدَّرك في مسألة التَّرك " .

الفَصْلُ الخَامِسُ

ذكرنا فيما سبق أنَّ الذِّكر عبادة جليلة من أعظم العبادات ، جعلها الشَّارع مطلقة ، حيث لم يحدِّد لها زماناً ولا مكاناً ولا هيئة ...

فالمسلم يدعو ويذكر الله تعالىٰ علىٰ أيِّ هيئة وصفة كان ...

وقد جاءت آيات الكتاب العزيز تترىٰ تحثُّ علىٰ الذِّكر ، قال تعالىٰ : ﴿ضم طح ظم عج عم غج﴾ [البقرة: ١٥٢]

.

وقال تعالىٰ : ﴿نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم﴾ [البقرة: ٢٠٠] .

وقال : ﴿ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقال : ﴿لج لح لخ لم له مج مح * مم نج نح﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] .

وطالب الله تعالىٰ رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجلس مع الذَّاكرين الله بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ، فقال سبحانه : ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ﴾ [الكهف: ٢٨] .

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) في تفسيره للآية السَّابقة : " يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿لخ﴾ يَا محمَّد ﴿لم لى﴾ أَصْحَابَكَ ﴿لي مج مح مخ مم﴾ بِذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ والدُّعاء وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَغَيْرِهَا ﴿مى﴾ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ ﴿مي نج﴾ لَا يُرِيدُونَ عَرَضاً مِنْ عَرَضِ الدُّنيا " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري (١٥،٢٣٦)

وروىٰ ابن أبي حاتم مِنْ طَرِيق عمر بن ذر ، عَنْ أَبِيهِ : " أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهىٰ إِلَىٰ نفر مِنَ أصحابه – منهم عَبْد الله بن رواحة – يذكِّرهم بالله ، فلمَّا رآه عَبْد الله سكت ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذكِّر أصحابك .

فقال : يا رَسُول الله ، أنت أحقّ . فقال : أما إنَّكم الملأ الذين أمرني الله إنَّ أصبر نفسي معهم ، ثُمَّ تلا : ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج﴾ [الكهف: ٢٨] . انظر : تفسير القرآن العظيم ، أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثُمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَوْلُهُ : ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج﴾ [الكهف: ٢٨] ، أَيْ : اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ ، وَيُهَلِّلُونَهُ ، وَيَحْمَدُونَهُ ،

وَيُسَبِّحُونَهُ ، وَيَكْبُرُونَهُ ، وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَةً وَعَشِيّاً ، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ ، أو أقوياء أو ضعفاء " . انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٥/ ١٣٧) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " ومن باب الإشارة في الآيات ﱡﭐ لم لى لي مج مح مخ مم مى مينج ﱠ [الكهف: ٢٨] : أمر بصحبة الفقراء الذين انقطعوا لخدمة مولاهم ، وفائدتها منه عليه الصَّلاة والسَّلام تعود عليهم ، وذلك لأنَّهم عشَّاق الحضرة ، وهو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرآتها ، وعرش تجلِّيها ، ومعدن أسرارها ومشرق أنوارها ، فمتىٰ رأوه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشوا ، ومتىٰ غاب عنهم كئبوا وطاشوا ، وأمَّا صحبة الفقراء بالنسبة إلىٰ غيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففائدتها تعود إلىٰ من صحبهم ، فهم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم ، وقال عمرو المكِّي : صحبة الصَّالحين والفقراء الصَّادقين عيش أهل الجنَّة ، يتقلب معهم جليسهم من الرِّضا إلىٰ اليقين ، ومن اليقين إلىٰ الرِّضا . ولأبي مدين من قصيدته المشهورة التي خمَّسها الشَّيخ محيي الدِّين قدِّس سرُّه :

ما لذَّة العيش إلَّا صحبة الفقـــــرا ... هم السَّلاطين والسَّادات والأمـــرا

فاصحبهم وتأدَّب في مجالســـــــــهم ... وخلِّ حظَّك مهما قدَّمـــــــــــوك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم ... واعلم بأنَّ الرِّضـــــا يختصُّ من حضرا

ولازم الصَّمت إلَّا إن سئلت فقــــل ... لا علم عندي وكـــــــن بالجهل مستترا

وإن بدا منك عيب فاعترف وأقـــــم ... وجه اعتذارك عمــَّا فيك منك جـــرا

وقل عبيدكم أولىٰ بصفحــــــكم ... فســامحوا وخذوا بالرِّفـــــــق يا فقرا

هم بالتَّفضُّل أولىٰ وهو شيمتــــــــهم ... فلا تخف دركاً منهم ولا ضـــــــــــررا

وعنىٰ بهؤلاء السَّادة الصُّوفيَّة ، وقد شاع إطلاق الفقراء عليهم ، لأنَّ الغالب عليهم الفقر بالمعنىٰ المعروف ، وفقرهم مقارن للصَّلاح ، وبذلك يمدح الفقر ، وأمَّا إذا اقترن بالفساد ، فالعياذ بالله تعالىٰ منه ، فمتىٰ سمعت التَّرغيب في مجالسة الفقير ، فاعلم أنَّ المراد منه الفقير الصَّالح ، والآثار متظافرة في التَّرغيب في ذلك ، فعن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما موقوفاً : تواضعوا وجالسوا المساكين ، تكونوا من كبار عبيد الله تعالىٰ ، وتخرجوا من الكبر ، وفي الجامع : الجلوس مع الفقراء من التَّواضع ، وهو من أفضل الجهاد ، وفي رواية : أحبُّوا الفقراء ، وجالسوهم . ومن فوائد مجالستهم : أنَّ العبد يرىٰ نعمة الله تعالىٰ عليه ، ويقنع

باليسير من الدُّنيا ، ويأمن في مجالستهم من المداهنة ، والتَّملُّق ، وتحمُّل المنِّ ، وغير ذلك ، نعم إنَّ مجالستهم خلاف ما جبلت عليه النفس ، ولذا عظم فضلها " . انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/ ٢٨٩-٢٩٠) .

وقد وردت عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث كثيرة ترغِّب بالذِّكر الجماعي ، منها ما رواه مسلم وغيره بسندهم مرفوعاً : " لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ " . أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ برقم ٢٧٠٠) ، أبو داود الطيالسي (٣/ ٦٧٨ برقم ٢٣٤٧) ، أحمد في المسند (٣/ ٩٢ برقم ١١٨٩٧) ، ابن ماجة (٢/ ١٢٤٥ برقم ٣٧٩١) ، البزار (١٨/ ٩٠ برقم ٢٣) ، ابن حبان (٣/ ١٣٧ برقم ٨٥٥) ، الطبراني في الدُّعاء (ص ٥٣١برقم ١٨٩٨) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٣ برقم ٧٨٧٣) ، ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (ص٦٢ برقم ١٧٣) ، البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ٦٨ برقم ٥) ، شعب الإيمان (٢/ ٦٧ برقم ٥٢٧) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ٦٥ برقم ٩٤٧) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (١/ ٥٥٣ برقم ٦٨٤) ، ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٣٠ برقم ٩٤٤) ، عبد بن حميد في المسند (ص٢٧٢ برقم ١٥٩٤) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (١١/ ١٨ برقم ٦١٥٧) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٦٠ برقم ٢٩٤٥٧) .

قال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثُمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) في شرحه للحديث : " دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَىٰ فَضِيلَةِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالذَّاكِرِينَ ، وَفَضِيلَةِ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الذِّكْرِ . وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ : " أَنَّ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَّ تَعَالَىٰ ، تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إلَىٰ حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلَىٰ السَّماء الدُّنيا " الْحَدِيثَ . وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ ، تَحْضُرُهَا الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ الْتِمَاسِهِمْ لَهَا .

وَالْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هُوَ التَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَفِي حَدِيثِ الْبَزَّارِ : " أَنَّه تَعَالَىٰ يَسْأَلُ مَلَائِكَتَهُ : مَا يَصْنَعُ الْعِبَادُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : يُعَظِّمُونَ آلَاءَك ، وَيَتْلُونَ كِتَابَك ، وَيُصَلُّونَ عَلَىٰ نبيِّك ، وَيَسْأَلُونَك لِآخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ " . انظر : سبل السَّلام ، الصنعاني (٢/ ٧٠٠) .

وروىٰ البخاري وغيره بسندهم مرفوعاً إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ... الحديث " . أخرجه البخاري ، (٩/ ١٢١ برقم ٧٤٠٥) ، مسلم (٤/ ٢٠٦٧ برقم ٢٦٧٥) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٥١ برقم ٧٤١٦) ، ابن ماجة (٢/ ١٢٥٥ برقم ٣٨٢٢) ، الترمذي (٥/ ٤٧٣ برقم ٣٦٠٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، البزار (١٦/ ٨٣ برقم ٩١٤٢) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٧/ ١٥٣ برقم ٧٦٨٣) ، ابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز

وجل (١/ ١٥) ، البيهقي في الأسماء والصفات ، (١/ ٥٢٥ برقم ٤٤٩) ، الدعوات الكبير (١/ ٧٩ برقم ١٧) ، شعب الإيمان (٢/ ٨٠ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤ برقم ١٢٥١) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٧/ ٣٣٦ برقم ٢٦٧) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ، قَالَ آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : " مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : " آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : " أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ " .

أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٧٠ برقم ٥٢٩) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً ، فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّىٰ يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماء الدُّنيا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَىٰ السَّماء ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لَا ، أَيْ رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، إِنَّما مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " . أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٩ برقم ٢٦٨٩) .

قال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في شرحه للحديث : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الذِّكْرِ وَفَضِيلَةُ مَجَالِسِهِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِهِ ، وان لم يشاركهم ، وفضل مجالسة الصَّالحين وَبَرَكَتِهِمْ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١٥) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " ... وَيُؤْخَذُ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الطُّرُقِ الْمُرَادُ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ ، وَأَنَّهَا الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ بِأَنْوَاعِ الذِّكْرِ الْوَارِدَةِ ، مِنْ تَسْبِيحٍ ،

وَتَكْبِيرٍ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَعَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَعَلَى الدُّعاء بِخَيْرَيِ الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَفِي دُخُولِ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَمُدَارَسَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ ، وَمُذَاكَرَتِهِ ، وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ نَظَرٌ ، وَالْأَشْبَهُ اخْتِصَاصُ ذَلِكَ بِمَجَالِسِ التَّسْبِيحِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَنَحْوِهِمَ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢١٢) .

وقال الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) في شرحه للحديث : " وَفِي الْحَدِيثِ فَضْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالذَّاكِرِينَ ، وَفَضْلُ الِاجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّ جَلِيسَهُمْ يَنْدَرِجُ مَعَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَتَفَضَّلُ تَعَالَى بِهِ عَلَيْهِمْ ، إِكْرَاماً لَهُمْ ، وَلَوْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي أَصْلِ الذكر " . انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٠/ ٤٤) .

وَقَالَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجنَّة ، فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الجنَّة ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ " . أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٠ برقم ١٢٥٥١) ، الترمذي (٥/ ٤١٣ برقم ٣٥١٠ ، وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ) ، البزار (١٣/ ٣١٠ برقم ٦٩٠٧) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٥٣٨ برقم ١٨٩٠) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٦٨) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٦) ، أبو يعلى في المسند (٦/ ١٥٥ برقم ٣٤٣٢) ، قال عبد القادر الأرنؤوط : " وهو حديث حسن بطرقه وشواهده ، ولذلك حسنه الترمذي وغيره " . انظر : هامش الأذكار للنووي ، (ص٨) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة جديدة منقحة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

وعَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبي صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاس ، إِنَّ للهَّ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الجنَّة " . قَالُوا : وَأَيْنَ رِيَاضُ الجنَّة ؟ قَالَ : " مَجَالِسُ الذِّكْرِ ، فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللهَّ ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهَّ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهَّ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ اللهَّ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ " . أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٧١ برقم ١٨٢٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهـ) ، ابن بشران في الأمالي (ص٢٥٨ برقم ٩٧٣) ، عبد بن حميد في المسند (ص٣٣٣ برقم ١٥٩٤) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٣/ ٣٩٠ برقم ١٨٦٥) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً " . أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٤ برقم ٣٦٦٧) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ للهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ ، فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا وحَلِّهِمْ لَنَا . قَالَ : " قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللَّهِ وَتَحَابَّوْا فِيهِ ، يَضَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " . أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٨ برقم ٧٣١٨ ، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) .

وروى البيهقي بسنده عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله حَتَّى يَقُولَ الْمُنَافِقُونَ : إِنَّكُمْ مُرَاءُونَ " " هَذَا مُرْسَلٌ " قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : " وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي لُزُومِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَمُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ " وَذَكَرَ بَعْضَ مَتْنِ الْحَدِيثِ " . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٤ برقم ٥٢٤) .

وروى أحمد وغيرهُ بسنَدهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّماء : أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ " . أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٤٣٧ برقم ١٢٤٥٣) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن من أجل ميمون المرئي – وهو ابن موسى – ، وميمون بن سياه ، وهما صدوقان . وأخرجه البزار (٣٠٦١- كشف الأستار) ، وأبو يعلى (٤١٤١) ، والطبراني في " الأوسط " (١٥٧٩) ، وابن عدي في " الكامل " ٦/ ٢٤٠٩ من طريق ميمون ابن عجلان ، عن ميمون بن سياه، بهذا الإسناد . وأخرج البزار (٣٠٦٢) من طريق زائدة بن أبي الرقاد ، عن زياد النميري ، عن أنس ، عن النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " إنَّ لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ... " .

وروى البخاري وغيره بسندهم إلى عَمْرٍو ، أَنَّ أَبَا مَعْبَدٍ ، مَوْلَىٰ ابْنِ عبَّاس ، أَخْبَرَهُ : أَنَّ ابْنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ ، بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاس مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ابْنُ عبَّاس : كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ . أخرجه البخاري (١/ ١٦٨ برقم ٨٤١) ، مسلم (١/ ٤١٠ برقم ٥٨٣) ، أحمد في المسند (١/ ٣٦٧ برقم ٣٤٧٨) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ١٠٢ برقم ١٧٠٧) ، عبد الرزَّاق الصنعاني في المصنف (٢/ ٢٤٤ برقم ٣٢٢٥) .

وجاء في المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح : " وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرَّجل من أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : تعال نؤمن بربِّنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرَّجل ، فجاء إلى النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ، فقال النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يرحم الله ابن رواحة

، أَنَّه يحبُّ المجالس التي تباهى بها الملائكة " رواه أحمد بإسناد حسن " . انظر : المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (ص٤١٩) ، وانظر مسند أحمد (٢١/ ٣٠٩ برقم ١٣٧٩٦) .

وروى ابن أبي شيبة بسنده عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ ، قَالَ : كَانَ مُعَاذٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ : اجْلِسْ بِنَا فَلْنُؤْمِنْ سَاعَةً ، فَيَجْلِسَانِ يَتَذَاكَرَانِ اللهَّ وَيَحْمَدَانِهِ . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٦/ ١٦٤ برقم ٣٠٣٦٥) .

وقد أكَّد علماء الأمَّة على مشروعيَّة الذِّكر الجماعي ، فقال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : " قوله تعالى :ٱلم لى لي ما مم [آل عمران: ١٩١] الآية : استغرق الذِّكر جميع أوقاتهم ، فإن قاموا فبذكره ، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا ، فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذِّكر ، فيقومون بحقِّ ذكره ، ويقعدون عن إخلاف أمره ، ويقومون بصفاء الأحوال ، ويقعدون عن ملاحظتها والدَّعوى فيها . ويذكرون الله قياماً على بساط الخدمة ثُمَّ يقعدون على بساط القُربة . ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التَّقصير ، لم يسلم له قعود في نهايته بوصف الحضور . والذِّكر طريق الحقِّ – سبحانه – فما سلك المريدون طريقاً أصحّ وأوضح من طريق الذِّكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : " أنا جليس من ذكرني " . أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٨ برقم ٣٥٢) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١/ ١١٤ برقم ١٢٣١) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧١ برقم ٦٧٠) ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في الخطب (ص١٢٨ برقم ٤١) ، الزركشي في اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (ص٢٠٣)، السَّخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (ص١٦٧ برقم ١٨٦) ، وقال : الدَّيْلَمِيُّ بِلا سَنَدٍ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعاً بِهَذَا ، وعند البيهقي في الذكر من شعب الإيمان من جهة الحسين بن حفص عن سفيان عن عطاء بن أبي مروان حدثني أُبيَّ بن كعب قال : قال موسى عليه السَّلام : يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أو بعيد فأناديك ، فقال له : يا موسى ؟ أنا جليس من ذكرني ، ونحوه عند أبي الشَّيخ في الثواب من جهة عبد اللهَّ بن عمير عن كعب ، وهو في سابع عشر المجالسة من حديث ثور بن يزيد عن عبيدة قال : لما كلم اللهَّ عز وجل موسى عليه الصَّلاة والسَّلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف ، مخلل بالعيدان ، محزوم وسطه بشريط ليف ، وهو قائم على جبل ، وقد أسند ظهره إلى صخرة من الجبل، فقال اللهَّ : يا موسى إني قد أقمتك مقاما لم يقم أحد قبلك ، ولا يقومه أحد بعدك ، وقربتك نجيا ، قال موسى : إلهي ولم أقمتني هذا المقام ؟ قال : لتواضعك يا موسى ، قال : فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادى موسى : إلهي أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك ، قال : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني ، وللبيهقي في موضع آخر عن شعبة من جهة أبي أسامة ، قال : قُلْتُ لمحمد بن النضر : أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ، فقال : ما لي أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ، وكذا أخرجه أبو الشَّيخ من جهة حسين الجعفي قال : قال محمَّد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص : أليس تروي أنَّه قال : أنا جليس من ذكرني ؟ فما أرجو بمجالسة النَّاس ، وعند البيهقي معناه في المرفوع من حديث إسماعيل بن عبد اللهَّ عن كريمة ابنة الحسحاس المزنية عن أبي هريرة : سمعت أبا القاسم صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : إن اللهَّ عز وجل قال : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ، قال : ورواه الأوزاعي عن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا ورواية كريمة أصح " ، العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ٢٢٩ برقم ٦١١) ، وقال : رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه الصَّلاة والسَّلام : يا رب ، أقريب أنت فأناجيك ، أو بعيد فأناديك ؟ فقيل له : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني .

ونحوه عند أبي الشَّيخ في الثواب عن كعب ، والبيهقي أيضاً في موضع آخر أن أبا أسامة قال لمحمد بن النضر : أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ؟! فقال : ما لي أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ! . وأخرجه أبو الشَّيخ عن محمَّد بن نضر الحارثي أنَّه قال لأبي الأحوص : أليس تروي أنَّه قال : أنا جليس من ذكرني ؟ فما أرجو بمجالسة النَّاس .

وعند البيهقي معناه في المرفوع عن أبي هريرة أنَّه قال : سمعت أبا القاسم – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول : إن الله عز وجل قال : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه، ورواه الأوزاعي عن أبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً والمرفوع أصح ، ورواه الحاكم وصححه عن أنس بلفظ : قال الله تعالىٰ : عبدي ، أنا عند ظنك بي ، وأنا معك إذا ذكرتني " ، ابن المِبْرَد الحنبلي في التخريج الصغير والتحبير الكبير (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) ، (٣/ ٢٣ برقم ٤) ، وقال : " البيهقي في " الشعب " ، وذكره الديلمي بلا إسناد .

لكان ذلك كافياً .

والذَّاكرون علىٰ أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكرٌ يوجب قبض الذَّاكر لما يذكره من نقص سلف له ، أو قبح حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكرٌ يوجب بسط الذَّاكر لما يجد من لذائذ الذِّكر ثُمَّ من تقريب الحقِّ إيَّاه بجميل إقباله عليه .

وذاكرٌ هو محو في شهود مذكورة ، فالذِّكر يجرىٰ علىٰ لسانه عادة ، وقلبه مصطلم فيما بدا له .

وذاكرٌ هو محلُّ الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه ، فكأنه لتصاغره عنه لا يريد أن يكون له في الدُّنيا والآخرة ثناء ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائلهم :

ما إن ذكرتك إلَّا همَّ يلعنني ... قلبي وروحي وسرِّي عند ذكراكا

حتىٰ كأنَّ رقيباً منك يهتف بي ... إيَّاك ويحك والتّذكار إيَّاكا

والذِّكرُ عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحَّة البداية ، ودلالة صفاء النِّهاية ، فليس وراء الذِّكر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلىٰ الذِّكر ، ومنشأة عن الذِّكر " . انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (١/ ٣٠٤-٣٠٥) .

قال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " اعلم أنَّه كما يُستحبُّ الذِّكر ، يُستحبُّ الجلوس في حِلَق أهله ، وقد تظاهرت الأدلَّة علىٰ ذلك ، وستردُ في مواضعها إن شاء تعالىٰ " . انظر : الأذكار (ص٣٧) .

وفي كتابه : " التِّبيان في آداب حملة القرآن " عقد الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي فصلاً في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين ، وفضل القارئين من الجماعة والسَّامعين ، وبيان فضيلة من جمعهم عليها ، وحرَّضهم وندبهم إليها الثَّواب المشترك ، قال فيه : " اعلم أنَّ قراءة الجماعة مجتمعين مستحبَّة بالدَّلائل الظَّاهرة ، وأفعال السَّلف والخلف المتظاهرة ، فقد صحَّ عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنَّه قال : ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السَّكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال التِّرمذي حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢١ برقم ٣٣٧٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٤٢٥ برقم ١١٩٣١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالىٰ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السَّكينة ، وغشيتهم الرَّحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " . رواه مسلم ، وأبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم . أخرجه أبو داود (٢/ ٧١ برقم ١٤٥٥) .

وعن معاوية رضي الله عنه أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج علىٰ حلقة من أصحابه ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالىٰ ، ونحمده لما هدانا للإسلام ، ومن علينا به . فقال : أتاني جبريل عليه السَّلام ، فأخبرني أنَّ الله تعالىٰ يباهي بكم الملائكة " . رواه التِّرمذي ، والنَّسائي ، وقال التِّرمذي : حديث حسن صحيح . أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) ، الترمذي (٥/ ٣٢٢ برقم ٣٣٧٩) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣٨٣ برقم ٥٢٩) ، ابن حبان (٣/ ٩٥ برقم ٨١٣) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٦٠ برقم ١٩٤٥) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٥٩ برقم ٢٩٤٦٩) ، أبو عوانة في المسند (١/ ٤٠٧ برقم ١٢٢٦) ، عبد الله بن المبارك في الزهد (١/ ٣٩٥ برقم ١١٢٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٧٠ برقم ٥٢٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣١١ برقم ٧٠١) ، الدُّعاء (ص٥٢٩ برقم١٨٩٢) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ...

وروىٰ الدَّارمي بإسناده عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، قال : من أستمع إلىٰ آية من كتاب الله كانت له نوراً .

وروىٰ ابن أبي داود أنَّ أبا الدَّرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرؤون جميعاً .

وروىٰ ابن أبي داود فعل الدّراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السَّلف والخلف وقضاة المتقدِّمين " . انظر : التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي (ص١٠١) .

وبناء علىٰ ما سبق بيانه ، فإنَّ الذِّكر الجماعيَّ لا مانع يمنع منه شرعاً ، بل عموم الأدلَّة تدعمه ، وكيفيَّته قد تكون مختلفة ، واختلافها لا يمنع منه ، وتحديد ذلك لا يخرج عن البدعة الحسنة ، مع أنَّني وجدت ابن تيمية في هذه المسألة يجيب علىٰ شبهة من يدَّعون السَّلفيَّة ، فقد جاء في فتاوىٰ ابن تيمية : " وَسُئِلَ : عَنْ

رَجُلٍ يُنْكِرُ عَلَىٰ أَهْلِ الذِّكْرِ يَقُولُ لَهُمْ : هَذَا الذِّكْرُ بِدْعَةٌ ، وَجَهْرُكُمْ فِي الذِّكْرِ بِدْعَةٌ ، وَهُمْ يَفْتَتِحُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَتِمُونَ ثُمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَجْمَعُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالْحَوْقَلَةَ ، وَيُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُنْكِرُ يُعْمِلُ السَّمَاعَ مَرَّاتٍ بِالتَّصْفِيقِ وَيُبْطِلُ الذِّكْرَ فِي وَقْتِ عَمَلِ السَّمَاعِ "

فَأَجَابَ : الاِجْتِمَاعُ لِذِكْرِ اللهِّ وَاسْتِمَاعِ كِتَابِهِ والدُّعاء عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ : " إِنَّ للهِّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ : " وَجَدْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَك وَيَحْمَدُونَك " لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَحْيَاناً فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ ، فَلَا يُجْعَلُ سُنَّةً رَاتِبَةً يُحَافَظُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا سَنَّ رَسُولُ اللهِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُدَاوَمَةَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَاعَاتِ ؟ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ ، وَمِنْ الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَأَمَّا مُحَافَظَةُ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ أَوْرَادٍ لَهُ مِنْ الصَّلاة أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الذِّكْرِ أَوْ الدُّعاء طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ : فَهَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللهِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّالحين مِنْ عِبَادِ اللهِّ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، فَمَا سُنَّ عَمَلُهُ عَلَىٰ وَجْهِ الاِجْتِمَاعِ كَالْمَكْتُوبَاتِ : فُعِلَ كَذَلِكَ وَمَا سُنَّ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الاِنْفِرَادِ مِنْ الْأَوْرَادِ عُمِلَ كَذَلِكَ كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – يَجْتَمِعُونَ أَحْيَاناً : يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَىٰ ذَكِّرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ ، وَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ مَنْ يَقُولُ : اجْلِسُوا بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً . وَصَلَّىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ التَّطَوُّعَ فِي جَمَاعَةٍ مَرَّاتٍ ، وَخَرَجَ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ فَجَلَسَ مَعَهُمْ يَسْتَمِعُ .

وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ ، وَدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَاقْشِعْرَارِ الْجُسُوم ، فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ والسُّنَّة . وَأَمَّا الاِضْطِرَابُ الشَّدِيدُ ، وَالْغَشْيُ ، وَالْمَوْتُ ، وَالصَّيْحَاتُ ، فَهَذَا إنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوباً عَلَيْهِ ، لَمْ يُلَمْ عَلَيْهِ ، كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ، فَإِنَّ مَنْشَأَهُ قُوَّةُ الْوَارِدِ عَلَىٰ الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ وَالْقُوَّةُ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ كَمَا هُوَ حَالُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وَأَمَّا السُّكُونُ قَسْوَةً وَجَفَاءً ، فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ السَّمَاعِ : فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَكُونُ وَسِيلَتَهَا إِلَىٰ رَبِّهَا بِصِلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا : هُوَ سَمَاعُ كِتَابِ اللهِّ الَّذِي هُوَ سَمَاعُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " ، وَقَالَ : " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ

" ، وَهُوَ السَّمَاعُ الْمَمْدُوحُ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة . لَكِنْ لَمَّا نَسِيَ بَعْضُ الْأُمَّةِ حَظّاً مِنْ هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِهِ أَلْقَى بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ، فَأَحْدَثَ قَوْمٌ سَمَاعَ الْقَصَائِدِ وَالتَّصْفِيقِ وَالْغِنَاءِ مُضَاهَاةً لِمَا ذَمَّهُ اللهُ مِنْ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَالْمُشَابَهَةِ لِمَا ابْتَدَعَهُ النَّصَارَى ، وَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً : مُضَاهَاةً لِمَا عَابَهُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ . وَالدِّينُ الْوَسَطُ هُوَ مَا عَلَيْهِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، وَاللهُ أَعْلَمُ " . انظر : مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٠-٥٢٢) .

وجاء في فتاوى تقيِّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي أيضاً : " مَسْأَلَةٌ رَجُل يُنْكِرُ عَلَى مِنْ يجهر بِالذِّكْرِ : مَسْأَلَةٌ :

فِي رَجُلٍ يُنْكِرُ عَلَى أَهْلِ الذِّكْرِ ، يَقُولُ لَهُمْ : هَذَا الذِّكْرُ بِدْعَةٌ وَجَهْرُكُمْ فِي الذِّكْرِ بِدْعَةٌ ، وَهُمْ يَفْتَتِحُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَتِمُونَ ، ثُمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَجْمَعُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالْحَوْقَلَةَ ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْمُنْكِرُ يَعْمَلُ السَّمَاعَ مَرَّاتٍ بِالتَّصْفِيقِ وَيَبْطُلُ الذِّكْرُ فِي وَقْتِ عَمَلِ السَّمَاعِ .

الْجَوَابُ : الِاجْتِمَاعُ لِذِكْرِ اللهِ وَاسْتِمْتَاعِ كِتَابِهِ والدُّعاء عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ ، فَفِي الصَّحِيحِ ، عَنْ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّه قَالَ : " إنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إلَى حَاجَتِكُمْ " ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : " وَجَدْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَك وَيَحْمَدُونَك " . أخرجه بغير هذا اللفظ : البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٨) ، مسلم (٤/ ٢٠٦٩ برقم ٢٦٨٩) ، البزار (١٦/ ٨٨ برقم ٩١٤٧) ، ابن حبان (٣/ ١٣٩ برقم ٨٥٧) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٥٣١ برقم ١٨٩٥) .

لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَحْيَاناً فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ ، فَلَا يُجْعَلُ سُنَّةً رَاتِبَةً يُحَافِظُ عَلَيْهَا إلَّا مَا سَنَّ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمُدَاوَمَةَ عَلَيْهِ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ وَمِنْ الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مُحَافَظَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَوْرَادٍ لَهُ مِنْ الصَّلاة أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الذِّكْرِ أَوْ الدُّعاء طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والصَّالحين مِنْ عِبَادِ اللهِ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، فَمَا سُنَّ عَمَلُهُ عَلَى وَجْهِ الِاجْتِمَاعِ كَالْمَكْتُوبَاتِ ، فُعِلَ كَذَلِكَ ، وَمَا سُنَّ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الِانْفِرَادِ مِنْ الْأَوْرَادِ عُمِلَ كَذَلِكَ ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – يَجْتَمِعُونَ أَحْيَاناً يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ ، وَكَانَ مِنْ

الصَّحَابَةِ مَنْ يَقُولُ : " اجْلِسُوا بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً ، وَصَلَّى النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَصْحَابِهِ التَّطَوُّعَ فِي جَمَاعَةٍ مَرَّاتٍ ، وَخَرَجَ عَلَى الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ فَجَلَسَ مَعَهُمْ يَسْتَمِعُ .

وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ ، وَدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَاقْشِعْرَارِ الْجُسُومِ ، فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ والسُّنَّة ، وَأَمَّا الِاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ وَالْغَشْيُ وَالْمَوْتُ وَالصَّيْحَاتُ ، فَهَذَا إنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوباً عَلَيْهِ لَمْ يُلَمْ عَلَيْهِ ، كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ، فَإِنَّ مَنْشَأَهُ قُوَّةُ الْوَارِدِ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ ، وَالْقُوَّةُ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ ، كَمَا هُوَ حَالُ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالصَّحَابَةِ . وَأَمَّا السُّكُونُ قَسْوَةٌ وَجَفَاءٌ ، فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ .

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ السَّمَاعِ ، فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَكُونُ وَسِيلَتَهَا إلَى رَبِّهَا بِصِلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا هُوَ سَمَاعُ كِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ سَمَاعُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " ، وَقَالَ : " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " ، وَهُوَ السَّمَاعُ الْمَمْدُوحُ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ، لَكِنْ لَمَّا نَسِيَ بَعْضُ الْأُمَّةِ حَظّاً مِنْ هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِهِ أُلْقِيَ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ، فَأَحْدَثَ قَوْمٌ سَمَاعَ الْقَصَائِدِ وَالتَّصْفِيقِ وَالْغِنَاءِ مُضَاهَاةً لِمَا ذَمَّهُ اللهُ مِنْ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَالْمُشَابَهَةِ لِمَا ابْتَدَعَهُ النَّصَارَى ، وَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ ، وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً مُضَاهَاةً لِمَا عَابَهُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ .

وَالدِّينُ الْوَسَطُ هُوَ مَا عَلَيْهِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، وَاَللهُ أَعْلَمُ " . انظر : الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية الحراني ، (٢/ ٣٨٤–٣٨٥) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : " يقول الحقُّ جلَّ جلاله في وصف أُولي الألباب : هم ﭐﱡ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﱠ [آل عمران: ١٩١] ، أي : يذكرونه على الدَّوام ، قائمين وقاعدين ومضطجعين ... " . انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١/ ٤٥٠) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : ﭐﱡ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﱠ [آل عمران: ١٩١] ، أي : الَّذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم ، لاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى ، واستغراق سرائرهم في مراقبته ، لما أيقنوا بأَنَّ كلّ ما سواه فائض منه وعائد إليه ، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلَّا وهم يعاينون في ذلك شأناً من شؤونه تعالى . فالمراد : ذكره تعالى

مطلقاً ، سواء كان ذلك من حيث الذَّات أو من حيث الصِّفات والأفعال ، وسواء قارنه الذِّكر الِّلساني أو لا . وتخصيص الأحوال المذكورة بالذِّكر ليس لتخصيص الذِّكر بها ، بل لأنَّها الأحوال المعتادة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً . والمراد : تعميم الذِّكر للأوقات " . انظر : مراح لبيد لكشف معنىٰ القرآن المجيد ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني (١/ ١٧٤) .

وجاء في الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " (وَسُئِلَ) – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَمَّا اعْتَادَهُ الصُّوفِيَّةُ مِنْ عَقْدِ حِلَقِ الذِّكْرِ وَالْجَهْرِ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ هَلْ فِيهِ كَرَاهَةٌ ؟

(فَأَجَابَ) بِقَوْلِهِ : لَا كَرَاهَةَ فِيهِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ أَحَادِيثَ اقْتَضَتْ طَلَبَ الْجَهْرِ نَحْوَ : " وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْته فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ " ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَالَّذِي فِي الْمَلَإِ لَا يَكُونُ إلَّا عَنْ جَهْرٍ ، وَكَذَا حِلَقُ الذِّكْرِ وَطَوَافُ الْمَلَائِكَةِ بِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنْ الْأَحَادِيثِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إنَّمَا يَكُونُ فِي الْجَهْرِ بِالذِّكْرِ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيّ : مَرَّ بِرَجُلٍ يَرْفَعُ صَوْتَهُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُرَائِياً ، قَالَ : لَا وَلَكِنَّهُ أَوَّاهٌ ، وَأُخْرَىٰ اقْتَضَتْ طَلَبَ الْإِسْرَارِ ؛ بِأَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ ، كَمَا جَمَعَ النَّوَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ – بِذَلِكَ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الطَّالِبَةِ لِلْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ وَالطَّالِبَةِ لِلْإِسْرَارِ بِهَا ؛ فَحِينَئِذٍ لَا كَرَاهَةَ فِي الْجَهْرِ بِالذِّكْرِ أَلْبَتَّةَ ؛ حَيْثُ لَا مُعَارِض بَلْ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِهِ إمَّا صَرِيحاً أَوْ الْتِزاماً ، وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ خَبَرَ الذِّكْرِ الْخَفِيِّ ، كَمَا لَا يُعَارَضُ أَحَادِيثُ الْجَهْرِ بِالْقُرْآنِ بِخَبَرِ : " السِّرُّ بِالْقُرْآنِ كَالسِّرِّ بِالصَّدَقَةِ " ، وَقَدْ جَمَعَ النَّوَوِيُّ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْإِخْفَاءَ أَفْضَلُ حَيْثُ خَافَ الرِّيَاءَ أَوْ تَأَذَّىٰ بِهِ مُصَلُّونَ أَوْ نِيَامٌ .

وَالْجَهْرُ أَفْضَلُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيهِ أَكْثَرُ ؛ وَلِأَنَّ فَائِدَتَهُ تَتَعَدَّىٰ لِلسَّامِعِينَ ؛ وَلِأَنَّهُ يُوقِظُ قَلْبَ الْقَارِئِ وَيَجْمَعُ هَمَّهُ إلَىٰ الْفِكْرِ وَيَصْرِفُ سَمْعَهُ إلَيْهِ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ وَيَزِيدُ النَّشَاطَ ؛ فَكَذَلِكَ الذِّكْرُ عَلَىٰ هَذَا التَّفْصِيلِ .

وقَوْله تَعَالَىٰ : **ﭐصح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ** [الأعراف: ٢٠٥] ، أُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كَآيَةِ الْإِسْرَاءِ : **ﭐقي قى كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين** [الإسراء: ١١٠] ، وَقَدْ نَزَلَتْ حِينَ كَانَ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ فَيَسْمَعُهُ الْمُشْرِكُونَ ؛ فَيَسُبُّونَ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، فَأُمِرَ بِتَرْكِ الْجَهْرِ ؛ سَدّاً لِلذَّرِيعَةِ ، كَمَا نُهِيَ عَنْ سَبِّ الْأَصْنَامِ كَذَلِكَ ، وَقَدْ زَالَ هَذَا الْأَصْوَاتُ ، وَيُقَوِّيه اتِّصَالُهَا الْمَعْنَىٰ ، أَشَارَ لِذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَبِأَنَّ بَعْضَ شُيُوخِ مَالِكٍ وَابْنِ

جَرِيرٍ وَغَيْرِهِمَا حَمَلُوا الْآيَةَ عَلَى الذِّكْرِ حَالَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وأنَّه إنَّما أُمِرَ بِالذِّكْرِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ؛ تَعْظِيماً لِلْقُرْآنِ أَنْ تُرْفَعَ عِنْدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﱡﭐ حج حم خج خم سج سح سخ ﱠ [الأعراف:٢٠٤] ...الخ .

قِيلَ : وَكَأَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالْإِنْصَاتِ خَشِيَ مِنْ ذَلِكَ الْإِخْلَادَ إِلَى الْبَطَالَةِ فَنَبَّهَ عَلَى أنَّه ؛ وَإِنْ كَانَ مَأْمُوراً بِالسُّكُوتِ بِاللِّسَانِ – فَتَكْلِيفُ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ بَاقٍ حَتَّى لَا يَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَلِذَا خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ : ﱡﭐ صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ ﱠ [الأعراف: ٢٠٥] ، وَبِأَنَّ السَّادَةَ الصُّوفِيَّةَ قَالُوا : الْأَمْرُ فِي الْآيَةِ خَاصٌّ بِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْكَامِلُ الْمُكَمَّلُ ، وَأَمَّا غَيْرُهُ – مِمَّنْ هُوَ مَحَلُّ الْوَسَاوِسِ وَالْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ – فَمَأْمُورٌ بِالْجَهْرِ ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ تَأْثِيراً فِي دَفْعِهَا ، وَيُؤَيَّدُ بِحَدِيثِ الْبَزَّارِ : " مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ بِاللَّيْلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي بِصَلَاتِهِ وَتَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ " . أخرجه البزار (٧/ ٩٧ برقم ٢٦٥٥) .

وَإِنَّ مُؤْمِنِي الْجِنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الْهَوَاءِ وَجِيرَانَهُ مَعَهُ فِي مَسْكَنِهِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ ، وأنَّه يَنْطَرِدُ بِجَهْرِهِ بِقِرَاءَتِهِ عَنْ دَارِهِ ، وَعَنْ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهُ – فُسَّاقُ الْجِنِّ وَمَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ .

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الِاعْتِدَاءِ فِي : ﱡﭐ ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به ﱠ [الأعراف: ٥٥] ، بِالْجَهْرِ بِالدُّعَاءِ – فَمَرْدُودٌ بِأَنَّ الرَّاجِحَ فِي تَفْسِيرِهِ أنَّه تَجَاوُزُ الْمَأْمُورِ بِهِ أَوْ اخْتِرَاعُ دَعْوَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا .

وَصَحَّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الجنَّة ؛ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : " سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعاء " أخرجه الروياني في المسند (٢/ ٩٨ برقم ٨٩٧) ، ابن حبان (١٥/ ١٦٧ برقم ٦٧٦) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٣٨ برقم ٥٨) ، عبد بن حميد في المسند (ص١٨٠ برقم ٥٠٠) .

فَهَذَا تَفْسِيرُ صَحَابِيٍّ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ ، وَعَلَى التَّنَزُّلِ فَالْآيَةُ فِي الدُّعاء لَا فِي الذِّكْرِ ، والدُّعاء بِخُصُوصِهِ الْأَفْضَلُ فِيهِ الْإِسْرَارُ ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِجَابَةِ .

وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أنَّه رَأَى قَوْماً يُهَلِّلُونَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أُرَاكُمْ إِلَّا مُبْتَدِعِينَ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ بَلْ لَمْ يَرِدْ ؛ وَمِنْ ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَنْهَى عَنْ الذِّكْرِ ؛ مَا جَالَسْتُ عَبْدَ اللَّهِ مَجْلِساً قَطُّ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ فِيهِ ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ " . انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى ، ابن حجر الهيتمي (١/ ١٧٦–١٧٧) .

وقال الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله : "غير أنَّ الَّذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها ، يحتجُّون بالعموم الذي يدلُّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﱡﭐ لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى

ﯾﻰ ﺋﺠ ﺋﺤ ﺋﺨ [آل عمران: ١٩١] ، وهو عمومٌ بيِّن لا يخرج من نطاقه إلَّا إذا أخرجه نصٌّ آخر من طريق الاستثناء والتَّخصيص ... " . انظر : السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، د. محمَّد سعيد البوطي (ص١٩٢) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه ... فقد منع المتسلِّفون الذِّكر الجماعيَّ ، وحذَّروا منه وممَّن يقومون به ...

فقد اتَّهمت اللجنة الدَّائمة الصُّوفيَّة بالشِّرك ، وحذَّرت النَّاس منهم ، فقالت : " ونحذِّركم ما أحدث أهل الطُّرق من تصوُّفٍ مدخول ، وأوراد مبتدعة ، وأذكار غير مشروعة ، وأدعية فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه ، كالاستغاثة بغير الله ، وذكره بالأسماء المفردة ، وذكره بكلمة آه ، وليست من أسمائه سبحانه ، وتوسُّلهم بالمشايخ في الدُّعاء ، واعتقاد أنهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنُّه ، وذكرهم الله ذكراً جماعيَّاً بصوت واحد في حلقات مع ترنُّحات وأناشيد ، إلىٰ غير ذلك ممَّا لا يُعرف في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٢٩٢-٢٩٣) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وهنا أقول لأعضاء اللجنة الدَّائمة : من هو الذي جاء بالأوراد التي وصفتموها بالبدعة !!! الصُّوفيَّة أم ابن تيمية ؟!!! إن كان الجواب لا يحضركم ، فأنا أذكِّركم ببعض !!! ما قاله ابن تيمية ، ووافقه عليه تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة من أوراد لا يوجد مضمونها في أيٍّ من دواوين السنَّة ، من ذلك :

قال الإمام ابن القيِّم : " وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ " يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " كَلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مرَّة أَحْيَىٰ اللهُ بِهَا قَلْبَهُ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣/ ٢٤٨) .

مع أنَّ هذا الكلام لم يأت مضمونه – بحسب علمي – في أيٍّ من دواوين السنَّة ...

وقال ابن القيِّم أيضاً : " ... وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدَّاً ، وَقَالَ لِي يَوْماً : لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ ، وَهُمَا : الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ أَرْبَعِينَ مرَّة كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١/ ٤٤٦) .

وقال الإمام البزَّارُ في كلامه عن ابن تيمية : " ... وَكَانَ قد عرفت عَادَته لَا يكلمهُ أُحدُ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر ، فَلَا يزَال فِي الذّكر يسمع نَفسه ، وَرُبمَا يَسمع ذكره من إِلَىٰ جَانِبه مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر

من تقليب بَصره نَحو السَّماء ، هَكَذَا دأبه حَتَّىٰ تَرْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلاة ، وَكنت مدَّة اقامتي بِدِمَشْق ملازمه جلّ النَّهَار وَكثِيراً من اللَّيْل ، وَكَانَ يدنيني مِنْهُ حَتَّىٰ يُجلسني إِلىٰ جَانِبه ، وَكنت أَسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر حِينَئِذٍ ، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكرِّرها وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُله ، أعني من الْفجْر إِلىٰ ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تَكْرِير تلاوتها ، ففكَّرت فِي ذَلِك لِمَ قد لزم هَذِه السُّورَة دون غَيرهَا ، فَبَان لي وَالله أعْلَم أَنَّ قَصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حِينَئِذٍ بَين مَا ورد فِي الأحاديث وَمَا ذكره الْعلمَاء هَل يسْتَحبّ حِينَئِذٍ تَقْدِيم الأذكار الْوَارِدَة علىٰ تِلَاوَة الْقُرْآن اَوْ الْعَكْس ، فرأىٰ رَضِي الله عَنهُ أَنَّ فِي الْفَاتِحَة وتكرارها حِينَئِذٍ جمعاً بَين الْقَوْلَيْنِ وتحصيلاً للفضيلتين ، وَهَذَا من قُوَّة فطنته ، وثاقب بصيرته ..." . انظر : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمرُ بنُ عليِّ بنِ موسىٰ بنِ خليلٍ البغداديُّ الأزجيُّ البزَّارُ (ص٣٨) .

مع أنَّنا لا نقول بأنَّ ما ذكره من الأدعية ممنوع أو بدعة أو ... فالدُّعاء بابه واسع ومفتوح ، وما علىٰ الإنسان إلَّا أن يتوجَّه بالدُّعاء إلىٰ الله تعالىٰ ، بلسان حاله ، يطلب سؤله وحاجته ، بأي صيغة كانت ، وعلىٰ أيِّ هيئة كان ...

ويستمر المتسلِّفة في وصفهم للصُّوفيَّة بالابتداع في الدِّين فيقول الشَّيخ ابن باز : " الصُّوفيَّة أقسام ، وهم في الأغلب مُبتدعة ، عندهم أوراد وعبادات يأتون بها ليس عليها دليلٌ شرعيٌّ ، ومنهم ابن عربي ، فإنَّه صُوفيٌّ مبتدعٌ مُلحدٌ ، وهو المعروف بمحيي الدِّين ابن عربي ، وهو صاحب وحدة الوجود ، وله كتب فيها شرٌّ كثير ، فنحذِّركم من أصحابه وأتباعه ؛ لأنَّهم منحرفون عن الهُدىٰ ، وليسوا علىٰ الطَّريق المستقيم ، وهكذا جميع الصُّوفيَّة الذين يتظاهرون بعبادات ما شرعها الله ، أو أذكار ما شرعها الله ... " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، (٣/ ١٨٢) جمعها : الدكتور محمَّد بن سعد الشويعر ، قدم لها : عبد العزيز بن عبد الله بن محمَّد آل الشَّيخ .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :" السُّؤال الخامس من الفتوىٰ رقم (٢١٧٦٨) : س٥ : ترديد الذِّكر جماعة وبصوت واحد هل هذا من مذهب الصُّوفيَّة أم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ؟

ج ٥ : الذِّكر الجماعيُّ بدعة ؛ لأنَّه محدث ، وقد قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، والمشروع ذكر الله تعالىٰ بدون صوت جماعي .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢٤/ ٢٦٨) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :" السُّؤال الخامس من الفتوىٰ رقم (٢١٧٦٨) :

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :" ... وأمَّا الأذكار التي وضعها أئمَّة الصُّوفيَّة ، فالغالب عليها أنَّها تشتمل علىٰ أذكار غير مشروعة ، أو أذكار شركيَّة !!! مثل: التَّوسُّل بالمخلوقين ، أو الاستعانة بهم من دون الله عزَّ وجلَّ ... " . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢٤/ ٢٩٠) ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزَّاق الدويش.

وقد استدلَّ المتسلِّفة علىٰ ما ذهبوا إليه من منع الذِّكر الجماعي بعدد من الأدلَّة ، من أهمِّها :

روىٰ الدَّارمي في سننه ، قال : أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَىٰ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يُحَدِّثُ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ ، مَشَيْناً مَعَهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحمن ، قُلْنَا : لاَ ، بَعْدُ . فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ – وَالْحَمْدُ للهِ – إِلَّا خَيْراً . قَالَ : فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ . قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصاً ، فَيَقُولُ : كَبِّرُوا مِائَةً ، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً ، فَيَقُولُ : هَلِّلُوا مِائَةً ، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ : سَبِّحُوا مِائَةً ، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً ، قَالَ : فَمَاذَا قُلْتُ لَهُمْ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ . قَالَ : أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ، ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن حصاً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ . قَالَ : فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ محمَّد ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ . قَالُوا : وَاللهَّ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ . قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ، إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَايْمُ اللهَّ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ

، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ . أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٦ برقم ٢١٠) .

والأثر ضعيف ... ففي سنده :

الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ ، عده بن عدي في ترجمة أحمد بن عبد الرَّحمن الوهبي فيمن يسرق الحديث . انظر : تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٣٨) ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطاي (٤/ ١٠٧) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الذَّهبي (١/ ٥٧٩) .

وفي سنده أيضاً : عَمْرُو بْنُ يَحْيَى ، وقد ضعَّفه جمعٌ من أهل العلم ...

قال الإمام ابن عدي : " حَدَّثَنَا ابن أَبِي عِصْمَةَ ، حَدَّثَنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِين يَقُولُ عَمْرو بْنُ يَحْيَى بْن سَلَمَةَ ليس بشَيْءٍ " . انظر : الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي الجرجاني، (٦/ ٢١٥) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " قَالَ يحيى لَيْسَ حَدِيثه بِشَيْء ، وَقَالَ مرَّة : لم يكن بمرضي " . انظر : الضعفاء والمتروكون ، ابن الجوزي (٢/ ٢٣٣) .

وقال الإمام الذَّهبي : " قَالَ يحيى بن معِين لَيْسَ حَدِيثه بِشَيْء قد رَأَيْته " . انظر : المغني في الضعفاء ، الذَّهبي ، (٢/ ٤٩١) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الذَّهبي (٣/ ٢٩٣) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " قال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء ، قد رأيته . وذكره ابن عَدِي مختصراً . وقال ابن خراش : ليس بمرضي . وقال ابن عَدِي : ليس له كبير رواية ، ولم يحضرني له شيء " . انظر : لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٣٢) .

وقد تكلَّم العديد من العلماء أصحاب الشأن على الأثر السَّابق ... قال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في كلامه عن أثر ابن مسعود: " فَإِنْ قُلْتُ : فَقَدْ نُقِلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّه رَأَى قَوْماً يُهَلِّلُونَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أَرَاكُمْ إِلَّا مُبْتَدِعِينَ ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ . قُلْتُ : هَذَا الْأَثَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ سَنَدِهِ ، وَمَنْ أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ فِي كُتُبِهِمْ ، وَعَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ فَهُوَ مُعَارَضٌ بِالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الثَّابِتَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَهِيَ مُقَدَّمَةٌ عَلَيْهِ عِنْدَ التَّعَارُضِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ مَا يَقْتَضِي إِنْكَارَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ : ثَنَا حسين بن محمَّد ، ثَنَا المسعودي ، عَنْ عامر بن شقيق ، عَنْ أبي وائل قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عبد الله كَانَ يَنْهَى عَنِ الذِّكْرِ ، مَا جَالَسْتُ عبد الله مَجْلِساً قَطُّ إِلَّا ذَكَرَ اللهَّ فِيهِ . وَأَخْرَجَ أحمد فِي الزُّهْدِ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، قَالَ : إِنَّ أَهْلَ ذِكْرِ

اللهَّ لَيَجْلِسُونَ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهَّ ، وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآثَامِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُومُونَ مِنْ ذِكْرِ اللهَّ تَعَالَىٰ مَا عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ " . انظر : الحاوي للفتاوي ، جلال الدِّين السُّيوطي (١/ ٤٧٢) .

قُلْتُ : لم أجد أثر ثابت البناني في الزُّهد لأحمد ، وقد وجدته في الحلية لأبي نعيم الأصبهاني ، قال : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : ثنا سَيَّارٌ ، قَالَ : ثنا جَعْفَرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ ثَابِتاً ، يَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ ذِكْرِ اللهِ لَيَجْلِسُونَ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ، وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآثَامِ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُومُونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عُطُلاً مَا عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصبهاني (٢/ ٣٢٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّه رَأَىٰ قَوْماً يُهَلِّلُونَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أُرَاكُمْ إِلَّا مُبْتَدِعِينَ حَتَّىٰ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ بَلْ لَمْ يَرِدْ ؛ وَمِنْ ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، قَال : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ اللهَّ كَانَ يَنْهَىٰ عَنْ الذِّكْرِ ؛ مَا جَالَسْتُ عَبْدَ اللهَّ مَجْلِساً قَطُّ إِلَّا ذَكَرَ اللهَّ فِيهِ ، وَاللهَُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ " . انظر : الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ ، ابن حجر الهيتمي (١/ ١٧٧) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (١٠٣١هـ) : " وأمَّا ما نقل عن ابن مسعود من أنَّه رأىٰ قوماً يهلِّلون برفع الصَّوت في المسجد ، فقال : ما أراكم إلَّا مبتدعين ، وأمر بإخراجهم ، فغير ثابت . وبفرض ثبوته يعارضه ما في كتاب الزُّهد لأحمد عن شفيق بن أبي وائل ، قال : هؤلاء الذين يزعمون أنَّ عبد الله كان ينهىٰ عن الذِّكر ما جالسته مجلساً قطُّ إلَّا ذكر الله فيه . وأخرج أحمد في الزُّهد عن ثابت البناني : إنَّ أهل الذِّكر ليجلسون إلىٰ ذكر الله ، وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنَّهم ليقومون من ذكر الله ما عليهم منها شيء " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (١/ ٥٨٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " وما ذكر في الواقعات عن ابن مسعود من أنَّه رأىٰ قوماً يهلِّلون برفع الصَّوت في المسجد ، فقال : ما أراكم إلا مبتدعين حتىٰ أخرجهم من المسجد . لا يصحُّ عند الحفَّاظ من الأئمَّة المحدِّثين ، وعلىٰ فرض صحَّته هو معارض بما يدلُّ علىٰ ثبوت الجهر منه رضي الله تعالىٰ عنه ، ممَّا رواه غير واحد من الحفَّاظ أو محمول علىٰ الجهر البالغ " . انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي (٨/ ٤٧٩) .

فالأثر واه ضعيف ... ولو ثبت فهو معارِضٌ لما قدَّمناه من الأدلَّة علىٰ مشروعيَّة الذِّكر الجماعي ...

ثمَّ إنَّ في قول الصَّحابي أبي موسىٰ الأشعري : " وما رأيت إلَّا خيراً " ، ما يدلِّل علىٰ عدم البدعيَّة ، إذ لو كان الأمر بدعة لما سكت عنه ، بل أنكره ...

والأثر رواه عبد الرزَّاق في مصنَّفه والطَّبراني في معجمه الكبير ، قال عبد الرزَّاق : " عَنْ جَعْفَرٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، قَالَ : بَلَغَ عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ قَوْمَاً يَقْعُدُونَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَىٰ الْعِشَاءِ ، يُسَبِّحُونَ يَقُولُونَ : قُولُوا كَذَا ، قُولُوا كَذَا ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ : " إِنْ قَعَدُوا فَآذِنُونِي بِهِمْ ، فَلَمَّا جَلَسُوا آذَنُوهُ ، فَانْطَلَقَ إِذْ آذَنُوهُ ، فَدَخَلَ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ فَأَخَذُوا فِي تَسْبِيحِهِمْ فَحَسَرَ عَبْدُ اللهَّ عَنْ رَأْسِهِ الْبُرْنُسَ ، وَقَالَ : أَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُمْ بِبِدْعَةٍ ظَلْمَاءَ ، أَوْ لَقَدْ فَضَلْتُمْ أَصْحَابَ محمَّد صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمَاً " قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ : مَا جِئْنَا بِبِدْعَةٍ ظَلْمَاءَ وَمَا فَضَلْنَا أَصْحَابَ محمَّد صَلَّىٰ اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمَاً ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ : أَسْتَغْفِرُ اللهَّ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، وَرَأَىٰ ابْنُ مَسْعُودٍ حَلْقَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ : " أَيَّتُكُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا : نَحْنُ ، قَالَ لِلْأُخْرَىٰ : تَحَوَّلُوا إِلَيْهِمْ ، فَجَعَلَهَا وَاحِدَةً " . أخرجه عبد الرزَّاق في المصنف (٣/ ٢٢١ برقم ٥٤٠٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٢٥ برقم ٨٦٣٠) .

والرِّواية ضعيفة ... فعطاء بن السَّائب بن مالك الثَّقفي أبو السَّائب اختلط في آخر عمره ، قال الإمام ابن الكيَّال : " حكموا بتوثيقه وصلاحه وباختلاطه ، اختلط في آخر عمره ، قال أحمد بن حنبل : ثقة رجل صالح ، من سمع منه قديماً فسماعه صحيح ، ومن سمع منه حديثاً ، فسماعه ليس بشيء ... قال الحافظ بن الصَّلاح : عطاء بن السَّائب اختلط في آخر عمره ، فاحتجَّ أهل العلم برواية الأكابر عنه ، مثل : سفيان الثَّوري ، وشعبة ، لأنَّ سماعهم منه كان في الصحَّة وتركوا الاحتجاج برواية من سمع منه آخر " . انظر : الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات ، ابن الكيال (ص٣٢٢-٣٢٣) .

ومن المعلوم أنَّ جعفر بن سليمان الضَّبعي سمع من عطاء بعد الاختلاط ، قال ابن الكيَّال في ترجمة عطاء بن السَّائب : وممَّن سمع منه أيضاً بأخرة من البصريِّين جعفر بن سليمان الضَّبعي ، وروح بن القاسم وعبد العزيز بن عبد الصَّمد العمي ، وعبد الوارث بن سعيد ، انتهىٰ .

وقال أبو حاتم الرَّازي : وفي حديث البصريِّين الذين يحدِّثون عنه تخاليط كثيرة " . انظر : الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات ، ابن الكيال (ص٣٢٩) ، وانظر : الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم الرَّازي (٦/ ٣٣٤) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزي (٢٠/ ٩٢) ، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، سبط ابن العجمي (ص٢٤١) .

ثمَّ إنَّ في رواية عطاء بن السَّائب عن أبي البختري ضعفاً ، قال المزِّي : " قَال إسماعيل بن عليَّة : قال لي شبعة : ما حدَّثك عطاء بن السَّائب من رجاله عن زاذان وميسرة وأبي البختري فلا تكتبه ، وما حدَّثك عن رجل بعينه فاكتبه " . انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزي (٢٠/ ٩٢) .

والأثر السَّابق رواه كما ذكرنا في التَّخريج الطَّبراني في الكبير عن عبد الرزَّاق بالسَّند السَّابق ... ، وفيه أيضاً : إِسْحَاقُ بْنُ إبراهيم الدَّبَرِيُّ ... قال الإمام الذَّهبي : " سمع من عبد الرزَّاق كتبه وَهُوَ ابْن سبع سِنِين اَوْ نَحْوهَا وروىٰ عَنهُ أحاديث مُنكرَة " . انظر : المغني في الضعفاء ، الذَّهبي (١/ ٦٩) .

وقال الحافظ ابن حجر : " وقال ابن الصَّلاح في نزع المختلطين من علوم الحديث : ذكر أحمد أنَّ عبد الرزَّاق عَمِي ، فكان يلقَّن فيتلقَّن ، فسماعُ مَنْ سمعَ منه بعد ما عَمِيَ لا شيء .

قال ابن الصَّلاح وقد وجدت فيما روىٰ الدَّبري عن عبد الرزَّاق أحاديث استنكرها جداً فأحلتُ أمرها علىٰ الدَّبري ، لأنَّ سماعه منه متأخِّر جدَّاً ، والمناكير التي تقع في حديث عبد الرزَّاق فلا يلحق الدَّبري منه تبعة ، إلَّا أنَّه صحَّف أو حرَّف ، وإنَّما الكلام في الأحاديث التي عنده في غير التَّصانيف فهي التي فيها المناكير ، وذلك لأجل سماعه منه في حالة الاختلاط ، والله أعلم " .

وروىٰ انظر : لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني (١/ ٣٤٩) ، وانظر : الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات ، ابن الكيال (ص٢٧٣) .ابن أبي شيبة : حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، قَالَ : كَتَبَ عَامِلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ : أَنَّ هَاهُنَا قَوْماً يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلأَمِيرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَقْبِلْ وَأَقْبِلْ بِهِمْ مَعَكَ ، فَأَقْبَلَ ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ : أَعِدَّ لِي سَوْطاً ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ عُمَرَ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَمِيرِهِمْ ضَرْباً بِالسَّوْطِ ، فَقَالَ : يَا عُمَرُ ، إِنَّا لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنِي أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٩٠ برقم ٢٦١٩١) .

والأثر ضعيف ... ففيه :

معاوية بن هشام : قال عنه يحيىٰ ابن معين : صالح ، وليس بذاك . انظر : الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم الرَّازي (٨/ ٣٨٥) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي (٨/ ١٤٧) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزي (٢٨/ ٢١٨) ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، الذَّهبي (٢/ ٢٧٧) ، ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ، الذَّهبي (١/ ١٧٧) .

وقال عنه ابن الجوزي : " روىٰ مَا لَيْسَ بِسَمَاعِهِ فَتَرَكُوهُ " . انظر : الضعفاء والمتروكون ، ابن الجوزي (٣/ ١٢٨) .

وقال عنه مغلطاي : " قال عثمان يعني ابن أبي شيبة : معاوية بن هشام رجل صدق ، وليس بحجَّة " .
انظر : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطاي (١١/ ٢٧٧) .

وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وقال بن شاهين في الثِّقات : قال عثمان بن أبي شيبة معاوية بن هشام رجل صدق ، وليس بحجَّة ، وقال السَّاجي : صدوق يهم . قال أحمد بن حنبل هو كثير الخطأ ، قال السَّاجي : وحدَّثني الحسن بن معاوية بن هشام ، قال : سمعت قبيصة وذكر له أبي ، فقال : أين أقع منه ، قال الحسن : كان عند أبي عن الثَّوري ثلاثة عشر ألفاً ، وعند قبيصة سبعة آلاف ، وقال بن سعد : كان صدوقاً كثير الحديث ، وقال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الضُّعفاء : معاوية بن هشام ، وقيل : هو معاوية بن أبي العبَّاس ، روىٰ ما ليس من سماعه فتركوه ... " . انظر : تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢١٨) .

ومع كون الأثر ضعيفاً ، فلا علاقة له البتَّة بموضوع الذِّكر الجماعي ...

﴿ الفَصْلُ السَّادِسُ ﴾

﴿ إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَةِ عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّةِ التَّوَاجُدُ والاضْطِرَابُ أَثْنَاءَ الذِّكْر ﴾

الوجْد هو ثمرة الأوراد والأذكار والسُّلوك والمجاهدات الظَّاهرة والباطنة التي يقوم بها أهل الطَّريق ، وهو مرتبط ومقيَّد بنصوص الكتاب والسُّنَّة ... والمحافظة على الأوراد تعتبر شرطًا في حصول الوجْد الذي لا كُلفة فيه ... وقد سمعنا من أشياخنا : من ولا ورد له بظاهره لا وجْد له في باطنه.

أمَّا التَّواجد، فهو عبارة عن استدعاء الوجْد بالطَّاعات المشتملة على الذِّكر والفِكْر، وهو مكتسب يكتسبه المبتدئون في السُّلوك، وقد رأينا من يمنعه من أهل العلم نظراً لما فيه من التَّكلُّف والتَّصنُّع ، وبعضهم أجازه لما فيه من الدُّربة ، وهو المختار ، بدليل ما رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٤/ ٩ برقم ٣٦٦٨٣) بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو وَهُوَ يَبْكِي فَنَظَرْت إلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَعْجَبُ أَبْكوا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فتبَاكُوا حَتَّى يَقُولَ أَحَدُكُمْ : ايهْ ، ايهْ ، إنَّ هَذَا الْقَمَرَ لَيَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى.

وما رواه أبو داود في الزُّهد (ص٥٨ برقم ٣٦) ، أحمد في الزُّهد (ص٢١٣ برقم ٥٦٠) ، وكيع في الزُّهد (ص١٧ برقم ٢٩) بسندهم عَنْ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتبَاكُوا» ...

قال ابن قيِّم الجوزيَّة عن تواجد الصُّوفيَّة : " فَالتَّوَاجُدُ : اسْتِدْعَاءُ الْوَجْدِ بِنَوْعِ اخْتِيَارٍ وَتَكَلُّفٍ ، وَلَيْسَ لِصَاحِبِهِ كَمَالُ الْوَجْدِ ، إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ لَكَانَ وَجْداً ، وَبَابُ التَّفَاعُلِ يَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ مَبْنَاهُ عَلَى إِظْهَارِ الصِّفَةِ ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ ، كَمَا قِيلَ : إِذاً تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ .

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاس فِي التَّوَاجُدِ : هَلْ يَسلَمُ لِصَاحِبِهِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : لَا يَسْلَمُ لِصَاحِبِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَإِظْهَارِ مَا لَيْس عِنْدَهُ ، وَقَوْمٌ قَالُوا : يَسْلَمُ لِلصَّادِقِ الَّذِي يَرْصُدُ لِوِجْدَانِ الْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ ، كَمَا قَالَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " ابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فتَبَاكَوْا " . أخرجه ابن ماجة (١/ ٤٢٤ برقم ١٣٣٧) ، البزار (٤/ ٦٩ برقم ١٢٣٥) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٤٧٣ برقم ٣٨٨١) ، الشهاب القضاعي في المسند (٢/ ٢٠٨ برقم ١١٩٨) البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩١ برقم ٢١٠٥٨) ، شعب الإيمان (٣/ ٤١٠ برقم ١٨٩١) ، عبد الله بن المبارك في الزهد (٢/ ٨٥ برقم ٢٩٥) .

وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّ صَاحِبَ التَّوَاجُدِ إِنْ تَكَلَّفَهُ لِحَظٍّ وَشَهْوَةِ نَفْسٍ : لَمْ يَسْلَمْ لَهُ ، وَإِنْ تَكَلَّفَهُ لِاسْتِجْلَابِ حَالٍ ، أَوْ مَقَامٍ مَعَ اللَّهِ : سَلِمَ لَهُ ، وَهَذَا يُعْرَفُ مِنْ حَالِ الْمُتَوَاجِدِ ، وَشَوَاهِدِ صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (٣/ ٣٨١) .

فالتَّمايل والاضطراب أو ما يسمّى بالرَّقص الصُّوفي ، ما هو إلَّا نوع من أنواع التَّجلِّيات الإيمانيَّة النَّاشئة عن الانفعال الباطني النَّاشئ عن الحزن أو الشَّوق ... وهو مأخوذ من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما : " كَانَتِ الْحَبَشَةُ يَزْفِنُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَرْقُصُونَ وَيَقُولُونَ : مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِحٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا يَقُولُونَ ؟ " قَالُوا : يَقُولُونَ : مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِحٌ " . أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ١٧ برقم ١٢٥٤٠) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على شرط مسلم " ، ابن حبان في الصحيح (١٣/ ١٧٩ برقم ٥٨٧٠) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٥/ ٦٠ برقم ١٦٨٠) .

ومعنى : " يزفنون " ، أي : يرقُصون ...

والتَّمايل والاهتزاز لا يكون إلَّا بسبب الانفعال الباطني النَّاتج عن قوَّة الوارد ، وهذا يحصل مع الكثير من النَّاس ، فتراهم يهتزُّون طرباً لسماع القرآن أو قراءته وبشكل تلقائي من غير تكلُّف ... فترى الجسم هكذا لا إراديَّاً ينفعل فيهتزُّ تعبيراً عن السُّرور والحبور ، وقد يصحبه بُكاء ووجَل وصعق وغشي ...

فإذا كان المريد صادقاً في تواجده من غير تكلُّف ، كان صنيعه محموداً ، قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " ... وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه ، إن كان فرحه محموداً والرَّقص يزيده ويؤكِّده فهو محمود ، وإن كان مُباحاً فهو مُباح ، وإن كان مَذموماً فهو مَذموم " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٢/ ٣٠٤) .

وقال الإمام ابن تيمية : " وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ إذَا كَانَ مَغْلُوباً عَلَيْهِ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ حَالُ الثَّابِتِ أَكْمَلَ مِنْهُ ؛ وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَد عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ لَدَفَعَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، فَمَا رَأَيت أَعْقَلَ مِنْهُ وَنَحْوَ هَذَا . وَقَدْ نُقِلَ عَنْ الشَّافعي أنَّه أَصَابَهُ ذَلِكَ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا يُسْتَرَابُ فِي صِدْقِهِ . لَكِنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي كَانَتْ فِي الصَّحَابَةِ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ ، وَهِيَ وَجَلُ الْقُلُوبِ ، وَدُمُوعُ الْعَيْنِ ، وَاقْشِعْرَارُ الْجُلُودِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : **ﭐﱡﭐ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﱠ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ**

[الأنفال: ٢] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ **ﱡﭐ يم يي يى ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثيﱠ**[الزمر: ٢٣] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : **ﱡﭐثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يم يىﱠ**[مريم: ٥٨] ، وَقَالَ : **ﱡﭐتخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طحﱠ** [المائدة: ٨٣] ، وَقَالَ : **ﱡﭐثر ثز ثم ثن ثىﱠ**[الإسراء: ١٠٩]

وَقَدْ يَذُمُّ حَالَ هَؤُلَاءِ مَنْ فِيهِ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَالرَّيْنِ عَلَيْهَا وَالْجَفَاءِ عَنْ الدِّين مَا هُوَ مَذْمُومٌ وَقَدْ فَعَلُوا ... " . انظر : مجموع الفتاوىٰ ، ابن تيمية الحراني (١١/٨-٩) .

وقد ورد في الأثر العديد من الرِّوايات التي دلَّلت علىٰ ما كان يحدث للصَّحابة وغيرهم من السَّلف الصَّالح من التَّواجد والتَّمايل والغشي والاضطراب ...

فقد روىٰ الإمام أبو نعيم الأصبهاني ، قال : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ جَعْفَرٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَا : ثنَا إِسْحَاقُ بْنُ إبراهيم ، ثنَا محمَّد بْنُ يَزِيدَ أَبُو هِشَامٍ ، ثنَا الْمُحَارِبِيُّ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، مِنْ جُعْفِيٍّ ، عَنِ السُّدِّيِّ ، عَنْ أَبِي أَرَاكَةَ ، قَالَ : " صَلَّىٰ عَلِيٌّ الْغَدَاةَ ثُمَّ لَبِثَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّىٰ ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ ، كَأَنَّ عَلَيْهِ كَآبَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا أَرَىٰ أَحَداً يُشْبِهُهُمْ ، وَالله إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً صُفْراً ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكَبِ الْمِعْزَىٰ ، قَدْ بَاتُوا يَتْلُونَ كِتَابَ الله ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ ، إِذَا ذُكِرَ اللهُ مَادُوا كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ ، فَانْهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّىٰ تَبُلَّ وَالله ثِيَابَهُمْ ، وَالله لَكَأَنَّ الْقَوْمَ بَاتُوا غَافِلِينَ " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصبهاني (١/ ٧٦) .

وروىٰ البزَّار ، قال : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ مَعْمَرٍ ، قَالَ : نا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ ، قَالَ : نا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَجَعْفَرٌ ، وَزَيْدٌ ، فَقَالَ لِزَيْدٍ : " أَخُونَا مَوْلَانَا " ، فَحَجَلَ زَيْدٌ ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ : " أَنْتَ أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي " ، قَالَ : فَحَجَلَ وَرَاءَ حَجْلِ زَيْدٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : " أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ " ، فَحَجَلْتُ وَرَاءَ حَجْلِ جَعْفَرٍ " . أخرجه البزَّار في المسند ، (٢/ ٣١٦ برقم ٧٤٤ ، وقال : وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَداً رَوَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ) .

" وَالْحَجَلُ أَنْ يَرْفَعَ رِجْلاً وَيَقْفِزَ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ مِنَ الْفَرَحِ ، فَإِذَا فَعَلَهُ إِنْسَانٌ فَرَحاً بِمَا آتَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ مَعْرِفَتِهِ أَوْ سَائِرِ نِعَمِهِ فَلَا بَأْسَ بِهِ . وَمَا كَانَ فِيهِ تَثَنٍّ وَتَكَسُّرٍ حَتَّىٰ يُبَايِنَ أَخْلَاقَ الذُّكُورِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِالنِّسَاءِ " . انظر : الآداب ، البيهقي (ص٢٥٧) .

قال الإمام البيهقي في تعليقه على الحديث السَّابق : " وَأَمَّا الرَّقْصُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَكَسُّرٌ وَتَخَنُّثٌ فَلَا بَأْسَ ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِزَيْدٍ : " أَنْتَ مَوْلَانَا " فَحَجَلَ ، وَهُوَ أَنْ يَرْفَعَ رِجْلاً وَيَقْفِزَ إِلَى الْأُخْرَى مِنَ الْفَرَحِ ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ : " أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي " فَحَجَلَ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَقَالَ لِي : " أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ " فَحَجَلْتُ " . انظر : شعب الإيمان (٧/ ١٢٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ... وَكَذَا فِي مُرْسَلِ الْبَاقِرِ فَقَامَ جَعْفَرٌ فَحَجِلَ حَوْلَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَذَا ، قَالَ : شَيْءٌ رَأَيْتُ الْحَبَشَةَ يصنعونه بملوكهم . وَفِي حَدِيث بن عبَّاس أَنَّ النَّجَاشِيَّ كَانَ إِذَا رَضَى أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ قَامَ فَحَجِلَ حَوْلَهُ ، وَحَجِلَ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الْجِيمِ ، أَيْ : وَقَفَ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ الرَّقْصُ بِهَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ الْمَذْكُورِ أَنَّ الثَّلَاثَةَ فَعَلُوا ذَلِكَ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٥٠٧) .

وجاء في الفتاوى الحديثيَّة لابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) : " (وَسُئِلَ) نفع الله بِهِ عَن رقص الصُّوفِيَّة عِنْد تواجدهم ، هَل لَهُ أصل ؟!! (فَأجَاب) بقوله : نعم لَهُ أصل ، فقد روى فِي الحَدِيث أَنَّ جَعْفَر بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ رقص بَين يَدي النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما قَالَ لَهُ أشبهت خَلقي وخُلقي ، وَذَلِكَ من لَذَّة هَذَا الْخطاب !!! وَلم يُنكر عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقد صَحَّ الْقيام والرَّقص فِي مجَالِس الذِّكر وَالسَّماع عَن جمَاعَة من كبار الْأَئِمَّة ، مِنْهُم : عز الدِّين شيخ الْإِسْلَام ابْن عبد السَّلام " . انظر : الفتاوى الحديثية ، ابن حجر الهيتمي (ص٢١٢) .

وَقَدْ وَرَدَ فِيْ الْبُخَارِي وَغَيره أَنَّ العَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . انظر : صحيح البخاري (٥/ ٣٥ برقم ٣٨٠٣) .

فإن قُصِدَ بالعرش السَّرير الذي حُمل عليه سعد فاهتزازه يعني اضطرابه لمقام سعد رضي الله عنه ، وإن قُصد به عرش الرَّحمن فاهتزازه يعني اهتزاز حملتـــــه وفرحهم واستبشارهم بقدوم سعد ، رضي الله عنه ...

كما ثبت التَّمايل والاضطراب والاهتزاز للجهاد ، فقد اهتزَّ جبل أحد طرباً وفرحاً يوم أن وقف عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أصحابه : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ... فَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُداً ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ : " اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ " . أخرجه البخاري (٥/ ٩ برقم ٣٦٧٥) .

وروىٰ البيهقي بسنده عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، أَنَّه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (١٠١هـ) وَعِنْدَهُ سَابِقٌ الْبَرْبَرِيُّ وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْراً ، فَانْتَهَىٰ فِي شِعْرِهِ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ بَاتَ لِلْمَوْتِ آمِناً ... أَتَتْهُ الْمَنَايَا بَغْتَةً بَعْدَمَا هَجَعْ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَغْتَةً ... فِرَاراً وَلَا مِنْهُ بِقُوَّتِهِ امْتَنَعْ

فَأَصْبَحَ تَبْكِيهِ النِّسَاءُ مُقَنَّعاً ... وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِي وَإِنْ صَوْتُهُ رَفَعْ

وَقُرِّبَ مِنْ لَحْدٍ فَكَانَ مَقِيلَهُ ... وَفَارَقَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ جَمَعْ

وَلَا يَتْرُكُ الْمَوْتُ الْغَنِيَّ لِمَالِهِ ... وَلَا مُعْدَماً فِي الْمَالِ ذَا حَاجَةٍ يَدَعْ

قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَبْكِي وَيَضْطَرِبُ حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَقُمْنَا وَتَفَرَّقْنَا " . انظر : كتاب الزهد الكبير ، البيهقي (ص٢٦٣ برقم ٦٨٨) .

وقال الإمام الغزالي : " حكي أنَّ بعضهم سمع قائلاً يقول :

قال الرَّسول غداً تزور ... فقُلْتُ تعقل ما تقول

فاستفزَّه اللحنُ والقول وتواجد ، وجعل يكرِّر ذلك ، ويجعل مكان التاء نوناً ، فيقول : قال الرَّسول غداً نزور ، حتىٰ غشي عليه من شدَّة الفرح واللذة والسُّرور .

فلما أفاق سئل عن وجده ممَّ كان ؟!! فقال : ذكرت قول الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ أهل الجنَّة يزورون ربَّهم في كلِّ يوم جمعة مرَّة " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٢/ ٢٨٨) .

والحديث المشار إليه ضعيف ...

وقال الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) : " وأمَّا الحكايات الدالَّة علىٰ أنَّ أرباب القلوب ظهر عليهم الوجْد عند سماع القرآن فكثيرة ، فقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " شيبتني هود وأخواتها " . أخرجه البزار في المسند ، (١/ ١٦٤ برقم ٩٢ ، وقال : وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ عِلَّتَانِ ، إِحْدَاهُمَا : أَنَّ زَائِدَةَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَالْعِلَّةُ الْأُخْرَىٰ فَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ زِيَادٍ عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ الْخَبَرُ عَنْ أَنَسٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ نَذْكُرْهُ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَاكَ قَدْ شِبْتَ ، فَرَوَىٰ ذَلِكَ إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ ، وَقَدْ قَالُوا عَنْ عِكْرِمَةَ ، وَرَوَاهُ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، وَرَوَاهُ بَعْضُ مَنْ رَوَاهُ عَنْ زكريَّا ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَالْأَخْبَارُ مُضْطَرِبَةٌ أَسَانِيدُهَا ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَأَكْثَرُهَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَارَتْ عَنِ النَّاقِلِينَ لَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِذْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الْمُخَاطَبُ) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٨٦ برقم ٧٩٠) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٥٠) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (٢/ ١٨٤ برقم ٨٨٠) ، عبد الرزَّاق الصنعاني في المصنف (٣/ ٣٦٨ برقم ٥٩٩٧) .

خبر عن الوجْد ، فإنَّ الشَّيب يحصل من الحزن والخوف ، وذلك وجْدٌ .

وروي أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه قرأ عَلَىٰ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة النِّساء ، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : **ﭐﱡﭐ ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم ﱠ**[النساء: ٤١] ، قال : " حَسْبُكَ " ، وكانت عيناه تذرفان بالدُّموع . أخرجه البخاري (٦/ ١٩٦ برقم ٥٠٥٠) ، مسلم (١/ ٥٥١ برقم ٨٠٠) ، أحمد في المسند (١/ ٣٧٤ برقم ٣٥٥١) ، ابن ماجة (٢/١٤٠٣ برقم ٤١٩٤) ، أبو داود (٣/ ٣٢٤ برقم ٣٦٦٨) ، الترمذي (٥/ ٨٧ برقم ٣٠٢٤) ، البزار (٤/ ٢٧٧ برقم ١٤٤٥) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٧/ ٢٨١ برقم ٨٠٢١) ، ابن خزيمة في الصحيح (٢/ ٣٥٤ برقم ١٤٥٤) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٤٦٠ برقم ٣٨٣١) ، الشاشي في المسند (٢/ ٣٢٢ برقم ٩٠٨) ، ابن حبان في الصحيح (١٥/ ٥٤١ برقم ٧٠٦٥) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٦٤ برقم ١٥٨٧) ، المعجم الصغير (١/ ١٣٦ برقم ٢٠٤) ، المعجم الكبير (٩/ ٨٠ برقم ٨٤٥٩) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٣/ ٣٦٠ برقم ٥٣٩٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي في التلخيص) ، البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (ص١٣٩ برقم ٩٩) ، شعب الإيمان (٢/ ٢١٩ برقم ٧٥٥٥) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٥٦ برقم ٣٠٣٠٥) .

وفي رواية أنَّه صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذا الآية أو قرئ عنده : **ﭐﱡﭐ نم نن نى ني * ير يز يم ين يى ﱠ**[المزمل:١٢-١٣] ، **فصعق** . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٠ برقم ٨٨٩) ، أحمد في الزهد (ص٢٧ برقم ١٤٤) ، هناد في الزهد (١/ ١٨٠ برقم ٢٦٧) ، وكيع في الزهد (ص١٧ برقم ٢٨) .

وفي رواية أنَّه صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: **ﭐﱡﭐ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم ﱠ**[إبراهيم: ٣٦] الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **ﭐﱡﭐ فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج ﱠ**[المائدة: ١١٨] ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَىٰ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: " يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ " . أخرجه مسلم (١/ ١٩١ برقم ٢٠٢) .

وكان صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرَّ بآية رحمة دعا واستبشر . لم أجده بهذا اللفظ ، وإنما ورد بلفظ : " وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا عَذَابٌ تَعَوَّذَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ للهَِّ سَبَّحَ " . أخرجه أحمد في المسند ، (٣٨/ ٢٩٧ برقم ٢٣٢٦١) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير مستورد ابن أحنف، فمن رجال مسلم . أبو معاوية : هو محمَّد بن خازم الضرير .وأخرجه ابن أبي شيبة ١/ ٢٤٨ ، ومسلم (٧٧٢) ، وابن ماجه (١٣٥١) ، والنسائي ٢/ ١٩٠، وابن خزيمة (٥٤٢) و (٦٠٣) و (٦٦٠) و (٦٦٩) ، وابن حبان في " صحيحه " (١٨٩٧) ، وفي " كتاب الصَّلاة " كما في " إتحاف المهرة " ٤/ ٢٢٧، والبيهقي ٢/ ٣٠٩ من طريق أبي معاوية ، بهذا الإسناد .

والاستبشارُ وَجْدٌ .

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ أهل الوَجْد بالقرآن ، فقال تعالىٰ :ﭐﱡﭐ تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صحصخ صم ضج ضح ضخ ضم طحﱠ [المائدة: ٨٣] ، وروي أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل . أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ٢٤٢ برقم ١٦٣١٧) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم وأصحاب السنن " . النسائي في السنن الكبرىٰ (١/ ٢٩٢ برقم ٥٤٩) ، السنن الصغرىٰ (٣/ ١٣ برقم ١٢١٤) ، ابن خزيمة في الصحيح (٢/ ٥٣ برقم ٩٠٠) ، ابن حبان في الصحيح (٢/ ٤٣٩ برقم ٦٦٥) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (١/ ٣٩٦ برقم ٩٧١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي في التلخيص) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢١١) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٠٩ برقم ١٨٨٩) ، السنن الكبرىٰ ، (٢/ ٣٥٦ برقم ٣٣٥٧) ، الضياء في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٩/ ٤٦٢ برقم ٤٣٧) ، عبد الله بن المبارك في الزهد (١/ ٣٦ برقم ١٠٨) ، أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثُنىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال التميمي، الموصلي (٣/ ١٧٤ برقم ١٥٩٩) .

وأمَّا ما نقل من الوجْد بالقرآن عن الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين فكثير ، فمنهم من صعق ، ومنهم من بكىٰ ، ومنهم من غشي عليه ، ومنهم من مات في غشيته .

فقد روي أنَّ زرارة بن أوفىٰ (توفِّي في خلافة عثمان) وكان من التَّابعين كان يؤمُّ النَّاس بالرقَّة فقرأ : ﭐﱡﭐ سم صح صخ صمﱠ [المدثر: ٨] ، فصعق ومات في محرابه رحمه الله ، وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ :ﭐﱡﭐ بم تج تح تخ * ته ثم جح جم * حم خج خم سجﱠ [الطور: ٧ – ٩] ، فصاح صيحة ، وخرَّ مغشياً عليه ، فحمل إلىٰ بيته فلم يزل مريضاً في بيته شهراً

وأبو جرير من التَّابعين قرأ عليه صالح المرِّي ، فشهق ومات .

وسمع الشَّافعي رحمه الله قارئاً يقرأ : ﭐﱡﭐ ني ىٰ ير * يم ين يى ييﱠ [المرسلات: ٣٥ – ٣٦] ، فغُشي عليه .

وسمع علي بن الفضيل قارئاً يقرأ : ﭐﱡﭐ لي مج مح مخ مم ﱠ [المطففين: ٦] ، فسقط مغشياً عليه ، فقال الفضيل : شكر الله لك ما قد علمه منك .

وكذلك نقل عن جماعة منهم .

وكذلك الصُّوفيَّة ، فقد كان الشِّبلي (٣٣٤هـ) في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلِّي خلف إمام له فقرأ الإمام :ﭐﱡﭐ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هجﱠ [الإسراء: ٨٦] ، فزعق الشِّبليُّ زعقة ظنَّ النَّاس أنَّه قد طارت روحه ، وأحمرَّ وجهه ، وارتعدت فرائصه ، وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب ، يردِّد ذلك مراراً .

وقال الجُنيد (٢٩٧هـ) : دخلت علىٰ سري السَّقطي (٢٥١هـ) ، فرأيت بين يديه رجلاً قد غشي عليه ، فقال لي : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه ، فقُلْتُ : اقرءوا عليه تلك الآية بعينها ، فقرئت فأفاق ، فقال : من أين قُلْتُ هذا . فقُلْتُ : رأيت يعقوب عليه السَّلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن ذلك ، ويشير إلىٰ ما قاله الجنيد قول الشَّاعر :

وكأس شربت علىٰ لذَّة   وأخرىٰ تداويت منها بها

... وسمع رجل من أهل التَّصوُّف قارئاً يقرأ : ﭐﱡﭐ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱠ[الفجر: ٢٧ – ٢٨] ، فاستعادها من القارئ ، وقال : كم أقول لها ارجعي وليست ترجع ، وتواجد ، وزعق زعقة ، فخرجت روحه .

وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ : ﭐﱡﭐ هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﱠ [غافر: ١٨] ، فاضطرب ثُمَّ صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ، ثُمَّ غشي عليه .

وكان إبراهيم ابن أدهم (١٦٢هـ) رحمه الله إذا سمع أحداً يقرأ : ﭐﱡﭐ هى هي يج ﱠ [الانشقاق: ١] ، اضطربت أوصاله ، حتىٰ كان يرتعد .

وعن محمَّد بن صبيح (١٨٣هـ) ، قال : كان رجل يغتسل في الفرات ، فمرَّ به رجلٌ علىٰ الشَّاطئ يقرأ : ﭐﱡﭐ ﱠ [يس: ٥٩] ، فلم يزل الرَّجل يضطرب حتىٰ غرق ومات .

وذكر أنَّ سلمان الفارسي أبصر شاباً يقرأ فأتىٰ علىٰ آية فاقشعرَّ جلده ، فأحبَّه سلمان ، وفقده فسأل عنه ، فقيل له : أنَّه مريض ، فأتاه يعوده ، فإذا هو في الموت ، فقال : يا عبد الله ، أرأيت تلك القشعريرة التي كانت بي ؟ فإنَّها أتتني في أحسن صورة ، فأخبرتني أنَّ الله قد غفر لي بها كلَّ ذنب .

وبالجملة ، لا يخلو صاحب القلب عن وجْدٍ عند سماع القرآن ، فإن كان القرآن لا يؤثِّر فيه أصلاً فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٢/ ٢٩٦–٢٩٧) .

وقال الإمام الغزالي أيضاً : " قال موسىٰ بن مسعود (٢٢٠هـ) : كنَّا إذا جلسنا إلىٰ الثَّوري (١٦١هـ) كأنَّ النَّار قد أحاطت بنا ، لما نرىٰ من خوفه وجزعه .

وقرأ مضر القارئ يوماً : ﱡﭐ صم ضج ضح ضخ ضمطح ظم عج عم غج غم فج ﱠ [الجاثية: ٢٩] ، فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ، فلما أفاق ، قال : وعزَّتك لا عصيتك جهدي أبداً ، فأعنِّي بتوفيقك على طاعتك .

وكان المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ (٦٤هـ) لا يقوى أن يسمع شيئاً من القرآن لشدَّة خوفه ، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصَّيحة ، فما يعقل أياماً ، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه : ﱡﭐلي ما مم نر نز نم * نى ني ىٰ ير يز ﱠ [مريم: ٨٥ – ٨٦] ، فقال : أنا من المجرمين ، ولست من المتَّقين ، أعد على القول أيُّها القارئ ، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة . وقرئ عند يحيى البكَّاء : ﱡﭐ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم ﱠ [الأنعام: ٣٠] ، فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر يُعاد من أطراف البصرة .

وقال مالك بن دينار (١٢٧هـ) : بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرة متعبِّدة متعلِّقة بأستار الكعبة ، وهي تقول : يا ربّ كم شهوة ذهبت لذَّاتها وبقيت تبعاتها ، يا ربّ أما كان لك أدب وعقوبة إلَّا النَّار ، وتبكي ، فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر . قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول : ثكلت مالكاً أمُّه .

وروي أنَّ الفضيل رؤي يوم عرفة والنَّاس يدعون وهو يبكي بكاء الثَّكلى المحترقة ، حتى إذا كادت الشَّمس تغرب قبض على لحيته ثُمَّ رفع رأسه إلى السَّماء ، وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت ، ثُمَّ انقلب مع النَّاس .

وسئل ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن الخائفين ، فقال : قلوبهم بالخوف فرحة ، وأعينهم باكية ، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنَّم طريقنا ، وبين يدي الله ربّنا موقفنا " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٤/ ١٨٤) .

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " حَدَّثَنِي محمَّد ، قَالَ : حَدَّثَنِي زَهْدَمُ بْنُ الْحَارِثِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَجَاءٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ، إِلَى الْحَسَنِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يَقْرَأُ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﱡﭐ تج تح تخ * ته ثم جح جم ﱠ [الطور: ٧ – ٨] ، بَكَى الْحَسَنُ ، وَبَكَى أَصْحَابُهُ ، وَجَعَلَ مَالِكٌ يَضْطَرِبُ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ " . انظر : الرقة والبكاء ، ابن أبي الدُّنيا (ص٨٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) : " وكان سفيان الثَّوري رضي الله تعالىٰ عنه من شدَّة تفكُّره يبول الدَّم ، وكان إذا سمع المؤذِّن يتغيَّر لونه ويبكي حتىٰ يغمىٰ عليه .

وكان أبو عبيدة الخوَّاص رضي الله عنه يبكي ويقول : قد كبرت فاعتقني من النَّار .

وكان يزيد الرُّقاشي ، رضي الله عنه يبكي حتىٰ أظلمت عيناه ، وأحرقت الدُّموع مجاريها .

وكان مالك بن دينار رضي الله عنه يبكي حتىٰ سوَّدت الدُّموع خدَّه ، وكان يقول : لو ملكت البكاء لبكيت أيَّام حياتي " .

وقيل لعطاء السّلمي رضي الله عنه : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن أبكي حتىٰ لا أقدر أن أبكي ، وكان يبكي في الليل والنَّهار ، وكانت دموعة سائلة علىٰ خدَّيه .

وكان حذيفة رضي الله عنه يبكي بكاء شديداً ، فقيل له : ما بكاؤك ؟ فقال : لا أدري علىٰ ما أقدم ؟ علىٰ رضا أم علىٰ سخط ؟ " . انظر : الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ، ابن الجزري (ص٢١) .

وقال الإمام عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ : كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَيَنْحَنِي حَتَّى يَصْعُبَ ذَلِكَ عَلَىٰ جُلَسَائِهِ .

فَقِيلَ لَهُ يَوْماً فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ مَا تَرَوْنَ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ محمَّد بْنَ الْمُنْكَدِرِ وَكَانَ سيِّد الْقُرَّاءِ ، لَا نَكَادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَداً إِلَّا يَبْكِي حَتَّىٰ نَرْحَمَهُ... وَلَقَدْ كُنْتُ أرىٰ جعفر بن محمَّد ... وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْفَرَّ ، وَمَا رَأَيْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا علىٰ طهارة ... ولقد اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ زَمَاناً ، فَمَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَلَىٰ ثَلاثِ خِصَالٍ... إِمَّا مُصَلِّياً وَإِمَّا صَامِتاً ، وَإِمَّا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ... وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ... وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ...

وَلَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحمن بْنُ الْقَاسِمِ يَذْكُرُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنْظَرُ إِلَىٰ لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً مِنْهُ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

وَلَقَدْ كُنْتُ آتِي عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ بن الزبير ، فإذا ذكر عِنْدَهُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَىٰ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْرِيَّ وَكَانَ مِنْ أَهْنَإِ النَّاس وَأَقْرَبِهِمْ ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَأَنَّهُ مَا عَرَفَكَ وَلَا عَرَفْتَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ آتِي صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ فَإِذَا ذُكِرَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَىٰ ، فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّىٰ يَقُومَ النَّاس عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ " . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ، القاضي عياض (٢/ ٩٣-٩٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " ... وعزّ الدِّين شيخ الإسلام أبو محمَّد عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم السّلمي الدِّمشقي الشَّافعي ... برع في الفقه ، والأصول ، والعربيَّة ، ودرَّس ، وأفتىٰ ، وصنَّف ، وبلغ رتبة الإجتهاد . وانتهت إليه رئاسة المذهب مع الزُّهد والورع ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، والصلابة في الدِّين . قال قطب الدِّين : كان مع شدَّته فيه حسن محاضرة بالنَّوادر والأشعار . يحضر السَّماع ويرقص " . انظر : العبر في خبر من غبر ، الذَّهبي (٣/ ٢٩٩) .

وجاء في الحاوي للفتاوي : " مَسْأَلَةٌ : فِي جَمَاعَةٍ صُوفِيَّةٍ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ ثُمَّ إِنَّ شَخْصاً مِنَ الْجَمَاعَةِ قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ ذَاكِراً ، وَاسْتَمَرَّ عَلَىٰ ذَلِكَ لِوَارِدٍ حَصَلَ لَهُ ، فَهَلْ لَهُ فِعْلُ ذَلِكَ سَوَاءٌ كَانَ بِاخْتِيَارِهِ أَمْ لَا ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مَنْعُهُ وَزَجْرُهُ عَنْ ذَلِكَ ؟

الْجَوَابُ : لَا إِنْكَارَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ . وَقَدْ سُئِلَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِعَيْنِهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ سراج الدِّين البلقيني فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ لَا إِنْكَارَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لِمَانِعِ التَّعَدِّي بِمَنْعِهِ ، وَيَلْزَمُ الْمُتَعَدِّيَ بِذَلِكَ التَّعْزِيرُ ، وَسُئِلَ عَنْهُ الْعَلَّامَةُ برهان الدِّين الأبناسي فَأَجَابَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَزَادَ أَنَّ صَاحِبَ الْحَالِ مَغْلُوبٌ ، وَالْمُنْكِرَ مَحْرُومٌ مَا ذَاقَ لَذَّةَ التَّوَاجُدِ وَلَا صَفَا لَهُ الْمَشْرُوبُ ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ فِي آخِرِ جَوَابِهِ : وَبِالْجُمْلَةِ فَالسَّلَامَةُ فِي تَسْلِيمِ حَالِ الْقَوْمِ ، وَأَجَابَ أَيْضاً بِمِثْلِ ذَلِكَ بَعْضُ أَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ كُلُّهُمْ كَتبُوا عَلَىٰ هَذَا السُّؤَالِ بِالْمُوَافَقَةِ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ .

أَقُولُ : وَكَيْفَ يُنْكَرُ الذِّكْرُ قَائِماً وَالْقِيَامُ ذَاكِراً ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : **أ‌ُّلم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ**[آل عمران: ١٩١] ، وَقَالَتْ عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - : " كَانَ النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَذْكُرُ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ " ، وَإِنِ انْضَمَّ إِلَىٰ هَذَا الْقِيَامِ رَقْصٌ أَوْ نَحْوُهُ فَلَا إِنْكَارَ عَلَيْهِمْ ، فَذَلِكَ مِنْ لَذَّاتِ الشُّهُودِ أَوِ الْمَوَاجِيدِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ " رَقْصُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيِ النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَالَ لَهُ : أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي " ، وَذَلِكَ مِنْ لَذَّةِ هَذَا الْخِطَابِ ، وَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِ النَّبي - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَانَ هَذَا أَصْلاً فِي رَقْصِ الصُّوفِيَّةِ لِمَا يُدْرِكُونَهُ مِنْ لَذَّاتِ الْمَوَاجِيدِ ، وَقَدْ صَحَّ

الْقِيَامُ وَالرَّقْصُ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالسَّمَاعِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَارِ الْأَئِمَّةِ ، مِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عزّ الدِّين بن عبد السَّلام " . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٨٢-٢٨٣) .

فأهل الوجْد ... سمعوا الحقَّ فاتَّبعوه ، ولم يلتفتوا إلىٰ الباطل لأنَّهم أبغضوه ... تاقت نفوسهم لمحبوبهم فهاموا فيه ، والحبّ كلّ الحبِّ تشرَّبوه ، تاهوا وهاموا في حبِّهم حتىٰ وصف بعضهم بالجنون ... تواجدوا وتمايلوا طرباً وطابت نفوسهم ، وسمت أرواحهم بذكر محبوبهم ...

قال الإمام ابن الجوزي : " المُحب إِن تذكَّر الرَّبع حنَّ ، وَإِن تفكَّر فِي الْبعد أَنَّ ، وَإِن جنَّ عَلَيْهِ اللَّيْل أظهر مَا أجنَّ ، قطع عَلَيْهِ رضَاع الْوِصَال فَلم يتهنَّ " . انظر : المدهش ، ابن الجوزي (ص٤٢٥) .

📖 الفَصْلُ السَّابِعُ 📖

۞ إِنْكَارُ المُتَسَلِّفَة عَلَى السَّادَةِ الصُّوفيَّة استِخْدَامُ الدّف ۞

من المعلوم أنَّ اليُسر والتَّيسير من دين الإسلام ، فالإسلام هو دين السَّماحة والوسطيَّة والاعتدال ، وهو دينٌ يُلبِّي كلَّ مطالب الرُّوح والجسد معاً ، قال تعالىٰ : **ﭐﱡ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ ﱠ** [القصص: ٧٧] .

والنَّفس البشريَّة تُصاب بين الفينة والأخرىٰ بالملل والفتور ؛ فتحتاج معه إلىٰ التَّرويح لتستعيد نشاطها ، وتعود إليها حيويَّتها ...

ومن المعلوم – كذلك – أنَّ تشريعات الإسلام قامت علىٰ مجموعة كبيرة من القواعد الفقهيَّة التي من شأنها أن تجعل تشريعاته موافقة لروح العصر ، وبما يضمن درء المفاسد وجلب المصالح ؛ ورفع الحرج ، ومراعاة التَّيسير ، ومجافاة التَّعسير ...

قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا ، وَلاَ تُنَفِّرُوا " . أخرجه البخاري (١/ ٢٥) ، مسلم (٣/ ١٣٥٩ برقم ١٧٣٤) ، الطيالسي في المسند (٣/ ٥٦٠ برقم ٢١٩٩) ، ابن الجعد في المسند (ص٢١٢ برقم ١٤٠٤) ، أحمد في المسند (٣/ ١٣١ برقم ١٢٣٥٨) ، البزار (١٣/ ٥٢٣ برقم ٧٣٧٦) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٥/ ٣٨٣ برقم ٥٨٥٩) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ٢١٤ برقم ٦٥٥٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٨٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٣٦٥ برقم ٦٢٤) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (٧/ ١٨٧ برقم ٤١٧٢) .

وَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ هَذَا الدِّين يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّين أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَيَسِّرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ " . أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (٦/ ٥٣٧ برقم ١١٧٦٥) ، السنن الصغرىٰ (٨/ ١٢١ برقم ٥٠٣٤) ، ابن حبان (٢/ ٦٣ برقم ٣٥١) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٢٧ برقم ٤٧٤١) .

وقد جعل الله تعالىٰ اللهو المباح سبيلاً من سُبُل التَّرويح عن النُّفوس ، فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ ، قَالَ : – وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ يَا حَنْظَلَةُ ، قَالَ : قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، قَالَ : سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ ، فَنَسِينَا كَثِيراً ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَمَا ذَاكَ ؟ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ ، نَسِينَا كَثِيراً فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٦ برقم ٢٧٥٠) .

ومن الأدلَّة علىٰ إباحة التَّرويح واللعب المباح : قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً ، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ " . أخرجه أحمد في المسند (٤١/ ٣٤٩ برقم ٢٤٨٥٥) ، قال الأرنؤوط : " حديث قوي ، وهذا سند حسن .

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي (٥٠٥هـ) : " قال أبو الدَّرداء : إنِّي لأستجمُّ نفسي بشيء من اللهو ، فيكون ذلك عوناً لي علىٰ الحقِّ . وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : روِّحوا القلوب ، فإنَّها إذا أكرهت عميت . وهذه دقائق لا يدركها إلا سماسرة العلماء دون الحشويَّة منهم ، بل الحاذق بالطبِّ قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ، ويستبعده القاصر في الطبِّ ، وإنَّما يبتغي به أن يعيد أوَّلاً قوَّته ليحتمل المعالجة بالضدِّ ، والحاذق في لعب الشَّطرنج مثلاً قد ينزل عن الرخِّ والفرس مجاناً ليتوصَّل بذلك إلىٰ الغلبة ، والضَّعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجَّب منه ، وكذلك الخبير بالقتال قد يفرُّ بين يدي قرينه ويولِّيه دبره حيلة منه ليستجرَّه إلىٰ مضيق ، فيكرُّ عليه فيقهره ، فكذلك سلوك طريق الله تعالىٰ كلّه قتال مع الشَّيطان ، ومعالجة للقلب ، والبصير الموفَّق يقف فيها علىٰ لطائف من الحيل يستبعدها الضُّعفاء ، فلا ينبغي للمريد أن يضمر إنكاراً علىٰ ما يراه من شيخه ، ولا للمتعلِّم أن يعترض علىٰ أستاذه ، بل ينبغي أن يقف عند حدِّ بصيرته ، ومالا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما إلىٰ أن ينكشف له أسرار ذلك ، بأن يبلغ رتبتهما ، وينال درجتهما ، ومن الله حسن التَّوفيق " . انظر : إحياء علوم الدِّين ، الغزالي (٤/ ٢٧٦) .

مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ التَّرويح يجب أن ينضبط بضوابط الشَّرع ، وأنَّ ما زاد عن حدِّه انقلب إلىٰ ضدِّه ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ " . أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٥٤٧ برقم ٦٩٥٨) ، قال الأرنؤوط : إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين .

ومن أهمِّ الضوابط الشَّرعيَّة التي يجب مراعاتها عند اللهو الحلال : أن يكون العمل حلالاً ، وعدم الاختلاط بالنِّساء ، وأن لا يلهي عن واجب شرعي ، وأن لا يستهلك وقت المسلم ، ...

ومن أنواع اللهو المباح : الدُّف ... وقد ورد النصُّ علىٰ إباحته في صحيح السنَّة المطهَّرة ... وهو وإن ورد إباحة استخدامه للنِّساء ، فلا مانع يمنع من إباحته للرجال ، بل إنَّ استخدامه لإظهار النِّكاح من قبل الرِّجال أكبر في الإظهار من استخدامه من قبل النِّساء ...

والحقُّ أنَّ العلماء اختلفوا في إباحته للرِّجال مع أنَّهم اتَّفقوا على إباحته للنِّساء ... ورأيت أنَّ الأغلب ذهبوا إلى القول بتحريمه على الرِّجال ... وقبل التَّعرُّف على حكم استعمال الدُّف في المناسبات المختلفة ، لا بدَّ بداية من التعرُّف على معنى الدُّفِّ لغة واصطلاحاً ...

أوَّلاً : تَعْرِيْفُ الدُّفِّ لُغَة :

قال الإمام الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ) : " الدَّفُّ والدَّفَّةُ : الجَنْب لكل شيء ، قال :

وَوانيةٍ زَجَرْتُ على وَجاها   قريحَ الدَّفَّتَيْنِ من البِطانِ

والدُّفُّ لغةُ أهل الحِجاز في الدَّفِّ الذي يُضرَبُ به ، والدفاف عامِلُه . ودَفَّتا الطَّبْل : اللتان على رأسه " .

انظر : كتاب العين ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (٨/ ١١) .

وقال الإمام ابن منظور الأنصاري (٧١١هـ) : " الدَّفُّ والدَّفَّةُ : الجَنْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، بِالْفَتْحِ لَا غَيْرُ ؛ وأَنشد اللَّيْثُ فِي الدَّفَّةِ :

ووانِية زَجَرْتُ عَلَى وَجاها   قَريح الدَّفَّتَيْنِ مِنَ البِطانِ

وَقِيلَ : الدَّفُّ صَفْحةُ الجَنْبِ ؛ أَنشد ثَعْلَبٌ فِي صِفَةِ إِنْسَانٍ :

يَحُكُّ كُدوحَ القَمْلِ تَحْتَ لَبانِه   ودَفَّيهِ مِنْهَا دامِياتٌ وحالِبُ

وأَنشد أَيضاً فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

تَرى ظِلَّها عِنْدَ الرَّواحِ كأَنه   إِلَى دَفِّها رَأْلٌ يَخُبُّ خَبِيبُ

... وَالْجَمْعُ دُفُوف ، ودَفَّتَا الرَّحْل وَالسَّرْجِ والمُصْحَف : جَانِبَاهُ وَضِمَامَتَاهُ مِنْ جَانِبَيْهِ ... ودفَّتا الطبلِ : الَّذِي عَلَى رأْسه . ودَفَّا الْبَعِيرِ : جَنْباه . وسَنامٌ مُدَفِّفٌ إِذَا سَقَطَ عَلَى دَفَّي الْبَعِيرِ . ودَفَّ الطائرُ يَدُفُّ دَفّاً ودَفِيفاً وأَدَفَّ : ضَرَب جَنْبَيْه بِجَنَاحَيْهِ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي إِذَا حَرَّكَ جَنَاحَيْهِ وَرِجْلَاهُ فِي الأَرض . وَفِي بَعْضِ التَّنْزِيه : وَيَسْمَعُ حركَةَ الطَّيْرِ صافِّها ودَافِّها ؛ الصافُّ : الباسِطُ جَنَاحَيْهِ لَا يُحَرِّكُهُمَا . ودَفِيفُ الطائِر : مَرُّه فُوَيْقَ الأَرض .

والدَّفِيفُ أَن يَدُفَّ الطائرُ عَلَى وَجْهِ الأَرض يُحَرِّكُ جَناحيه وَرِجْلَاهُ بالأَرض وَهُوَ يَطِيرُ ثُمَّ يَسْتَقِلُّ . وَفِي الْحَدِيثِ : كُلْ مَا دَفَّ وَلَا تأْكُلْ مَا صَفَ ، أَي : كُلْ مَا حرَّك جَناحَيْهِ فِي الطَّيَرَانِ كَالْحَمَامِ وَنَحْوِهِ ، وَلَا تأْكل مَا صَفَّ جَنَاحَيْهِ كالنُّسور والصُّقُور " . انظر : لسان العرب (٩/ ١٠٤) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقَّب بمرتضىٰ ، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) : " الدَّفُّ ، بِالْفَتْحِ : الْجَنْبُ مِن كُلِّ شَيْءٍ ، وذِكْرُ الفَتْحِ مُسْتَدْرَكٌ ، أوصَفْحَتُهُ أَي : الجَنْب " . انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٣٣/ ٣٠٠-٣٠١) .

ثَانِيَاً : تَعْرِيْفُ الدُّفِّ اصْطِلَاحَاً :

قال الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي : " أَمَّا الدُّفّ : فَهُوَ هَذَا الَّذِي يضْرب بِهِ النِّسَاء " . انظر : غريب الحديث ، القاسم بن سلاّم (٣/ ٦٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (٢٨٥هـ) : " الدُّفُّ : الَّذِي يُلْعَبُ بِهِ – بِالضَّمِّ – " . انظر : غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي (١/ ٢٤) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) : " قال بعض علماء الموسيقىٰ : أنَّه آلة كاملة تحكم علىٰ سائر الملاهي ، وتفتقر إليه جميع آلات الطرب ، إذ به تعرف الضّروب صحيحها وسقيمها ، ومنه تكمَّلت صورة الكرة الفلكيَّة علىٰ الوضع الصَّحيح ، لأنه بيكاري الصُّورة ، وادَّعوا أنَّه مركَّب علىٰ العناصر الأربعة ، قالوا : ولا نتبيَّن الفقرات الخفاف والثِّقال إلَّا به ، وهو الذي يوصل ويقطع ، وكلُّ ملهاة لا يحضرها الدُّفُّ فهي ضعيفة القوَّة " . انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٦/ ٥٠٢) .

ثَالِثَاً : أَدِلَّةُ اسْتِخْدَام الدُّفِّ :

لقد دلَّ علىٰ استخدام الدُّفِّ العديد من الأحاديث الصَّحيحة ، وكذا العديد من الآثار المرويَّة عن السَّلف الصَّالح ، من ذلك :

رَوَىٰ البُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنَىٰ تُدَفِّفَانِ ، وَتَضْرِبَانِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ ، فَكَشَفَ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ : " دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنَّهَا أَيَّام عِيدٍ ، وَتِلْكَ الأَيَّام أَيَّام مِنًىٰ " . أخرجه البخاري (٢/ ٢٣ برقم ٩٨٧) .

قال الإمام شرف الدِّين الحسين بن عبد الله الطِّيبي (٧٤٣هـ) في شرحه للحديث : " فيه دليل علىٰ أنَّ السَّماع وضرب الدُّف غير محظور ، لكن في بعض الأحيان ، أمَّا الإدمان عليه فمكروه " . انظر : شرح الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (٤/ ١٢٩٣) .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَظْهِرُوا النِّكَاحَ ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْغِرْبَالِ " . أخرجه سنن سعيد بن منصور في السنن (١/ ٢٠٣ برقم ٥٣٥) ، إسحاق بن راهويه في المسند (٢/ ٣٩٢ برقم ٩٤٥) ، ابن ماجة (١/ ٦١١ برقم ١٨٩٥) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٦٥) ، الإسماعيلي في المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي (٢/ ٦٤٠ برقم ٢٧١) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٧/ ٤٧٣ برقم ١٤٦٩٨) ، السنن الصغير (٣/ ٨٩ برقم ٢٥٩٢) .

والمقصود بالغربال : الدُّفّ ، لِأَنَّهُ يُشْبه الغِرْبَال فِي اسْتِدَارَته . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٣/ ٣٥٢) .

والحديث يُطالب بإظهار النِّكاح ... ولم يُفرِّق بين كون المُظهر المستخدم للدُّفِّ رجلاً أو امرأة ... فالتَّفريق بينهما في جواز استخدام الدُّفِّ مجانب للصَّواب ...

وَعَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ ، يَقُولُ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللهُ سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّىٰ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلاَّ فَلاَ . فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا ، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ ، إِنِّي كُنْتُ جَالِساً وَهِيَ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ " . أخرجه الترمذي (٦/ ٦٢ برقم ٣٦٩٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ) .

ووجه الدِّلالة من هذا الحديث : أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الجارية بالوفاء بنذرها ، ولو كان نذرها بالضَّرب بالدَّفِّ معصية لما حكم بإنفاذه ، ولمنعها منه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذ لا نذر في المعصية ، لِقَوْلِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ " . أخرجه البخاري (٨/ ١٤٢ برقم ٦٦٩٦) ، ابن ماجة (١/ ٦٨٧ برقم ٢١٢٦) ، أبو داود (٣/ ٢٣٢ برقم ٣٢٨٩) ، الترمذي (٣/ ١٥٧ برقم ١٥٢٦) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٤٤٨ برقم ٤٧٢٩) ، السنن الصغرىٰ (٧/ ١٧ برقم ٣٨٠٦) ، الدارمي (٣/ ١٥٠٨ برقم ٢٣٨٣) ، مالك في الموطأ (٢/ ٤٧٦ برقم ٨) ، إسحاق بن راهويه في المسند (٢/ ٣٩١ برقم ٩٤٤) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٣٥٢ برقم ٢٢٤١) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٢ برقم ٥٨٥١) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ٣٦٠ برقم ٤١٦٥) ، ابن حبان (١٠/ ٢٣٣ برقم ٤٣٨٧) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٢٦٤ برقم ٦٣٦٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

(٦/ ٣٤٦) ، ابن بشران في الأمالي (ص٣١٤ برقم ٧٢٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٩١ برقم ٤٠٤٠) ، السنن الصغير (٤/ ١١١ برقم ٣١٩٤) ، السنن الكبرىٰ (٩/ ٣٨٧ برقم ١٨٨٥٢) ، معرفة السنن والآثار (١٤/ ١٩٦ برقم ١٩٦٣٢) .

فدلَّ إذنه لها بالضَّرب بالدَّفِّ علىٰ جوازه ... ولا غضاضة البتَّة في قياس كلِّ فرح وسرور وحبور علىٰ ذلك ...

وعَنْ محمَّد بْنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَصْلٌ بَيْنَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ ، الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ " . أخرجه أحمد في المسند (٢٤/ ١٨٩ برقم ١٥٤٥١ ، وحسَّنه الأرنؤوط في تخريجه له) ، ابن ماجة (١/ ٦١١ برقم ١٨٩٦) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ١١٣٨ برقم ١٤٨٢) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٧/ ٤٧٢ برقم ١٤٦٩٤) .

قال الإمام القاري في شرحه للحديث : " أَيْ : فَرَّقَ بَيْنَهُمَا (الصَّوْتُ) ، أَيْ : الذِّكْرُ وَالتَّشْهِيرُ بَيْنَ النَّاس (وَالدُّفُّ) ، أَيْ : ضَرَبَهُ (فِي النِّكَاحِ) ، فَإِنَّهُ يَتِمُّ بِهِ الْإِعْلَانُ ، قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ : " لَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي النِّكَاحِ إِلَّا هَذَا الْأَمْرُ ، فَإِنَّ الْفَرْقَ يَحْصُلُ بِحُضُورِ الشُّهُودِ عِنْدَ الضِّدِّ ، بَلِ الْمُرَادُ التَّرْغِيبُ إِلَىٰ إِعْلَانِ أَمْرِ النِّكَاحِ ، بِحَيْثُ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْأَبَاعِدِ ، فَالسُّنَّةُ إِعْلَانُ النِّكَاحِ بِضَرْبِ الدُّفِّ وَأَصْوَاتِ الْحَاضِرِينَ بِالتَّهْنِئَةِ أَوِ النَّغْمَةِ فِي إِنْشَادِ الشِّعْرِ الْمُبَاحِ ، وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ : مَعْنَاهُ : إِعْلَانُ النِّكَاحِ وَاضْطِرَابُ الصَّوْتِ بِهِ وَالذِّكْرُ فِي النَّاس كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ قَدْ ذَهَبَ صَوْتُهُ فِي النَّاس ، وَبَعْضُ النَّاس يَذْهَبُ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاعِ ، وَهَذَا خَطَأٌ يَعْنِي السَّمَاعَ الْمُتَعَارَفَ بَيْنَ النَّاس الْآنَ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه) ، وَكَذَا الْحَاكِمُ بِلَفْظِ : " فَصَلَ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ : ضَرْبُ الدُّفِّ ، وَالصَّوْتِ فِي النِّكَاحِ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢٠٧٣) .

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ خَالِدُ بْنُ ذَكْوَانَ ، قَالَ : قَالَتِ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ : جَاءَ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ ، فَجَلَسَ عَلَىٰ فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي ، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا ، يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَال : " دَعِي هَذِهِ ، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ " . أخرجه البخاري (٧/ ١٩ برقم ٥١٤٧) .

" قال المهلَّب : السنَّة إعلان النّكاح بالدُّفّ والغناء المباح ؛ ليكون ذلك فرقاً بينه وبين السِّفاح الذىٰ يستسر به . وفيه : إقبال العالم والإمام إلىٰ العرس وإن كان فيه لعب ولهو ما لم يخرج اللهو عن المباحات فيه " . انظر : شرح صحيح البخارىٰ ، ابن بطال (٧/ ٢٦٣) .

وَرَوَىٰ الطَبَرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هَبَّارٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : زَوَّجَ هَبَّارٌ ابْنَتَهُ فَضَرَبَ فِي عُرْسِهَا بِالْكَبَرِ وَالْغِرْبَالِ فَسَمِعَ ذَلِكَ ، رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " مَا هَذَا ؟ قَالُوا : زَفَّ هَبَّارُ ابْنَتَهُ فَضَرَبَ فِي عُرْسِهَا بِالْكَبَرِ وَالْغِرْبَالِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أشيدوا النِّكَاحَ ، أشيدوا النِّكَاحَ ، هَذَا نِكَاحٌ لَا سفاحٌ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٠١ برقم ٥٢٩) .

ومعنىٰ قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أشيدوا النِّكاح " ، أي : أعلموه وأشهروا أمره ندباً " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي (١/ ٥٢٧) .

وإشهار النِّكاح في الإسلام ليس مقصوراً علىٰ النِّساء ... بل إنَّ إشهاره من قِبَل الرِّجال أهمُّ من إشهاره من قِبَل النِّساء ... لأنَّ الأصل في النِّساء أن تكون أغلب أوقاتهنَّ في البيت ... وإذا علمت النِّساء بأمر النِّكاح دون الرِّجال ، فقد يؤدِّي ذلك إلىٰ إلحاق الإثم بالرِّجال إذا ما رأوا فتاة مع إنسان الأصل فيه أن يكون أجنبيَّاً بالنِّسبة لها .... لكنَّ هذا سيزول إذا ما شهدوا إعلان وإشهار النِّكاح ...

وروىٰ النَّسائي وغيره بسندهم عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَىٰ قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ فِي عُرْسٍ ، وَإِذَا جَوَارٍ يَتغَنَّيْنَ ، قُلْتُ : أَنْتُمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْلُ بَدْرٍ يَفْعَلُ هَذَا عِنْدَكُمْ قَالَا : اجْلِسْ إِنْ شِئْتَ فَاسْمَعْ مَعَنَا ، وَإِنْ شِئْتَ فَاذْهَبْ فَإِنَّهُ قَدْ رُخِّصَ لَنَا فِي اللهْوِ عِنْدَ الْعُرْسِ " . أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (٥/ ٢٤١ برقم ٥٥٣٩) ، السنن الصغرىٰ (٦/ ١٣٥ برقم ٣٣٨٣) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (١/ ١٨٣ برقم ٣٤٨) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٤٩٥ برقم ١٦٤٠٥) .

وروىٰ ابن ماجه ، والخلَّال ، والطَّحاوي ، والبيهقي بسندهم عن شَرِيكٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : شَهِدَ عِيَاضٌ الْأَشْعَرِيُّ عِيداً بِالْأَنْبَارِ ، فَقَالَ : مَا لِي لَا أَرَاكُمْ تُقَلِّسُونَ كَمَا كَانَ يُقَلَّسُ عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . أخرجه ابن ماجه (١/ ٤١٣ برقم ١٣٠٢) ، الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٦٠) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ١٢٧ برقم ١٤٨٤) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٣٦٩ برقم ٢٠٩٧٨) .

قال الإمام البيهقي : " قَالَ يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ : التَّقْلِيسُ أَنْ تَقْعُدَ الْجَوَارِي وَالصِّبْيَانُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ الطُّرُقِ ، يَلْعَبُونَ بِالطَّبْلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ " . انظر : السنن الكبرىٰ (١٠/ ٣٦٩) .

وروىٰ سعيد بن منصور ، قال : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، نا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ محمَّد الدَّرَاوَرْدِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَبِيعَةَ ، يَقُولُ : سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَوْتَ كَبَرٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : نِكَاحٌ ، فَقَالَ : أَفْشُوا النِّكَاحَ . أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١/ ٢٠٢ برقم ٦٣٠) .

وقال سعيد بن منصور أيضاً : " حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، قَالَ : نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ صُهَيْبٍ ، عَنْ محمَّد بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، قَالَ : لَقَدْ ضُرِبَ بِالدُّفِّ وَغُنِّيَ عَلَىٰ رَأْسِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَوْفٍ لَيْلَةَ الْمِلَاكِ . أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١/ ٢٠٢ برقم ٦٣١) .

وليلة المِلَاك ... هي ليلة عقد النِّكاح والتَّزويج ...

وروىٰ ابن سعد بسنده عن عِمْرَانُ بْنُ محمَّد بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي غَنِيمَةُ جَارِيَةُ سَعِيدٍ ، قَالَتْ : كَانَ سَعِيدٌ لاَ يَأْذَنُ لِابْنَتِهِ فِي اللَّعِبِ بِبَنَات الْعَاجِ ، وَكَانَ يُرَخِّصُ لَهَا فِي الْكَبَرِ يَعْنِي الطَّبْلَ . انظر : الطبقات الكبير ، محمَّد بن سعد بن منيع الزهري (٧/ ١٣٤) .

وروىٰ ابن عساكر بسنده عن الشَّعبي عن عياض الأشعري : أنَّه شهد عيداً بالأنبار ، وقال : ما لي لا أراهم يقلسون كما كانوا يقلسون علىٰ عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!! قال البغوي : عياض بن عمرو الأشعري سكن الكوفة ، ويشكُّ في صحبته ، وأمَّا حديث يوسف فأخبرناه أبو عبد الله محمَّد بن غانم ، أنا عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إسحاق ، أنا أبي ، أنا محمَّد بن عبد الله بن يوسف العماني ، نا محمَّد بن إبراهيم بن شعبة . وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور ، نا وأبو منصور محمَّد بن عبد الملك ، أنبأ أبو بكر الخطيب ، أنا علي بن محمَّد بن عبد الله المعدل ، أنا دعلج بن أحمد ، نا أبو عبد الله البوشنجي ، قال : نا يوسف بن عدي ، نا شريك عن مغيرة عن الشَّعبي ، قال : شهد أو شهدت عيداً بالأنبار ، فقال : يعني عياضاً الأشعري : ما لي لا أراكم تقلسون ؟!! كانوا في زمان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلونه . قال يوسف بن عدي : التَّقليس : أن يقعد الجواري والصِّبيان علىٰ أفواه الطُّرق ، يلعبون بالطَّبل ، وغير ذلك . واللفظ لحديث دعلج ولابن منده . انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (١٩/ ٢١٢) .

رَابِعَاً : أَقْوَالُ أَهْلِ العِلْمِ فِي جَوَازِ اسْتِخْدَامِ الدُّفِّ مِنْ قِبَلِ الرِّجَال :

قال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " وَضَرْبُ الدُّفِّ فِي الْعُرْسِ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٠/ ١٨٠) .

وكلام ابن عبد البر مُطلق ، لم يقصره علىٰ النِّساء ...

وقال الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشّيرازي (٤٧٦هـ) : "ويجوز ضرب الدُّفّ في العرس والختان دون غيرهما ، لما روي عن النّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال : " أعلنوا النّكاح واضربوا عليه بالدُّف " . انظر : المهذب في فقة الإمام الشّافعي (٣/ ٤٤٢) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " العارض الثّاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشّرف أو المخنّثين ، وهي : المزامير ، والأوتار ، وطبل الكوبة .

فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة ، وما عدا ذلك يبقىٰ علىٰ أصل الإباحة ، كالدُّف وإن كان فيه الجلاجل ، وكالطَّبل ، والشَّاهين ، والضَّرب بالقضيب ، وسائر الآلات " . انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٨٢) .

وقال الإمام القاضي محمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (٥٤٣هـ) : " أَمَّا طَبْلُ الْحَرْبِ فَلَا حَرَجَ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ يُقِيمُ النُّفُوسَ ، وَيُرْهِبُ عَلَىٰ الْعَدُوِّ . وَأَمَّا طَبْلُ اللَّهْوِ فَهُوَ كَالدُّفِّ . وَكَذَلِكَ آلَاتُ اللَّهْوِ الْمُشْهِرَةُ لِلنِّكَاحِ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهَا فِيهِ ، لِمَا يَحْسُنُ مِنْ الْكَلَامِ، وَيَسْلَمُ مِنِ الرَّفَثِ ... وَلَمْ يَجُزْ الدُّفُّ فِي الْعُرْسِ لِعَيْنِهِ ، وَإِنَّمَا جَازَ ؛ لِأَنَّهُ يُشْهِرُهُ ، فَكُلُّ مَا أَشْهَرَهُ جَازَ .

وَقَدْ بَيَّنَّا جَوَازَ الزَّمْرِ فِي الْعُرْسِ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ : أَمِزْمَارُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ فَقَالَ : " دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ " ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ انْكِشَافُ النِّسَاءِ لِلرِّجَالِ وَلَا هَتْكُ الْأَسْتَارِ ، وَلَا سَمَاعُ الرَّفَثِ ، فَإِذَا خَرَجَ ذَلِكَ إلَىٰ مَا لَا يَجُوزُ مُنِعَ مِنْ أَوَّلِهِ ، وَاجْتُنِبَ مِنْ أَصْلِهِ " . انظر : أحكام القرآن (٣/ ٥٢٦–٥٢٧) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " ويجوز دف لعرس وختان ، وكذا غيرهما في الأصحِّ ، وإن كان فيه جلاجل " . انظر : منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه (ص٣٤٥) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " أَمَّا الدُّفُّ ، فَضَرْبُهُ مُبَاحٌ فِي الْعُرْسِ وَالْخِتَانِ ، وَأَمَّا فِي غَيْرِهِمَا ، فَأَطْلَقَ صَاحِبُ " الْمُهَذَّبِ " ، وَالْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا تَحْرِيمَهُ ، وَقَالَ الْإِمَامُ وَالْغَزَالِيُّ : حَلَالٌ : وَحَيْثُ أَبَحْنَاهُ هُوَ فِيمَا إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُلَاجِلُ ، فَإِنْ كَانَ ، فَالْأَصَحُّ حِلُّهُ أَيْضاً . وَلَا يَحْرُمُ ضَرْبُ الطُّبُولِ إِلَّا الْكُوبَةَ ، وَهُوَ طَبْلٌ طَوِيلٌ مُتَّسِعُ الطَّرَفَيْنِ ضَيِّقُ الْوَسَطِ ، وَهُوَ الَّذِي يَعْتَادُ ضَرْبَهُ الْمُخَنَّثُونَ ، وَالطُّبُولُ الَّتِي تُهَيَّأُ لِمَلَاعِبِ الصِّبْيَانِ إِنْ لَمْ تَلْحَقْ بِالطُّبُولِ الْكِبَارِ ، فَهِيَ كَالدُّفِّ ، وَلَيْسَتْ كَالْكُوبَةِ بِحَالٍ " . انظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين (١١/ ٢٢٨) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣ هـ) : " ... ثُمَّ قِيلَ الْخِلَافُ فِي الدُّفِّ وَالطَّبْلِ اللَّذَيْنِ يُضْرَبَانِ لِلَّهْوِ ، وَأَمَّا الدُّفُّ وَالطَّبْلُ اللَّذَانِ يُضْرَبَانِ فِي الْعُرْسِ أَوْ الْغَزْوِ فَيَضْمَنُ بِالِاتِّفَاقِ " . انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدِّين الزيلعي الحنفي (٥/ ٢٣٨) ، الحاشية : شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدِّين (٨٨٤هـ) : " قَالَ أَحْمَدُ : يُسْتَحَبُّ أَنْ يَظْهَرَ النِّكَاحُ ، وَيُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ ، حَتَّى يُشْتَهَرَ وَيُعْرَفَ ، قِيلَ : مَا الدُّفُّ ؟ قَالَ : هَذَا الدُّفُّ ، قِيلَ لَهُ - فِي رِوَايَةِ جَعْفَرٍ - : يَكُونُ فِيهِ جَرَسٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ أَحْمَدُ : يُسْتَحَبُّ ضَرْبُ الدُّفِّ ، وَالصَّوْتُ فِي الْأَمْلَاكِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ ، وَيَتَحَدَّثُ ، وَيَظْهَرُ ، وَلَا بَأْسَ بِالْغَزَلِ فِيهِ ، كَقَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلام - لِلْأَنْصَارِ : " أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ " .

وَإِنَّمَا يُسْتَحَبُّ الضَّرْبُ بِهِ لِلنِّسَاءِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي " الْوَجِيزِ " ، وَظَاهِرُ نَصِّهِ ، وَكَلَامُ الْأَصْحَابِ يَدُلُّ عَلَىٰ التَّسْوِيَةِ ، قِيلَ لَهُ : فِي رِوَايَةِ الْمَرُّوذِيِّ مَا تَرَىٰ لِلنَّاسِ الْيَوْمَ تُحَرِّكُ الدُّفَّ فِي إِمْلَاكٍ أَوْ بِنَاءٍ بِلَا غِنَاءٍ فَلَمْ يَكْرَهْ ذَلِكَ ، وَخِتَانٌ وَقُدُومُ غَائِبٍ مِثْلُهُ ، نَصَّ عَلَيْهِ " . انظر : المبدع في شرح المقنع (٦/ ٢٣٩-٢٤٠) .

وقال الإمام علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدِّمشقي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) : " قَوْلُهُ : (وَيُسْتَحَبُّ إعْلَانُ النِّكَاحِ وَالضَّرْبُ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ) . إعْلَانُ النِّكَاحِ مُسْتَحَبٌّ بِلَا نِزَاعٍ . وَكَذَا يُسْتَحَبُّ الضَّرْبُ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ ، نَصَّ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ الْأَصْحَابُ . وَاسْتَحَبَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَيْضاً : الصَّوْتَ فِي الْعُرْسِ ، وَنَقَلَ حَنْبَلٌ : لَا بَأْسَ بِالصَّوْتِ وَالدُّفِّ فِيهِ . قَالَ فِي الرِّعَايَة فِي بَابِ بَقِيَّةِ مَنْ تَصِحُّ شَهَادَتُهُ : وَيُبَاحُ الدُّفُّ فِي الْعُرْسِ . انْتَهَىٰ

تَنْبِيهٌ :

ظَاهِرُ قَوْلِهِ : " وَالضَّرْبُ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ " أَنَّه سَوَاءً كَانَ الضَّارِبُ رَجُلاً ، أَوْ امْرَأَةً . وَقَالَ فِي الْفُرُوعِ : وَظَاهِرُ نُصُوصِهِ ، وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ : التَّسْوِيَةُ . قِيلَ لَهُ فِي رِوَايَةِ الْمَرُّوذِيِّ : مَا تَرَىٰ النَّاس الْيَوْمَ ، تُحَرِّكُ الدُّفَّ فِي أَمْلَاكٍ ، أَوْ بِنَاءٍ، بِلَا غِنَاءٍ ؟ فَلَمْ يَكْرَهْ ذَلِكَ . وَقِيلَ لَهُ فِي رِوَايَةِ جَعْفَرٍ : يَكُونُ فِيهِ جَرَسٌ ؟ قَالَ : لَا . وَقَالَ الْمُصَنِّفُ : ضَرْبُ الدُّفِّ مَخْصُوصٌ بِالنِّسَاءِ . قَالَ فِي الرِّعَايَةِ : وَيُكْرَهُ لِلرِّجَالِ مُطْلَقاً .

فَائِدَتَانِ :

إِحْدَاهُمَا : ضَرْبُ الدُّفِّ فِي نَحْوِ الْعُرْسِ كَالْخِتَانِ ، وَقُدُومِ الْغَائِبِ وَنَحْوِهِمَا كَالْعُرْسِ . نَصَّ عَلَيْهِ. وَقَدَّمَهُ فِي الْفُرُوعِ . وَقِيلَ : يُكْرَهُ . قَالَ الْمُصَنِّفُ – ابن قدامة –، وَغَيْرُهُ : أَصْحَابُنَا كَرِهُوا الدُّفَّ فِي غَيْرِ الْعُرْسِ . وَكَرِهَهُ الْقَاضِي ، وَغَيْرُهُ : فِي غَيْرِ عُرْسٍ وَخِتَانٍ . وَيُكْرَهُ لِرَجُلٍ ، لِلتَّشَبُّهِ . قَالَ فِي الرِّعَايَةِ ، وَقِيلَ : يُبَاحُ فِي الْخِتَانِ . وَقِيلَ : وَكُلِّ سُرُورٍ حَادِثٍ " . انظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٨/ ٣٤١-٣٤٢) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي (٩٢٦هـ) : " (وَضَرْبُ الدُّفِّ) بِضَمِّ الدَّالِ أَشْهَرُ مِنْ فَتْحِهَا (مُبَاحٌ فِي الْعُرْسِ وَالْخِتَانِ وَغَيْرِهِمَا) مِمَّا هُوَ سَبَبٌ لِإِظْهَارِ السُّرُورِ ، كَعِيدٍ وَقُدُومِ غَائِبٍ ، (وَلَوْ كَانَ بِجَلَاجِلَ) لِأَخْبَارٍ وَرَدَتْ بِحِلِّ الضَّرْبِ بِهِ ، كَخَبَرِ : " فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الضَّرْبُ بِالدُّفِّ " ، وَخَبَرِ : " أَنَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا رَجَعَ إلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعْضِ مَغَازِيهِ جَاءَتْهُ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي نَذَرْت إنْ رَدَّك اللهُ سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْك بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّىٰ ، فَقَالَ لَهَا : "إنْ كُنْت نَذَرْت فَأَوْفِ بِنَذْرِك " ، رَوَاهُمَا ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحُوهُمَا . وَتَرْجِيحُ الْإِبَاحَةِ فِي غَيْرِ الْعُرْسِ وَالْخِتَانِ مِنْ زِيَادَةِ الْمُصَنِّفِ ، وَصَرَّحَ بِهِ الْمِنْهَاجُ كَأَصْلِهِ ، وَالْمُرَادُ بِالْجَلَاجِلِ : الصُّنُوجُ جَمْعُ صَنْجٍ ، وَهُوَ الْحِلَقُ الَّتِي تُجْعَلُ دَاخِلَ الدُّفِّ وَالدَّوَائِرِ الْعِرَاضِ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ صُفْرٍ وَتُوضَعُ فِي خُرُوقِ دَائِرَةِ الدُّفِّ " . انظر : أسنىٰ المطالب في شرح روض الطالب (٤/ ٣٤٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالحطَّاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) : " ... وَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ النَّقْلُ عَنْهُ يَعْنِي مِنْ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ أَطْلَقُوا الْقَوْلَ وَلَمْ يَفْصِلُوا بَيْنَ الْجَلَاجِلِ وَغَيْرِهِ ، وَبَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَذَهَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ إلَىٰ جَوَازِ الدُّفِّ وَالْكَبَرِ وَالْمِزْهَرِ فِي الْعُرْسِ إلَّا لِلْجَوَارِي الْعَوَاتِقِ فِي بُيُوتِهِنَّ وَمَا أَشْبَهَهُنَّ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ مُطْلَقاً ، وَيَجْرِي لَهُنَّ مَجْرَىٰ الْعُرْسِ إذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ ، ذَكَرَهُ فِي مُؤَلَّفِهِ فِي السَّمَاعِ " . انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤/ ٧) .

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) : " وَفِي الذَّخِيرَةِ وَغَيْرِهَا : لَا بَأْسَ بِضَرْبِ الدُّفِّ فِي الْعُرْسِ وَالْوَلِيمَةِ وَالْأَعْيَادِ ، وَكَذَا لَا بَأْسَ بِالْغِنَاءِ فِي الْعُرْسِ وَالْوَلِيمَةِ وَالْأَعْيَادِ حَيْثُ لَا فِسْقَ " . انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ابن نجيم المصري (٨/ ٢١٥) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري أيضاً : " وَلَا بَأْسَ بِضَرْبِ الدُّفِّ فِي الْعُرْسِ .

وَسُئِلَ أَبُو يُوسُفَ عَنْ الدُّفِّ فِي غَيْرِ الْعُرْسِ بِأَنْ تَضْرِبَ الْمَرْأَةُ فِي غَيْرِ فِسْقٍ لِلصَّبِيِّ ، قَالَ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ " . انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ابن نجيم المصري ، (٨/ ٢٣٦) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " (وَيَجُوزُ دُفٌّ) بِضَمِّ الدَّالِ أَشْهَرُ مِنْ فَتْحِهَا ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَدْفِيفِ الْأَصَابِعِ عَلَيْهِ (لِعُرْسٍ) لِمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا – أَنَّ النَّبِي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ ، وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفِّ " ، (وَ) يَجُوزُ (خِتَانٌ) لِمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – " أَنَّه كَانَ إذَا سَمِعَ صَوْتَ دُفٍّ بَعَثَ ، فَإِنْ كَانَ فِي النِّكَاحِ أَوْ الْخِتَانِ سَكَتَ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِمَا عَمِلَ بِالدِّرَّةِ " ، (وَكَذَا غَيْرُهُمَا) ، أَيْ : الْعُرْسِ وَالْخِتَانِ مِمَّا هُوَ سَبَبٌ لِإِظْهَارِ السُّرُورِ كَوِلَادَةٍ ، وَعِيدٍ ، وَقُدُومِ غَائِبٍ ، وَشِفَاءِ مَرِيضٍ (فِي الْأَصَحِّ) ، لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ : " أَنَّ النَّبِي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا رَجَعَ الْمَدِينَةَ مِنْ بَعْضِ مَغَازِيهِ جَاءَتْهُ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي نَذَرْت إنْ رَدَّك اللَّهُ سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْك بِالدُّفِّ ، فَقَالَ لَهَا : إنْ كُنْت نَذَرْت فَأَوْفِ بِنَذْرِك " ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يُرَادُ بِهِ إظْهَارُ السُّرُورِ . قَالَ الْبَغَوِيّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ : يُسْتَحَبُّ فِي الْعُرْسِ ، وَالْوَلِيمَةِ ، وَوَقْتِ الْعَقْدِ ، وَالزِّفَافِ . وَالثَّانِي : الْمَنْعُ لِأَثَرِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – الْمَارِّ . وَاسْتَثْنَى الْبُلْقِينِيُّ مِنْ مَحَلِّ الْخِلَافِ ضَرْبَ الدُّفِّ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ مِنْ قُدُومِ عَالِمٍ أَوْ سُلْطَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، (وَإِنْ كَانَ) (فِيه) ، أَيْ : الدُّفِّ (جَلَاجِلُ) لِإِطْلَاقِ الْخَبَرِ ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ بِجَلَاجِلَ فَعَلَيْهِ الْإِثْبَاتُ .

تَنْبِيهٌ : لَمْ يُبَيِّنْ الْمُصَنِّفُ الْمُرَادَ بِالْجَلَاجِلِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدَّمِ : الْمُرَادُ بِهِ الصُّنُوجُ : جَمْعُ صَنْجٍ ، وَهِيَ الْحِلَقُ الَّتِي تُجْعَلُ دَاخِلَ الدُّفِّ ، وَالدَّوَائِرُ الْعِرَاضُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ صُفْرٍ وَتُوضَعُ فِي خُرُوقِ دَائِرَةِ الدُّفِّ ، وَلَا فَرْقَ فِي الْجَوَازِ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ كَمَا يَقْتَضِيه إطْلَاقُ الْجُمْهُورِ خِلَافاً لِلْحَلِيمِيِّ فِي تَخْصِيصِهِ لَهُ بِالنِّسَاءِ ". انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٦/ ٣٤٩) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهُّوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " (وَيُسَنُّ إِعْلَانُ نِكَاحٍ وَ) يُسَنُّ (ضَرْبٌ عَلَيْهِ بِدُفٍّ مُبَاحٍ) ، وَهُوَ مَا لَا حَذَقَ فِيهِ وَلَا صُنُوجَ (فِيه) ، أَيْ : النِّكَاحِ لِحَدِيثِ : " أَعْلِنُوا النِّكَاحَ " .

وَفِي لَفْظٍ : " أَظْهِرُوا النِّكَاحَ " ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ .

وَفِي لَفْظٍ : " وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْغِرْبَالِ " ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَظَاهِرُهُ سَوَاءٌ كَانَ الضَّارِبُ رَجُلاً أَوْ امْرَأَةً وَهُوَ ظَاهِرُ نُصُوصِهِ ، وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ ، وَقَالَ الْمُوَفَّقُ : ضَرْبُ الدُّفِّ مَخْصُوصٌ بِالنِّسَاءِ .

وَفِي الرِّعَايَةِ يُكْرَهُ لِلرِّجَالِ مُطْلَقاً ، وَقَالَ أَحْمَدُ لَا بَأْسَ بِالْغَزْلِ فِي الْعُرْسِ لِقَوْلِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ :

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُـــــمْ　　فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُـــمْ

لَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَـرُ　　لَمَا حَلَّتْ بِوَادِيكُـمْ

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ　　مَا سُرَّتْ عَذَارِيكُمْ

لَا عَلَى مَا يَصْنَعُ النَّاس الْيَوْمَ ، وَفِي غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ :

وَلَوْلَا الْحِنْطَةُ الْحَمْرَا　　لِمَا سُرَّتْ عَذَارِيكُمْ

وَتَحْرُمُ كُلُّ مَلْهَاةٍ سِوَى الدُّفِّ " . انظر : دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات ، البهوتي الحنبلي (٣/ ٣٩) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) أيضاً : " (يُسَنُّ إِعْلَانُ) ، أَيْ : إِظْهَارُ (النِّكَاحِ وَالضَّرْبِ عَلَيْهِ بِدُفٍّ لَا حِلَقَ فِيهِ وَلَا صُنُوجَ لِلنِّسَاءِ) ، لِمَا رَوَى محمَّد بْنِ حَاطِبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الصَّوْتُ وَالدُّفُّ فِي النِّكَاحِ " ، رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضاً : يُسْتَحَبُّ ضَرْبُ الدُّفِّ وَالصَّوْتِ فِي الْأَمْلَاكِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ وَيَتَحَدَّثُ وَيَظْهَرُ .

(وَيُكْرَهـ) الضَّرْبُ بِالدُّفِّ (لِلرِّجَالِ) مُطْلَقاً قَالَهُ فِي الرِّعَايَةِ .

وَقَالَ الْمُوَفَّقُ : ضَرْبُ الدُّفِّ مَخْصُوصٌ بِالنِّسَاءِ ، قَالَ فِي الْفُرُوعِ : وَظَاهِرُ نُصُوصِهِ وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ التَّسْوِيَةُ (وَتَقَدَّمَ بَعْضُهُ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ وَلَا بَأْسَ بِالْغَزَلِ فِي الْعُرْسِ) ، لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

لِلْأَنْصَارِ : " أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ لَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ لَمَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ وَلَوْلَا الْحِنْطَةُ السَّوْدَاءُ مَا سُرَّتْ عَذَارِيكُمْ " ، لَا عَلَىٰ مَا يَصْنَعُهُ النَّاس الْيَوْمَ (وَضَرْبُ الدُّفِّ فِي الْخِتَانِ وَقُدُومِ الْغَائِبِ وَنَحْوِهِمَا) ، كَالْوِلَادَةِ ، (كَالْعُرْسِ) لِمَا فِيهِ مِنْ السُّرُورِ " . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٥/ ١٨٣) .

وقال الإمام أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنَّا ، شهاب الدِّين النَّفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) : " ... وَيُسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ : الْغِرْبَالُ وَهُوَ الدُّفُّ الْمَعْرُوفُ بِالطَّارِّ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُهُ وَسَمَاعُهُ فِي النِّكَاحِ .

قَالَ خَلِيلٌ مُخْرِجاً مِنْ الْكَرَاهَةِ (لَا الْغِرْبَالَ وَلَوْ لِرَجُلٍ) ، وَظَاهِرُ كَلَامِ خَلِيلٍ مُوَافِقٌ لِإِطْلَاقِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَوْ كَانَ فِيهِ جَلَاجِلُ أَوْ صَرَاصِيرُ كَمَا فِي الْأُجْهُورِيِّ ، وَأَمَّا الْكَبَرُ وَهُوَ الطَّبْلُ الْكَبِيرُ وَالْمِزْهَرُ فَفِيهِمَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَشَارَ إلَيْهَا خَلِيلٌ بِقَوْلِهِ : وَفِي الْكَبَرِ وَالْمِزْهَرِ ، ثَالِثُهَا : يَجُوزُ فِي الْكَبَرِ ابْنُ كِنَانَةَ وَتَجُوزُ الزَّمَّارَةُ وَالْبُوقُ ، وَظَاهِرُ كَلَامِ خَلِيلٍ وَغَيْرِهِ الْمَنْعُ فِي غَيْرِ الْعُرْسِ لِخَبَرِ : " كُلُّ لَهْوٍ يَلْهُو بِهِ الْمُؤْمِنُ بَاطِلٌ إلَّا مُلَاعَبَةَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ ، وَرَمْيَهُ عَنْ قَوْسِهِ " ، وَالْبَاطِلُ خِلَافُ الْحَقِّ ، فَيَكُونُ مَنْهِيّاً عَنْهُ ، وَالْأَصْلُ فِي النَّهْيِ التَّحْرِيمُ .

وَبَحَثَ الْغَزَالِيُّ فِي الِاسْتِدْلَال بِهَذَا الْخَبَرِ عَلَىٰ حُرْمَةِ سَمَاعِ الْمَلَاهِي ، إذْ غَايَةُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ سَمَاعِهَا عَدَمُ الْفَائِدَةِ . وَيُؤَيِّدُ بَحْثَ الْغَزَالِيِّ قَوْلُ الْفَاكِهَانِيِّ مِنْ عُلَمَائِنَا : لَا أَعْلَمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةً صَرِيحَةً وَلَا فِي السُّنَّةِ حَدِيثاً صَحِيحاً صَرِيحاً فِي تَحْرِيمِ الْمَلَاهِي ، وَإِنَّمَا هِيَ ظَوَاهِرُ وَعُمُومَاتٌ تُوهِمُ الْحُرْمَةَ لَا أَدِلَّةٌ قَطْعِيَّةٌ " . انظر : الفواكه الدواني علىٰ رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، شهاب الدِّين النفراوي الأزهري المالكي (٢/ ٢٩٨) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن مصطفىٰ بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) : " (وَجَمِيعُ الْمَعَازِفِ) قِيلَ عَنْ الْجَوْهَرِيِّ (وَ) هِيَ (الْمَلَاهِي إلَّا الدُّفَّ بِلَا جَلَاجِلَ فِي لَيْلَةِ الْعُرْسِ) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ، أَيْ : الزِّفَافِ لِقَوْلِهِ – صَلَّىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَعْلِنُوا بِالزِّفَافِ وَلَوْ بِالدِّفَافِ ، (وَإِلَّا طَبَلَ الْغُزَاةِ) ، لِأَنَّ فِيهِ إعْلَامَ وَقْتِ النُّزُولِ وَالِارْتِحَالِ وَتَشْجِيعَ الْغُزَاةِ عَلَىٰ الْحَرْبِ ، أَعَادَ أَدَاةَ الِاسْتِثْنَاءِ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ خِلَافُ الْمُرَادِ بِعَطْفِهِ عَلَىٰ الْمَعَازِفِ " . انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفىٰ بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (٤/ ٧٩) .

وقال الإمام أبو الحسن ، علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) : " (قَوْلُهُ : إلَّا الدُّفَّ فِي النِّكَاحِ) ، أَيْ : الْمَعْرُوفُ بِالطَّارِّ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُهُ وَسَمَاعُهُ فِي النِّكَاحِ ، وَلَوْ لِرَجُلٍ ، وَظَاهِرُ كَلَامِ خَلِيلٍ مُوَافِقٌ لِإِطْلَاقِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ جَلَاجِلُ وَصَرَاصِيرُ " . انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٢/ ٤٣٣)

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (١١٩٢هـ) : " وَسُنَّ إعلان نِكَاح ، وَسُنَّ ضرب بدُفٍّ مُبَاح ، وَهُوَ مَا لَا حلق فِيهِ وَلَا صنوج ، فِيهِ ، أَي : النِّكَاح لحَدِيث : (أَعْلنُوا النِّكَاح) ، وَفِي لفظ (أظهرُوا النِّكَاح) ، وَكَانَ يحبُّ أَن يضْرب عَلَيْهِ بالدُّفِّ . وَفِي لفظ : " واضربوا عَلَيْهِ بالغربال " ، رَوَاهُمَا ابْن ماجة . وَظَاهر كَلَامه سَوَاء كَانَ الضَّارِب رجلاً أَو امْرَأَة . قَالَ فِي الْفُرُوع : وَظَاهر نصوصه وَكَلَام الْأَصْحَاب التَّسْوِيَة . وَمَشى عَلَيْهِ فِي الْمُنْتَهى . وَقَالَ الْموفَّق : ضرب الدُّفوف مَخْصُوص بِالنِّسَاء ، وَقطع بِهِ فِي الْإِقْنَاع . وَقَالَ فِي الرِّعَايَة : وَيكرهُ للرِّجَال مُطلقاً . انْتهى .

وَيُسنُّ ضربٌ بدُفٍّ مُبَاح فِي ختان وَنَحْوه ، كقدوم غَائِب ، وولادة ، وإملاك ، وَنَحْوه . فَائِدَة : يحرم كلّ ملهاة سوى الدُّف " . انظر : كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات ، عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (٢/ ٦١٩-٦٢٠) .

وقال الإمام أحمد بن أحمد بن أبي حامد العَدوي المالكي الأزهري الخَلْوَتِي ، الشَّهير بأحمد الدردير (١٢٠١هـ) : " (لَا الْغِرْبَالُ) ، أَيْ : الدُّفُّ الْمَعْرُوفُ بِالطَّارِّ ، وَهُوَ الْمُغْشِيُّ بِجَلْدٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَا يُكْرَهُ ، (وَلَوْ لِرَجُلٍ) ، بَلْ يُنْدَبُ فِي النِّكَاحِ " . انظر : الشرح الكبير للشيخ أحمد الدردير على مختصر خليل (٢/ ٣٣٩) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عرفة الدَّسوقي المالكي (١٢٣٠هـ) : " (قَوْلُهُ : لَا الْغِرْبَالُ) عَطْفٌ عَلَى فَاعِلِ كُرِهَ ، أَيْ : كُرِهَ نَثْرُ اللَّوْزِ لَا يُكْرَهُ الْغِرْبَالُ ، أَيْ : الطَّبْلُ بِهِ فِي الْعُرْسِ ، بَلْ يُسْتَحَبُّ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام : " أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفِّ " ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ الْعُرْسِ كَالْخِتَانِ وَالْوِلَادَةِ ، فَالْمَشْهُورُ عَدَمُ جَوَازِ ضَرْبِهِ ، وَمُقَابِلُ الْمَشْهُورِ جَوَازُهُ فِي كُلِّ فَرَحٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إنَّ ظَاهِرَ الْمُصَنِّفِ جَوَازُ الضَّرْبِ بِهِ فِي الْعُرْسِ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ صَرَاصِرَ ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ ، وَقِيلَ : مَحَلُّ الْجَوَازِ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ صَرَاصِرُ أَوْ جَرَسٌ ، وَإِلَّا حَرُمَ ، وَهُوَ مَا فِي الْمَدْخَلِ ، وَاعْتَمَدَ الْأَوَّلَ عج ، وَاعْتَمَدَ الثَّانِي اللَّقَانِيُّ ، كَذَا فِي عبق ، وَاعْتَرَضَهُ بْن بِأَنَّ الَّذِي نَقَلَهُ ح عَنْ الْقُرْطُبِيِّ ، وَصَاحِبُ الْمَدْخَلِ ، وَغَيْرُهُمَا ، حُرْمَةُ ذِي الصَّرَاصِرِ ، وَهُوَ الصَّوَابُ لِمَا فِيهَا مِنْ زِيَادَةِ الِاضْطِرَابِ .

(قَوْلُهُ : أَيْ : الدُّفُّ الْمَعْرُوفُ بِالطَّارِّ) . قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : هُوَ الْمُسَمَّىٰ عِنْدَنَا بِالْبُنْدِيرِ ، قَالَ بْن مُقْتَضَىٰ : كَلَامِهِ وَلَوْ كَانَ فِيهِ أَوْتَارٌ ، لِأَنَّهُ لَا يُبَاشِرُهَا بِالْقَرْعِ بِالْأَصَابِعِ ، كَالْعُودِ ، وَنَحْوِهِ مِنْ الْآلَاتِ الْوَتَرِيَّةِ . زَرُّوقٌ رَأَيْت أَهْلَ الدِّين بِبِلَادِنَا يَتَكَلَّمُونَ فِي أَوْتَارِهِ ، وَلَمْ أَقِفْ فِيهِ عَلَىٰ شَيْءٍ .

(قَوْلُهُ فَلَا يُكْرَهُ وَلَوْ لِرَجُلٍ) ، أَيْ : فَلَا يُكْرَهُ الطَّبْلُ بِهِ ، وَلَوْ كَانَ الطَّبْلُ بِهِ صَادِراً مِنْ رَجُلٍ خِلَافاً لِأَصْبَغَ الْقَائِلِ بِالْمَنْعِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ لِلنِّسَاءِ .

(قَوْلُهُ : وَهُوَ الطَّبْلُ الْكَبِيرُ إلَخْ) ، وَقِيلَ : أَنَّه الطَّبْلَخَانَا ، وَهُوَ طَبْلَانِ مُتَلَاصِقَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْمُسَمَّىٰ بِالنَّقْرَازَانِ ، وَقَالَ مَيَّارَةُ : هُوَ طَبْلٌ صَغِيرٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ مُجَلَّدٌ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِالدَّرَبُكَّةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : بِالْكُوبَةِ وَالْقُرْطُبَةِ . (قَوْلُهُ وَفِي كَرَاهَتِهِمَا إلَخْ) الْمُعْتَمَدُ مِنْ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ : أَوَّلُهَا ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ حَبِيبٍ . وَالْحَاصِلُ : أَنَّ الطَّبْلَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ يَجُوزُ فِي النِّكَاحِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ صَرَاصِرُ أَوْ وَلَوْ كَانَ فِيهِ عَلَىٰ مَا مَرَّ مِنْ الْخِلَافِ ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ النِّكَاحِ ، فَلَا يَجُوزُ شَيْءٌ مِنْهُ اتِّفَاقاً فِي غَيْرِ الدُّفِّ ، وَعَلَىٰ الْمَشْهُورِ بِالنِّسْبَةِ لِلدُّفِّ " . انظر : حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير ، محمَّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (٢/ ٣٣٩) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) : " (وماعدا ذلك يبقىٰ علىٰ أصل الإباحة كالدُّف) وهو بضمِّ الدَّال وفتحها لغتان مشهورتان ، ويعنىٰ به الدَّائر المفتوح ، أمَّا المغلوق فيسمَّىٰ مزهراً علىٰ ما حكي في كتب الفقهاء . قال بعض علماء الموسيقىٰ : أنَّه آلة كاملة تحكم علىٰ سائر الملاهي ، وتفتقر إليه جميع آلات الطرب ، إذ به تعرف الضّروب صحيحها وسقيمها ، ومنه تكمَّلت صورة الكرة الفلكيَّة علىٰ الوضع الصَّحيح ، لأنه بيكاري الصُّورة ، وادَّعوا أنَّه مركَّب علىٰ العناصر الأربعة ، قالوا : ولا نتبيَّن الفقرات الخفاف والثِّقال إلَّا به ، وهو الذي يوصل ويقطع ، وكلُّ ملهاة لا يحضرها الدُّفُّ فهي ضعيفة القوَّة .

وأمَّا حكم الضَّرب شرعاً : فقد اختلف العلماء فيه ، فقال الحافظ محمَّد بن طاهر : أنَّه سنَّة ، وأطلق قوله فيه ، وقيَّدت طائفة منهم بأنَّه سنَّة في العرس فقط ، وزاد آخرون : والختان ، وأنَّه يحرم في غيرهما .

وأورده البغوي في التَّهذيب ، والشَّاشي في الحلية ، وأبو إسحق في المهذَّب ، وبه قال صاحب البيان ، وابن أبي عصرون ، وابن درياس صاحب الاستقصاء ، وايراد المحاملي في البحر يقتضيه ، وكذلك الجرجاني في تحريره ، وسليم الرَّازي في المجرَّد ، وإليه أشار صاحب الذَّخائر ، ونقله ابن حمدان في الرِّعاية الكبرىٰ قولاً في مذهب أحمد ، وذهبت طائفة إلىٰ إباحته في العرس والختان ، وكراهته في غيرهما ، وهذا ما

أورده القاضي أبو الطيِّب في تعليقه ، وصاحب زوائد المهذَّب ، وذهبت طائفة إلىٰ إباحته في العرس ، واقتصروا علىٰ ذكره .

قال الحليمي في المنهاج : ويحتمل أن يكون المعنىٰ في تحريم الدُّفِّ في غير العرس أنَّه آلة لا يراد بها إلا إشراب اللهو في القلب ، وإيراد الحموي في شرح الوسيط يقتضيه . وحكي عن فتاوىٰ أبي الليث السَّمرقندي من الحنفيَّة : أنَّ ضرب الدُّفِّ في غير العرس مختلف بين العلماء ، قال بعضهم : يكره ، وقال بعضهم ، لا يكره ، وذهبت طائفة إلىٰ الإباحة مطلقاً ، وعليه جرىٰ إمام الحرمين ، والمصنِّف ، وحكاه العماد السَّهروردي عن بعض الأصحاب .

وقال القاضي أبو الطيِّب ، وابن الصبَّاغ عن بعض أصحاب الشَّافعي أيضاً : أنَّه قال : صحَّ حديث الأصحاب وقال القاضي أبو الطيب وابن الصباغ عن بعض أصحاب الشَّافعي أيضاً أنَّه قال : إن صحَّ حديث المرأة التي نذرت ، لم يكره في حال من الأحوال ، وذهبت طائفة إلىٰ إباحته في العرس ، والعيد وقدوم الغائب ، وكلّ سرور حادث ، وهذا ما اختاره المصنِّف في هذا الكتاب ، والقرطبي المالكي في كشف القناع ، لمَّا ذكر أحاديث تقتضىٰ المنع ، قال : وقد جاءت أحاديث تقتضي الإباحة في النِّكاح وأوقات السُّرور ، وتستثني هذه المواضع من المنع المطلق ، وحكاه ابن حمدان الحنبلي في الرِّعاية قولاً عندهم ، فقال : وقيل : يباح في كلِّ سرور حادث ، وذهبت طائفة من الشَّافعيَّة في العرس والختان ، وفي غيرهما وجهان ، وهذا ما حكاه مجلىٰ في الذَّخائر ، وعليه درج الرَّافعي ، وصحَّح من الوجهين الجواز .

وذهبت طائفة من الشَّافعية إلىٰ إباحته في النِّكاح ، وهل يعمّ البلدان والأزمان أو يختصّ بالبوادي والقرىٰ التي لا يناكره أهلها ، ويباح فيها ويكره في الأمصار ، وفي زماننا فيه وجهان ، وهذا ما اقتصر عليه الماوردي في الحاوي ، وتابعه الرُّوياني ، حكاه عنه ولم يحك غير ، وكلام أبي الفضل الجاكرمي يقتضي التَّفرقة بين المداومة وغيرها ، كالغناء ، وفي كلام غيره ما يقتضيه . وقول المصنِّف (وإن كان فيه جلاجل) في أصحِّ الوجهين ، وتبعه الرافعي بالشَّرح الكبير ، وذكر المصنِّف في البسيط الوجين ، فقال : إن لم يكن بجلاجل فمباح ، وإن كان بجلاجل فوجهان ، ولم يصحِّح أحدهما ، وكأنَّه تبع شيخه إمام الحرمين ، حيث قال في النِّهاية : ولا يحرم الدُّفُّ إذا لم يكم بجلاجل ، فإن كان بجلاجل فوجهان : والوجه الثَّاني : أنَّه حرام ، وهو الذي أورده القاضي حسين في تعليقه ، والشَّاشي في الحلية ، وإيراد ابن درياس في شرح المهذَّب يقتضيه ، ونقله في الذَّخيرة من كتب الحنفيَّة عن أبي الليث السَّمرقندي ، قال : الدُّفُّ الذي يضرب به في

زماننا هذا مع الصَّنجات والجلاجل ، ينبغي أن يكون مكروهاً ، وإنَّما الخلاف في ذلك الذي كان يضرب به في الزَّمان المتقدِّم .

وقال القرطبي من المالكيَّة لَمَّا استثنى الدُّفَّ فيما ذكرنا من المواضع ، ولا يلحق بذلك الطَّارات ذات الصَّلاصل والجلاجل لما فيها من زيادة الإطراب .

(وكالطَّبل ، والشَّاهين ، والضَّرب بالقضيب ، وسائر الآلات) ، وأمَّا الطَّبل بأنواعه ، فقد قال المصنِّف هنا : وفي البسيط والوسيط تباح سائر الطُّبول غير الكوبة ، وتابعه الرَّافعيُّ ، وهو مذهب أهل الظَّاهر ، واختاره ابن طاهر ، وذهبت طائفة إلى تحريم الطُّبول كلِّها غير طبل الحرب .

قال القاضي حسين في تعليقه : أمَّا ضرب الطُّبول : فإن كان طبل لهو فلا يجوز ، وإن كان طبل حرب فيجوز ضربه ، ولا يكره . والماوردي قسَّم الآلات إلى محرَّم ، ومكروه ، ومباح ، وجعل من المحرَّم طبل الحرب . والحليمي في منهاجه استثنى طبل الحرب والعيد ، وأطلق تحريم سائر الطُّبول ، ولكنَّه حصر ما استثناه في العيد للرِّجال خاصة . والقرطبي المالكي ، وابن الجوزي الحنبلي ، استثنيا أيضاً طبل الحرب ، وقال الخوارزمي الشَّافعي في الكافي : يحرم طبل اللهو ، وأطلقت طائفة القول بتحريم الطُّبول كلّها ، ولم تستثن ، ومنهم العمراني صاحب البيان ، والبغوي صاحب التَّهذيب ، والسَّهروردي صاحب الذَّخيرة ، وحكاه صاحب الاستقصاء عن الشَّيخ أبي حامد ، وأطلق أيضاً ابن أبي عصرون في كتاب التَّنبيه له ... " .

انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٦/ ٥٠٢-٥٠٣) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب (١٢٠٦هـ) : " ويحلُّ كلّ لعب مباح ، لأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّ الحبشة على اللعب في يوم العيد ، في مسجده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ويحلُّ الرَّجز والحداء في نحو العمارة ، والتَّدريب على الحرب بأنواعه ، وما يورث الحماسة فيه ، كطبل الحرب ، دون آلات الملاهي ، فإنَّها محرَّمة ؛ والفرق ظاهر ؛ ولا بأس بدفِّ العرس ، وقد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بعثت بالحنيفيّة السَّمحة " ، وقال : " لتعلم يهود أنَّ في ديننا فسحة " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام (١/ ٢٣٩-٢٤٠) .

وجاء في الفتاوى الهنديَّة : " وَسُئِلَ أَبُو يُوسُفَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – عَنْ الدُّفِّ أَتَكْرَهُهُ فِي غَيْرِ الْعُرْسِ بِأَنْ تَضْرِبَ الْمَرْأَةُ فِي غَيْرِ فِسْقٍ لِلصَّبِيِّ ؟ قَالَ : لَا أَكْرَهُهُ . وَأَمَّا الَّذِي يَجِيءُ مِنْهُ اللَّعِبُ الْفَاحِشُ لِلْغِنَاءِ فَإِنِّي أَكْرَهُهُ ، كَذَا فِي مُحِيطِ السَّرَخْسِيِّ .

وَلَا بَأْسَ بِضَرْبِ الدُّفِّ يَوْمَ الْعِيدِ كَذَا فِي خِزَانَةِ الْمُفْتِينَ " . انظر : الفتاوىٰ الهندية ، لجنة علماء برئاسة نظام الدِّين البلخي(٥/ ٣٥٢) .

وقال الإمام مصطفىٰ بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرحيبانىٰ مولداً ثُمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : (يُسَنُّ إعْلَانُ نِكَاحٍ وَ) يُسَنُّ (ضَرْبٌ فِيهِ بِدُفٍّ مُبَاحٍ) ، وَهُوَ مَا لَا حِلَقَ فِيهِ ، وَلَا صُنُوجَ (لِنِسَاءٍ وَلِرِجَالٍ) . قَالَ فِي " الْفُرُوعِ " : وَظَاهِرُ نُصُوصِهِ وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ التَّسْوِيَةُ ، قِيلَ لَهُ فِي رِوَايَةِ المروذي : مَا تَرَىٰ النَّاس الْيَوْمَ يُحَرِّكُ الدُّفَّ فِي إمْلَاكٍ أَوْ بِنَاءٍ بِلَا غِنَاءٍ ، فَلَمْ يَكْرَه ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ فِي رِوَايَةِ جَعْفَرٍ : يَكُونُ لَهُ فِيهِ جَرَسٌ ، قَالَ : لَا (خِلَافاً لَه) ، أَيْ : لِصَاحِبِ الْإِقْنَاعِ ، حَيْثُ قَالَ : وَيُكْرَهُ لِلرِّجَالِ ، وَقَدْ تَبِعَ فِيهِ صَاحِبَ الرِّعَايَةِ وَالْمُوَفَّقَ حَيْثُ خَصَّصَاهُ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمَذْهَبُ مَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ رَوَىٰ محمَّد بْنُ خَاطِبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الصَّوْتُ وَالدُّفُّ فِي النِّكَاحِ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَحَسَّنَهُ .

وَحَدِيثُ : " أَعْلِنُوا النِّكَاحَ " ، وَفِي لَفْظٍ : " أَظْهِرُوا النِّكَاحَ " ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ بِالدُّفِّ . وَفِي لَفْظٍ : " اضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْغِرْبَالِ " . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ .

(قَالَ أَحْمَدُ : وَلَا بَأْسَ بِالْغَزَلِ فِي الْعُرْسِ) ، لِقَوْلِ النَّبِي – صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لِلْأَنْصَارِ :

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ
وَلَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ لَمَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ مَا سُرَّتْ عَذَارِيكُمْ

(وَقَالَ الْإِمَامُ : يُسْتَحَبُّ ضَرْبُ الدُّفِّ وَالصَّوْتِ فِي الْإِمْلَاكِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ وَيَتَحَدَّثُ وَيُظْهِرُ) .

يُسَنُّ ضَرْبٌ بِدُفٍّ مُبَاحٍ فِي (خِتَانٍ وَقُدُومِ غَائِبٍ وَوِلَادَةٍ كَنِكَاحٍ) لِمَا فِيهِ مِنْ السُّرُورِ " . انظر : مطالب أولي النهىٰ في شرح غاية المنتهىٰ (٥/ ٢٥٣) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ وَالْمَلَاهِي) ، كَالْمَزَامِيرِ وَالطَّبْلِ ، وَإِذَا كَانَ الطَّبْلُ لِغَيْرِ اللَّهْوِ فَلَا بَأْسَ بِهِ ، كَطَبْلِ الْغُزَاةِ وَالْعُرْسِ ، لِمَا فِي الْأَجْنَاسِ : وَلَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ لَيْلَةَ الْعُرْسِ دُفٌّ يُضْرَبُ بِهِ ، لِيُعْلَنَ بِهِ النِّكَاحَ .

وَفِي الْوَلْوَالِجِيَّةِ : وَإِنْ كَانَ لِلْغَزْوِ أَوْ الْقَافِلَةِ يَجُوزُ " . انظر : رد المحتار علىٰ الدر المختار (٦/ ٥٥) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وقوله : " للنِّساء " ظاهره أنَّه لا يسنُّ للرِّجال ، لكن قال في الفروع : وظاهر الأخبار ، ونصّ الإمام أحمد أنَّه لا فرق بين النِّساء والرِّجال ، وأنَّ الدُّف فيه للرِّجال كما هو للنِّساء ؛ لأنَّ الحديث عامٌّ : " أعلنوا النّكاح واضربوا عليه بالغربال " ، أي : الدُّف ، ولما فيه من الإعلان ، وإن كان الغالب أنَّ الذي يفعل ذلك النِّساء ، والذين قالوا بتخصيصه بالنِّساء وكرهوه للرِّجال ، يقولون : لأنَّ ضرب الرِّجال بالدُّف تشبه بالنِّساء ؛ لأنَّه من خصائص النِّساء ، وهذا يعني أنَّ المسألة راجعة للعرف ، فإذا كان العرف أنَّه لا يضرب بالدُّف إلا النِّساء ، فحينئذٍ نقول : إمَّا أن يكره ، أو يحرم تشبه الرِّجال بهنَّ ، وإذا جرت العادة بأنَّه يُضرب بالدُّف من قبل الرِّجال والنِّساء فلا كراهة ؛ لأنَّ المقصود الإعلان ، وإعلان النّكاح بدفِّ الرِّجال أبلغ من إعلانه بدفِّ النِّساء ؛ لأنَّ النِّساء إذا دففن فإنَّما يدففن في موضع مغلق ، حتىٰ لا تظهر أصواتهنَّ ، والرِّجال يدفُّون في موضع واضح بارز ، فهو أبلغ في الإعلان ، وهذا ظاهر نصِّ الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وكلامِ الأصحاب حتىٰ " المنتهىٰ " الذي هو عمدة المتأخِّرين في مذهب الإمام أحمد ، ظاهره العموم ، وأنَّه لا فرق بين الرِّجال والنِّساء في مسألة الدُّف .

ولكن لو ترتَّب علىٰ هذا مفسدة نمنعه ، لا لأنَّه دفٌّ ، وإنَّما نمنعه للمفسدة ، وهكذا جميع المباحات إذا ترتَّب عليها مفسدة مُنعت ، لا لذاتها ولكن لما يترتَّب عليها .

وهناك آلات عزف أخرىٰ كالمزامير ، والطَّنابير ، والرَّباب ، وما أشبهها ، وهذه لا تجوز بأيِّ حال من الأحوال لحديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " ليكوننَّ في أمَّتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف " . قال الأستاذ العلَّامة المحقِّق المدقِّق حسان عبد المنَّان في تخريجه للحديث : " فهذا الحديث معلَّق ، وصورة التَّعليق عند البخاري أن يذكر ما لا يصرِّح بالتَّحديث ، وإن كان شيخه ، فمن ذلك قوله : " قال " أو " روي " أو " عن " أو ... واختلف في : " قال لي " ، والأرجح أنَّه تعليق أيضاً ، لأسباب لا يتَّسع ذكرها .

وأمَّا أنَّ الحديث جاء بالجزم عنده ، وأنَّه يقصد به الصحَّة ، فلا دليل علىٰ ذلك إلا أقوال المتأخِّرين ، فلا البخاري قال ذلك ، ولا الاستقراء في " صحيحه " يُساعد هذه القاعدة . فكم من حديث جاء بصيغة الجزم عنده وهو ضعيف عند البخاري نفسه وغيره ، وذا واضح لمن قارن بين " الصَّحيح " و " التَّاريخ الكبير " ، والأقوال التي نُقُلَتُ عنه .

وعلىٰ التَّسليم بالجزم ، فإنَّ الحديث ليس علىٰ شرط البخاري من ثلاثة أوجه :

أ.أنَّ فيه هشام بن عمَّار ، ولم يحتجّ به البخاري في " صحيحه " ، وإنَّما روىٰ له حديث (١١٥٢) تعليقاً ومتابعة ، وحديث (٢٠٧٨) توبع عنده برقم (٣٤٨٠) ، ويشهد له حديث (٢٠٧٧) ، وحديث (٣٦٦١) توبع برقم (٤٦٤٠) . ثُمَّ حديث المعازف برقم (٥٥٩٠) تعليقاً .

ليس في أحاديثه الأربعة المذكورة عند البخاري واحد احتجَّ به البخاري في " صحيحه " ، وإنَّما ذكرها متابعة وتعليقاً في الشَّواهد ، ومثل هذا معروف عند عارفي " صحيح البخاري " : أنَّه ليس علىٰ شرطه .

ولعلَّ الذي حدا بالبخاري أن لا يحتجَّ به ، ما عُرِفَ عن هشام من المنكرات في حديثه ، واختلاطه ... لذا قال أبو داود مستنكراً لبعض حديثه : حدَّث هشام بأربع مئة حديث مسندة ليس لها أصل ، كان فضلك يدور على أحاديث أبي مسهر وغيرها يلقِّنها هشاماً ، فيحدِّث بها ، وكنت أخشى أن نفتق في الإسلام فتقاً . قال : وقال هشام بن عمّار : حديثي قد روي فلا أُبالي من حمل الخطأ . وقال ابن وارة : عزمت زماناً أن أُمسك عن حديث هشام ، لأنَّه كان يبيع الحديث . وقال صالح بن محمَّد : كان يأخذ على الحديث ، ولا يحدِّث ما لم يأخذ . وقال ابن سيَّار : كان هشام يُلقَّن ، وكان يُلقَّن كلَّ شيء ، ما كان من حديثه ...

وفيه كلام كثير من أئمَّة الحديث . انظره في " تهذيب الكمال : (٣٠/ ٢٤٧-٢٥٠) .

وهذا ما جنح إليه الألباني في كتبه ، إذ ضعَّفه في مواضع كثيره .

ب . أنَّ فيه عطية بن قيس الكلاني . فإنَّه على غير شرط البخاري ، لأنَّ البخاري لم يروِ له غير هذا الحديث تعليقاً .

ج. وكذلك شيخه عبد الرَّحمن بن غَنْم الأشعري ، لم يرْوِ له البخاري غير هذا الحديث المعلَّق . فهذا الحديث فيه ثلاثة رواة لم يرو لهم البخاري محتجّاً بهم .

وفوق هذا فإنَّ الإسناد شامي ، وليس البخاري الذي يُسلِّم لحديث شامي فيه أقل ما فيه جهالة الحال عند عطية بن قيس الكلاني ...

ثمَّ إنَّ البخاري لم يستند إلى هذا الحديث في تحريم المعازف ، وإنَّما ذكره في " باب ما جاء فيمن يستحلُّ الخمر ويُسمِّيه بغير اسمه " . ولو أراد بالحديث الاستشهاد على المعازف وتحريمها ، لما توانى عن تبويبه بذلك ، لا سيَّما أنَّه أصلٌ في المسألة ، يحتاج إليه في كتاب جامع كصحيح البخاري ، ولو كان فرعاً لاعتُذر له !!!

إذن فالحديث عند البخاري ليس على شرطه ، ولا أراد به تحريم المعازف ، وإنَّما رواه واستأنس به في الخمر لما له شواهد في هذا المعنى ، ولأنَّه يتفق مع الأصل العان في تحريم الخمر ، فلضعفٍ في الحديث ولهذا المعنى الوارد في متنه ، ذكره في الأشربة ليُنبِّه على هذا المعنى ، وعلَّقه لأنَّه لا يوجد فيه إسنادٌ صحيح .

أمَّا الحديث من حيث الدِّراسة الإسناديَّة :

فقد وصله عن هشام بن عمَّار : ابن حبَّان (٦٧٥٤) ، والطَّبراني في المعجم الكبير (٣٤١٧) ، وفي مسند الشَّاميِّين (٥٨٨) ، والبيهقي (٣/ ٢٧٢) (١٠/ ٢٢١) ، وابن حجر في التَّغليق (٥/ ١٧-١٩) . وعند ابن حبَّان : " أبو عامر وأبو مالك " . والصَّواب على الشَّك .

وتُوبِعَ هشام :

فأخرجه أبو داود (٤٠٣٩) مختصراً ، والبيهقي (٣/ ٢٧٢) ، وابن حجر في التغليق (٥/ ١٩) من طريقين عن بشر بن بكر ، عن عبد الرَّحمن بن يزيد بن جابر ، به . وهذه على أنَا سلَّمنا أنَّها متابعة قويَّة لحديث هشام ، ليس فيها نصٌّ صريحٌ على المعازف ، لأنَّها رويت عند البيهقي وابن حجر ضمن رواية هشام بن عمَّار المتقدِّمة . فذكرُ المعازف معروف في رواية هشام ، ولم يصرِّح بها في رواية بشر بن بكر . فلمَّا امتزجت الرِّوايتان ذُكرت المعازف وكأنَّها لهما .

ورواية أبي داود مختصرة ذُكرت من طريق بشر وحده ، وليس فيها ذكرُ المعازف .

لذا فمن أعلَّ ذكر المعازف بهشام على ما بيَّنت له وجه .

أمَّا أنا فأرى أنَّ الحديث لا يصحُّ بهذه اللفظة وغيرها . علَّته فيه : عطيَّة بن الحمصي ، فإنَّه ليس معروفاً بالضَّبط والإتقان ، لم يوثِّقه غير ابن حبَّان ، وقول ابن حبَّان ليس بحجَّة ، لا سيَّما أنَّه معروف بذكر كثير من الرُّواة المسكوت عنهم في " ثقاته " ، وهذا هو منهجه ، على أنَّه أبدع في تراجم بعض الرُّواة وتقصِّي أخبارهم ، كما في " المجروحين " ، فالنَّاظر في كتابيه يجد أنَّه في " المجروحين " أمتن ...

وأمَّا قول أبي حاتم في : عطيَّة " : صالح الحديث ، فليس بتوثيق ، وهذا يكاد يكون معلوماً عند من يُطالع كتاب " الجرح والتَّعديل " ، فإنَّ أغلب أقواله المذكورة فيه " صالح " يجد أنَّ هذا الاصطلاح أقرب إلى الاعتبار ، وهي درجة أقلّ من التَّحسين ، وفي قسم الضَّعيف من الحديث ، وليس بشديده . وأحياناً قليلة قد يُعبَّرُ عنها بالتَّحسين . والأوَّل هو المطلق والمعتبر ، ولا دليل يُرجِّحُ التَّحسين فيه ، لا سيَّما أنَّ في حديث عطيَّة مفاريد ، لم يروها غيره .

لذا فقول ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٤) : قوَّاه أبو حاتم ، ليس بدقيق ، تعبيراً عن " صالح " عنده ، والصَّواب ما ذكر ابنُ أبي حاتم في " الجرح والتَّعديل " (٢/ ٣٧) ، ذَكَرّ مراتبَ الجرح والتَّعديل في كتابه ، فجعل ترتيبها على النَّحو الآتي : (ثقة ، متقن ، ثبت) ، فهذا ممَّن يحتجُّ بحديثه . (صدوق ، محله الصِّدق ، لا بأس به) ، فهذا ممَّن يُكتبُ حديثه ويُنظر فيه ، وهي المنزلة الثَّانية . (شيخ) ، فهذه المنزلة الثَّالثة . (صالح الحديث) ، فهذا يُكتب حديثه للاعتبار ...

وهذا الذي ذكره ابنُ أبي حاتم هو ما يُلاحظ بالاستقراء في كتابه " الجرح والتَّعديل " .

وللحديث طرقٌ أُخرى لا تصحُّ :

فأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠) ، والبخاري في " التَّاريخ الكبير " (١/ ٣٠٥) ، وأحمد (٥/ ٣٤٢) مختصراً ، والطَّبراني (٣٤١٩) ، والبيهقي (٨/ ٢٩٥) ، (١٠/ ٢٢١) ، وابن حجر في التغليف (٥/ ٢٠-٢١) من طرق عن معاوية بن صالح ، عن حاتم بن حُريث ، عن مالك بن أبي مريم ، عن عبد الرَّحمن بن غنم الأشعري ، عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً : " "يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا ، يُضْرَبُ عَلَىٰ رؤوسهم بِالْمَعَازِفِ وَالْقَيْنَاتِ ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، ويجعل منهم القردة والخنازير " .

فهذا الإسناد لا يصحُّ . مالك بن أبي مريم : مجهول لا يُعرف . وحاتم : فيه ضعفٌ ونظر ، في أمره جهالة حال . وهذا ما يقتضيه " شيخ " عند أبي حاتم . ومَنْ حسَّنَ أمره ليس كمن تكلَّم فيه . ومعاوية : عنده غرائب ، وهو صدوق .

ولو سُلِّمَ جدلاً صحَّة هذه الطَّريق ، فإنَّها على غير الصِّيغة التي في لفظ البخاري ، ولا يُستفاد منها التَّحريم . وفيها بيان أنَّ علَّة الخسف هي شُرب الخمر ، والقرينة بعده واضحة أنَّ الخمر واجتماعها بالمعازف والمغنِّيات وهو مجلس الفجور ، ولم يُفرد استحلال المعازف كما في حديث عبد الرَّحمن بن يزيد بن جابر .

وأخرجه البخاري في " التَّاريخ الكبير " (١/ ٣٠٥) من طريق الجرَّاح بن مليح الحمصي ، عن إبراهيم بن عبد الحميد بن ذي حماية ، عمَّن أخبره ، عن أبي مالك الأشعري أو أبي عامر : سمعت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخمر والمعازف .

وهذا إسنادٌ ضعيف أيضاً ، لإبهام الرَّاوي عن أبي مالك ، والذي يُحتمل جدًّاً أن يكون عطيَّة بن قيس الحمصي ، وأسقط عبد الرَّحمن بن غنم . ويُقوِّي هذا كلّه أنَّ الإسناد حمصيٌّ ، وهو الإسناد الذي كان مدار الطَّريق المتقدِّمة . وفوق هذا فإبراهيم بن عبد الحميد : فيه نظر !! مترجم عند البخاري (١/ ٣٠٤) ، وابن أبي حاتم (٢/ ١١٣) ، وابن حبَّان (٦/ ١٣) .

هذا هو حديث البخاري ، والطُّرق له ، تظهرُ للمنصف المتمعِّن فيها أنَّ مدارها على من يُجهل حاله ، ولم يُعرف بتوثيق " . انظر : تعقيب على ما كتب في الفن الإسلامي والآلات الموسيقية ، حسان عبد المنان ، ضمن رسالته : حوار مع الشَّيخ الألباني في مناقشة لحديث العرباض بن سارية : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، (ص١٨٧ فما بعدها) ، مكتبة المنهج العلمي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

" الحِرَ " يعني الفرج ، والمراد الزِّنا ، والخمر كلّ ما أسكر ، والحرير نوع معروف ممَّا يلبس ، لكنَّه لا يحرم على النِّساء لدعاء الحاجة إلى لبسه ، والمعازف معروفة ، واستحلالها نوعان : إمَّا اعتقاد أنَّها حلال ، كما يلبس ثوبه ، وإمَّا فعلها فعل المستحل مع اعتقاد أنَّها حرام ، وكلا الأمرين موجود الآن ، فمن النَّاس من

يرىٰ حلَّ المعازف ، إمَّا عن اجتهاد ، أو تأويل ، وإمَّا مجرَّد هوىٰ ، فيقول : النَّاس مختلفون في هذه المعازف ، وأنا أرىٰ أنَّها حلال ، بدون أيِّ اجتهاد ، ومنهم من يفعلها فعلَ المستحلِّ

أمَّا الأول : فوقع فيه علماء أجلاء ، وضعَّفوا حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ بأنَّ البخاري ـ رحمه الله ـ رواه معلَّقاً ، والمعلَّق نوع من أنواع الضَّعيف ، وقالوا : إنَّ المعازف حلال ، وممَّن قال بذلك ابن حزم الظَّاهري ـ رحمه الله ...

قال في الرَّوض : " وكذا ختان ، وقدوم غائب ، وولادة ، وإملاك " .

أمَّا الختان فهو قطع قلفة الذَّكر ، فيسنُّ فيه – علىٰ كلام صاحب الرَّوض – الضَّرب بالدُّف .

وأمَّا قدوم الغائب ، فقد جاءت السنَّة بإباحته ، فقد أتت امرأة إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت له : إنِّي نذرت إن ردَّك الله سالماً أن أضرب بالدُّفِّ بين يديك ، فقال : " أوفِ بنذرك " ، ولو كان هذا معصية لمنعها من الوفاء بالنَّذر ؛ لأنَّه لا وفاء لنذر في معصية الله .

ولكن هل يشترط في الغـــائب أن يكون له جاه ، وشرف ، ومكـــانة ، كأمير ، ووزير ، وما أشبه ذلك ؟

الظَّاهر نعم بناء علىٰ القاعدة التي ذكرناها ، وهي أنَّ ما خرج عن العموم وجب أن يتقيَّد بما قيّد به من حيث النَّوع ، والوصف ، والزَّمان ، والمكان ، وكلّ شيء ؛ لأنَّ الأصل العموم ، فالظَّاهر أنَّه لا يجوز إلا لمن له شأن في البلد .

فإذا قال قائل : إذا كان الرَّجل ليس له شأن في البلد ، لكن له شأن في قبيلته ، مثل ما يكون في البادية مثلاً ، فهل يضرب بالدُّف لقدومه ؟

الجواب : نعم ، يضرب بالدُّف لقدومه ؛ لأنَّه فرح .

كذلك – أيضاً– في أيَّام العيد يجوز الدُّفُّ للرِّجال والنِّساء علىٰ حدٍّ سواء !!! وذلك لأنَّه فرح عامٌّ ، كلٌّ يفرح به ، وهو يوم سرور ، والدُّف لا شكَّ أنَّه يدخل السُّرور علىٰ الإنسان ، ويفرح به ويُسر .

وهل نطرّد هذا في كلِّ مناسبة فرح ؟

الظَّاهر أنَّنا لا نطرّده إلَّا في فرح يكون عامَّاً ، كالأعياد ، وقدوم الغائب الذي له شأن في البلد ، وما أشبه ذلك ، وإلا فيقتصر علىٰ ما ورد .

وكذلك الولادة ، إذا ولد للإنسان ولد أو بنت يضربون بالدُّف .

وكذلك الإملاك ، وهو عقد المِلكة ، وقد يكون داخلاً في قول المؤلِّف " النكاح " ؛ لأنَّ النِّكاح كما يكون بالدُّخول يكون بالعقد .

وكون صاحب الرَّوض يرىٰ هذا من باب الاستحباب فيه نظر ، والصَّواب أنَّه لا يتجاوز الإباحة ؛ لأنَّ النِّكاح له شأن خاصٌّ ، وقد أمر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعلانه ، وأمَّا هذه الأمور فغاية ما هنالك أن نقول : للنَّفس أن تطرب بعض الطَّرب بهذه الأشياء .

وقال بعض أهل العلم : كذلك في كلِّ سرور حادث ، وعليه نقول : إذا حصل لواحد نجاح في الدِّراسة ، يجمع إخوانه ويضربون بالدُّف ، وكلُّ هذه الأشياء من التَّوسُّع ، ولكن أن يصل إلىٰ درجة الغلوِّ كما يفعله بعض النَّاس ، فهذا لا يجوز ... " . انظر : الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٢/ ٣٤٩-٣٥٤ باختصار) .

وقد تناقض مدَّعو السَّلفيَّة مع أنفسهم في مسألة استخدام الدُّف للرِّجال ، فقد جاء في لقاء الباب المفتوح : " جواز استخدام الدُّف للرِّجال في المناسبات :

السُّؤال : فضيلة الشَّيخ : ما حكم استعمال الدُّف في العَرْضات والمناسبات للرِّجال ؟ وما حكم التَّصفيق لهم ؟

الجواب : أمَّا الدُّف ، فلا بأس به للرِّجال عند قدوم غائب كبير ، أو لمناسبات كالأعياد وشبهها . وأمَّا في الأعراس فالذي تستعمله النِّساء فقط . أمَّا الطَّبل فلا يجوز مطلقاً ، والفرق بين الدُّف والطَّبل : أنَّ الدُّفَّ مفتوح من أحد الجانبين ، وأمَّا الطَّبل فهو مقفل من الجانبين ... " . انظر : لقاء الباب المفتوح ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، لقاء رقم ١٩٥ .

فالشَّيخ ابن عثيمين أجاز الدُّفَّ للرِّجال والنِّساء علىٰ حدٍّ سواء !!! وذلك لأنَّ العيد فرح عامٌّ ، كلٌّ يفرح به ، وهو يوم سرور ، والدُّف لا شكَّ أنَّه يدخل السُّرور علىٰ الإنسان ، ويفرح به ويُسر . مع العلم أنَّ أغلب من يتمسَّحون بالسَّلف منعوا الرِّجال من استخدام الدُّف ... وهذا واحد من تناقضاتهم واختلافاتهم فيما بينهم ... وما أكثرها ...

وقال الدكتور وهبة الزُّحيلي : " ويجوز الغناء المباح وضرب الدُّف في العرس والختان ، لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أعلنوا النِّكاح ، واضربوا عليه بالغربال " .

وتحرم الأغاني المهيِّجة للشُّرور ، المشتملة علىٰ وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور في الزَّفاف وغيره ، ويحرم كلّ الملاهي المحرَّمة .

وحكىٰ الرُّوياني عن القفَّال : أنَّ مذهب مالك بن أنس : إباحة الغناء بالمعازف ، وهو مذهب الظَّاهريَّة . ولا خلاف بين أهل المدينة في إباحة العود ، وبه قال بعض الشَّافعيَّة . ودليلهم علىٰ الإباحة : أنَّه لم تصح عندهم أحاديث المنع . قال الفاكهاني : لم أعلم في كتاب الله ، ولا في السنَّة حديثاً صحيحاً في تحريم الملاهي ، وإنَّما هي ظواهر وعمومات يتأنَّس بها ، لا أدلَّة قطعيَّة .

وأقول : إنَّ الأغاني الوطنيَّة أو الدَّاعية إلىٰ فضيلة ، أو جهاد ، لا مانع منها ، بشرط عدم الاختلاط ، وستر أجزاء المرأة ما عدا الوجه والكفين . وأمَّا الأغاني المحرِّضة علىٰ الرَّذيلة فلا شكَّ في حرمتها ، حتىٰ عند القائلين بإباحة الغناء ، وعلىٰ التَّخصيص منكرات الإذاعة والتِّلفاز الكثيرة في وقتنا الحاضر " . انظر : الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، د. وَهْبَة بن مصطفىٰ الزُّحَيْلِيّ (٤/ ٢٦٦٦) .

فقد رأينا من خلال أقوال العلماء الذين ذكرنا ....أنَّه لَا بَأْسَ بِالدُّفِّ للرِّجال في العرس والختان ، وكذا في غيرهما مِمَّا هُوَ سَبَبٌ لِإِظْهَارِ السُّرُورِ ، كالعيدِ ، وفي الْوَلِيمَةِ ، والولَادَةِ ، وَقُدُومِ الغَائِبِ ، وَشِفَاءِ المَرِيضِ ، حَيْثُ لَا فِسْقَ ، وَلَوْ كَانَ بِجَلَاجِلَ في الأصحِّ ، وَقَدْ كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فَرْقَ فِي أَنْ يَكُوْن الضَّارِبُ للدُّفِّ رَجُلاً ، أَوْ امْرَأَةً ...

وفي المقابل رأينا الكثيرين من المتسلِّفين يمنعون استخدام الرِّجال للدُّفِّ ...

قال الشَّيخ ابن باز : " ... وإنَّما يستحبُّ ضرب الدُّفِّ في النِّكاح للنِّساء خاصَّة !!! لإعلانه والتَّمييز بينه وبين السِّفاح ، ولا بأس بأغاني النِّساء فيما بينهن مع الدُّفِّ إذا كانت تلك الأغاني ليس فيها تشجيع علىٰ منكر ، ولا تثبيط عن واجب ، ويشترط أن يكون ذلك فيما بينهنَّ من غير مخالطة للرِّجال ، ولا إعلان يؤذي الجيران ، ويشقُّ عليهم ، وما يفعله بعض النَّاس من إعلان ذلك بواسطة المكبِّر فهو منكر ، لما في ذلك من إيذاء المسلمين من الجيران وغيرهم ، ولا يجوز للنِّساء في الأعراس ولا غيرها أن يستعملن غير الدُّفِّ من آلات الطَّرب ، كالعود ، والكمان ، والرَّباب ، وشبه ذلك ، بل ذلك منكر ، وإنَّما الرُّخصة لهنَّ في استعمال الدُّفِّ خاصَّة .

أمَّا الرِّجال ، فلا يجوز لهم استعمال شيء من ذلك ، لا في الأعراس ولا في غيرها ... " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٤٢٥) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ الشَّيخ ابن باز : " جواز ضرب الدُّف للنِّساء في الزَّواج :

س ٦٦ : ما هو الدُّف ؟ وهل يجوز استعماله في غير العرس وتغنِّي النِّساء في غيره ...

ج : الدُّف فيما ذكر العلماء أنَّه الطَّار الذي يكون له وجه واحد والوجه الثَّاني مفتوح ، يستعمله النِّساء في الأعراس ، هذا يجوز لهنَّ في الأعراس ؛ لأنَّه من باب إعلان النِّكاح ، يغنين معه بالغناء المعتاد الذي فيه مدح الزَّوج وأهله ، والزَّوجة وأهلها ، ونحو ذلك ، أمَّا إذا استعمل الطَّار والغناء فيما حرَّم الله في مدح الخمور أو مدح الزِّنا ، فهذا منكر ، ولو من النِّساء ، إنَّما الجائز الغناء المعتاد ، عادة النِّساء يمدحن أهل المرأة ، وأنَّهم كذا ، وأهل الزَّوج ، هذا لا بأس به ، وهذا هو الجاري في عهد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلا بأس به ، ولا يجوز أن يكون فيه اختلاط ، بل يكون بين النِّساء خاصَّة ، ولا مانع من فعل الجواري الصِّغار للطَّار في العيد ، للجواري الصِّغار كما أذن لهنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت عائشة " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (٢١/ ١٧٨) .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال الثَّاني من الفتوىٰ رقم (٣٣٢١) :

س٢ : هل يجوز ضرب الدُّف للرِّجال البالغين ؟

ج٢ : إعلان النِّكاح سنَّة ؛ لقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أعلنوا النِّكاح " ، رواه أحمد وصحَّحه ابن حبَّان والحاكم . ومن وسائل إعلانه الضَّرب بالدُّف ، لكنَّه من النِّساء دون الرِّجال ؛ لثبوته منهنَّ عمليّاً دون الرِّجال في الصَّدر الأوَّل ، وقد وردت أحاديث في الضَّرب بالدُّف في النِّكاح ، منها ما رواه التِّرمذي عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " أعلنوا النِّكاح ، واضربوا عليه بالغربال " ، أي : الدُّف ، وفي سنده عيسىٰ بن ميمون وهو ضعيف ، وأخرجه ابن ماجه ، وفي إسناده خالد بن إياس وهو منكر الحديث ، وروي من طرق أخرىٰ لا تخلو من مقال ، فلا يصح الاستدلال بهما علىٰ جوازه للرِّجال . وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولىٰ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (١٩/ ١١٤-١١٥) .

فإلىٰ الله المشتكىٰ ...

وعلىٰ كلِّ حالٍ ، فالضَّرب بالدُّفِّ وسيلة من وسائل إعلان النِّكاح المأمور به ... والوسائل لذلك كثيرة ، منها : استخدام الزِّينات ، وتوزيع بطاقات الأفراح ، واجتماع النَّاس علىٰ الوليمة ، وإقامة الأفراح ، والضَّرب بالدُّفِّ ... ليكون ذلك فرقاً بينه وبين السِّفاح الذي غالباً ما يكون سرّاً ... وقد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : " أشيدوا النِّكَاحَ ، أشيدوا النِّكَاحَ ، هَذَا نِكَاحٌ لَا سفاحٌ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٠١ برقم ٥٢٩) .

أي : أعلموه وأشهروا أمره ندباً ... والإعلام يستوي فيه الرِّجال والنِّساء ، لا فرق ، بل إنَّ تعلُّق الإعلام بالنِّساء أهمّ من تعلُّقه بالنِّساء... وقد كان السَّلف يقلِّسون ، والتَّقْلِيسُ أَنْ تَقْعُدَ الْجَوَارِي وَالصِّبْيَانُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ الطُّرُقِ ، يَلْعَبُونَ بِالطَّبْلِ ... كَمَا ضُرِبَ بِالدُّفِّ وَغُنِّيَ عَلَىٰ رَأْسِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَوْفٍ لَيْلَةَ الْمِلَاكِ ...

فَضَرْبُ الدُّفِّ فِي الْعُرْسِ وَغيْرِهِ من المناسبات لَا بَأْسَ بِهِ ، للرِّجَال والنِّسَاء عَلَىٰ حدٍّ سَوَاء ...

📖 الفَصْلُ الثَّامِنُ 📖

۞ زَعْمُ المُتَسَلِّفَةِ أَنَّ الصُّوفيَّةَ هُمُ المِعْوَلُ الذِيْ هَدَمَ به اليَهودُ وَالفُرْسُ صَرْحَ الإسْلَامِ العَظِيْم ، وَأَنَّ الصُّوفيَّة هُمْ مَنْ مَكَّنُوا المُسْتَعْمِرَ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِيْنِ فِي غَيْرِ مَا بَلدٍ مِنْ بُلْدَانِهِم ۞

من المعلوم لدىٰ الباحثين المُنصفين أنَّ الصُّوفيَّة قدَّموا الكثير من الخدمات الجليلة والكبيرة للإسلام والمسلمين ، سواء في علم الأخلاق وتربية النُّفوس ... أو الحثِّ علىٰ الجهاد وممارسته في ساحات الوغىٰ ... فالصُّوفيَّة تمكَّنوا من الجمع بين الجهاد القتالي وجهاد النَّفس ، نظراً للتَّرابط الكبير بينهما ، فمن مقتضيات جهاد النَّفس : حملها علىٰ تحمُّل الصِّعاب ومنازلة ومقارعة الأعداء ... ولذلك رأينا الصُّوفيَّة في مقدِّمة عشَّاق الشَّهادة ، الذين قاتلوا في سبيل الله تعالىٰ حتَّىٰ نالوا الظَّفر أو الشَّهادة ...

ومع ذلك كلِّه رأينا من يدَّعون السَّلفيَّة يصفون ساداتنا الصُّوفيَّة بأنَّهم المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام ، وأنَّ شيوخ الطُّرق الصُّوفيَّة هم الذين مكَّنوا المستعمرين في بلاد الإسلام ...

وفي ذلك يقول صاحب كتاب : " المجموع المفيد من عقيدة التَّوحيد " : " إنَّ هذه الطُّرق الصُّوفيَّة المنتشرة في النَّاس للدَّجل والدَّجالين هي المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام ، وهي اليد الأثيمة التي مزَّقت الإسلام ، وأنَّ شيوخ الطُّرق الصُّوفيَّة هم الذين يمكِّنون للمستعمرين في مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والهند ، وفي السُّودان ، وفي مصر ، وفي كلِّ مكان ، أيها المسلمون : لا ينفع إسلامكم إلَّا إذا أعلنتم الحرب الشَّعواء علىٰ هذه الطُّرق ، وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم ، ومن قلوبكم ، ومجالسكم ، ومجامعكم ، ومساجدكم ، وزواياكم ، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود !!! فإنَّها روح اليهوديَّة والمجوس تغلغلت في جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته " . انظر : المجموع المفيد من عقيدة التوحيد ، علي بن محمَّد سنان (ص٥٥) .

وللردِّ علىٰ هذا المتعالِم المتفيهق المتنطِّع الجاهل المِجّهال الجهول نقول : أمَّا ما زعمته من تمكين الصُّوفيَّة للمستعمرين في بلاد المسلمين ، فيكفي في الردِّ عليه أنَّ الجميع يشهد بجهاد الصُّوفيَّة في مختلف الأعصار والأمصار ، وهنا سأذكِّر بباقة صغيرة !!! من جهاد بعض أقطاب الصُّوفيَّة ، فأقول :

ذكر المؤرِّخون أنَّ إمام المتصوِّفين إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) كان من المرابطين في الثُّغور ، ومات فيها ، قال ابن كثير : " وذكروا أنَّه توفِّي في جزيرة مِنْ جَزَائِرِ بَحْرِ الرُّومِ وَهُوَ مُرَابِطٌ " . انظر : البداية والنهاية(١٠/ ١٥٤)
.

وقال الإمام الذَّهبي عن شقيق البلخي (١٩٤هـ) : " وَرَوَىٰ محمَّد بنُ عِمْرَانَ ، عَنْ حَاتِمٍ الأَصَمِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ شَقِيْقٍ وَنَحْنُ مُصَافُّو العَدُوِّ التُّرْكِ ، فِي يَوْمٍ لاَ أَرَىٰ إِلَّا رُؤُوْساً تَنْدُرُ ، وَسُيُوْفاً تَقْطَعُ ، وَرِمَاحاً تَقْصِفُ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَىٰ نَفْسَكَ ، هِيَ مِثْلُ لَيْلَةِ عُرْسِكَ ؟

قُلْتُ : لاَ وَاللهِ . قَالَ : لَكِنِّي أَرَىٰ نَفْسِي كَذَلِكَ ، ثُمَّ نَام بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَىٰ دَرَقَتِهِ ، حَتَّىٰ غَطَّ ، فَأَخَذَنِي تُرْكِيٌّ ، فَأَضْجَعَنِي لِلذَّبْحِ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطْلُبُ السِّكِّيْنَ مِنْ خُفِّهِ ، إِذْ جَاءهُ سَهْمٌ عَائِرٌ ذَبَحَهُ ... وَقُتِلَ شَقِيْقٌ فِي غَزَاةِ كُوْلاَنَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَمِائَةٍ " . انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٤-٣١٦) .

وقال الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي عن حاتم الأصم (٢٣٧هـ) : " مات عند رباط يقال له : رأس سرود علىٰ جبل فوق واشجرد " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٦٩) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي في ترجمة محمَّد بن إبراهيم أبو حمزة الصُّوفي (٢٦٩هـ) : " كان لأبي حمزة مُهْرٌ قد ربَّاه ، وكان يُحبُّ الغزو ، وكان يركب المُهْرَ ويخرج عليه " . انظر : تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٤) .

وقال أحمد أمين عن الشَّيخ محي الدِّين بن عربي (٦٣٨هـ) : " أُثر عنه أنَّه كان خلال الحروب الصَّليبيَّة يحرِّض المسلمين علىٰ الجهاد ومقاومة الغزاة الصَّليبيِّين " . انظر : ظهر الإسلام ، أحمد أمين (٤/ ٢٢٢) .

وجاء في كتاب الوصايا لابن عربي : " وعليك بالجهاد الأكبر فإنَّه أكبر أعدائك ، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك ، فإنَّه بين جنبيك ، والله يقول سبحانه : ﴿ٱلَّخ لم لى لي مج مح مخ مم﴾[التوبة: ١٢٣] ... فإنَّك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشُّهداء الأحياء الذين عند ربِّهم يُرزقون... " . انظر : الوصايا ، ابن عربي (ص٤٩)

ويروي الإمام عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) أنَّه في القرن الثَّالث الهجري تجمَّع الصُّوفيَّة من كلِّ صوب في ثغور الشَّام إذ وفدوا إلىٰ هذه الثُّغور جهاداً في سبيل

الله للوقوف في وجه البيزنطيين ، وأشهرهم أبو القاسم القحطبي الصُّوفي ، وأبو القاسم الأبّار ، وأبو القاسم الملطي الصُّوفي الذي صحب الجنيد البغدادي . انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب ، ابن العديم (١٠/ ٤٥٩١) .

تنبيه : لقد تمَّ العبث بالعبارة السَّابقة التي ذكرها الإمام ابن العديم من قبل من لا يستحي ولا يرعوي ، فشطبوا الكلام السَّابق كاملاً ، وذلك في نسخة بغية الطَّلب في تاريخ حلب ... الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... مع العلم أنَّ رقم طبعة نسخة المكتبة الشَّاملة هو نفس رقم طباعة النُّسخة الورقيَّة التي نقُلْتُ عنها ...

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) في ترجمة الشَّيخ الإمام أحمد بن عمر المرسي : " العارف بالله تعالىٰ قطب زمانه شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عمر المرسيّ الأنصاريّ الإسكندريّ المالكيّ الصَّالح المشهور ، كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميَّة ، وله القدم الرَّاسخة فى علم التَّحقيق ، وله الكرامات الباهرة ، وكان يقول : شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وقال الشَّيخ أبو الحسن الشَّاذليّ : أبو العبَّاس بطرق السَّماء أعلم منه بطرق الأرض ، انتهىٰ .

قُلْتُ : وكان لديه فضيلة ومشاركة ، وله كرامات وأحوال مشهورة عنه ، وللنَّاس فيه اعتقاد كبير لا سيّما أهل الإسكندريَّة ، وقد شاع ذكره وبعد صيته بالصَّلاح والزُّهد ، وكان من جملة الشُّهود بالثّغر " . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧/ ٣٧١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) في ترجمة الإمام علي أبو الحسن الشَّاذلي السيِّد الشَّريف : " ... نشأ ببلده ، فاشتغل بالعلوم الشرعيَّة ، حتّىٰ أتقنها ، وصار يناظر عليها ، مع كونه ضريراً ، ثُمَّ سلك منهاج التَّصوُّف ، وجدّ واجتهد ، حتّىٰ ظهر صلاحه وخيره ، وطار في فضاء الفضائل طيره ، وحمد في طريق القوم سراه وسيره .

نظم فرقَّق ولطَّف ، وتكلَّم علىٰ النَّاس فقرّط الأسماع وشنَّف ، وطاف وجال ، ولقي الرِّجال ، وقدم إلىٰ إسكندريَّة من المغرب ، وصار يلازم ثغرها من الفجر إلىٰ المغرب ، وينتفع النَّاس بحديثه الحسن وكلامه المطرب ... " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧/ ٤٨٢) .

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل النَّبهاني (١٣٥٠هـ) في كتابه : " جامع كرامات الأولياء " ، في ترجمة الإمام محمَّد ابن الشَّيخ أبي بكر العردوك : " أحد أعيان الرجال ورؤساء الطريق ، قال السراج : روِّينا عن جماعة من أهل منبج وغيرهم قالوا لنا : وصلنا بأهلينا هاربين من التتار في سنة (٦٨٠هـ) ، إلىٰ جبل من أرض

سليمة على مرحلة من حمص ، فلمّا كان يوم الأربعاء بعد العصر ، تأهب الشَّيخ محمَّد المذكور وتحزَّم وأخذ عمود خيمة أو نحوه وجعل يقاتل في الهواء غائب العقل ظاهراً ، والجماعة حوله يعلمون أنَّه في مهم ، وبقي إلى مثل ذلك الوقت من نهار الخميس تاليه ، ثُمَّ استلقى كالميِّت وكلّ ما عليه من بدنه وعموده مضمَّخ بالدِّماء ، ثُمَّ أفاق بعد ساعة والجماعة حوله يبكون ، فقبَّلوا يديه ورجليه ، وسألوه عمّا جرى فأخبرهم بأنَّه قاتل خفر التتار وقتل كبيرهم ، وأنّهم في هذا اليوم ينكسرون ، وانكسر التتار بحمص يوم الخميس سادس عشر رجب سنة (٦٨٠هـ) ، مات الشَّيخ محمَّد شهيداً ، قتله رجل من التتر ، وكان أخبر بذلك قبل حصوله سنة (٧٠٠هـ) " . انظر : جامع كرامات الأولياء ، يوسف النبهاني (١/ ٢٤١) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي محمَّد الفاتح (١٤٨١م) ، الماتريدي العقيدة ، فاتح القسطنطينيَّة ، الذي امتدحه سيِّد الخلق محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا ، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ " . أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧) .

وأين أنتم من الإمام الصُّوفي العزّ بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، الذي كان له دورٌ مشكورٌ في هزيمة التَّتار ، قال الإمام السُّيوطي : " ولبس خرقة التَّصوُّف من الشِّهاب السَّهروردي " . انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣١٥) .

وقال الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥ هـ) في ترجمة الملك الصُّوفي العادل نور الدِّين أبو القاسم محمود بن عماد الدِّين أتابك وهو أبو سعيد زنكي : " وأمَّا شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النِّهاية إليه فيهما ، فإنَّه أصبر النَّاس في الحرب وأحسنهم مكيدة ورأياً ، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم ، وبه كان يضرب المثل في ذلك . سمعت جمعاً كثيراً من النَّاس لا أحصيهم يقولون أنّهم لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه ، كأنَّه خلق عليه لا يتحرَّك ولا يتزلزل ...

قرأت في ديوان محمَّد بن نصر القيسراني : كتب إلى نور الدِّين سلام الله وحنانه ، ورأفته وامتنانه ، وروحه وريحانه ، على من عصم بعزّه العواصم ، وخصم بحجَّته الدَّهر المخاصم وألجم بهيبته العائب والواصم ؛ الذي انتضى في سبيل الله سيوف الجهاد ، وارتضى بعزِّ سلطانه شعار العُباد والزهَّاد ...

ذُو الجهادين من عَدو وَنَفس ... فَهُوَ طول الْحَيَاة فِي هيجاء
أَيهَا الْمَالِك الَّذِي ألزم النَّاس ... سلوك المحجة الْبَيْضَاء

قد فضحت الْمُلُوك بِالْعَدْلِ لما	سرت فِي النَّاس سيرة الْخُلَفَاء
قاسماً مَا ملكت فِي النَّاس حَتَّىٰ	لقسمت التقىٰ علىٰ الأتقياء
شيم الصَّالحين فِي جنن التّرْك	وَكم من سكينَة فِي قبَاء
أَنْت حينا تقاس بالأسد الْورْد	وحينا تعد فِـــــي الْأَوْلِيَاء
صاغك الله من صميم الْمَعَالِي	حَيْثُ لَا نِسْبَة ســـوىٰ الآلاء
وَكَأن القباء مِنْك لما ضم	من الطُّهْر مَسْجِد بقبـــــــاء
أَنْت إِلَّا تكن نَبيا فَمَا فاتك	إِلَّا خلائق الْأَنْبِيَـــــــاء
رأفة فِي شهـــامة وعفاف	فِي اقتدار وسطوة فِي حَيَـــــاء
وجمـــــــال ممنطق بِجلَال	وَكَمَال متوج ببهـــــــاء
وَإِذا مَا الْمُلُوك خَافت سِهَام الذَّم	زرت عَلَيْك درع الثَّنَـــــــــاء
عجب النَّاس مِنْك أَنَّك فِي الْحَرْب	شهَاب الكتيبة الشَّهْبَـــــــاء
وَكَأن السيوف من عزمك الْمَاضِي	أفادت مَا عِنْدهَا من مضــاء
ولعمري لَو اسْتَطَــــــــــاعَ فدَاك	الْقَوْم بالأمهات والآبــــــــــــاء

انظر : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، أبو شامة (١/ ٧٩،٤٢) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي صلاح الدِّين الأَيُّوبي (١١٩٣م) محرِّر الأقصىٰ من يد الصَّليبيين ، وقاهرهم ...

ومنهم الإمام علي بن ميمون (٩١٧هـ) ، قال عنه الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي : " واشتغل بالعلم ودرَّس ، ثُمَّ ولي القضاء ، ثُمَّ ترك ذلك ولازم الغزو علىٰ السَّواحل ، وكان رأس العسكر " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١١٧) .

وفي الصُّومال قاد الإمام الصُّوفي محمَّد بن عبد الله حسن جيش الدَّراويش لمحاربة الاحتلال البريطاني والإيطالي ، حتىٰ أنَّ البريطانيين سمُّوه بـ " الملا المجنون " ، وقد أقضَّت حركة الدَّراويش مضاجع الاستعمار الأجنبي في الصُّومال ، لدرجة أنَّ البريطانيين اضطرُّوا لعقد اتفاقيَّة مع حركة الإمام محمَّد بن عبد الله حسن لوقف إطلاق النَّار عام (١٩٠٥م) استمرَّت لمدَّة سنتين ، وفي عام (١٩١٩م) ، وبسبب ما سبَّبته حركة الدَّراويش من إرباك للاستعمار البريطاني عقد مجلس الوزراء البريطاني اجتماعاً قرَّر فيه شنَّ هجوم

واسع النِّطاق علىٰ حركة الدَّراويش للقضاء عليها ، وفعلاً قام البريطانيُّون بهجوم كاسح استخدمت فيه كافَّة الأسلحة ، قُتل فيه الإمام محمَّد بن عبد الله حسن والكثير من أتباعه ...

وماذا تقولون عن الأمير عبدالقادر الجزائري الصُّوفي الأشعري (١٨٤٧م) ، قائد الثَّورة الجزائريَّة ضدَّ الاحتلال الفرنسي ...

وماذا عن البطل المجاهد الشَّهيد عمر المختار (١٩٣١م) الصُّوفي الزَّاهد قائد الثَّورة الليبيَّة ضدَّ الطِّليان ...!!!؟

قال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) : " وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسُّودان يسمىٰ محمَّد أحمد يقال أنَّه المهدي أو قائم طالب لإظهار الحق ولم يدع أنَّه المهدي ، ويقال أنَّه شريف حَسَني ، وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصَّلاح ومن مشايخ الطَّرائق ، قيل أنَّه علىٰ طريق الشَّيخ السمَّان ، وأول ظهوره أنَّه لمَّا كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصريَّة المتملِّكين للسُّودان عمالاً لصاحب مصر محمَّد توفيق باشا ، ثُمَّ اتَّسع الأمر بينهم وبينه إلىٰ القتال ، وقاتلوه وقاتلهم مراراً ، وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم حتىٰ استولىٰ علىٰ كثير من بلاد السُّودان وأخرجهم منها ، فلمَّا دخل الإنكليز مصر صار الإنكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الإنكليز ومعهم عساكر مصر ، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها ، والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم ، فتملَّك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك ، وقتل منهم خلقاً كثيراً لا يحصىٰ عددهم ، وكان أمره معهم عجيباً يأتون إليه بالعساكر الكثيرة ، والمدافع والآلات الشَّهيرة التي لا يطيق أحد مقابلتها ، فيقابلهم بجيوشه السُّودانيين وليس معهم إلَّا السَّيف والرُّمح والسَّكاكين ، فيهجمون علىٰ تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتىٰ يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرِّماح وضرباً بالسُّيوف والسَّكاكين ، ويشتِّتون شملهم ، ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولَّى محمَّد أحمد عليهم رجلاً يسمىٰ عثمان ذقنه ، فجاء بمن معه من السُّودان لمحاصرة سواكن وإخراج الإنكليز والعساكر المصريَّة منها فخرجوا إليه بجيوشهم الكثيرة ، وآلاتهم ومدافعهم الشَّهيرة ، فهزمهم عثمان ذقنة ومن معه من السُّودان هزيمة بعد هزيمة ، وقتل الكثير منهم حتىٰ أنَّهم جاؤوه في سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة ، والآلات والاستعدادات الوفيرة ، وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن ، فهزمهم وقتل أكثرهم وشتَّت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم

، وإلىٰ هذا الوقت وهو شهر ذي الحجَّة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها، وفيها عساكر للإنكليز وصاحب مصر قيل أن جيوش محمَّد أحمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون ... " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٨٠١-٨٠٢) .

وماذا عن الشَّيخ محمَّد بدر الدِّين الحسني (١٩٣٥م) الصُّوفي ، قال الزّركلي في ترجمته له : " لَمَّا قامت الثَّورة علىٰ الاحتلال الفرنسي في سوريَّة ، كان الشَّيخ يطوفُ المدن السوريَّة ، متنقِّلاً من بلدة إلىٰ أخرىٰ ، حاثَّاً علىٰ الجهاد ، وحاضَّاً عليه ، يقابل الثَّائرين ، ويغذِّيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أباً روحيَّاً للثَّورة والثَّائرين المجاهدين " . انظر : الأعلام ، الزركلي (٧/ ١٥٨) .

وماذا ، وماذا ، وماذا ... فهل عندكم ردٌّ ؟!!!! وكيف لكم الردُّ ، وأنتم غارقون في بحار التَّقليد والتَّبعيَّة ... وفي هذا المعنىٰ صنَّف الأستاذ أسعد الخطيب كتاباً طيِّباً بعنوان : " البطولة والفداء عند الصُّوفيَّة ، دراسة تاريخيَّة " ، وهو كتاب طيِّب ، ننصح من أراد الاستزادة في جهاد السَّادة الصُّوفيَّة بقراءته والاطلاع عليه ...

ثمَّ ما هي بطولات وتضحيات من يدَّعون السَّلفيَّة ؟ ما هي البلاد التي فتحوها فأدخلوها إلىٰ حظيرة الإسلام والمسلمين ؟ ما هي أعمالهم الخالدة التي كتبها لهم التَّاريخ ؟ فهل من جواب ؟

إنَّ الجواب لمن أراده موجود في كتاب عالمهم : عثمان بن عبدالله بن بِشْر النَّجدي الحنبلي ، " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، فقد ذكر فيه من الفضائع والشَّنائع ، والمصائب والمعاطب التي قامت بها هذه الشِّرذمة ضدَّ أُمة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا يندىٰ له الجبين ...

وفي هذا المعنىٰ يقول الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " وَاعْلَمُوا رحمكم الله أَنَّ جَمِيع فرق الضَّلَالَة لم يجر الله علىٰ أَيْديهم خيراً ، وَلَا فتح بهم من بِلَاد الْكفْر قَرِيَّة ، وَلَا رفع لِلْإِسْلَامِ راية ، وَمَا زَالُوا يسعون فِي قلب نظام الْمُسلمين ، ويفرِّقون كلمة الْمُؤمنِينَ ، ويسلُّون السَّيْف علىٰ أهل الدِّين ، ويسعون فِي الأَرْض مفسدين ... " . انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧١) .

قُلْتُ : وكأنَّ ابن حزم في كلامه هذا يتكلَّم عن متسلِّفة هذا الزَّمان ، الذين لم يجرِ الله تعالىٰ علىٰ أيديهم خيراً ، بل ما جرُّوا علىٰ الأُمَّة إلَّا المصائب والمعاطب والتَّنفير والتَّكفير والتَّهجير ...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

فِهْرِسُ المَوْضُوْعَات